

BOBST LIBRARY



3 1142 02346 4103

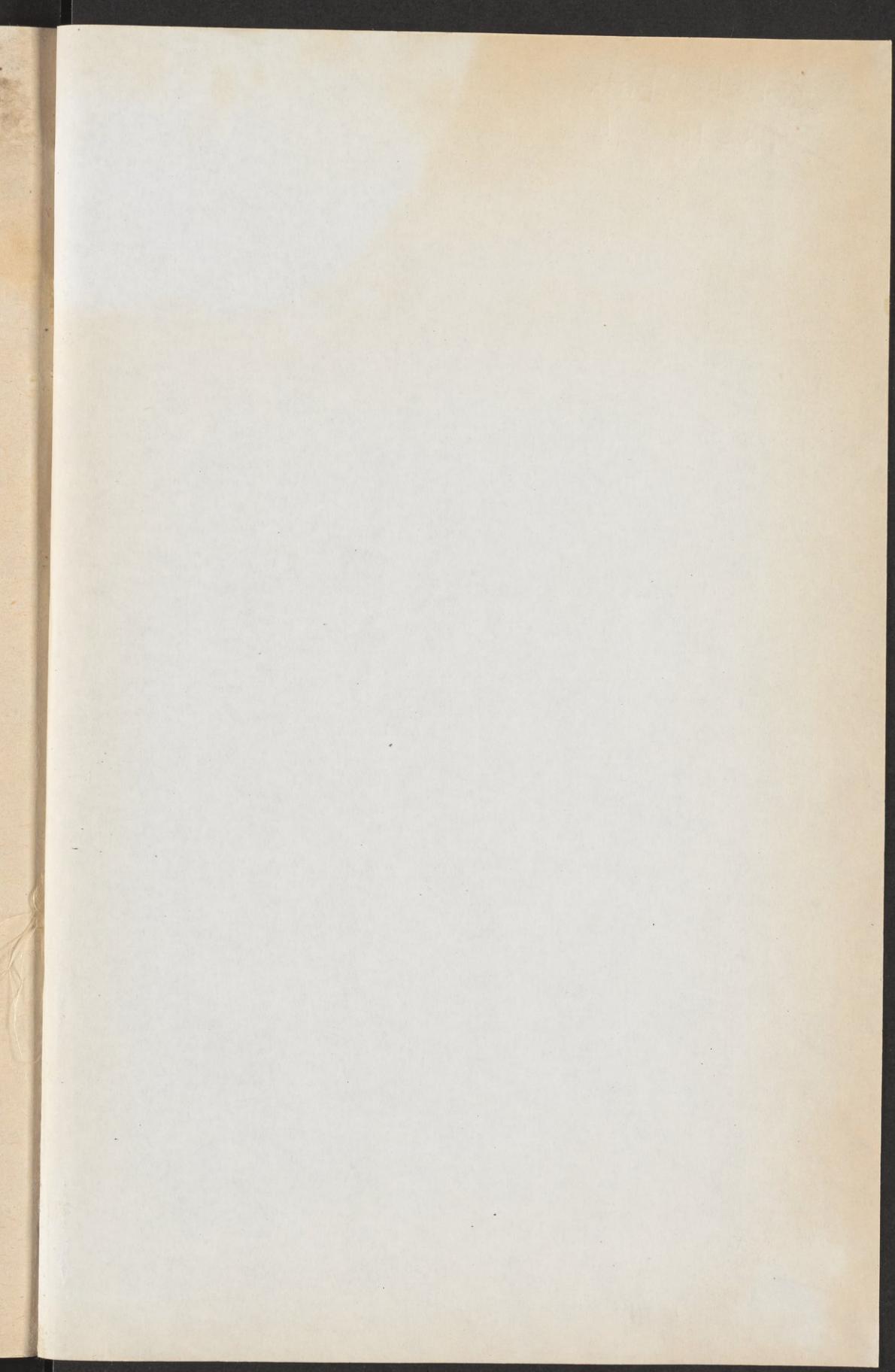


New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *		
	DUE DATE OCT 31 2004 BOBST LIBRARY CIRCULATION	DUE DATE JUL 31 2001 Bobst Library Circulation
	DUE DATE OCT 08 2007 BOBST LIBRARY CIRCULATION	
	RENEWED APR 09 2012 AUG 29 2011 BOB LIBRARY CIRCULATION	DUE DATE

108386

Bobst Library
12-16-94



مكتبة أهل سالم لغير أهل سالم
١٩٨٣

٨/٧
لله ولهم

منهاج الأدب (المصرية)

منهاج الأدب (المصرية)

تأليخ

رفاعي باع رافع (الطباطبائى)

~~HC~~

535

T25

1912

Aug 18th 1912

Westerly Weather

فهرست

﴿كتاب مناهج الالباب المصرية في مباحث الآداب العصرية﴾

صحيفه

- | | |
|----|---|
| ٤ | طلب سبب تأليف هذا الكتاب |
| ٥ | » العنوان والاتجاف |
| ٧ | مقدمة في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تعدد أرباب الفطن |
| ٧ | طلب وصف مصر |
| ٧ | » نفع الدين في المملكة |
| ٨ | اعانة المنافع العمومية على التمدن |
| ٨ | » المقاصلة بين الفلاحة والملاحة |
| ٩ | » حرية الذمة |
| ١٠ | » اختلاف الأغراض في المنافع العمومية |
| ١٠ | » الترغيب في حب الوطن |
| ١٦ | » بر مصر بنيها وغيرهم |
| ١٦ | » خير مصر ورثاثها |
| ١٩ | » اختلاف أسباب المواد وتشعب المكاسب |
| ٢٠ | » تقسيم أسباب المواد والمكاسب |
| ٢١ | » اختلاف أحوال المنافع العمومية |
| ٢٣ | (الباب الاول) في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي موادها الخ |
| ٢٣ | (الفصل الاول) فيما تطلق عليه المنافع الخ |
| ٢٣ | طلب تعريف المنافع |
| ٢٩ | » المروءة |
| ٣١ | » حديث اذمات ابن آدم اقطع عمله الا من ثلاثة |

صحيفة

- ٣١ مطلب الصدقة الجارية
٣٤ « نوادر البخلاء
٣٦ « ما قيل في البخلاء من الشعر
٣٩ « الرزق
٣٩ « طلب الدنيا لغرض
٤٠ « مآثر الصحابة في الصدقات
٤٠ « الصدقة التي تصادف محلها
٤١ « خيرات نور الدين الشهيد ومن أتقى أثره
٤٢ « اقرار السلطان سليم خان المرتبات بمصر على حاملها
٤٣ « تنظيم الصدقات الجارية باسلوب جديد في أيام المرحوم محمد على
وافتقاء خلفه أثره
٤٤ « استحسان اعانتة أهل اليسار لوى الامر على فعل الخير لتكثير الحال
الخيرية
- ٤٦ « الدين
٤٨ « قانون الشحادة
٤٩ « العلم النافع
٥١ « تعداد فضائل العلوم الشرعية والآيات
٥٢ « الحساب
٥٣ « تقسيم العلوم
٥٤ « فضل الكتابة
٥٦ « الاجتهد في تحصيل العلم ومدحه
٥٧ « تقديم أوائل العلوم على أواخرها
٥٨ « وضوح العبارة وترك الرموز الخفية
٦٢ « الانتفاع بالتربيه والتعاضد بها

- ٦٥ مطلب تربية الاولاد
 ٦٦ « بر الولد لوالده
 ٦٧ « ترتيب تعليم الاطفال
 ٦٨ « اطوار الصغير
 ٧٨ « استعداد كل انسان لفضيلة ما
 ٨٠ (الفصل الثاني) في العمل الذي هو القوة الاولية في براز المنافع
 الاهلية وفي تطبيقه على الارض الزراعية
 ٨٠ « منابع الثروة
 ٨٣ « الحرش والزرع
 ٩٧ « تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا تناحشو الخ
 ٩٨ « تعميم أبناء الوطن في مكارم الاخلاق بدون تفرقـة ولا نظر
 للاختلاف بالدين
 ٩٩ « تسوية الذمي بالمسلم في حرمة ظلمه
 ١٠١ « احتياج الزراعة لا كثـر الصنائع وبالعكس
 ١٠٢ (الفصل الثالث) في تقسيم الاعمال الى منتجة الاموال وغير منتجة لها الخ
 ١٠٤ « الفرق بين العامل والخدم
 ١٠٩ « وفـاء الاجير اجرة عمله عقب توفـيـته للعمل
 ١١٠ « تعديل العوائد على قدر الميسرة
 ١١٠ « التعيش من مرتبات الموظفين
 ١١٢ (الفصل الرابع) في مدح السعي والعمل وذم البطالة والكسل
 ١١٦ « اول من وضع النزد
 ١١٧ « اول من وضع الشطرنج

صحيفة

- ١١٨ مطلب وضع الطب
١١٩ « أول من وضع أصول النحو
١١٩ « أول من وضع العروض
١٢١ « مواطبة قدماء مصر على العمل ونفورهم من البطالة والكسل
وتصويرهم شخص الكسل بصور مختلفة مستبشرة
١٢٢ « تمثيل المشتغل والكسلان بصرار وملة
١٢٩ « تقسيم المنافع العمومية وتعريفها بالمعنى العرف الصناعي
(الباب الثاني) في تقسيم المنافع العمومية إلى ثلاثة مراتب اصلية الخ
(الفصل الأول) في تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرف الصناعي الخ
١٢٩
١٣٠ « تعريف الفضيلة
١٣٠ « بعض أركان الفضيلة
١٣٠ « أقسام الفضيلة
١٣٤ « منشأولد الفنى
١٣٤ « التجارة الخارجية
١٣٤ « أقسام حركات المنافع العمومية
١٣٤ « تقدم المنافع العمومية الآن بالنسبة لما سبق
(الفصل الثاني) في حالة المنافع العمومية في الأزمان القديمة الخ
١٣٥
١٣٧ « حروب رومية مع قرطاجنة
١٤٣ « حرب رومية مع مقدونيا
١٤٣ « غزوة تبوك التي يقال لها غزوة العسزة
(الفصل الثالث) في ان الأسعار والسياحات مما يعين على تقدم
المنافع العمومية
١٤٦

صحيفة

- ١٤٧ مطلب تفسير سورة قريش على حسب الطاقة
- ١٤٩ « سياحة العرب مطلقاً في الأرض قديماً
- ١٥٠ « ثبوت فضل العرب على غيرهم بالتواتر في أغلب الخصال الحميدة
- ١٥٠ « الكلام على مدينة سبا وما يتعلق بها
- ١٥٢ « استكشاف الحكومة المصرية محل مدينة سبا
- ١٥٣ « سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام في تجارة ملديحه رضي الله عنها وما حصل في ذلك من خوارق العادات
- ١٥٤ « الحكمة في رعى الانبياء للفتن قبل النبوة
- ١٥٤ « سفر موسى عليه السلام إلى مدين
- ١٥٦ « اجتماع موسى بشعيب وما جرى بينهما
- ١٥٧ « تزوج موسى بابنة شعيب
- ١٥٨ « ثمرة الشفقة على خلق الله
- ١٥٩ (الفصل الرابع) في أن الصور ين وهم أهل سواحل بر الشام قدموها في
سالف الأزمان التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع
- ١٦١ « ان اختراع العرب لبيت الابرة من المنافع العمومية المتأخرة
التي لا يعرفها المتقدمون
- ١٦٢ « صناعة الساحات من المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم
- ١٦٢ « اشتغال كتب الفقه الإسلامية على بعض المنافع العمومية
- ١٦٦ « ان الصور ين هم أول من استكشف الصياغة باللون الأحمر
الارجوانى
- ١٦٦ « في أن أول من نقل حروف المجاء من الصور بين اليونان
- ١٦٧ « في أن الكتابة من الفضائل الأولية
- ١٦٨ « المفاخرة بين القلم والسيف

صحيفة

- ١٧٠ (الباب الثالث) في تطبيق أقسام المنافع العمومية في الأزمان
الأولية على مصر الخ
- ١٧٠ (الفصل الأول) في تقدم مصر وغناها في عدة أزمان سابقة الخ
- ١٧١ مطلب استكشاف اعمدة مصرية بمعبد قديم في نابولي
- ١٧٢ « المعاصرة بين سلطنتي مصر وال伊拉克 في القديم
- ١٧٣ « تأسيس مدينة بابل ومدينة نينوى
- ١٧٤ « تسلطن الملك نبياس وأخذه زمام المملكة من امه
- ١٧٥ « تسلطن سرداينال على العراق وانه احرق نفسه ونساءه
- ١٧٦ « دخول اذريجان والعراق تحت مملكة الفرس
- ١٧٦ ما تسبب عن توقيبة كيروش ملك العجم مملكة العراق
- ١٧٧ ما كانت عليه مدينة منف في الزمن القديم
- ١٧٨ « دخول المأمون العباسي مصر
- ١٧٨ « أساس التمدن
- ١٧٨ « سياسة مصر في القديم
- ١٧٨ « توزيع أراضي مصر على طوائف ثلاثة
- ١٧٨ « السياسة العسكرية بمصر في القديم
- ١٨٠ « ترتيب مجالس القضاء في القديم
- ١٨٠ « العاقبة على الذنوب عند قدماء المصريين بين
- ١٨٠ « الفحص عن وجه التعيس
- ١٨١ (الفصل الثاني) في تأييد تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن
القديم الخ
- ١٨١ مطلب حسد اخوة يوسف لأخيهما وما ترتب على ذلك

صحيفة

- ١٨٣ مطلب تدبير يوسف لغلال مصر وحفظ الحب في سنبله
- ١٨٤ « تعرف اخوة يوسف
- ١٨٤ « ذهاب البشير بقميص يوسف الى أبيه
- ١٨٥ « سبب نزول سورة يوسف عليه السلام
- ١٨٥ « استنباط علو درجة مصر من قصة يوسف
- ١٨٧ « كيفية عيد فرعون السنوى ودلاته على التمدن
- ١٨٨ (الفصل الثالث) في ان أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالى المالك الاجنبية واعتبارهم في الوطن كلاهلية
- ١٨٨ مطلب مساعدة الملك ابسا ميطيقوش ملك مصر للتجارة داخلا وخارجها
- ١٨٩ « فتح الملك أماسيس ثور مصر للإجانب واحسان مثواهم لاسعاد رعيته بالثروة والغنى
- ١٩٠ « نصيحة الملك أماسيس لملك جزيرة صياصام
- ١٩٠ « مساعدة البحت للانسان وما قيل في البحت والحظ
- ١٩٣ « مناقب سولون الحكم اليوناني وقوائمه
- ١٩٤ (الفصل الرابع) فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومى للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع العمومية الناتجة عن مقدمات الحزم والكياسة وشروطيات أشكال العدل في التدبير والسياسة
- ١٩٥ مطلب سلوك اسكندر في البلاد المفتوحة له مسالكا ي بيان مسلك الفاتحين
- ١٩٦ « تعریج اسكندر للامم المختلفة والتأليف لسائر من تحت حكمه من الملل
- ١٩٦ « نسب اسكندر وولاية أبيه وما رتبه أبوه في العسكرية

صحيفة

- ١٩٦ مطلب قصد فليش حرب العجم وحمل أم اليونان على المساعدة
١٩٦ « قتل فليش في عرس ابنته
١٩٧ « ترية ارسسطاظليس لاسكتدر
١٩٧ « شمره التاريخ للملوك
١٩٩ « توجه اسكندر خرب بلاد آسيا باهبة يسيرة
١٩٩ « فتوح اسكندر لبلاد العجم وانطلاقه الى مصر عقب ذلك
٢٠٠ « وفاة اسكندر في عنفو ان شبابه بدون ان يعهد الى احدى السلطنة
٢٠١ « ظهور نتائج فتوح اسكندر لمصر في عهد البطالسة ومن بعدهم
٢٠١ « مدفن اسكندر ومتاراة اسكندرية المعدودة من عجائب الدنيا
٢٠٢ « كتبخانة اسكندرية
٢٠٢ « تقديم الملاحة والاسفار البحرية في عهد بطليموس الاول
٢٠٣ « ذخائر خزائن مصر في ايام بطليموس الاول
٢٠٣ « جلب بطليموس اليهود الى اسكندرية وتأسيسه لهم حارة خصوصية
٢٠٥ « ضيق دائرة المنافع المصرية في الادوار الاخيرة
٢٠٥ « استيلاء السلطان سليم خان على مصر
٢٠٥ « تغلب الفرنساوية على مصر
٢٠٦ « استخلاص المرحوم محمد علي مصر من قبضة الماليك
٢٠٧ (الباب الرابع) في التثبت بعد المنافع العمومية الى مصر حسب
الإمكان في عهد نجوي مصر جنتمكان وفيه فصول
٢٠٧ (الفصل الاول) في مناقب جنتمكان محمد الاسم على الشان
وانه نادرة عصره ومحى ما ثر مصره واعقاولة بينه وبين
عدة من مشاهير ملوك الاعصر القرية
٢٠٩ « كون قاصد التغلب اما كالصادف او كاللتقط للتربيه وكسب الاجر

صحيفة

- ٢٠٩ مطلب انا الاعمال بالنيات
- ٢١٣ « كون مقدونيا موطن اميرين جليلين اسكندر و محمد على
- ٢١٤ « فتوح السلطان سليمان
- ٢١٤ « الملك شرل كان قرال اسبانيا والنيمسا
- ٢١٦ « بعث السلطان سليمان عمارة بحرية الى فرنسا لنجدة ملكها
- ٢١٦ « سفر السلطان سليمان بجيشه من جهة البر الى اوربا وعوده منصورة
- ٢١٧ « اخذ خير الدين باشا لتونس من يدمولاي حسن من بنى حفص ورجوعها اليهم ثم قام أخذها أيام السلطان سليم
- ٢١٧ « ابلاغ عصر الوزير الرابع عشر أو ربا درجة الكمال
- ٢١٩ « وزارة كولبرت على الملكية ووزارة تورين على العسكرية
- ٢١٩ « تجديد كولبرت المنافع العمومية وجلب خصائص المصنوعات الأجنبية ومحاسنها لوطنه
- ٢٢٠ « رثاء ولثير الشاعر لويس الرابع عشر
- ٢٢١ « فيمن كان من السلاطين العثمانيين في عصر لويس الرابع عشر
- ٢٢٢ « مساعدة كبار الوزراء أرباب القرائح لملوكهم على التمدن
- ٢٢٣ (الفصل الثاني) في أن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكّن من الذات الحمدية العلمية وتسلطنت على قلبه وأخذت مجتمع له
- ٢٢٣ « كون الفلاحة هي منبع ثروة مصر الحقيقي وتحفظ حكماء الملوک على شأنها
- ٢٢٥ « رأى نابليون في تحسين أراضي مصر واستغلالها وتكثير أهلها
- ٢٢٥ « ما خطط في بال المرحوم محمد علي من الملاحظات السنة لاحياء ما في مصر من الموات والتثبت ياسباب الاحياء

محيفة

٢٢٨ مطلب صرف همة المرحوم محمد على في مبدأ امره لتنظيم العدة العسكرية
وايشه لها على كثير من المنافع العمومية

٢٢٨ « عدم قياس النيل بغيره من الانهار

٢٢٩ « انشاء ترعة محمودية تسهيل النقل

٢٢٩ « تفرغ المرحوم محمد على للعمليات النافعة لثروة مصر عند الاوان

٢٢٩ « زعم بعض الحكماء أن أرض مصر حادثة من الطبي

٢٣٠ « الانتهاء للمضار الثلاث النيلية التي يجب التحفظ منها

٢٣٠ « مضار البحر عند مصب النيل

٢٣٠ « مضار البحر الملاعح عند مصب النيل

٢٣١ « تكثير عدد المحصولات يجعل الأرض رواتب

٢٣١ « ازالة الموانع الطبيعية الموجبة لتقليل أراضي الزراعة

(الفصل الثالث) فيما ذكره المرحوم محمد على من أصول المنافع ٢٣٣

العمومية الجسيمة والوصول بها إلى الحصول

على التقدمات العلمية في زمن يسير مما لو أتجهز

من الملوك جم خفير بعد من العمل الكثير

وحسن التدبير

٢٣٤ مطلب ما يترب على انتظام مصلحة الرى

٢٣٥ « حالة الرى في عهد حكمة المالك

٢٣٧ « تسخير المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد على لاحياء عمارة

مصر

٢٣٩ « تصوير الاراضى للرشيد واستحسانه منها اقيم الاسيوطية

٢٤٠ « كمال مصلحة الرى باتمام القنطر الخيرية

٢٤٠ « لزوم الرياحات للقنطر الخيرية والمديريات المنتفعه بها

صحيفة

- ٢٤٣ مطلب ارسالية المرحوم محمد على لاستكشاف منبع النيل
٢٤٣ « انشاء المدارس المصرية
- ٢٤٩ (الفصل الرابع) في سفر جتنمكأن محمد على الجليل الشان الى
جبل فاراغلو ببلاد السودان لاستكشاف المعادن
بها والكشف عنها بحضوره واعمال الطرق
التجريبية
- ٢٤٩ مطلب امهات المعادن المستخرجة في هذا المهد
٢٥٠ « معادن الفضة في أفريقه
٢٥١ « مشاهدة افريقه لامر يقه وظن أنها يستكشف منها معادن
النقدin بالبحث فيها
- ٢٥١ « ارسال المرحوم محمد على معدنجية بالسودان لاستكشاف المعادن
٢٥١ « تجربة تجربة معادن فاراغلو
٢٥٢ « تجربة تججهات سنجه وزنبو وتوماتو
٢٥٢ « تجربة معادن ابو غولجي
٢٥٢ « عرض جبل سنجه
٢٥٣ « هجوم أهل سنجه على العسكرية
٢٥٣ « تجربة وادي يوليفيه
٢٥٤ « رجوع المعدنجية من تلك الجهات
٢٥٥ « تصميم المرحوم محمد على على السفر الى بلاد السودان
٢٥٦ « استصحاب المرحوم محمد على في سفره جمعا من أرباب الخبرة
في المعادن وغيرها
- ٢٥٦ « دخول المرحوم محمد على الخرطوم وما حصل من الاستقبال به
وارساله المعدنجية الى عدة جهات واقامتها بالخرطوم لاستقبال

الوافدين عليه

- ٢٥٧ مطلب سفر المرحوم محمد على من الخرطوم الى جهة سنار
- ٢٥٧ « ارشاد المرحوم محمد على أهل السودان الى وسائل الزراعة وغيرها
- ٢٥٧ « مسيرة المرحوم محمد على الى اقليم فاز Glover
- ٢٥٨ « وصول المرحوم محمد على الى قرية فاموكو واستحسانه ايها وأمره ببناء قصر فيها على اسمه
- ٢٥٨ « وصول المرحوم محمد على الى فشنقارد
- ٢٥٨ « جمع المعدنية وعمل تجربة عمومية
- ٢٦٠ « يأس المرحوم محمد على من استخراج معادن الذهب بالسودان في نفسه وعوده الى مصر
- ٢٦٠ « موت رئيس المعدنية وفاته قبل موته ان تقرير الجمعية بعدم ربح استخراج المعادن لا يعول عليه
- ٢٦١ « ان معادن الذهب بالسودان لا تنكر وان الزراعة تفلح فيها ان اعتنى بها وان خيراتها كثيرة
- ٢٦٢ « استعداد اهالي السودان للمعارف والكلالات وجود التعاون عندهم على طاب العلم
- ٢٦٥ « موعضة ملك السودان لمروان بن محمد حين التجأ اليه
- ٢٦٥ « سفري للسودان ونظمي قصيدة تشير الى احوال تلك البلاد وعوائدها وتخميس قصيدة برعيه هب منها نسيم الفرج ببركة مدح خير البرية
- ٢٧٠ « تخميس القصيدة البرية التي مطلعها خل الغرام لصب دمعه دمه
- ٢٨١ « ان المرحوم محمد على كان يجعل كسب المعالى داماً نصب عينيه وكان لا يحرم منها
- ٢٨٣ (الباب الخامس) في الآمال الحسنة والاعمال المستحسنة من

صحيفة

- الاصلاحات المصرية بمقتضى اصطلاحات الحال العصرية وفيه فصول
- ٢٨٢ (الفصل الاول) وكتب غلط (الرابع) في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالى
- ٢٨٣ مطلب توسيع المشارع والمسالك
- ٢٨٥ (الفصل الثاني) في ذكر ملحوظات عوممية تتعلق بالديار المصرية
أبداها بعض من ارخ مصر من أرباب السياحة الخ
- ٢٨٥ مطلب عدم الوقوف على حقيقة مصر لارباب السياحة
- ٢٨٦ « رأى الفرنساوية حين تغلبهم على مصر في عمارها
- ٢٨٦ « حالة أطيان مديرية البحيرة
- ٢٨٦ « حال اطيان مديرية روضة البحرين
- ٢٨٧ « ما يستثنى من دفع العوائد المالية ترغيباً لتكثير العمارية
- ٢٨٨ « اطيان مديرية الشرقية
- ٢٨٩ « اطيان مديرية الجيزة ومديرية القaiوية
- ٢٨٩ « اطيان اقليم الفيوم
- ٢٨٩ « اطيان مديرية بنى سويف
- ٢٩٠ « اطيان الاطفيحية
- ٢٩٠ « اطيان مديرية المنيا
- ٢٩٠ « اطيان مديرية اسيوط وجرجا
- ٢٩٠ « صلاحية أرض الصعيد الاعلى لزراعة شجرة البن
- ٢٩١ « نتاج أغنام الماريونس بأودية الفيوم
- ٢٩١ « تحسين جنس الخيل في الفيوم والشرقية بتأسيس اصطبات خصوصية
- ٢٩٣ « استعداد ادابنا، مصر بقرارتهم الذكية لجميع المعارف والمنافع البشرية

صحيفة

٢٩٣ مطلب تحويل مصر الى حالة مستحسنة في نحو عشرين سنة

٢٩٣ « حفظ قوى أهل مصر العقلية الى آخر عمرهم في الغالب

٢٩٥ (الفصل الثالث) (وكتب غلطا الرابع) في بيان بلوغ المنافع

العمومية بالديار المصرية درجة ارتفا، جلية في

عهد الحكومة الحالية الخ

٢٩٦ مطلب عدم ضرورة المروج المدبرة في مصر

٢٩٦ « زراعة القطن وغرس شجرة التوت وتربيه دود الفرز

٣٠٠ « بيان تسبیخ الارض المبیأة لزراعة القطن

٣٠١ « زمن بذر القطن

٣٠٢ « الاعتناء بشجرة القطن في أثناء انشائها ونموها

٣١١ « مساعدة مياه النيل على حسن التلوّن بالصباغة

٣١٢ « تحسين زراعة الأرض بالآقاليم المصرية

٣١٢ « غرس قصب السكر في مديرية المنيا

٣١٤ « اقديمية اتخاذ الصوف لاصناعات وأقديمية الفلاحة وبيان من اختراعها

من الأمم

٣١٥ « تشریف ملك الصين للزراعة بحرثه بنفسه قدرًا من الأرض في

يوم مشهود

٣١٦ « الاعتناء بتربية الماشي لا سيما تربية الغنم

٣١٦ « الاعتناء بتربية الغنم البيض عند الرومانيين والهنى عن ذبحها

٣١٧ « جلب ادوارد ملك الانكليز من إسبانيا مقدارا جسيما من الغنم

البيض الى مملكته للتنمية

٣١٨ « ورود نوع مخصوص من غنم الهند الى بلاد الانكليز لتحسين

الصناعة باصواتها وما نتج عن ذلك من البراعة

صحيفة

- ٣١٧ مطلب شراء مملكة فرنسا في الازمان السابقة الا صواف المغزولة باثمان
غالية قبل تجديد دواليب الحلنج والفنزل
- ٣١٩ « ابقاء الصوف بلا جز عده سنوات وان التجربة افادت افاده
حسنه بعدم جزء كل سنة
- ٣٢٠ « الجون الفرنساوى المسمى بالكرمير
- ٣٢١ « ورود قوافل افريقيه الى مصر للتجارة
- ٣٢٢ « تمثل المال والعقل والسعادة للاسكندر
- ٣٢٣ (الفصل الرابع) في اسعد الحاكم للبلاد والعباد
- ٣٢٤ « تأسيس شوري النواب
- ٣٢٥ « تبصرو تصرير أهل مصر عن نفق الماشي بالواباء وذكر نادرة
- ٣٢٦ « تاسب ذلك في التعزية بثور أبيض
- ٣٢٧ « جواب التعزية
- ٣٢٨ « القوة المحصلة للغنى
- ٣٢٩ « ان صرف الهمة إلى الصنائع في بلدة من البلاد يقطع عرق الفتنة
والشرور فيها
- ٣٣٠ « ان الاختراعات الجديدة كان لها نظائر في الازمان القديمة
تقوم مقامها من بعض الوجوه
- ٣٣١ « وجود البريد في عهد الاكاسرة والقياصرة ومن بعدهم من
- ٣٣٢ « ملوك الاسلام
- ٣٣٣ « ترتيب مراكز البريد من قلعة مصر إلى ولاتها
- ٣٣٤ « حمام الرسائل وان منشأه بالموصل ونقل نور الدين الشهيد له
لتربية في ممالكه
- ٣٣٥ « مراكز الحمام بالديار المصرية

صحيفة

- ٣٣٤ مطلب ما قيل في حام البطاقة من الادب ثنا ونظما
- ٣٣٧ « مراكز هجن الثلج في الملك المصرية وسفن الشاج بها
- ٣٣٧ « مواضع المناور بالملك المصرية لمعرفة الاخبار
- ٣٣٨ « ترتيب المحرقات للمراعي والمحصبات التي يأتي من جهتها العدو
منع لاغارته على الملك المصرية
- ٣٤٠ « مدح الفى وانه صفة من صفاته صلى الله عليه وسلم
- ٣٤٢ « ما نتج من ثروة الحكومة المصرية واسعافها للاهالى بهذه
الوسيلة في الاحوال الضرورية
- ٣٤٢ « ان مصر كوكب المشرق
- ٣٤٣ « السياسة واقسامها
- ٣٤٤ « مدح حب العالى وعدم الاقتناع بالدون
- ٣٤٥ « ان زينة الاسماء الخمسة سادسها
- ٣٤٥ « ان مطمح نظر مصر التمدن بالأعمال الراحلة
- ٣٤٥ « ان تعاطى الاسباب لا ينافى التوكل ولا ينافى القضاء والقدر
- ٣٤٦ « الصورة الشمنة الشكل التي كانت عند اسكندر والمكتوب
على اضلاعها من المسائل السياسية الحكيمية
- ٣٤٨ (خاتمة) فيما يجب للوطن الشريف على ابنائه من الامور
المستحسنة الخ
- ٣٤٨ (الفصل الاول) في ولادة الامور
- ٣٤٩ « احتياج الانتظام العمرانى الى قوتين قوة حاكمة وقوة محاكمية
- ٣٤٩ « اركان الحكومة وقوتها
- ٣٥٠ « علم تدبير الملكة
- ٣٥٠ « ان الボليتقة هي العلم بالسياسة واحوال الناس

صحيفة

- ٣٥٠ مطلب استصابة تعلم ادارة الحكومة لبناء الاهالى في صغر سنهم
- ٣٥١ « ان استخدام الانسان في الحكومة يستدعي سبق معرفة باصول وظيفته
- ٣٥٢ « سبب كثاف الامور السياسية عن العموم وجعلها من اسرار الدولة في الازمان السابقة
- ٣٥٢ « صدور الاوامر الخديوية بقيد ابناء وجوه الناس بوظيفة معاونين ليتمروا على الاحكام
- ٣٥٣ « اختصاص الملك بمعالي الاحكام وكلياته او تفويضه جزئياتها وكلاته
- ٣٥٤ « خصائص الملوك فيما يجب لهم وعليهم
- ٣٥٤ « كون الذمة محكمة قضائية تتبع صاحبها وتعاقبه على الخير والشر
- ٣٥٥ « كون الرأى العمومي يحمل ولاة الامور على العدل والاحسان
- ٣٥٦ « ان نفوذ ولاة الامور يعود على الرعية بالفوائد الجسيمة
- ٣٥٧ « وظائف المجالس
- ٣٥٧ « كون دأب النصب الملكى الصفح عن الجانى أو تخفيف العقوبة عنه
- ٣٥٨ « تعريف الحلم بالنسبة للملوك
- ٣٥٨ « كون صفح الملك عن الجانى يمحو العقوبة ولا يمحو الذنب
- ٣٥٩ « كون صفح الملك لا يكون في حقوق العباد
- ٣٥٩ « في ان عفو الملك مطلوب لكونهم أولى بالتخلق بأخلاق الرحمن
- ٣٦٠ « الكلام على الرعية وما يفعله الملك لاصلاحهم
- ٣٦٠ « حقوق الرعية المسماة بالحقوق المدنية اي حقوق اهالى المملكة الواحدة بعضهم على بعض
- ٣٦١ « حقوق الدواوير البلدية التي هي فرع من المدينة
- ٣٦١ « سبق تكون الدواوير البلدية على تكون الحكومات والممالك
- ٣٦٢ « سبب تلقيب ربيب الناحية بشيخ البلد
- ٣٦٣ « تحكير المترزمين في اوربا قدما على الاراضى والفالحين

صحيفة

- ٣٦٣ مطلب ما نتج في أوربا من الحروب الصليبية لأخذ القدس الشريف وغيره من بلاد الاسلام
- ٣٦٥ « كون الاحكام الاسلامية مقتضية تسوية جميع الناس في العدل والانصاف
- ٣٦٥ « ترتيب عمد الدوائر والمشورات البلدية
- ٣٦٦ « خصائص شيخ الدوائرة البلدية
- ٣٦٦ « الترخيص لشيخ الناحية باجراء ما هو من خصائصه بدون استئذان من هو فوقه من الحكام الا في أمور جسمية
- ٣٦٧ « ما يجب ان يكون عليه شيخ البلد من المعلومات
- ٣٦٧ « كون الملك ينتخب لاولايات المهمة من ارباب المعارف السياسية من فيهم الكفاءة الالزمة والمعلومات الكافية
- ٣٦٩ (الفصل الثاني) في طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين
- ٣٢٧ مطلب انه ينبغي للعلماء الشرعيين أن يتثبتوا أيضا بمعرفة المعارف البشرية كالعلوم الحكيمية العملية
- ٣٧٦ « منصب القضاء وجلالة قدره
- ٣٧٦ « اجماع منصب القضاء مع نقابة الاشراف في عائلة مؤلف الكتاب ومن تولى من عائلته قضاء مصر وذكر نسبهم
- ٣٧٧ « تقليد القاضي عمرو سراج الدين المنفلوطى الطهطاوى قضاء مصر ونسب جده أبي القاسم الطهطاوى
- ٣٧٩ « تقليد القاضى محمد بن أبي بكر حسام الدين المنفلوطى الطهطاوى قضاء مصر
- ٣٨٤ « الاشراف المتفرعة عن ذرية سيدى أبي القاسم بطبطا وان منهم اشراف ابيار والقاسمية بالوجه البحري وغير ذلك
- ٣٧٥ « انتهاء سيدى أبي القاسم المذكور في الطريقة الى الشيخ محمد الهاجرى العريان وانتهاء أولاد أبي القاسم المذكور له في النسب من جهة الام
- ٣٨٥ « تجدىد سعادة لطيف باشاناظر البحري سابقا جامع سيدى أبي القاسم الطهطاوى

صحيفة

- ٣٨٦ مطلب سبب تخصيص القضاة على مذهب أبي حنيفة النعيم بعد ان
كان تعدد القضاة بتعذر المذاهب الاربعة في سالف الازمان
- ٣٨٧ « اقتضاء الاحوال والمعاملات العصرية تنقية القضاة والاحكام
الشرعية بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ
- ٣٨٨ « صحة تقليد غير الاربعة للحاجة وافتاء العلامة الصبان في شأن
ذلك مع بعض ملحوظات
- ٣٩٢ « حديث من لم يحملهم المسلمين فليس منهم
- ٣٩٣ « انتخاب القضاة
- ٣٩٤ « آداب القاضى ووصاياته
- ٣٩٥ « آداب قاضى العسكر المستقل
- ٣٩٦ « التقىش عن أحوال القضاة من طرف ولی الأمر كتقىش غيرهم من الولاية
- ٣٩٨ « سعي علوية المغنى باین اخته القاضى الخلنجي عند المأمون
- ٣٩٩ « عدم قبول وثائق الوشاة وتجبيهم
- ٤٠١ « رؤساء أهل الكتاب
- ٤٠١ « آداب بطريق القبط
- ٤٠٢ « آداب رئيس اليهود
- ٤٠٤ « امرة جبلة بن الأبيهم من قبل قيصر الروم على من معه من عرب
غسان لحرب عرب الاسلام بالشام
- ٤٠٥ « مخالطة أهل الكتاب ومعاشرتهم
- ٤٠٦ « ان محض التعصب في الدين والا كراه عليه لا ينبع الا النفاق
وان المدوح اهنا هو التعصب لاعلاء كلمة الله
- ٤٠٧ (الفصل الثالث) في طبقة الغرزة المجاهدين
- ٤٠٧ « كون تولى الملك للحرب العظيم بنفسه من شهامته
- ٤٠٨ « انه يجب على المحارب مساورة العلماء أولى التجارب

صحيفه

- ٤٠٨ مطلب تعريف الشجاعة
٤١١ « كونه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قبلها
٤١٢ « الاعتراف من الجميع بشجاعة الصحابة
٤١٣ « من اشتهر بالشجاعة من الابطال
٤١٦ « من جمع بين فضليتي الشجاعة والرأي
٤١٨ « مدح السيف وان القصد منه في بعض المواطن آلات الحرب
٤٢١ « وصية حكيم لتميذه الامير على السرية
٤٢٥ « وصية بعض الملوك لاناظر جيشه
٤٢٦ « كون امراء الجيوش هم نواب ولی الامر في الجهاد وفي عقد العقود والوفاء بالموعد
٤٢٨ « وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح بعده للروم عند فتح دمشق
٤٣٠ « ذم التجدد عن الشفقة والمرحمة بعد القتال في حق الاسرى
٤٣٢ « وفاة عمرو بن معدى كرب بالمهيد
٤٣٣ « (الفصل الرابع) في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصناع
٤٣٤ « العماير الخيرية التي أجرتها والدة الخديوي ولـى النعمة وما أجراه
جناب خليل اغا المعمور في نعائتها من المدرسة والتکية المهمة
٤٣٥ « خيرات سعاده راتب باشا
٤٣٦ « تمام المرغوب وختام المطلوب لـكمال المنافع العمومية من تشكيل شركات مرعية
٤٣٧ « فك العهد وتأسيس الدواوير البلدية لراحة الرعية المصرية
٤٣٨ « ان تقسيم مصر الآن أنسق من تقسيماتها القديمة
٤٤١ « أصل الهوارة وتوطئهم بالصعيد
٤٤١ « انه ليس كل مبتدع مذموم وان المبتدع النافع يقع موقع الاستحسان
٤٤٦ « تتمة في دور الطباعة

كتاب

مناهج الالباب المصرية
فـ

مباحث الآداب العصرية

تأليف

أوحد زمانه * ونادرة عصره وأوانه
المجد في نفع وطنه بنشر المنافع
المرحوم الامير المعظم

رفاعي بك رافع

(ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون)

طبعه ثانية)

(عنى بتصحیحها طبقاً للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الامیریة الكبیری)

-٤٠*-٤٠-

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعي »

(مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الحزاوى ببصر)

١٩١٢ ★ ١٣٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث الخير وخير الحديث حمدا لله القديم وأتم صلاته وأعم سلامه
على نبيه الكريم ذى الخلق العظيم المرسل بدينه القوم والمادى الى صراطه
المستقيم وعلى آله منابع الحكم ومنافع الأمم وأصحابه المادين وخلفائه الراشدين
ثم الدعاء بلوغ أشرف الدرجات العلية للحضررة العزيزية الاسماعيلية أدام الله
لتتجدد هذا العصر علاها وخلد على جيد مصر حلاتها (أما بعد) فكل
عاشق لجمال العمران وناشق لشذا غير هذا الزمان يتهلل سروراً ويكتفى
قلبه حبوراً حيث يرى بعين الحببة أنه قد عاد لمصر عزها القديم وبهوها
الفخيم ومجدها المؤتول وسعدها الاول وانها لا زالت مجدة السير على غاية
من السرعة لتحظى بالحظ الوافر من نuo المجداد وسمو المنعة وتستحوذ على
ضيغامة الشأن ونفامة الرفة وتصير أبهى قطر من افطار العمورة وأزهى بقعة
وليس هذا التقدم العجيب والسبق في ميدانه الرحيب الا من عهد المرحوم
محمد على وورثائه من بعده فكل منهم أبدى في مصر من المحسنات بقدر طاقته
وجهده وعلى حسن نيته وخلوص قصده وفي هذه الحالة الراهنة ظهرت
بمادة العمران ظهوراً جلياً وصار في معلاها مسعى اسماعيل بصفة النيمة علياً
وحظيت بما تحب وتشتهي وفازت من ثغر التدين ونية الصفة بثمن مقبله الشهي
ومن يكن أصله قد طاب منبته فما له غير احراز العلا ثمره

فقد تعزز الوطن المحسوس والبلد المأهوس بالعلوم والمعارف والمنافع
 واللطائف جملة وتفصيلاً وتأسساً وتأصيلاً وصارت فيه قواعد التمدن على
 أساس مكين وتمكن وجودها من وصف البقاء أتم تمكن ذلك من أحيا بها
 آثار المكرمات وبني بها أسوار المهد وبين أسرار المهمات بالحملة العلية
 والنخوة العلوية حتى اشلت معلم العلوم وأداب البراعة بعوامل الفنون وعمليات
 الصناعة واكتسبت براءة التجارة كمال البراعة وبتحرى العدل استقامت
 الأئم واعتدلت مصالح الجهور ونمت بركة المنافع العمومية بالأمنية وسمت
 حركة المعاملة وبلغت درجة الأهمية واحرزت مصر بين الملك المتقدمة أنسى الرتب
 وصارت في البلاد المشرقة أهنى الأقطار المنزهة عن شوائب الريب فعاد إلى
 بحرها العذب درره وجوهره وترنم من رونتها فوق الأيك طايره ووفد
 عليها من جميع المسالك كل سالك ومن رفيع السالك كل أمير وملك وورد
 إليها كل صاحب صناعة يؤديها وبضاعة يديها وقصدها كل سياح متفرج
 ومتزهه متبرج ومشري ومبغبي وعربى وامتزج أهلها بهم امتزاج
 الماء بالراح والجساد بالارواح وقوى جأش الجميع حسن سياسة الحكومة
 المصرية وشمولها بعين العدل الحقيقى المسوى بين الرعية وغير الرعية مع ما
 في طباع أهل مصر من الوفاء للأقارب وخلوص النية والصفاء للجانب
 والتوادد والتحبب مع أهل المشارق والمغارب كما قيل

لاتعجبوا من أهل مصر ان وفوا بوعدهم ما في الوفا منهم جفا
 وافي لهم في كل عام نياهم فتعلموا من نيلهم ذاك الوفا
 وحسن سياسة حكومتها في هذه الأزمان الأخيرة قد قوت استعدادها
 فيما يكون لزيادة العمارة عمدة وذخيرة فقد اختلطت معاشرة الأغراب

في الأطراف والأنفاس بكل عشيرة واقتبس الأهالى لوطفهم من مستحسن الصنائع والفنون مالا يحصى كثرة في مدة يسيرة وهذا أدلة دليل وأجل برهان على أنها قد عادها الزمان وعددها بقسط طاس تعديل الامانى والامان وصح مقيل

فيهم من موافتها

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الأئم فقايلها بتفضيل

يامن يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

فنـذا الذي يـجـحدـالـآـتـ تـقـدـمـهـاـ فـيـ التـدـنـيـةـ وـلـاـ يـشـهـدـ بـتـرـقـيـهـاـ فـيـ الـقـيـامـ بـحـقـوقـ الـوـطـنـيـةـ وـمـرـاعـاهـاـ لـاـ تـقـضـيـهـ عـلـائـقـ الـلـوـدـةـ معـ أـهـالـيـ الـمـالـكـ الـاجـنبـيةـ فـاـنـهـاـ وـسـيـلـةـ عـظـمـىـ لـاـ نـقـيـادـ الـنـافـعـ الـعـمـومـيـةـ الـأـبـيـةـ وـكـماـ حـسـنـتـ أـخـلـاقـ اـهـلـ الـوـطـنـ مـعـ الـأـجـانـبـ وـجـذـبـوـهـ بـعـنـاطـيـسـ الـأـنـفـةـ مـنـ كـلـ جـانـبـ يـحـسـنـ اـيـشـأـنـ الـأـغـرـابـ أـنـ يـحـسـنـوـاـ اـخـلـاقـهـمـ وـيـحـفـظـوـاـ رـفـاقـهـمـ وـوـاقـهـمـ

لاتـعـادـ النـاسـ فـيـ أـوـطـانـهـمـ قـلـاـ يـرـعـيـ غـرـبـ الـوـطـنـ

وـاـذـاـ مـاـ شـئـتـ عـيـشـاـ يـنـهـمـ خـلـقـ النـاسـ بـخـلـقـ حـسـنـ

« مطلب
سبب تأليف هذا
الكتاب »

ولـاـ كـانـ مـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ كـلـ عـضـوـمـ اـعـضـاءـ الـوـطـنـ أـنـ يـعـينـ الجـمـعـيـةـ بـقـدرـ
الـاسـتـطـاعـةـ وـيـبـذـلـ مـاـ عـنـهـ مـنـ رـأـسـ مـالـ الـبـضـاعـةـ لـنـفـعـةـ وـطـنـهـ الـعـمـومـيـةـ وـيـنـصـحـ
لـبـلـادـهـ بـبـثـ مـاـ فـيـ وـسـعـهـمـ مـنـ الـعـلـومـيـةـ بـذـلتـ جـهـدـىـ وـجـدـتـ بـمـاعـنـدـىـ وـجـلتـ
فـيـ مـضـمـارـ الـمـحـسـنـاتـ وـقـلـتـ إـنـاـ الـأـعـمـالـ بـالـنـيـاتـ عـلـاـ بـأـنـ مـنـ خـدـمـ وـطـنـهـ بـرـهـةـ
مـنـ الزـمـنـ عـطـفـ عـلـيـهـ بـتـنـسـيقـ أـحـواـلـهـ الـوـطـنـ وـمـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ طـرـائـقـ خـدـمهـ

عـدـيدـهـ وـكـلـهـ سـدـيـدـةـ مـفـيـدـةـ وـادـنـاـهـاـ يـرـجـعـ إـلـىـ تـحـريـصـ مـنـ يـعـيـ

إـذـاـ لـمـ تـحـارـبـ يـاـ جـبـانـ فـشـجـعـ *

أـنـيـ سـمـعـتـ مـعـ الصـيـاحـ مـنـادـيـاـ يـاـ مـنـ يـعـينـ عـلـىـ الغـنـيـ الـعـوـاـنـاـ

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَطَنَ كَالْجَسْدِ يَصْلَحُهُ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ الْعَضُوُّ وَالْفِيرُ النَّافِعُ كَمَا إِنَّ الشَّجَرَةَ
تَثْرُبُ بِتَقْلِيمِ الْفَصْنِ الْيَابِسِ وَابْقَاءِ الشَّمْرِ الْيَانِعِ فَلَهُذَا بَذَلَتُ الْجَهْوَدُ لِبَيَانِ الْفَرْضِ
وَالْمَفْصُودُ بِتَصْنِيفِ نَخْبَةِ جَلِيلَةٍ وَتَرْصِيفِ تَحْفَةِ جَيِّلَةٍ فِي الْمَنَافِعِ الْعُمُومِيَّةِ الَّتِي
بِهَا لِلْوَطَنِ تَوْسِيعُ دَائِرَةِ التَّمْدِينِيَّةِ اقْتَطَعْهَا مِنْ ثَمَارِ الْكَتَبِ الْعَرَبِيَّةِ الْيَانِعَةِ
وَاجْتَنَبَهَا مِنْ مَوْلَفَاتِ الْفَرْنَسَاوِيَّةِ النَّافِعَةِ مَعَ مَاسِنَحِ الْبَالِ وَاقْبَلَ عَلَى الْخَاطَرِ
أَحْسَنَ اِقْبَالًا وَعَزَّزَهَا بِالآيَاتِ الْيَنِينَاتِ وَالْاَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَالدَّلَائِلِ الْمَيِّنَاتِ
وَضَمَّنَهَا الجَمُّ الْغَفِيرُ مِنْ اِمْتَالِ الْحَكَمَاءِ وَآدَابِ الْبَلْغَاءِ وَكَلَامِ الشَّعْرَاءِ مِنْ كُلِّ
مَا تَرَاهُ إِلَيْهِ الْاَفْهَامُ وَتَرَاهُ بَهْ عنِ الْذَّهَنِ الْاوَهَامِ وَتَأْيِيدُهُ السُّعَادَةُ وَتَأْبِدُ
بَهْ السُّيَادَةُ وَبِالْجَمْلَةِ فَقَدْ أَوْدَعَهَا مَا يَكُونُ لِاَهْلِ الْوَطَنِ ذَخِيرًا وَيَعْقِبُهُ النِّجَاحُ

• مَطْلَبُ
الْعِنْوَانِ
وَالاتِّخَافِ

وَإِذَا الصَّنِيعَةُ صَادَفَتْ أَهْلَهَا دَلَتْ عَلَى تَوْفِيقِ مَصْطَنْعِ الْيَدِ
فَقَدْ بَدَتْ مِنْ جَنَابِهِ الْعَالِيِّ دَلَائِلُ حُبِّ الْأَوْطَانِ بِاصْطَنَاعِ التَّطَوُّلِ
لِجَمِيعِ الْعِرْفَاتِ حِيثُ حَلَّ جَيِّدَهَا بِعَقْوَدِ الْمَنَةِ وَجَعَلَ حَصِينَ جَمَاهِلَهَا وَقَايَةً
وَجَنَّةً فَلَذَّاكَ شَكَرُ حَسَنِ صَنِيعِهِ الْوَطَنِ وَأَطْلَقَ حَسَانَ مَدْحَهُ عَلَى مُحَمَّدِ
الْفَضَّائِلِ لِسَانَهُ بِالشَّتَاءِ الْحَسَنِ

أَطْلَقَ لِسَانَكَ بِالشَّتَاءِ عَلَى الَّذِي
أَولَاكَ حَسَنَ رَغَائبَ وَغَرَائبَ
كَيْمَا تَقْوَمُ لَهُ بَعْضُ الْوَاجِبِ
وَاشْكَرْهُ شَكَرَ الرَّوْضَ حَيَاةَ الْحَيَا

وَكُمْ لَهُ حفظَهُ اللَّهُ عَلَى الْوَطْنِ مِنْ صَلَاتٍ مُوصَلَاتٍ وَعَوَادِنَ مُتَوَاصِلَاتٍ
 تَقُولُ بِلِسَانِ حَالَهَا مَعْرِيَّةً عَمَّا أَسْدَيْتَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ مِنْ جَزِيلِ نَوَاهِهَا
 كَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ قَدْ أَسْدَيْتَهَا تَثْنَى إِلَيْكَ عَنَانَ كَلَ وَدَادَ
 شَكْرُ الْأَلَهِ صَنَاعَهَا أُولَيْهَا سَلَكَتْ مَعَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
 وَرَتَبَتْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى مَقْدِمَةٍ وَخَمْسَةٍ أَبْوَابٍ وَخَاتَمَهُ حَسْنِي بِحَسْنِهَا
 الدُّعَاءُ مُسْتَجَابٌ وَعَلَى اللَّهِ التَّقْبُولُ وَهُوَ لِبُلوغِ الْأَمْلِ مَسْؤُلٌ مَّا

مقدمة

﴿ في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تدینه أرباب الفتن ﴾

قد تحقق في مصر اسمها بالمعنى المتعارف أكثر من غيرها لمصير الناس
إليها واجتمعهم فيها لمنافعهم ومكاسبهم وما ذاك الالحسن موقعها العجيب الذي
أسرع في اتساع دائرة تقدمها في التأنس الانساني وال عمران واحرازها أعلى
درجة التمدن من قديم الزمان وعلى مر العصور وكر الدهور انسللت في
مرآة جوهرها صور أخلاق الخلائق وتهذبت طبائعهم على التدرج وتشبوا
بثرات العلوم والمعارف ووقفوا على الحقائق وبمحالطة غيرهم من الأمم ذاتها
حلوة الأخذ والعطاء وكثرة العلائق وكما تدینوا بصنائع العمران تدینوا بما
اخذوه من الأديان وكان يعرف خواصهم وحكماً لهم في الباطن بوحدة الملك الدين
ورق الرياض اذا نظرت دفار مشحونة بأدلة التوحيد
فتحقق فيهم من الاحقاب القدية الواسططان المقومتان اذ ذاك لكمال
التدین وال عمران (احداهما) تهذيب الاخلاق بالأداب الدينية والقضاء
الانسانية التي هي لسلوك الانسان في نفسه ومع غيره مادة تحفظية تصونه
عن الأذناس وتطهره من الأرجاس لأن الدين يصرف النفوس عن شهواتها
ويغطف القلوب على اراداتها حتى يصير فاهر السرائر زاجر الضمار رقيبا
على النفوس في خلواتها نصوها لها في جلواتها فبهذا المعنى كان الدين أقوى
قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وهو زمام نلأنسان لأنه ملاك العدل
والاحسان فالدين الصحيح هو الذي عليه مدار العمل في التعديل والتجریح

« مطلب »
وصف مصر

« مطلب »
نعم الدين
في الملائكة

فقيق على العاقل أن يكون به متمسكاً ومحافظاً عليه ومتنسكاً فأدب الشريعة
ما أدى الفرض وأدب السياسة ما عمر الأرض وكلها يرجع إلى العدل الذي
به سلامة السلطان وعمران البلدان لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن
خرب الأرض فقد ظلم غيره وأظلم بالاساءة أمسه

(والواسطة الثانية) هي المنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين
الحال وتنعيم البال على عموم الجماعة وتبعدها عن الحالة الأولى الطبيعية فان
نور التمدن الجامع لها تين الوسيطين تذوق به العباد طم السعادة ويعد تمننا
عمومياً وأما اذا كان في البلد تقدمات جزئية في اشياء خصوصية كالبراعة
في الفلاحة فلا يعد هذا التمدن الا محلياً ولذلك نرى كثيراً من المالك والأمصار
امتاز اهلها بعزاباً خصوصية وبرعوا فيها بحيث لا تصل الى اصطناعها المالك
المتقدمه ومع ذلك فلا تدعى بباب التمدن مثل غيرها متمكنة وأيضاً الفنون
الموجبة لتقديم التمدن مختلفة قوّة وضيقاً فيه ففن الملاحة مثلاً أقوى في انتاج
المدن من الفلاحة وتفعه أعم منها في توسيع دائرة العمران عند عارفه وقد
اقتضت الحكمة الالهية ان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها
وأحوج بعضها الى بعض فلا تكتسب الا بالاسفار وحاجب مقاوز البراري
والبحار فالمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكافئ فالمملكة
التي سخر الله لها الجمجم بين صنعتي الملاحة والفلاحة كالديار المصرية لقابلية
انتظامها محربة لوسائل التمدن على وجه اكمل بشرط زوال الموانع والعواقب
التي لا تخلو منها مملكة في ادراك مرآتها كما أشار الى ذلك نابليون الاول
ملك فرنسا بقوله ان فرنسا تسارع دائماً في اسباب التمدن وتحصل منه على
الكثير الا أن دولة الانكليز تعيقها عن تقييم بعض اغراضها ولو لا ذلك

• مطلب
اعادة النافع
العمومية على
التدن

• مطلب
المفاضلة بين
الفلاحة والملاحة

لقد مرت كل التقدم في حيازة جواهر المنافع وأعراضها انتهي فقل لا يستوفي
كيف الجوهر القائم بنفسه ولكل شيء آفة من جنسه
ويفهم مما قلناه أن للتمدن أصلين (معنوي) وهو التمدن في الأخلاق
والعادات والآداب يعني التمدن في الدين والشريعة وبهذا القسم قوام الملة المتقدمة
التي تسمى باسم دينها وجنسها لتمييز عن غيرها فمن أراد أن يقطع عن ملة تدينها
بدينه أو يعارضها في حفظ ملتها المحفورة الذهنة شرعا فهو في الحقيقة معترض
على مولاه فيما قضاه لها وأولاه حيث قضت حكمته الإلهية لها بالاتصال
بهذا الدين فمن ذا الذي يجترى أن يمانده ولو شاء ربك لجعل الناس إمة واحدة
وحسينا في هذا المعنى قول السكرار أما وقد اتسع نطاق الإسلام فكل
أمرىء وما يختار في هذا كانت رخصة التمسك بالإيمان المختلفة جارية عند كافة
الملل ولو خالف دين الملائكة المقدمة بها بشرط أن لا يعود منها على نظام
الملائكة أدنى خلل كما هو مقرر في حقوق الدول والملل وما أحسن قول بعض
الظرفاء

يقولون نصرانية أم خالد
فقلت ذروها كل نفس ودينه
فإن تلك نصرانية أم خالد
فإن لها وجهها جميلاً زينها
ولا عيب فيها غير زرقة عينها
كذلك عناق الطير زرقة عيونها
وعلى ذكر زرقة العيون يحسن ذكر قول الشاعر مع ما فيه من التورى
لك يا أزرق اللواحظ مرأى قري أضحي على الوجه يزهى
يا لها من موالف وخدود ليس تحبت الزرقاء أحسن منها
(والقسم الثاني) تمدن مادي وهو التمدن في المنافع العمومية كالزراعة
والتجارة والصناعة ويختلف قوته وضيقها باختلاف البلاد ومداره على ممارسة

العمل وصناعة اليده هو لازم لتقدم العمران ومع لزومه فان أرباب الاخلاق
والاداب يخشون صولة تقدم اهل الفنون والصناعات ويحافون ارتقاء مراتبهم
بقوة مكاسبهم في المنافع وأهل الفلسفة والعلوم الحكيمية النفيسة يعتقدون ان
الاغراض في المانع العمومي
الصناع من المهن والامور الخفيسة وأرباب الاقتصاد في الاموال والادارة
يبالغون في توسيع دائرة المنافع ووسائل العمارة ويتغالون بتكثيرها في دوائرهم
لجمالية فوائدهم منها ويسيرها ويباشرون جمع متفرقها ونظم منشورها ويعجذبون
عن نشيد كل شاردة وتقيد كل آبدة لان مصلحتهم تقتضيها وحاكم أغراضهم
يرتضيهما

وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من أهل الفطن كما رغب فيه
الشارع في الحديث حب الوطن من اليمان قال أمير المؤمنين عربن الخطاب
رضي الله عنه عمر الله البلاد بحب الاوطان وقال على كرم الله وجهه سعادة
المرء أن يكون رزقه في بلده وقال بعض الحكماء لولا حب الوطن لما عمرت
البلاد الغير المخصبة وقال الاصمعي دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب
فقلت له أهذني فقال اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده ومكارمه
اخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حينه لاوطنه وسوقه الى اخواه قال
الشاعر

ما رب قضاها الشباب هذه الكا
وحجب اوطان الرجال اليهم
عهود الصبا فيها خنووا لذلك
اذاذ ذكرت اوطانهم ذكرت لهم
ولى موطن آليت اني أعزه
واذا لأاري غيري له الدهر مالكا
(وقال آخر)

بلد صحبت به الشيبة والصبا
ولبس ثوب العيش وهو جديده

فَإِذَا تَمْشَلُ فِي الضَّمِيرِ رَأَيْتَهُ
وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمْيِدُ
(وقال آخر)

اذا أنا لاأشتاق ارض عشيرتي
فليس مكانني في النهي بعكين
من العقل اناشتاق أول منزل
غנית بمحفظ في ذراه ولابن
وروض رعاه بالاصائل ناظري
وغصن شاه بالغدادة يعنى
وانى لاأنسى الهدود اذا اتت
بنات الهوى دون الخلط دوني
اذا أنا لم اروع الهدود على النوى
فلست تأمون ولا بآمين
والراد بينات الهوى بنات الدهر اى حوادهه فالوطن محبوب والمنشأ
ماألف حتى لغير المتمدن بل يقال ان البدى الجبلى يتعلق بجبال جبال اوطننه
ويتعلق بأذىال باديهه ولا يعاق الحاضر ب مدینته وحاضرته بحيث لا ينتقل
الجلف من باديهه الا للاتجاع في الفلوات ويستسهل خرت القتاد ويرى عزه
في الصحاري التي ألف طبعه سكني خيامها وترىض عقله عليها واعتداد كمأيدل
لذلك ما حكي عن ميسون بنت بحدل أنها لما اتصلت بمعاوية رضى الله عنه
ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحزين على ناسها وانتذر كر بسقسط
رأسها فسمعها ذات يوم وهي تنشد

أحب الي من قصر منيف
ليت تتحقق الارواح فيه
أحب الي من أكل الرغيف
واكل كسيرة من كسر باتي
أحب الي من تقر الدفوف
وأصوات الرياح بكل فج
أحب الي من ابس الشفوف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب الي من قط الوف
وكاب يابع الارراق جولي
أحب الي من بغل زفوف
وبكر يتبع الاذاع ان صمب

وخرق من بني غمي نحيف أحب الى من عاج غييف
 فلما سمع معاوية الآيات قل ما رضيت ابنة بحدل حقي جعلتني علجمان
 عوج العجم فالعربي كثير التعلق ببادته فلا يمده الا بها كما قال بعضهم
 هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الصال والسلم
 والصال والسلم من أشجار البوادي ذوات الشوك فأشار الشاعر بذلك
 الي ما يمده به العرب من سكني الادية لأن العز عندهم مفقود في الحضر
 فـ كان العظيم منهم بين الصال والسلم أشهر من نار على علم أو أنه من بعد
 عن المضم والضم شمس أو قمر بلا غيم بخلاف المتمدن فإنه يكثر التنقل
 ولكن في الحقيقة تنقله ثمرة من ثرات المتمدن مرتفعة تعود على الوطن
 بالنفعة ولا نظر الى من حصل له ذل وهو ان فرغ بـ بذلك عن الاوطان
 كما قال الشريف الرضا

مال لا أرغب عن بلدة يكثر فيها الدهر حسادي
 ما الرزق في الكرخ، فيما ولا طوق اللاف في جيد بغداد
 وقال بعض امراء الحرمين

وـ جانب الذل ان الذل مبتـ قوخ خيامك عن أرض تهان بها
 فالمندل الرطب في اوطانه حطـ وارحل اذا كانت الاوطان منقصة
 فقد يلزم الوطن من واحد ويمدح من آخر بحسب حال المتـوطن فقد
 مدح الشريف المرتضـي بـ بـابـل وـ تـشـوقـ اليـهاـ بـقولـهـ

الـ ايـ نـسيـمـ الـ رـيحـ مـنـ أـرـضـ بـابـلـ تـحملـ الىـ أـهـلـ الـ خـيـامـ سـلامـيـ
 عـلـىـ اـنـيـ مـنـهاـ اـسـفـلـتـ مـقـاميـ وـاـنـيـ لـاهـوـيـ اـنـ اـكـونـ بـأـرـضـهـمـ
 فـهـاـ أـنـاـذـاـ سـلـكـاـ بـغـيرـ نـخـلـامـ وـقـدـ كـنـتـ كـالـعـقـدـ الـمـنـظـمـ مـنـهـمـ

أبات أرجي أن يلم خيالهم
وكيف يزور الطيف دون منامي
فلا برق الا خلب بعد بيهم
ولا عارض الا ياض جهام

وخالف ذلك شرف الدين البهقي حيث قال

لدى ولا ناديك بالرحب آهل
وحسبك عارا ابني عنك راحل
فعندى من السحر الحال دلائل
فك كل مكان خيمت فيه بابل

أبابل لا واديك بالبر مفع
لئن صقت عنى فالبلاد فسيحة
وان كنت بالسحر الحرام مدللة
قواف تغير الأعين النجل حسنها

وقال آخر يخاطب أحد الملوك

فما بقيت فطواع ومذعان
للانسان أنتم ولا الدنيا خراسان

ان تكرموني فاني غرس دولتك
وان اهتم فارض الله واسعة

وقال آخر في حق مصر

لم لا أدين كبارهم
وصغارهم تيهوا وكبرا
ما النيل من ماء الحياة
فهذا قول المغلوب وكلام مهجور الوطن لا المحبوب وأحسن من ذلك

قول من تغرب وأصيب في الغربة بداء حب وطنه وتجرب
وببلدة قد رمتني بكل داء عنادا
ولو رجعت لاهلي كانت بلادي بلا دا

ويكفي حب الوطن ان كراهة الاجلاء منه مقر ونة بكر اهة قتل الانسان
نفسه في قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوها من
دياركم ما فعلوه (ما يحكي) أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ولد في
المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشعر بها أم هل سبيل الى نصر بن حجاج
 اى الى وصله لانه كان حسن الصورة وهو من بنى سليم فدعاه عمر فرأه أحسن
 الناس وجهها وله شعر حسن خلق شعره فكان أحسن الناس بلا شعر فقال له أمير
 المؤمنين لا تساكني في بلدي فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر
 رضي الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير المؤمنين سمعتني قتل نفسى فقال عمر كيف
 ذلك فقال قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم
 ما فعلوه فقرن هذا بهذا فقال ما أبعدت يا نصر لكن أقول ما قال شعيب ان
 أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقد أضفت لك يانصر عطاءك
 ليكون ذلك عوضا لك ومن أحسن ما قيل في حب الاوطان قول الصقلي

ذكرت صقلية والاسى يهيج للنفس تذكارها

فإن كنت أخرجت من جنة فاني أحذث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البسکا حسبت دموعي أنهارها

وصقلية جزيرة بابيطاليا السماة الآن سيسيليا كانت في يد الاسلام زمانها
 طويلا ويناسب هذا قول من قال

ما الحب الا للحبيب الاول نقل فؤادك ما استطعت من الهوى
 وحيث انه ابدا لا ول منزل كم منزل في الارض يألفه الفتى
 وما احسن قول بعضهم

على ربع العمارية وقفه على ربع العمارية وقفه
 ولناس فيما يعشقون مذاهب ولذهب حب الديار لأهلها

(وقال آخر)

وائلة ماذا وقوفك هنـا بيرية يعوى من العصر ذيـها

فقلت لها قل الملامة وانصفي هو يكمل نفس حيث حل حبيها

وحسب المؤمن بحب الوطن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
خرج من مكة علام طبيه واستقبل الكعبة وقال والله لا اعلم انك أحب بلد
الله الى والنك أحب ارض الله الى الله تعالى عز وجل وانك خير بقعة على وجه
الارض واحبها الى الله تعالى ولو لا ان أهلك آخر جوبي منك لما خرجت
وبالجملة خب الاوطان على عظم الحسب وكرم الادب ابهى عنوان وهو
فضيلة جليلة لا يؤدي حق الوفاء بها الامن حاز الشمائل النبيلة ولا تعين عليها
الا الحمم العالية والعزم الملوكيه التي تقلد أعناق الامة على الملة والنعمة فبتعمهم
على التشبث بالاوطن والتعلق باذیال الاخوان والخلان لاسيما اذا كان الوطن
منبت العز والسعادة والفتخار والمجاده كديار مصر فهي اعز الاوطان لبنيها
ومستحقة لبرها منهم بالسعى لبلغ امانها بتحسين الاخلاق والآداب من
جهتين عظيمتين (الاولى) أنها ام لساكنها وبر الوالدين واجب عقلاء وشرعا
على كل انسان (الثانية) انها ودود بارة بهم مشمرة للخيرات منتجة لمبررات
فبرها يعود على ابنائها ثمرته وترجع اليهم فائدته ويحسن الصنيع بتضاعف
الفوائد العوائد اضعافا مضاعفة وكلما تحسنت جهات البر من أهاليها حسنت
أيضا الثرات لطائبيها فإذا كانت لا تحترم من ثرات مصر الاجانب فبالاحدري
ان تتمتع بها الاقارب في الآخر من أعيتها المكاسب فعليه مصر وعليه بالجانب
الغربي منها (ويروي) ايضا قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة في مصر وجزء
في الامصار كلها ولا يزال في مصر بركة ما في الارضين كلها وقيل في تفسير
قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومحاربها ان
المراد بمشارق الارض ومحاربها ارض مصر وقال عليه الشادة والسلام مصر

خزائن الأرض والجنة غيبة من غياب الجنّة ذكر هذا الحديث صاحب

المفارقة بين مصر والشام (قال) بعض من انتصب لتفضيل دمشق لكونها

وطنه على مصر عرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها ولكن نحن لا نجفو

الوطن حيث حبه من الإيمان ومع هذا فلا ننكر أن مصر أقليم عظيم الشأن

وأن مغناها كثير وأن ماءها نمير وأن ساكنها ملك أو أمير وأن الذهب فيها

لا يوزن بالمقاييس ولكن بالفناطير وأن دمشق يصلح أن تكون بستانًا لمصر

ولا شك أن أحسن ما في البلاد البستان وهل دمشق إلا مصر مثل الجنان

وقال عبد الله بن عمر أهل مصر أكرم الأعجم كلامها وأسمحهم يدا وأفضلهم

عنصر وأقربهم رحمة بالعرب عامة وبقيش خاصة يشير بهذا إلى هاجر اسماعيل

عليه السلام فانها من قرية أم دينار أو قرية أم دينين وكلها بمصر أو يقال إنها من

بلدة بقرب الفرماوى ماريه أم ابراهيم فانها من قرية بصعيدها من أقليم الجيزة

(وقد روى) عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم

ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بها فان لهم ذمة وحرما

فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرجو منها قال فرب برية وعبد الرحمن

بني شرحبيل يتنازعان في موضع لبنة خرج منها (ويروي) عن عمر أمير المؤمنين

رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عزوجل سيفتح

عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقطبها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة (قال)

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دعاعوح عليه الصلاة والسلام لولده ولد ولدته

مصرىم الذى به سمعت مصر مصرًا فقال لهم انه قد اجاب دعوي فبارك فيه

وفي ذريته واسكنته الأرض الطيبة المباركة التي هي ألم الدينما وما احسن قول

« مطلب »
بر مصر لبنيها
وغيرهم

« مطلب »
خير مصر
وبركاتها

والمر والحلو متداثيات يقرب بعضها من بعض في الجوار تختلف بالتفاعل
 وجنات أى بساتين من اعناب وزرع وتخيل صنوان وغير صنوان الآية
 والصنوان النخلات يجمعهن أصل واحد ويتشعب منه الرؤس فيكون نخلا
 وقال سبحانه ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل
 المثارات ان في ذلك لآية لقوم يفكرون وقال تعالى ألم يروا أناسوقي الماء
 الى الارض الجرز وهي التي لأنبات فيها فنخرج به زرعا الآية وقال عزوجل
 وآية لهم الارض المية أحيناها وأخرجنا منها حبا الآية وقال تعالى والارض
 وضعها للأنعام فيها فاكهة الى قوله والحب يعني جميع الحبوب من حنطة وشمير
 وغيرها ذو العصف يعني البذر أول ما يبدو وقال تعالى ومثلهم في الانجيل كزرع
 اخرج شطاً فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع الآية فقوله
 تعالى ومثلهم يعني مهما صلي الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقوله
 في الانجيل كزرع اخرج شطاً يعني فراخه فقال أشطاً الزرع اذا أفرخ فازره
 أى قواه من المعاونة أو من الإزار وهي الاعانة فاستغلظ فاستوى
 على سوقه فاستقام على قصبه جم ساق يعجب الزراع بـ ^{بكرا} قافتة وقوته وغلظه
 وحسن منظره وهو مثل ضربه الله لاصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا
 واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس وقال تعالى أفرأيت ما تحرثون
 ألم ترعنون ألم نحن الظارعون خسب أرباب الزراعة خفرا ان الله تعالى
 وصف نفسه بهذا الوصف في قوله ألم نحن الظارعون وهو مثل قوله تعالى
 خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم وما رميته اذ رميته ولكن الله رمى ومعنى
 الظارعون المتيقون وسيأتي بعض الكلام على هذه الآية فالافعال في
 الحقيقة كلها لله سبحانه وتعالى قال تعالى والسماء بينناها بأيد وانا لموسعون

والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعائمه تذگرون
 فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بناء السماء أي خلقها وتمهيد الارض
 وخلقة زوجين من كل شيء لأن السماء يأتي من جمثتها المطر النازل من
 السحاب ولا نفيها تقدير الارزاق كلها ولو لاه لما حصل في الارض جهة
 قوت وجمع بين السماء والارض في الامتنان لأن السماء مسكن الارواح
 والارض موضع الاعمال والمراد بالايد القوة ولكون المخلوقات المتعيشة بالارض
 هي التي تعمرها قال ومن كل شيء خلقنا زوجين والمراد بالزوجين ما يشمل
 الزوجين الحقيقين والمتشاركيين والضديين ونحو ذلك وقوله تعالى في جانب السماء
 وانا لموسعون اي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء
 والماء بالنسبة الى السماء وسعتها كحلقة في فلة والبناء الواسع الفضاء
 العجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناؤن لأنهم يحتاجون الى اقامة
 آلة يصح بها استدارتها ويشبت بها تماسك اجزائها الى ان يتصل بعضها الى
 بعض ف قوله وانا لموسعون يرجع الى تمام القدرة بالنسبة اليه تعالى ومنه لا
 يكافي الله نفسها الا وسعا اي ما تقدر عليه وقوله تعالى فنعم الماهدون يعني
 الفارشون لها بعد خلق السماء ومع ذكر الامتنان على عباده ففيه افاده
 الوحديّة في الذات والصفات والافعال الحقيقة وفيه تعلم لعباده ان
 يتشبّثوا باستئمار ما خلق لا جلهم واكتساب فوائده كما أرشد موسى عليه
 السلام حين استسقى لقومه بقوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
 منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم فبقربه عليه السلام الحجر
 بعصاه استخرج الماء الذي به حياة النقوس من الصخرة الصماء فالرزرق اعما
 يكون عادة بالعمل في الارض لكن بفعل الله سبحانه وتعالى ولذلك قال

عما أفرأيت ما تحرثون أنت تزرعنـه أـم نـحن الـزارعونـ فـأشـار بـذلك إـلى
ذـاق الرـزق الـذـي بـه بـقاء الـخـلوقـات ثـم ذـكـر المـاء الـذـي بـه الـانـبات وـمنـه
الـشـرـوب ثـم ذـكـر ما بـه اـصـلاح الـمـاـكـول وـهـو الـنـار فـقـال تـعـالـى أـفـرأـيت النـار
الـتـي تـورـونـ أـي تـقدـحـونـهـا أـنـتـم أـنـشـائـتـم شـجـرـتـها أـم نـحن الـمـشـئـونـ فـامـتنـ
سـبـحانـه وـتـعـالـى بـثـلـاثـة أـمـور وـهـي الـمـاـكـول وـالـشـرـوب وـالـمـلـصـحـ لـلـمـاـكـول
فـذـكـر مـنـ الـمـاـكـول الـحـبـلـانـه الـاـصـل وـمـنـ الـشـرـوب الـمـاءـ لـهـ الـاـصـل وـمـنـ
الـمـصـلـحـاتـ الـنـارـ لـانـ بـهـا اـصـلاحـ أـكـثـرـ الـأـغـذـيـةـ وـأـعـمـهـا وـدـخـلـ فـكـلـ وـاحـدـ
مـنـهـا مـاـ هـوـ دـوـنـهـ

ثـمـ انـ الـحـرـثـ هـوـ أـوـاـئـلـ الـزـرـعـ وـمـقـدـمـاتـهـ مـنـ بـرـشـ الـاـرـضـ وـرـدـهـاـ
وـتـخـدـدـهـاـ وـخـدـمـتـهـاـ وـالـقـاءـ الـبـذـرـ فـيـهـاـ وـسـقـيـهـاـ وـسـقـيـهـاـ وـهـوـ آـخـرـ
الـحـرـثـ مـنـ خـرـوجـ الـنـبـاتـ وـاسـتـغـلـاظـهـ وـاسـتـوـاـئـهـ عـلـىـ السـاقـ فـهـوـ بـهـذـاـ الـمـنـيـ
لـيـسـ فـعـلـ لـاـجـارـتـ الـذـيـ لـاـ يـنـسـبـ إـلـيـهـ إـلـاـ الـمـبـادـيـ فـاـنـ إـيمـاجـ الـحـبـ فـ
الـسـيـلـيـةـ لـيـسـ بـفـعـلـ النـاسـ وـأـنـاـ فـلـهـمـ هـوـ القـاءـ الـبـذـرـ وـالـسـقـيـ وـلـكـنـ لـاـ كـانـ
الـحـرـثـ مـتـصـلـاـ بـالـزـرـعـ وـكـانـ الـحـرـثـ أـوـاـئـلـ الـزـرـعـ وـالـزـرـعـ أـوـاـخـرـ الـحـرـثـ جـازـ
اـطـلـاقـ اـحـدـهـاـ عـلـىـ الـآـخـرـ وـلـهـذـاـ قـالـ تـعـالـىـ أـعـجـبـ الـكـفـارـ أـيـ الزـرـاعـ بـنـاهـهـ
أـيـ الـحـرـثـ وـقـالـ تـعـالـىـ أـفـرـأـيتـ ما تـحـرـثـونـ أـنـتـمـ تـزـرـعـونـ أـمـ نـحنـ الـزـارـعـونـ
بـعـنـيـ الـمـبـتـونـ وـقـوـلـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـزـرـعـ لـلـزـارـعـ بـعـنـيـ آـخـرـ وـفـيـهـ فـائـدةـ
آـخـرـ وـهـيـ انـ الـزـرـعـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ مـنـ أـنـيـ بـالـأـمـرـ الـتـأـخـرـ وـهـوـ القـاءـ
الـبـذـرـ أـيـ مـنـ لـهـ الـبـذـرـ عـلـىـ مـذـهـبـ أـبـيـ حـنـيفـةـ رـحـمـهـ اللـهـ فـقـوـلـهـ لـلـزـارـعـ أـظـهـرـ
لـهـ بـعـرـدـ الـاـلـقـاءـ فـالـاـرـضـ يـجـعـلـ الـزـرـعـ لـلـمـلـقـيـ سـوـاءـ كـانـ مـالـكـاـ اوـ غـاصـبـاـ
وـهـذـاـ يـقـيـدـهـ لـفـظـ الـزـرـاعـ لـانـهـ لـوـقـالـ الـزـرـعـ لـلـحـارـثـ لـأـفـادـهـ لـأـبـدـ مـنـ الـإـتـداءـ

بعامل الزرع وقليل الأرض وتسويتها والقاء البذر فيها مع ان المقصود
الخير أى من له البذر

فعلم من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد من على عباده بالارض الزراعية
والسقي وخلق بقية العناصر النافعة لانباتها وأنما يحتاجون الى الاعمال
الحرارية وغيرها فجعل سبحانه وتعالى فيهم القدرة على ذلك وخلق أفعالهم
المستعدة لذلك فأعد لهم للاشغال وبعث لهم صوب الافعال فلامور المعاشرية
في الظاهر جهتان جهة فاعلية وجهة افعالية اي محلية والاول هو الاشغال
والثاني هو الاراضي الزراعية

ثم اختلف هل منبع الغنى والثروة وأساس الخير والرزق هو الارض
وانما الشغل مجرد آلة وواسطة لا قيمة له الا بتطبيقه على الفلاح أو ان الشغل
هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الاموال المستفادة وأنه هو الاصل الأول
للصلة والامة يعني ان الناس يكتسبون سعادتهم باستخراج ما يحتاجون اليه
من فعهم من الارض أولراحة المعيشة فالفضل للعمل وأما فضل الارض فهو
ثانوي تبعي وهذا هو الذي يعتمد أهل الفلاح ويستدلون على ذلك بأنه
لا يمكن ايجاد الخصب في الارض الابدوم الشغل واستمرار العمل
والابقية مجدبة اذا انقطع الشغل عنهم فان الشغل يعطي قيمة لجميع الاشياء
التي ليست مقومة بدونه كالاشيء المباحة التي لا يتابع ولا تشرى مما لو خليت
ونفسها لاتساوي شيء مثل الماء والهواء أصلان لمنافع حياة الانسان
ولا يدخلان في الثروة والسعادة ولا في الملكية المسعدة لأن هذين العنصرين
اقتضت الحكمة الالهية الاكثار منها في جميع الحال وابيح لكل انسان
التمتع بها فيما في حد ذاتها على العموم ليس من الاملاك المقومة وان عظمت

فائدتها ولا يزيد في منفعتها النسبية الا العمل و لشغله يعني أن جلبتها اذا
 احتاج للعمل كان له قيمة بقدر العمل فقط لأن الظآن اذا احتاج الى من
 يجلب له الماء في اناء كان الماء المجلوب لسد خلة العطش مقوما عند جبله اليه
 دون قيمته في انهر فان كوز الماء قد يعطى لمن يطلبها مجانا بدون مقابل وقد
 يعطى ثمن على قدر العمل وقد يبلغ عند الضرورة والاحتياج ثمنا جسيما كما
 وقع في غزوة الفرنساوية مصر أن أحد رؤساء العسكر الفرنساوية دفع في
 كوز الماء مائة فرنك يعني أربعين قرش واذا كان الانسان في بيته واحتاج
 الى استنشاق الهواء فالعمل الذي يكون به فتح النافذ كالابواب والطاقات
 والشبابيك تجعل له قيمة لم تكن له قبل ذلك وكذلك عند الضرورة كالهواء
 للمسجون فانه يتغالي في تحصيله بدفعه للسجان قدرًا جسيما فما يصرفه الانسان
 لاتحصيل المباح من الماء والهواء انما هو قيمة العمل وأجرة الخدمة وفي
 مقابلة الامر والنهي والسلب والايحاب يحسب منافع هذه الاشياء ومضارها
 فهذا هو الذي يعد ملكا للانسان وثروة له باستحواذه على الماء والهواء
 وفيه ترويج للعقارات المشتملة على منافع هذين العنصرين ومثلهما النار والكلاد
 المباح لقوله عليه الصلاة والسلام الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلاد والنار
 فلا يجوز لاحد تحجراها وللامام اقطاعها

فالمدار على العمل في الرواج اذ به يستحوذ الانسان على منافع الحيوانات
 وصناعتها الاطمافية فيؤلفها لهذه المنافع ليتسع بها أهل وطنه ويؤنس المتواحش
 منها لذلك فيتملك الانسان صناعة الزحل وصناعة دود القرز بتربيتها وبجودة
 العمل يتوصل الانسان الى اغتنام العون بحركة الهواء والماء وبصلاحية الاجسام
 ولينها وتصعب الانحرفة وبالسيارات وبكل ما فيه قوة معنوية واسرار

مشتورة في أجزاءه الكوية و خواص مجرية ليست من دائرة تصرف القوه البشرية وإنما حدثت للانسان من جودة الصناعة و تقدم المهارة والبراعة ومعرفة الانتفاع بتلك القوى الطبيعية التي يتما في الكون الحكمة الاهلية فالمولى سبحانه و تعالى خلق لنا هذه الاسرار والخواص وخلق فيما العقل لنقدر على الاستعانة بها لتكامل ضعفنا والاستفادة منها فيما نحتاج اليه فان الآلات والدوالib البخارية مثلا والسفن المنشورة الشراع في البحر العظيم تستفيد منها الفوائد الجمة لقوة العمل الذي يسر ان يكون مسئلته بالأيدي منتجها مقدار انتاجه بالآلات

وفي الحقيقة جميع هذه الاعمال لا تتمكن الانسان من الانتفاع بها حق الانتفاع الا بوجود الارض المخصبة او القابلة للخصوصية بالصناعة التي هي محل العمل

ولن تصادف مرعي مرعا ابدا الا وجدت به آثار متتجمع فالارض المخصبة فضلها انا هو وجود خاصية الخصب الذي هو قبول الانتاج والاثمار وهذه الخاصية بالنسبة لذات الارض غير محسوسة بل هي عبارة عن الاستعداد والقبول لاستخراج المحصولات منها بالعمل فمفي اول امرها وقبل اصلاحها تحتاج كغيرها من الاشياء الطبيعية الى قوة اراده واختيار صادرة عن عقل و تمييز من يريد أن يتعاهدها بالعمل ويصلحها فالمملكة المتسعة الاراضي القابلة للزراعة اتساعا بلغا يزيد عن حاجتها ليس فيها حق الملكية مشروع ولا منتضا وليس لها ايراد ولا محصول ينتج من القدر الزائد عن حاجة اهلها لقلتهم فالقدر الزائد من الاراضي ضائع بالنسبة الى المملكة هباء متشورا ولكون طريقها وعراء بقي اقيمها قفرا

كم من رياض لا انليس بها تركت لأن طريقها وعر
و مع ذلك لو استيقظ أهلها من الغلة لاً دوا الوطنهم مفروض العمران ونفله
لاتكون للأمور هيوبا فالى خيبة يصير الهيوب

فلنفرض أن إقليماً مشتملاً على قوم يعمرونه كبلاد الشلوك والدنكة من
الاقطار السودانية التابعة لهذه الحكومة المصرية به ارض زراعية يعنى قابلة
ل الزراعة لخصوصيتها وان مقدار أهله مليون من الألف نسم وان أراضيه الواسعة
المخصبة تكفى لتعيش عشرة ملايين من الاهالي في هذه الحالة كل واحد من
سكانه ليشتغل بحراثة مقدار من الارض يقدر غذائه لغير وليس له من
الاشغال غير ذلك فآحاد الاهالي بهذا الاقليم مقتضرون على منافعهم
الشخصية الغذائية فلا يتذكر بعضهم وهو القوة الحاكمة ان يطلب من البعض
الآخر وهو القوة الحكومية شيئاً في مقابلة المحصولات الغذائية بوصف
الخارج ولا يرضى أحد منهم على فرض ان يطلب منه ذلك ان يدفع شيئاً بهذا
الرسم ولا برسم آخر كاستعاضات تجارية أو تبرعات ثوابية وإذا دفع شيئاً لآخر
فاما يكون في مقابلة الاعمال فقط اذا كان الحارث ليشتغل على ذمة آخر بأجرة
عمله فلم يكن الحارث مكلفاً الا بالشغل على ذمة الزارع الذي وفر من زراعة
عدة سنوات ماضية شيئاً من المحصولات يعطيه للحارث بقدر تقاوى أرضه
وقدر ما يعيش به الى أوان الحصول الجديد

فيمسرة الزارع أى صاحب الزرع واقتداره على البذر والاجرة ٌروءة
له فهي منبع اليراد بعد الشغل والشغل وهو العمل منبع اليراد قبل تحصيل
البذر واجرة الحارث وهذا يتوجه أن منبع السعادة الأولى هو العمل والكد
ومزاولة الخدمة ومع ان كبد العمل مصدر السعادة الاصل فهو أيضاً يعين

صاحب الميسرة على تكثير ميسرته بقوة العمل ومضاعفه المهمة حسب الطاقة
أزيد مما تساعد خصوبة الأرض عليه يعني لو زرعنا أرضاً خصبة ويزننا ما
يمكن أن ينسب من إرادتها للعمل وما ينسب للخصوبة منه وفرزنا كلًا على
حدته وجدنا محصول العمل أقوى من محصول الخصوبة

ودليل ذلك أن الامة المتقدمة في ممارسة الاعمال والحركات الكدية
ذات الكلمات العملية المستكملة للآدوات الكاملة والآلات الفاضلة
والحركة الدائمة قد ارتفعت إلى أعلى درجات السعادة والغنى بحركات أعمالها
مخلاف غيرها من الأمم ذات الارضي الخصبة الواسعة الفاتحة الحركة فان
أهالיהם لم يخربوا من دائرة الفاقة والاحتياج فإذا قابلت بين غالب أقاليم
أوروبا وأفريقيا ظهر لك حقيقة ذلك

فمن هذا يظهر ان اساس الغنى على كثرة الاشغال والاعمال فهي
مصادر وموارد للأموال ومنابع لاسعد الاقبال ومع ذلك فليس تعويذ النفس
على النشاط سهلًا فان الانسان من أصل الفطرة مركوز في طبعه كراهة
التكليف بالعمل والتبعاد منه حسب الامكان مع احتياجاته الي لحفظ نفسه
وبقاء جنسه بالتناسل الذي من لوازمه كثرة العمل وذلك انما يكون بالتشويق
للزواج الذي به ينمو النوع البشري في البلاد الخصبة فتبعد الوجданيات
صاحب العيلة علي ان يستعمل حركة قواه حاجة وتحميم لوازمه فيغلب
الطبع على الطبع ويحمل الانسان على الشغل رغمما عن أنه وهذا التطبع الذي
هو طبع ثان للانسان طاري وعارض عليه يزول بانتهاء قضاء الاوطار فيعود
للانسان طبعه الاول من حب الدعة والراحة والانبهاك على البطالة ولا يخرج
من ذلك الا اذا تولد عنده احتياج جديد فيعمل بقدر قضاء الوتر ثم يعود

الى الدعة والبطالة وهم جرا وهذه الحالة في البلاد الخشنة هي حالة طبيعية
 قريبة من الحالة الفطرية التي هي حالة النوع البشري في اول امره
 فالانسان في هذه الحالة من حيث انه فرد من افراد الهيئة الاجتماعية
 لم يكن قوي الميل لتمدن الهيئة الاجتماعية يعني ان كل فرد من افرادها
 يكون بهذه المثانة لا استفاض للجمعية بعمله بجميع اعضاء الجمعية الخشنة
 تلتذن فوضهم بالراحة والدعة لا سيما اهل الاقاليم التي لا تستدعى احتياجاتهم
 بها كغير عمل ولا عظيم شغل ببطالة اعضائها كأنها رأس مالهم وراحتهم
 يعودونها من اعظم احوالهم وكذلك بعض اهالي المدن الغنية المثيرة ذات
 الارصاد المتلذذة بحسن المطعم والمسكن والزينة والرفاهية فاינם يصرفون
 النظر عن التلذذ بالشغل ويميلون للراحة والتلذذ بالبطالة والاستراحة ويهربون
 بالسرعة من المتع بالرفاهية اذا اضطروا وان يستغلوا بأنفسهم لا بخدمتهم فلا
 يعملون الاعمال الشاقة في اراضيهم التي لا تقوم بهم الا بكثرة العمل
 فيتركون ملاذهم اذا اقتضى الحال ان يكدوا أنفسهم بعمل هين ولو كان
 جزء من ألف جزء من المتابع التي يتبعها العملة فيفوتو ن هذه المذلات
 الجسيمة اشارا للدعة والراحة علهم لما قلناه من ان محنة الراحة فطرية مألوفة
 للنفوس على الاطلاق متمندة او غير متمندة يعني ان اهل المالك المتمندة
 لو كلف مترفوهن واهلى رفاهيهم العمل اليسير وكان لولاه لفواتهم المتع
 بها فاינם يؤثرون الراحة على الشغف ولذلك تقول العامة الراحة والكسيل
 أحلى مذاقا من العسل وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال
 ان البطالة والكسيل أحلى مذاقا من عسل
 ان لم تجر بها فسل من كان قبل في الكسل

فمن هنا ينبع ان كل امة مجموع شعوبها المنجز يساوى مجموع احتياجها البشرية
 فإذا فرضنا في القضية المتقدمة ان اقليم الشلوك والدنكة بالسودان اقليم فلاحة
 وان مقدار أهله مليون ومساحة ارضه عشرة ملايين من الفدادين وان
 الشخص الواحد يكفيه في غذائه فدان واحد فتكون ارض هذا الاقليم كافية
 لغذاء عشرة ملايين من الانفس فهي زائدة تسعة ملايين عن حاجة أهلها
 الموجودين بها فكل انسان من الاهالي يستغل بقدر ما يلزم لحاجته فالعمل
 الزراعي لا يكون من الجميع الا بقدر المؤنة الالزمه للجميع دون الزيادة عليها
 وفي هذه الحالة يكون عمل كل انسان اقل من طاقته وجهده ودون قواه
 الطبيعية بحيث يكون له من البطالة نصيب عظيم وايضا لا يزرعون في هذه
 الحالة من اقليمهم الا المزارع الخصبة التي تكون سهلة الحرااثة قربة السقى بدون
 ان يكون فيها كبر مشقة على الحارث فتلك الامة التي فرضنا اتصافها بتلك
 الصفات تقنع بالفلاحة اليسرة وتكتفى بقدر القوت الضروري للازم الكسل
 وحب الراحة للطبع البشري فكل فرد من افراد هذا الاقليم مستعد لان
 يصرف ثلاثة اربعين يوما في التمتع بلذة البطالة والراحة بدون ان يعود عليه
 ضرر في احتياجاته الاولية وقواته المعيشية فلا يضره ضياع الاوقات
 والغالب ايضا ان الاهالي الذين هم بهذه الشابة لا يكادون يخرجون عن
 هذه الحالة مالم تقلب على طباعهم واحوالهم حالة اخرى تعادل قوة الاحتياجات
 الاولية كالتناسل والتوليد او تشوّفهم الحكومة الى ذلك أو تجبرهم عليه فان
 الكثرة تستجلب الحاجة فهذا يزيد عددهم وينمو في قليل من السنين ويصير
 ضعفين فيتضاعف مقدار زراعتهم بذلك فيكون للمليونين من الانفس مليونان
 من الفدادين وفي مدة متساوية لما ذكر يكون عدد الاهالي أربعة ملايين

وهكذا الى ان يبلغ مقدار الاهالي عشرة ملايين بقدر ما تكفيه من الفـداء
فتخـس الـامـة اـحـسـاسـاتـ قـوـيـةـ بـصـوـبـةـ تـحـصـيلـ غـذـائـاـ لـكـثـرـةـ اـهـالـيـهاـ فـلـاـ
تـكـادـ تـحـصـلـ مـنـهـ عـلـىـ الـكـفـاـيـةـ فـكـلـ شـخـصـ مـنـ الـاهـالـيـ نـقـصـ لـهـ شـءـ مـنـ
غـذـائـهـ اـضـطـرـ عـلـىـ اـنـ يـصـرـفـ جـمـيعـ زـمـنـهـ وـجـمـيعـ قـواـهـ فـيـ تـحـصـيلـ الـفـداءـ وـالـمـؤـنـةـ
فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ يـجـدـ لـاهـالـيـ هـذـاـ الـاقـلـيمـ صـفـةـ نـشـاطـ أـخـرـىـ فـيـكـونـ مـقـدـارـ
الـشـفـلـ عـنـدـهـ وـالـعـمـلـ الـكـافـ لـهـ صـرـفـ مـاـ يـسـتـطـعـونـ مـنـ الـكـدـ وـالـاجـهـادـ
وـالـقـوـةـ وـالـنـشـاطـ وـلـاـزـالـ تـرـاـيدـ عـنـدـهـ الـقـوـةـ النـشـاطـيـةـ وـالـاتـفـاعـ بـالـأـرـاضـيـ
الـزـرـاعـيـةـ إـيـاـ مـاـ كـانـتـ خـصـوبـتـهـ

رـقـ اـلـىـ صـغـيرـ الـأـمـرـ حـتـىـ يـرـقـيـكـ الصـغـيرـ اـلـكـبـيرـ
وـهـذـهـ الـحـالـةـ حـالـةـ تـقـدـمـ الـهـيـئـةـ الـاجـهـاءـيـةـ مـحـاجـ اـلـيـهـ جـمـيعـ اـعـضـاءـ الـجـمـعـيـةـ
فـيـ اـسـنـاءـ تـقـدـمـ الـاهـالـيـ بـهـذـهـ الثـابـهـ يـجـدـ عـنـدـهـ حـقـ مـنـ الـحـقـوقـ الـمـدـنـيـهـ وـهـوـ
مـبـدـأـ حـقـ الـتـمـالـكـ لـلـأـرـاضـيـ وـحـوـزـهـاـ بـوـضـعـ الـيـدـ عـلـيـهـاـ باـحـيـاءـ موـاتـهـاـ فـنـ هـذـاـ
الـوقـتـ يـصـيـرـ لـلـأـرـضـ قـيـمـةـ فـيـ حـدـ ذـاـهـاـ زـائـدـ عـنـ قـيـمـةـ الـعـمـلـ فـالـشـاغـلـ
لـأـرـضـ يـخـتـصـ بـهـ بـدـوـنـ اـنـ يـسـتـوـلـ عـلـيـهـاـ بـالـعـمـلـ بـالـتـمـالـكـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ
تـضـطـرـ الـاهـالـيـ اـلـىـ اـسـتـيـلاءـ عـلـىـ جـمـيعـ الـأـرـاضـيـ الـقـلـيلـةـ الـمـحـصـولـ الـتـيـ كـانـتـ قـبـلـ
ذـلـكـ عـدـيـةـ الرـغـبـةـ فـيـهـاـ فـيـصـيـرـ صـرـفـ الـهـمـةـ فـيـ اـصـلـاحـهـاـ بـالـحـرـاثـةـ ثـمـ لـاـتـكـتـفـيـ
الـاهـالـيـ بـذـلـكـ بلـ رـبـعـاـ تـدـعـوـ الـضـرـورـاتـ اـلـىـ اـصـلـاحـ الـأـرـاضـيـ الـعـقـيمـةـ
الـجـدـيـدةـ وـتـقـوـيـمـ أـوـدـهـاـ بـالـحـرـثـ وـالـخـدـمـةـ وـاـحـيـاءـ موـاتـهـاـ بـلـ كـلـ مـنـ اـسـتـوـلـىـ عـلـىـ
اـرـضـ بـهـذـهـ الـحـالـةـ أـجـهـدـ نـفـسـهـ فـيـ اـصـلـاحـهـاـ لـاـسـتـحـصـالـهـ مـنـهـاـ عـلـىـ الـبـنـدرـ
وـالـتـقاـويـ وـاجـرـةـ الـعـمـلـ وـالـتـسـوـيـةـ مـدـةـ اـحـيـاءـهاـ وـجـبـرـ اـخـسـارـةـ الـتـيـ خـسـرـهـاـ

محـيـهـاـ

فحيث كل فرد من افراد الجماعة محترف بحرفه الذالة والعمل فيها مضطر لأن يؤجر نفسه لاحرث والغرس ليتعيش بحرفه ويدخل عند مالك الأرض بوصف أجير عامل ويكتفى نفسه أن يصرف جميع أوقاته في خدمة الأرض بدون راحة لا بقدر المسافات الضرورية لا كله وشربه ونومه وعيادته ونحو ذلك فبهذا تزداد نتائج الزراعة وتبني ما في وما بكترة العمل فالعامل الذي كان يعمل في الزمن الاول مقداراًيسيراً ويقضى أوقاته في البطالة يضطر الى أن يعمل في الزمن بعينه مقداراً جسمية ويستحصل على كثير من المحصولات بقدر زيادة القوة البشرية وذلك أن كل من العمالة واصحاب الاملاك يجهد في البحث عن الوسائل والوساطات المقربة للعمل المسهلة له المقللة لأوقاته

فكن باحثاً عما عناك فاما دعية أخاءقل لتباحث بالعقل
ويصير الاجتهد في ذلك بحيث ما يعممه العامل في يوم يمكنه ان
يعلم اضعافه في اليوم الواحد ثلاث مرات او اربع مرات العامل قد تجرد في
هذه الحالة عن البطالة وتفرغ للعمل وتمرن عليه بالملادومة فكلما مارسه تجددت
عنه معرفة تامة يجيد بها عمله ويزايد الدرجات في الكمال تحسن الزراعة
وتكلل البراعة فيها فيحسن العامل العمل ويتقن فيه ويقسمه الى اقسام
ويعرف الاوقات والفصول والساعات وما يختص انواع الزراعة وما يقويها
من الصلحات فتعلو قيمة العامل بالتجربة والجودة وكذلك يقف على معرفة
خاص ما يستعين به من الالات العنصرية المسهلة لصنعته كالهواء
والماء والبخار فتكون هذه الاشياء المسهلة عنده أدوات عمل كأنها
عوامل بدون أجرة وانما يحسن استعمالها ارباب الممارسة والصناعة فإذا توفرت

عند المزارع ينبع هذه الوسائل المتكاملة النافعة حسنة بها نتائج الاعمال
 اليومية وعظمت بها ثمار الاشغال
 ف بهذه الطرق والوسائل ينطبع في مرآة عقول الامة المعيشة من الفلاح
 صورة حركات الاشغال التقدمية ويتعودون على المبادرة بنشاط الاعمال
 الفلاحية فلا تزال تتجدد المنافع العمومية بالتدريج وتأخذ في الزيادة بدون
 نهاية وبهذه المنافع الاهلية تكثر اموال الرعاية وسعادتها المعيشية
 ثم ان المقتطع لمكار هذه التحسينات الزراعية الجبى لفوائد هذه
 الاصلاحات الفلاحية الناتجة في الغالب عن العمل واستعمال القوى الآلية
 والمحكر لحصولها الابرادية انما هو وطأة الملاك فهم من دون أهل الحرفة
 الزراعية ممتهنوت بأعظم مزية فأرباب الاراضي والمزارعين المستعمون
 لنتائجها العمومية والمتصلون على فوائدها حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من
 مخصوصاتها وقع فلا يعطون للاهلي الا بقدر الخدمة والعمل وعلى حسب
 ما تسمح به نفوسهم في مقابلة المشقة يعني ان الملاك في العادة تمنع بالتحصل
 من العمل ولا تدفع في نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذي لا يكفيء
 العمل فما يصل الى العمال في نظير عملاهم في المزارع أو الى أصحاب الالات
 في نظير اصحاب اعماهم لها هو شيء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم المائد الى الملاك
 فان الملاك يستوفى لنفسه اكثر محصول الارض فانه بعد تصفية حساب
 مصاريف الزراعة وجميع كلفها يأخذ مخصوصها بقائه بوصف ايراد للارض
 وعلف للمواشي وأجرة للالات ولا يعطى لأرباب الاعمال والاشغال منها
 الا قدرًا يسيرًا ولا ينظر الى كون بعض هؤلاء العمال هو الذى حسن الزراعة
 بشغله واخترع لما طرأق منحة واستكشافات عظيمة بتنمية

الزراعة وتكثير أشتغالها فان حق البليك وضع اليدين على المزارع سواع
 للملأك ولو اضعي الأيدي ان يتصرفوا في عمليات املاكه التصرف الشام
 وان يعطوا للعمال بقدر ما يظنون انه من لياقتهم ويعتقد المالكون انهم
 أرباب استحقاق عظيم بحسب الملك وانهم هم الاولى بالسعادة والغنى
 مما يحصل من عمليات الزراعة وأن من عددهم من أهل المدكة لا يستحق من
 تحصيل الارض شيئاً الا في مقابلة خدمته و漫فعته المأمور باجراءها في حق
 أرضهم فيترتب على هذا ان كل من يريد من الاهالي ان يتعيش من الخدمة
 التي هي العمل يصير مضطراً لان يخدم بالقدر الذي يتيسر له أخذه من
 المالك بحسب رضائهم ولو كان هذا القدر يسيراً جداً لا يساوي العمل
 لاسيما اذا وجد بالجهة كثيرون من الشعاليين فانهم يتناقصون في الأجرة
 ويتنافسون في ذلك لمصلحة صاحب الارض مع ان الارض اذَا تحسن
 تحصولاً لها بالعمل فلا يمكن ان يكون ذلك التحسن والزيادة والخصب
 الا بالعمليات الفلاحية الصادرة من هؤلاء الأجرية الذين تناقصت اجرتهم
 وكما ان أرباب الاملاك يحتكرون جميع الاعمال الزراعية من طاقة الفلاحة
 كذلك يحتكرون ثمرات جميع الصنائع لان الصنائع كلها تشعى وتنهض في
 الاشغال والعمليات التي تستدعيها حاجة الفلاحة كالخدادة والتجارة وجميع
 صنائع أهل الحرف المتعلقة بأمور الفلاحة

فينتج من هذا كله أن زيداً من الناس اذا لم تساعدهم المقادير على ان
 يصير مالكاً لقطعة ارض لا يزال يقاسم مالك الارض فيما يحصل من الثروة
 الزراعية ولكن تمعن ناقص جداً فانه لا يأخذ من الحصول الزراعي
 الا القدر الذي يسمح به المالك في مقابلة خدمته وفنه وصناعته وثمن الأدوات

والآلات والدوالib الممندة للزراعة فإذا كان مالك الأرض سخيا كريرا
 ببساط اليد كافياً المكافأة التامة ووسع على من ينتفع بفنه فقد جرت العادة
 أن الفلاح لا يكفي على قدر خدمته وحراثته لقاعدة مشهورة أن من
 يزرع يقصد يعني ان المحسود للمالك وقد قال صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع
 مع ان المعنى فيه ان الزرع لم ين بذر والثمرة له وعليه أجرة مثل الأرض
 لا أن العامل يأخذ اجرة قليلة على عمله في خبر الصحيحين انه صلى الله
 عليه وسلم عامل اهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع اي اعطائهم
 النصف في نظير عملهم وفي رواية دفع الى اليهود خيبر نخلها وأرضها والمراد
 بعملهم مساقاتهم ومسارعهم فالواقع منه صلى الله عليه وسلم مزارعة تابعة
 للمسافة والزرع المذكور في الحديث كان شعيرا كما استظهره بعضهم ومثل
 الزرع المذكور غيره كلوخية وبامية وخوخ ومشمش فتصح المزارعة على
 ذلك تبعا للمسافة والبذر فيها من المالك بخلاف ما اذا كان البذر من
 العامل فهي مخابرة وهي المسماة أيضا بالمشاطرة التي تقع في مثل العنبر
 والخوخ فيدفع المالك الأرض للعامل ويزرعها العامل ببذر من عنده وكذا
 القمح بل وقوع الخبرة الآن مع انها غير جازة موجودة بمصر أكثر من
 المزارعة فحديث الزرع للزارع لا يدل على شيء من جواز استحواذ المالك
 على المحصولات وعدم مكافأة العامل ولا يستند في غبن الأجير الى ان
 المالك دفع رأس ماله في مصرف الزراعة والتزم الأتفاق عليها فهو الأحق
 بالاستحواذ على الحصـولات الجسيمة وانه الاولى بربح امواله العظيمة فهو
 الاصل في التربح وان عملية الفلاح اما هي فرعية اتجها وحسنها رأس
 المال فان هذه التعليقات محض مغالطة اذ فرض الكلام في العامل جر لعمل

متوج لولاه لما ربحت الارض ربحا عظيما فوا كسة المالك له في تقليل أجره
 محض اجحاف به ووصف استملك الارض والصرف على الزراعة من رأس مال
 المالك لا يقتضي كونه يستوعب جل الحصولات ويحجب بالاجير نظرا الى
 ازدحام أهل الفلاحه وتنقيصهم للاجر وسومهم على بعضهم بالزيادات
 التنقيصية وهذا لا يثير محنة الاجير للمالك (من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا)
 فان هذا فيه ايذاء ببعضهم البعض وهو من نوع شرعا كما يدل عليه مارواه ابو
 هريرة رضي الله عنه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
 ولا تناجشو ولا تبغضوا ولا تذابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا
 يحقده التقوى هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر
 آن يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وما له وعرضه رواه مسلم
 وفي رواية ولا يسم على سومه ولا يخطب على خطبته وحيث كان هذا
 الحديث كثير الفوائد عظيم العوائد مشيرا الى حل المبادي والمقادير حاويا
 لكثير من الاحكام والآداب اشارة وصراحة لا سيما انه ينطبق انتطابا
 كلها على اعمال الفلاحه بينما معناه بطريق الاختصار قوله صلى الله عليه
 وسلم لا تحاسدوا أئ لا يحسد بعضكم بعضا اي لا تبني زوال نعمة شيره
 لأن الحسد حرام لقبحه عند المشرعين وغيرهم قال الشاعر

وأظلم اهل الارض من كان حاسدا لرن بات في نعائه يتقلب
 وليس من الحسد تبني الانسان مثل ما للغير لنفسه فان هذا هو
 الغبطة المدودحة وقوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشو ائ لا يبغش بعضكم
 على بعض بان يزيد في المبيع ليخدع غيره وهو أيضا محرم اجماعا لانه غشن

وخداع وهم محرمان لحديث من غشنا فيليس منا وفي رواية من بخش «مطلب»
 تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا محسداوا ولا تاجشاوا الخ
 في قوله ولا تاجشوأ جميع أنواع المعاملات باغش ونحوه كتدليس العيوب
 وكتمها وخلط الجيد بالرديء قال الشاعر

ليس دنيا الابدين وليس الدين الا مكارم الاخلاق
 اما المكر والخديعة فينا س هما من خصال أهل النفاق
 ومن المعلوم ان الحسد والغش يتولد عنهم التباغض اذ يكونان من
 اسبابه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تبغضوا اى لا يبغض بعضكم
 بعضا اى لا يتعاطى اسباب البعض أيام ما كانت كل مواكسة السابقة
 المذكورة بل ينبغي للناس أن يسعوا بما فيه ائتلاف القلوب بتعاطي اسبابه
 فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده اذ ألف بين قلوبهم فقال واذكروا
 نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال
 تعالى لو انفقت ما في الارض جميما ما ألفت بين قلوبهم واسكن الله ألف
 بينهم فالانسان مكلف بتعاطي اسباب الافلة والمحبة واجتناب اسباب
 العداوة والبغضة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا تداروا اى لا يدبر بعضكم
 عن بعض اى لا يعرض بعضكم عما يجب للبعض الآخر عليه من الحقوق
 كالاعانة والنصر والتخاصب والتآلف وعدم الهجر في الكلام الا لعذر
 شرعا كنحوهمة وقصد تأديب ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا يبع بعضكم
 على بيع بعض بائع لمشتري سلعة في زمن الخيار افسخ هذا البيع
 وأنا أبيعك مثلها بأرخص من ثمنها أو يقول أنا أبيعك أجود منها بثمنها ومثله
 الشراء على الشراء بان يقول مرید الشراء للبائع في زمن الخيار افسخه

وأنا أشتريه منك بأعلى فان هذا كله من باب الضرر ومثله السوم على السوم والخطبة في الزواج على خطبة الغير ومثل ذلك كل ما كان في معناه مما ينفر القلوب ويورث البغضاء وأغلب أهل الفلاحه والصناعة والتجارة لا يتجرزون عن ذلك لاسيما بعد استقرار البيع والإيجار وانتراضي عليه ويتعلمون في جواز القدوم على ذلك بالغين وبعض العلامة لا يجوز القدوم عليه ولو كان مغبونا وبالجملة لا تجوز الزيادة في ثمن البيع والسوم ولا على الإيجار بعد الاستقرار بل تحرم وتجوز الزيادة قبل الاستقرار

ثم حث صلى الله عليه على حسن المعاشرة والملائفة والتعاون في الخير بقوله وكونوا عباد الله اخوانا يعني يعبدون الله كما خلق الله قد أخرجكم من العدم لحكمة انتظام العالم وتكتير منافعه فاكتسبوا ما تصيرون به اخوانا في المودة وقد أمركم بما تقدم ذكره وأتم عباده ففكم أن طيعوه وتعاطوا أسباب ما تصيرون به اخوانا للتعايش على اقامة دينه واظهار شعائره وانتظام ملوكه وهذا ائمما يكون بائتلاف القلوب وتوطيء الكلمة كايفيده قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية ثم ان أخوة العبودية التي هي التساوي في الإنسانية عامه في حقوق أهل الملك بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الأخوة الإسلامية وهي اكتساب ما يصير به المسلمين اخوانا على الاطلاق من اداء حقوق بعضهم على بعض كرد السلام وابتداه وتعليم الاحكام « مطلب » تعليم ابناء الوطن الشرعية ونحو ذلك من شعب الاعيان فهذه هي التي أشار لها صلى الله عليه في مكارم الاخلاق بدون تفرقه ولا نظر وسلم بقوله المسلم اخو المسلم يعني أخوة دينية لأنها يجمعهما دين واحد وهي للاختلاف في أعظم من الأخوة الحقيقة وقد قال الله تعالى ائمما المؤمنون أخوة وفي الدين

الصحيحين مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وترابعهم مثل الجسد اذا
اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وروى أبو داود المؤمن
أخوه المؤمن يكفى عنه ضيقته ويحوطه من ورائه ورواية الترمذى ان
أحدكم مرآة أخيه فان رأى به أذى فليطمطه عنه أى يبعده عنه ولا مانع أن
يعمم في مكارم الأخلاق فجميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن من ما يجب
على أعضاء الوطن في حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلا
عن الأخوة الدينية فيجب ادب المتن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن
وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثروته لأن الغنى إنما
يحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المفاسد العمومية وهي تكون بين اهل
الوطن على السوية لانتفاعهم جميعاً بعزيمة النخوة الوطنية فتارتفع من بين
الجتمع التظلم والتباذل وكذب بعضهم على بعض والاحتفقار ثبت لهم المكارم
والمسائر ودخلت فيما بينهم السعادة بكسب شعائرها وما ترثها فلذلك بين عليه
الصلوة والسلام قوله المسلم أخوه المسلم بقوله لا يظلمه أى لا يدخل عليه ضررا
في نحو نفسه او دينه او عرضه أو ماله لأن ذلك قطيعة محمرة تنافي الأخوة

قال الإمام ابن حجر في شرحه على الأربعين النووية بل الظلم حرام حتى

للذى فللمسلم أولى انتهى وهذا يؤيد ما قلناه من ان اخوة الوطن لها حقوق
تسوية الذي « مطلب » لا سيما وانها يمكن ان تؤخذ من حقوق الجوار مما للجبار على جاره خصوصاً
بالمسلم في حرمة ظلمه

من يقول بأن أهل الحلة الواحدة كلامهم جيران وقوله صلى الله عليه وسلم
ولا يأخذله اي لا يترك نصرته المشرورة لا سيما مع الاحتياج والاضطرار اليها
وقوله ولا يكذبه اي لا يخبره باصر على خلاف الواقع لانه غش وخيانة قال
تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقد اجمع جميع المل

على قبجه وتحريه الامثلة قوية ضرورية ولا يحقره أى لا يستصغر شأنه
 ويضع قدره ولا يغدر به مده ولا يتقص امانته باستخاته
 وبالجملة فيعامل اخاه بعضون حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
 ما يحب لنفسه فلا احتقارنا شيء عن الكبر وهو مذموم لأن المتكبر ينظر لنفسه
 بعين الكمال ولغيره بعين النقص فيحقره ولا يراه أهلا لأن يقوم بحقوقه
 قال ابن حجر وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته للاختصاص به من كل
 وجه لأن الذي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بدفع نحو عدوه عنه
 والكذب عليه واحتقاره الامن حيث مغارة الدين ثم قال صلى الله عليه
 وسلم التقوى هنا ويشير إلى صدره ثلث مرات يعني ان التقوى هي اجتناب
 عذاب الله تعالى بفعل المأمورات وترك المحظورات في القلب الذي في الصدر
 قال تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وفي هذا اشارة
 الى ان العبرة بالقلوب كما يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام الا وان في الجسد
 مضفة اذا صحت صلاح الجسد كله اذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
 فهو المارف بالشرع والطريق والحقيقة اذا استقام القلب استقامت الجوارح
 لاسباباً كالسان فانه ينکف اذاء عن كل انسان وهنالك يستقيم اليمان فعلى
 الانسان ان يتمسك بالتقوى التي هي السبب الاقوى ويقف عند حد كلام
 النبوة ليتصف بالمروءة والفتوة فلا يظلم احدا ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله
 فقد قال صلى الله عليه وسلم ازلوا الناس منازلهم وقال ليس منا من لم يرحم
 صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرء من
 الشر ان يحقر اخاه المسلم يعني يكفي الانسان في ان تكون اخلاقه موضوعة
 بالشر وان يكون سوء المعاش والمعاد احتقار أخيه المسلم واحتقار من له

حرمة من الناس لأن الله عز وجل لم يحقر الإنسان اذا أحسن تقويم خلقه
 وسخر ما في السموات والارض كله لاجله فاحتقاره احتقار لما عظمته الله
 عز وجل وذكره قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم فازدواه من أعظم الذنوب
 والجرائم ثم قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله
 وعرضه يعني انه يحرم على المسلم سفك دم اخيه وسلب ماله وهتك عرضه
 وأدلة تحريم هذه الثلاثة شهيرة من الكتاب والسنة واجماع الامة وهي
 أصول قوام صورة الانسان لأن الدم به حياة الانسان ومادة الحياة هي
 المال وبالعرض الذي هو الحسب قوام الصورة المعنوية وما سوى هذه
 الأصول الثلاثة متفرع عنها وراجع اليها فهذا الحديث يحيث جميع الناس
 على مكارم الاخلاق وعلى التعاون في التعيش والمعاملة وأكثر الناس معاملة
 هم أهل الزراعة فان أرباب الأملال والاراضي يحتاجون الى التعاون في
 زراعة أرضهم بأكثر الصنائع وقد قال صلى الله عليه وسلم استعينوا على
 كل صنعة بصالحي أهلها وكذلك أهالي الصناعات يحتاجون لارباب الاملاك
 الارضية للتعيش من محصول اراضيهم فيجب عليهم جميماً المناصحة لبعضهم احتياج الزراعة
 وتقوى الله في صنعتهم ثم ان العمل الذي عليه مدار الفلاحة كان الفلاحة
لا كثرة الصناع وبالعكس
 عليها مدار غيرها من الصناع ينقسم الى قسمين منتج وغير منتج وهذا هو
 موضوع الفصل الثالث من هذا الباب

الفصل الثالث

(في تقسيم الأعمال إلى متعلقة للأموال وغير متعلقة لها أي استقلالية وغير استقلالية)

من المعالم أن العمل والشغل متزادان على معنى واحد عند أهل الصناعة والعامل والشغل كذلك فما يقال في العمل والشغل يتصف به العامل والشغل ومن الحق أن الأفعال كلها لله سبحانه وتعالى وإنما أحوج عباده إلى تحصيل أسباب الحاجة المتكررة ليظهر للخلق أنه أراد استجلابها بوجه حلال وجعل الإنسان أكثر اصناف الحيوانات احتياجاً وجعل دونه في الاحتياج سائر اصناف الحيوانات حيث اقتضت الحكمة الالهية أن تكون غنية باصواتها وأوبارها واعمارها عن الملابس والدثار وغنية بالأرض والأوكار عن أن تختذل بنياناً وشركت الجميع في مادة الاحتياج إلى الغذاء لئلا يشتراكوا مع الالوهية فإذا أدعى بعضهم الربوبية لنفسه كفرعون أو لغيره كان احتياجه إلى تكرار الغذاء شاهداً على كذبه كما قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أى مضوا فهو يمضي مثلهم وليس بالله كما زعموا وأمه صديقة كما نأى كلان الطعام أى كغيرها من الحيوانات المشتركة معهما في ذلك ومن كان كذلك لا يكون آهلاً لاحتياجه إلى الطعام وإلى خروج مائشًا عنه من الفضلات فال فعل والتدبر إنما هو لله سبحانه وتعالى في تحصيل ما يحتاج إليه الآدمي وغيره من الغذاء والadam والفواكه والأشربة كما قال الله تعالى أنا صيّينا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقاً أى بالنبات فابتتنا فيها حباً أى كالحنطة والشعير وعنبًا وقضباً أى تبنى للعلف وزيتونا ونخلنا وحدائق أى بساتين غلبًا أى عظاماً لـكثرة أشجارها

وفاكهة اي ثمار اطيبة غير ما تقدم وأبا اي مرجى للدواب او يابس الفواكه
متاعا لكم ولا نعاءكم اي الابل والبقر والغنم فان الانواع المذكورة بعضها
طعام وبعضها عاف وابتدا تعالي بالمن بآيات الحب لانه أتفع المنبت ولأن
الإنسان اذا تأمل في آيات الحبة الصغيرة استدل بذلك على عظيم قدرة الله تعالى
لان الحبة ولو صغيرة جدا اذا دفت في الأرض وحصل لها نداوة انتفخت
ثم لا تنشق مع عموم الانتفاخ لها الا من أعلاها وأسفلها فيخرج من الأعلى
الجزء الصاعد المتبد وهو الساق ثم يتشعب منها أغصان كثيرة الى الجانبين
ثم يطلع الزهر غالبا ثم منه تصالح الثمرة وهي مشتملة على أجزاء غليظة
كالقشر ولطيفة كاللباب وفيه الدهن وأما الجزء الغائض من أسفل الحبة
فيتفرع منه عروق تغوص في الأرض الشديدة الصلابة مع غاية لطفها
ويوصل الله بها الأغذية من الطين الى الجزء الصاعد والاغصان ويزعها الله
في كل جزء من أجزاء الاغصان فاذا تفكـرـ الإنسان في هذا وأمثاله
ذهب غفلته وحدث القلب خشية كـاـيـدـتـ اللهـ عـنـدـ المـاءـ النـاءـ لـلـزـرعـ
وعلم ان الفعل لله حقيقة ولغيره مجازا

وقد قسم أرباب الادارات والتداير العمل الى قسمين لا ثالث لهما
منتج للمال وغير منتج له لأن العمل لا يخلو اما ان تزيد قيمة مورده بالربح
 فهو المنتج واما أن لا تنشأ عنه ثمرة تربح مالي تنسب اليه فهو غير المنتج
وهذا يرجع الى الاستغلال وعدهمه بالعمل وكما يقال للعمل منتج او غير
منتج يقال للعامل كذلك فالعامل صنفان مكتسبة ومرثقة ويقال للعمل أيضا
خدمة سواء كان جليلا او حقيما فبهذا المعنى يقال لمطلق العمل خدمة
وانما العرف يخص الخادم بالمعنى المشهور المتعارف والقرينة بحسب الحال

نجل على المعنى المراد ثم ان العامل في اوسية او دائرة العامل صناعية او زراعية تزيد بعمله قيمة البضائع المصنوعة التي هي مورد عمله فله مدخل عظيم في تربح صاحب المال فهذا العامل متوجه للكسب والاستغلال بخلاف عمل الخادم عند السيد فإنه ليس فيه في حد ذاته للسيد ربح ولا مكسب مالي ومن المعلوم ان كل من العامل والخادم يعيش من محل العمل او محل الخدمة لانا اذا نظرنا للحقيقة ونفس الامر نجد ان العامل المستأجر يأخذ من صاحب المصنع اجرة مقدمة على العمل ومع ذلك لا يتکلف على صاحب المصنع شيئاً فان اجرته في الغالب تنسى من الربح لزائد المتسبب عن عمله فهو يأخذ من ثمرة كده وعرق جبينه بخلاف ما يأخذ الخادم من سيده من الجامكية في مقابلة خدمته فلي sis ما يأخذ رب الفلاح او الصناعة قد يربح من عمل عماله وآثار مهارتهم شيئاً يصير به رئيس جماعته فلا حية او عريف فرقه صناعية فيتشغل به كثيراً من العمالة والشغالين في دائرة شغله ينبو ماله ويزيد عنده وتمكّل سعادته وكلما كثرت اتباعه في هذا الاخصوص كثرت ثروته وان السيد قد يكتثر من الخدم والخدم فيكون ذلك سبباً لتناقص ماله وانحطاط قدره وما ذاك الا أن الاول جميع من عنده من العمال يعملون عملاً ممتوجاً من بحاجة بخلاف الثاني فان عمل خدمه وحشمه غير ممتوج للعمال ومع ذلك فسيد الخدام يحكمهم بقدر استحقاقهم ونشاط خدمتهم وتأدية ما هو مطلوب منهم فهم آخذون لا معطون بخلاف عمال الا شغال الصناعية فأجرتهم تقدر على قدر مورد العمل والتحصل منه من الارباح والفوائد هذا اذا كان بالليونة و اذا كان بالقاولة والالتزام

والتعهد فان رئيس الصناعة يعطي المهام الجسيمة المترافقه الأجزاء والمواد بقدر معلوم للعمال في نظير الأجرة فإذا تخصصت على الزمن ربما تفرق عن المياومة بكثير فيربح المالك ربحا عظيما ويخسر العامل لانه معطى نوعا للشكير وآخذ لقليل وجميع هذه المصنوعات والمشغولات توضع في مخازنها الى وقت رواجها فتباع ويتحصل منها مقدار جسمية بحيث تكفي لتشغيل مشغولات قدر التشغيلات الأولية التي يعمت مشغولاتها عند رواجها يعني ان صاحب المال ربح جودة وسائل التشغيل وأدواته فقد توفر رأس ماله وما اكتسبه من عمل العمال وهلم جرا الى غير نهاية بخلاف خدمة الخادم لسيده فلا ثمر له ثمرة باقية وليس لها مورد ولا محصول ولا بضاعة تباع ولا تشرى بل خدمات الخادم اعراض تتفضى بالفراغ من عملها بدون بقاء اثر ولا قيمة فلا تعطي بعد انقضائها ربحا يكفى صرفه لمدة أخرى بقدرها عند العود لمنتها ولو كانت لزومية وعليها مدار العمل في الجمعية يعني في المملكة المتقدمة

خدمة المقددين للمناصب العالية والوظائف السامية في أي دولة من الدول وكذلك خدمة الخدم المعتادين لسادتهم في أي بلد كان لا تنبع ربحا ماليا ولا قيمة مثيرة للمخدم محسوسة يعني لا تنتج بنفسها استغلال الاموال لمن هي منسوبة له وهذا لا يقديح في حقها شيئا لأن خدمة أرباب المناصب في المالك عليها مدار العمل والارشاد بالتدبر والسعى في الاصلاح فانتاجها الحقيقي انتاج بالواسطة فهو انتاج الاتاج لا انتاج بالفعل وال مباشرة وكلامنا في انتاج رؤس الاموال والسميات دون انتاج الارشادي والا اذا نظرنا الى انتاج الادارة ومعونة الحكومات وجدنا صحة ما سلف نقله عن الخليفة

المأمون من قوله ان اسباب المكاسب أربعة وعدد منها الامارة وقال ان
 ما عدا ذلك فهو كل علينا والكل بفتح الكاف الحمل وقد قلنا ان مرجع
 استحصال الاموال لا يكون الا من الزراعة والصناعة والتجارة فهى محل
 الارباح والاراد واما غيرها فهو محل للمصارف لأننا بينما ان غير المنتج
 من الاعمال هو ما لا يبقى بعد انتصافه شيء من ثمرات العمل يروج ويكتفى
 لعمل آخر فوظائف جميع الحكم الملكية وضباط المسكرية البرية والبحرية
 وجميع الجنود كذلك وان كان عليها مدار حركة الانتاج بل هي القوة الباعثة
 له في الواقع ونفس الامر الا انها لا تسمى في عرف المنافع العمومية
 بالمنتجة للاموال بنفسها وبعملها وأن كانت لهم مرتبات سنوية جسيمة
 في نظير ما يوريا لهم فهذه المرتبات عائدة اليهم من اموال غيرهم ولو ان
 خدمتهم للحكومات في غاية الشرف والمنفعة ومن اشد اللزوم للاهالي
 فلا تنج ربحا يروج منه مقدار المستقبل يساوي الصرف على خدمتهم
 سنة يعني لا ترجح خدمتهم للحكومة مالا ناضا يعطى لهم في السنة المقبلة
 فبهذا المعنى يقال انهم غير منتجين يعني هم جهة مصرف لا جهة ايراد أولى
 ليسوا جهة ارباح ويتحقق بالمناصب الميرية المناصب القضائية والدينية والعمومية
 كعمال الاوقاف ونحوها فان الموظفين بهذه المناصب المفخمة غير منتجين
 بالمعنى السابق يعني مناصبهم لا يجلب ارباحا ولا مكاسب ومثل هؤلاء اهل
 الآداب كالشعراء والمنشئين ومن ذلك ارباب فنون الطرب والملاهي
 والمصارعين كأهل الموسيقى والمعزفون والمنشدين وما أشبه ذلك فجميع هذه
 الاعمال ليس لها قيمة مادية وكسب وتربيح كالاشغال المنتجة لذلك اذ لا
 ينتج شيئا يباع ويحصل منه لسنة أخرى مصاريف العمل الذي يعطى ربحا

وهم جراثان اشغالهم جيما واعمالهم اعراض تنتهي عقب فراغها لراغبها
 فلاب اللاعب والشاد المنشد والنغم المنغى وتوقع الموسيقى ضربه على
 حسب المقامات كلها اعراض تنتهي بانتهاء عملها لطلابها وليس متربحة واما
 عمل آلاتها وكتابتها وتأليفها فهو منتج أموالا واما هي في حد ذاتها فلتحفة
 بغير المنتج فجميع أرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب البطالة الذين لا عمل
 لهم كلام على حدسوى في كون مصارفه صادرة عن مخصوصات الأرض
 السنوية وعن عمليات الاهالي الصناعية فنفقهم على غيرهم مع شرف البعض
 كشرف الولاة والقضاء وآمناء الأديان والارتفاع بخدمة البعض الآخر
 كأرباب الطرب والملاهي وما اشتهر بهم ثم ان الحصول الزراعي او الصناعي
 ولو بلغ مبالغ في العظم والكثرة فهو محدود ومتناه ومقدر بالحساب فإذا
 أخذنا حساب السنة الماضية وعرفنا منه مقدار المنصرف في استحقاقات
 ومرتبات غير المنتجين من الاشخاص قل عددهم او كثرا وكذلك مرتباتهم
 وجعلنا الباقي على ذمة مصارف الاشخاص المنتجين فهذا القدر الباقي قليلا
 كان او كثيرا يكون هو مخصوص السنة المقبلة لانه هو الذي يباع ويصير
 دخوله في التشغيل للتربيح ومن هذا يتبيّن ان المتحصل من المزارع في
 السنة هو نتيجة العمل المنتج يعني ايراد المزارع في السنة بعد استنزال اجرة
 الارض اى ما عليها من المال وما يتبع ذلك من التقاوى وعلف المواشي
 واجرة المهام الآلية وغير ذلك فالصافي بعد هذا هو الربح وهو الذي
 يحصل منه لتشغيل السنة المقبلة ومنه تدفع اجرة الاجير المنتج ويقاس على
 ذلك دائرة الصناعة كالجريدة فان اغلب مخصوصاته في العادة هو في مقابلة
 راس المال والباقي يعد ارباحا بعد تنزيل المصارف فمن هذه الارباح التي

هي ثمرة العمل المتوج تدفع اجرة ذلك العمل
 وهذه الارباح أيضا معددة لتكوين الايراد الذي يخرج منه أرزاق
 الاشخاص المنتجين وغير المنتجين يعني جميع أهالي البلدة مكتسبة
 ومرتقة فدار مؤنة الاهالي جميعهم على الاعمال المنتجة يعني موارد الاموال
 فكل انسان أخرج من ماله شيئاً وجعله رأس مال في زراعة أو تجارة
 فلا يكون غرضه منه الا تربح هذا المال فلا يصرف منه الا لاعمال المنتجين
 الذين يتضمنون هذا المال بعملهم فإذا صرف رأس المال على العمل أنتجه مما صرفه
 جزءاً بوصف الربح يعود على العمال في نظير أجورتهم فربح الشغاله إنما هو
 ناتج من عين عملهم لا من رأس المال المالك فإذا أراد المالك أن يستخدم
 خدمه لعمل غير متوجه يجعل لهم مرتبًا فصرف هذا المرتب خارج من أصل
 ماله فيدخل في الحساب ضمن المال المبقي لنفقته فليس ما ينفق على الخدم من
 ربح عملهم كأرباب العمل المنتجين فأرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب
 البطالة يتعيشون جميعاً من ايراد واحد له موردان الاول محصول الربح
 السنوي الوارد لصاحبها في مقابلة مال أرضه أو ربح ماله والثاني المال
 الذي يخص العامل في نظير عمله بقصد التعيش به الذي هو عبارة عن رأس
 مال العمل

فإذا وصل هذا القدر من رئيس الدائرة الصناعية او الزراعية الى العامل فإنه
 يتعيش منه لنفسه فإذا زاد عن مؤنته فلامانع ان يتعيش منه ناس آخر منتجون
 او غير منتجين كما اذا كان العمال ارباب أهمية في العمل ولهم أهمية وشرف
 ورياسة في صنائعهم فأن مرتباتهم من دوائر العمل تكون جسيمة
 فيمقتضي الاحوال المسعدة لهم يستخدمون من الخدم والخدم من يليق

بهم تقليداً لـأرباب الاملاك واغنياء التجار فيتعيش في جانبهم اناس كا
تعيشوا في جانب غيرهم فقد عادت منهم المنفعة على غيرهم كما عادت عليهم من
منفعة اعمالهم في خدمة غيرهم وهؤلاء الاشخاص اصحاب النعمة الجديدة
قد تعود المنافع منهم على انس آخر كارباب حرف الافراح والاتراح والمستحقين
للاعانات فيتعيش منهم طوائف كثيرة من ارباب الاعمال غير المنتجيه وكذلك
هؤلاء العملة المنتجون تنتفع منهم الحكومة بدفع الوائد التي هي في الغالب
يتحصل منها جزء عظيم يساعد على احتياجات الحكومة لصيانة البلاد والعباد
ومع ان ارباب الدولة متقلدون باشرف الاعمال الملكية وهم أصحاب الامر
والنهي والنفوذ فعمليتهم كما قلنا ولو انها مهمه وأوليه غير مالية لا يباع منفوعها
ولا يشرى واما هو قطب رحي عموم الانتاج

وقد اسلفنا ان العمال المنتجين يأخذون عملهم من جزء الارباح المعتبر رأس
مال بتعيشهم وان العمال غير المنتجين يأخذون مرتباتهم من الارباح الزائدة
عن العمليات التشغيلية ونقول هنا ان هذه الارباح التي يتعيش منها صاحب
المال والعمال غير المنتجين لا يمسها أحد منهم الا بعد جعلها في حركة
التدويرات التامة لانتاجها وتربيحها يعني انها لا بد من ترويجها وتشغيلها على
الطريقة السابقة في السنيين السابقة لتكون مضمونة فهذا ينبغي ان تكون اجرة
العامل مستحصلة عليها بال تمام في مقابلة عمله وان يكون استحقاقها بجمعها بعد
العمل ولا يتصرف في ادنى شيء منها بعمل غير منتج حتى لا تضيع هباء منتشر
فإذا صرف حيئته منها شيئاً لا يكون الا يسرير المقتضيات الاحوال الضرورية
أجرة عمله عقب توفيته للعمل

« مطلب »
وفاء الأجير

بل ينبغي ان لا يصرف الاما مدرره ووفره من ازمنة سابقة لاسينا ان كان مادرره
له اراد وتربيح فإنه يكفيه لمصارفه وطريقة الوفر عند ارباب الاعمال

والصناعات المنتجة سهلة جداً لواظيفتهم غالباً على ذلك ولذلك تجد في تعاديل فردة الرؤس والعوائد أن عوائد كل واحد منهم بقدر ميسره و على حسب كميات وفره واقتصاده

« مطلب »
تعديل العوائد
على قدر الميسرة موردان اصليان يعيشون منها ارباب الاعمال غير المنتجة وان الوفر والتدبر يليق ويتأتى كل منها لاهل الفلاحة والتجارة وان طائفة الزراعين والتجار ينكمهم على حد سواء تعيش العمال المنتجين وغير المنتجين بل تعيش غير المنتجين من ربح اهل الزراعة والصناعة أكثر لجسامته ما يعود على الحكومة منهم وهو ايضاً أحق وأولى لعموم منفعته وتنقله من أيادي أهل الحكومة الى حاجة أناس كثيرين فان مرتبات الامير مثلاً يعيشون منها غالباً أناس كثيرون من العلماء والصلحاء والفقراء والخدم والحسن وفقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه فلن لم تحمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعواها نزعها منهم وحولها الى غيرهم ومن الامراء جم غير يتعلّق الناس بأذيالهم ويعيشون من فضول اموالهم كثير من ارباب البطالة والفراغ أكثر من يعيشون من ارباب الفلاحة لأن ارباب الفلاحة لا يعيشون منهم غالباً الا العمال ارباب الصناعة المنتجة ومع ان العادة تقضي بأن أغنياء التجار يستعملون رؤس « مطلب »
التعيش من اموالهم ليعيشون منها أناس كثيرون من ارباب الاعمال الشاقة كالاسفار ونحوها فهم في ذلك كالارباب الارباد يحصلون عن الربح والفائدة الا ان اربابهم يعيشون منها عادة كثير من الخدم والحسن وأرباب الحرف

غير المستجدة فهم من هذا الوجه كالامراء يعيش في جانبهم خلق كثير بدون تربیح للمنصرف من أرباحهم فقد حازوا فضليات الفلاحين والامراء وهذا كله اذا اعتبرنا أن الامراء واصحاب المناصب الملكية وغيرها لا يتشبثون بالزراعة والتجارة والا كثراً في البلاد الزراعية او التجارية باسوة كبار الاهالي فلهم الدوائر العظيمة الرائحة والأملاك الاستغلالية فهم بهذا المعنى داخلون في عصابة أهل الفلاحة والتجارة ومتعيش في دوائرهم كثير من الناس يعني من العمال المستحبين وغير المستحبين وأيضاً ما يرد لهؤلاء من المرتبات المنصرفة من طرف الاعمال المستجدة يصرفون أكثر منه على الوظائف غير المستجدة في نظير عوائد أملاكهم فيرد اليهم من الخزائن الملكية مقدار مالية على قدر استعدادهم وأهمية مناصبهم ويصدر منهم أيضاً الى تلك الخزائن مبالغ كثيرة أو قليلة على قدر أراضيهم وما عليها من العوائد

وبالجملة فالكلام على الانتاج وعدمه ومصادر الأموال ومواردها اذما هو بالنظر للحيثيات فقد يجتمع في الامير مثلاً أن يكون أيضاً له زيادة عن مزية امارته مزية الزراعة والتجارة لرأس مال ايراده فيكون جاماً للمنافع العمومية ويكون منتجاً من جهة وغير منتج من أخرى والله يرزق من يشاء

بغير حساب

ثم ان الاعمال بنوعها مبتكرة وغير منتجة مبدودة مطلقاً لما فيها من السعي كما ان البطالة مذمومة عند جميع الامم شرعاً وعقلاً فلنذكر ما قيل في مدح العمل وذم البطالة في الفصل الرابع من هذا الباب

الفصل الرابع

(في مدح السعي والعمل وذم البطالة والكسل)

قد اسلفنا ان الاعمال هي اسباب السعادة والثروة ومنبع الاموال
وللغي فالارض الزراعية اغما هي مورد الاعمال مساعد وان الارض المخصبة
بدون العمل لا تنتج شيئاً والارض الجدبية بكثرة العمل تتحصّب وتنتج
النتائج الجمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وفي
التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق وقد كان الانبياء والسلف الصالحة
يعيشون من كسب أيديهم ويختروفون فقد قال الله تعالى في حق داود عليه
السلام وعلمه صنعة لبوس لكم أي عمل الدروع من الحديد فقد علمه الله
تعالى صنعة الحديد فصار يحكم منها الدروع فاستعان بها على أمره واستعمل
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتجارة بالشام للسيدة خديجة رضي الله عنها
وبعد النبوة كانت حرفته صلى الله عليه وسلم الجهاد فقد قال صلى الله عليه وسلم
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال ان الله يحب العبد المحترف ويبغض الصحيح
الفارغ وقال صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا
له والكال في طلب الحلال الذي يتعب نفسه في العمل لكتسيه وقال عمر رضي
الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول لهم ارزقني فقد علم ان
السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وقال رضي الله عنه اني لأرى الرجل فيعجبني
فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني

وكان ابراهيم بن ادم على ورعيه يسعى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ
البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويؤدى الفرائض بالنهار ويصلى النوافل

بالليل وكان أغلب الملوك والسلطانين على قدم الأنباء والاصفباء يختذلون لحم
 صنائع يكتسبون بها وينتفعون منها توخيلا للاتفاق من الحلال وتنزها عن
 الاخذ من بيت المال وقال سعيد بن المسيب رحمة الله لا خير فيمن لا
 يجمع المال من حله يخرج منه حقه ويصون به عرضه قال الشاعر
 ولا تجمع الأموال إلا بذاتها كلام ايساق الدرالا الى النحر
 وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله عزوجل ويزدكم قوة أي
 مالا الى مالكم فلامجد الامال والآمال متعلقه بالأموال قال الشاعر
 كل النساء اذا ناديت يخذلن الا ندائى اذا ناديت يا مالي
 والمال أصل السود والرياسة اذبه تستجتمع اسبابها وقد انقاد الناس قدما
 وحديثا للغنى لأن القلوب لا تستمال الا بالمال قال ابن المعز
 اذا كنت ذات رواة من غنى فأنت المسود في العالم
 وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم
 ولما وصل المعز بن تميم بن سعد بن منصور العبيدي إلى الديار المصرية
 بعد ما وصل غلام القائد جوهر وملك مصر واختط القاهرة وكان العبيديون
 ينسبون إلى فاطمة رضي الله تعالى عنها خرج الناس إلى لقاءه واجتمع به الأشراف
 فقال له من بينهم محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوى إلى من ينسب مولانا فقال
 لهم سنعقد لكم مجلسا ونسرد لكم نسبنا فلما استقر في قصره جمع الناس في مجلس
 عام ونشر عليهم الدنانير والدرارم حتى عمهم وقال هذا حسي ثم سل نصف سيفه
 وقال وهذا نسيي فقالوا جميعا سمعنا واطعنا
 اذا كنت في حاجة مرسلا وأنت بها هائم مفترم
 فأرسل حكما ولا توصه وذاك الحكم هو الدرهم

وقال آخر

ذا كرته عهد الوصال فقال لي
كم ذا تطيل من الكلام المؤلم
لما رأى الدينار أنسد قائلاً
ain المفر من القضاء المبرم
وقيل درهمك وسيفك فازرع بهذا فيمن شكرك واحصد بهذا
فيمن كفرك قال الشاعر

لم أر شيئاً صادقاً نفعه
للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته
والسيف يحميه من الحيف

وقال آخر

ذرني للغنى أسعى فاني
رأيت الناس شرم الفقر
وأن أمسى لهم حسب وخير
يابعده الخليل وترديه
ومن بلغ الغنى ولهم جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم
ولكن الغنى رب غفير
قال ميمون بن مهران ان فينا اقواماً يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا
أرزاقنا فقال هؤلاء حمقى ان كان لهم يقين مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن
فليفعلوا

لقد هاج الفراع عليك شغلاً
واسباب البلاء من الفراع
وسائل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ما تقول في رجل قعد في بيته
او مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي قال هذا رجل جهل العلم
اما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم جعل رزق تحت ظل رمحى يعني الغائم
زوح ونجد ل حاجتنا وحاجة من عاش لاتنقضي

وقيل غبار العمل خير من زعفران البطالة قال الشاعر

قصر الناس بي ولو كنت ذاما
ل جابت الجميع بالمال حولي
ولقالوا أنت الكريم علينا
وتخطوا الى هواي وميل
ولسلكت المعروف كيلا مليانا
يعجز الناس أن يكيلوا ككيلي
وقال غيره

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة
ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه مجنة ومهابة
والفقير فيه مذلة وفضوح
(غيره)

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرًا من الفقر
ولم أر زين المال الا امتهانه
ومنفده في أوجه الحمد والأجر
وكأن أبو بكر رضى الله تعالى عنه اذا خرج في تجارةه أخذ بضائع
لضعفاء قريش فيبيعها لهم ويشتري ولا يكلفهم شيئاً

ليس التقى بحق لا لهـ حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجني ويكسب أهله ويحيط من لفظ الحديث كلامه
وبحسب ترك العمل ذما أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاد من الكسل
(وقال) على رضى الله عنه خلق التوانى والكسل فزوجوها ففتح من بينها
النفاقة (وقال) رضى الله عنه الحركة ولود والسكن عافر ولا ينشأ عن البطالة
الا المفسدة فعل المرأة أن تشغل النفس التي هي عين فارغة بما يصلاحه والا
شغلته بما يفسده ولذلك قيل الحركة بركة والتوانى هلاكا وكاب طائف خير من
اسد رابض ومن لم يحترف لم يعتن ومن شمر طالبا جاء الى بيته جالبا قال الشاعر
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقه سكون

اذا درت نيافك فاحتباها فا تدري الفضيل ان يكون
 اذا ملكت يداك فلا تقصرا فان الدهر عاده يخون
 وبالمجملة فالاميل مغناطيس العمل وخير الامل انتظار الحمد والشكر
 وحب الفخار ودوام الذكر ولو لا ذلك لما كان اجتهاد ولا استنباط ولا
 كسب ارتفاع غب الانحطاط ولا اختراع محتروع ولا ابتداع مبتدع فهل
 يحسن بالعاقل ان يعمل فكره الا فيما يخلد ذكره
 نافث على الخيرات أهل العلا فاما الدنيا احاديث
 فقد تولع العقلاء على اختلافهم بامعان الانظار واعمال الافكار في امور
 يظهر للعامة أنها حقيقة وهي عند اذكاء اخلاقها خطيرة
 اذا لم يكن الا الأسنة مر Kirby فلا رأى لامضطر الارکوبها
 فمن اخترع حكمه بذاته وفكرة كانت سببا لبقاء ذكره ومن هذا
 القبيل ازد شير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الأخيرة فإنه أول من
 وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر وأن الانسان ليس له تصرف في
 نفسه لا يملك لها ضرا ولا نفعا بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر
 معرض للنفع والضرر ووضعيها على مثال الدنيا وأهلها ورتب الرقة ائن
 عشر بيته بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثة قطعة بعدد أيام كل شهر
 والدرج التي تكون لكل برج وجعلها مثلا للحظ الذي يناله العاجز بما يجري
 له الفلك والحرمان الذي يتلي به الحازم بما جرى به عليه الفلك وتوصل الى
 ا يصل تلك العقول بفصين أثر لها منزلة الليل والنهر وجعل لكل فص ستة
 أوجه كجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويعين وشمال يشير الى
 ان الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير ولا الشر وأشار في تقلبها الى تقلب

« مطلب »
اول من
وضع النرد

القدر بالانسان فيكون مشروفا ثم يصير شرينا ويكون فقيرا ثم يصير غنيا
وبالعكس الى مالا نهاية له من التقلبات

الناس مثل زمانهم حذو المثال على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحاله

ولما افتخر الفرس بوضع النرد وكان ملك الهند يومئذ بهيث وضع له مطاب
الشطرنج أول من وضع الحكيم المسمى صصـة الشطرنج وجعلها مثلا على ان لا قدر وان الانسان قادر بسعيه واجتهاده ان يبلغ المراتب العلية فان هو أهلها أصاره الجمـول الى الحضـض وما جعله دليلا على ذلك ان اليقـ يـال بـحر كـته وسعـيه مـنزلـة الفـزان فـالـرـيـاسـة وـجـعـلـهـاـ مـصـورـةـ تـمـائـيلـ عـلـىـ صـورـةـ النـاطـقـ وـالـصـامـتـ وـجـعـلـهـاـ درـجـاتـ وـمـرـاتـبـ وـمـثـلـ الشـاهـ بـالـدـبـ الرـئـيـسـ وـكـذـلـكـ ماـ يـلـيـهـاـ مـنـ القـطـعـ وـبـينـ لـاهـلـ فـارـسـ مـاـ خـفـيـ عـنـهـمـ مـنـ مـكـاـيدـ الـحـربـ وـكـيـفـيـةـ ظـفـرـ الـفـالـبـ وـخـذـلـانـ المـعـلـوبـ فـظـهـرـ لـلـمـلـكـ مـكـنـونـ سـرـهـاـ فـقـالـ لـهـ اـقـتـرـحـ مـاـ تـشـهـيـ فـقـالـ اـشـتـهـيـ انـ تـنـعـ حـبـةـ بـرـ فـيـ الـبـيـتـ الـاـوـلـ وـاـنـتـيـنـ فـيـ الـبـيـتـ الـثـانـيـ وـلـاـ تـزـالـ تـضـعـفـهـاـ إـلـىـ آخرـ الـبـيـوتـ وـمـاـ بـلـغـ تعـطـيـنـ اـيـاهـ فـاسـتـحـفـ المـلـكـ عـقـلـهـ وـاسـتـقـلـ طـلـبـهـ وـقـالـ كـنـتـ اـظـنـ رـجـاحـةـ عـقـلـكـ وـاـنـكـ تـطـلـبـ شـيـأـ نـفـيـساـ فـقـالـ اـيـاهـ المـلـكـ اـنـكـ لـاـ صـرـفـتـيـ اـلـىـ التـنـيـ لـمـ يـخـطـرـ بـالـيـ غـيرـذـلـكـ وـلـاـ سـبـيلـ اـلـىـ الرـجـوعـ عـنـهـ فـأـنـعـمـ لـهـ المـلـكـ بـعـاـ سـأـلـ وـأـرـ الـحـسـابـ أـنـ يـحـسـبـوـ ذـلـكـ فـلـمـ يـجـدـوـ مـاـ يـنـيـفـ لـلـحـكـيمـ بـعـادـهـ وـقـدـ اـحـصـيـ ماـ طـلـبـهـ فـوـجـدـوـ الـوـفـ مـكـرـراـ تـكـرـيـرـاـ جـسـيـمـاـ لـاـ تـنـيـ بـهـ اـشـوـانـ المـلـكـ فـاـخـتـرـاعـ الشـطـرـنجـ حـكـمةـ جـلـيلـةـ تـحـلـلتـ فـيـ جـمـيـعـ الـمـلـدـانـ وـقـامـتـ عـلـىـ شـدـدـةـ ذـكـاءـ مـبـتـدـعـهـ الـبـرـهـانـ وـأـجـلـ مـنـ هـذـاـ مـسـتـخـرـجـ لـلـشـطـرـنجـ مـنـ اـسـتـخـرـجـ فـنـ الـطـبـ وـدـونـهـ وـهـوـ الـحـكـيمـ اـسـقـابـيـنـوـسـ بـاءـ مـوـحـدـةـ تـحـتـيـةـ بـعـدـ الـلـامـ خـلـافـاـ لـمـ جـعـلـهـ بـالـنـونـ وـهـوـ

من أهل اليونان وبعدهم يقول إن المستخرج للطب أهل مصر وإن المستخرج له هرمس المستخرج لسائر الصنائع وقيل المستخرج له المصريون غير هرمس بالهام من الله تعالى جماعة ثم ازداد الأمر في ذلك بكثرة التجارب وقوى وصار عملاً واسعاً واحتاج القائلون بذلك بآراء كثيرة كانت بتصر و كانت شديدة الحزن والهم مبتلة بالغيط والنكد ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوءاً أخلاطاً ردية وكان حيضها محتبساً فاتتفق أنها أكلت عشب امرأة أكثيرة بشهوة منها لفذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت إلى صحتها وجميع من كان به شيء مثل ما كان بها واستعمله بريء به فاستعمل الناس التجربة على سائر الأشياء فالذى جمع هذه التجارب ودونها يعصر هو الواقع له سواء كان هرمس أو غيره ولا مانع أن يكون لهذا العلم مما تعدد وأضعه بلاد الدنيا حيث أن التجربة قد تعددت فيه وإن أقوى التجارب وأكثرها تجربة اسقلينوس وتلقاها عنه الحكماء الذين جاءوا بعده في الزمان فعدوا أيضاً من الواقعين له وقال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى خلق صناعة الطب والهمها الناس واحتاج أهل هكذا القول بأنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجلي لآن يدركه عقل الإنسان فالواضع الله الذي خلق الداء والدواء وهذا القول أيضاً يرجع إلى الوحي والإلهام وينبغي أن يكون الطب النبوى من ذلك باتفاق لصدق آياته وما ينطوي عن الموى وبالجملة فوضع الطب عظيم وتدوينه جسم وفضل التأليف فيه عظيم ولا يستكشف شيئاً من منافعه إلا ذوب سليم

ومن فروعه الفرع الذى حفظ اطفال النوع البشرى من الآفات والمهلك
وهو فن تلقيح الجدرى بالمادة البقرية حيث انتشر فى المساںك والممالك وفضل
استكشافه لـ كماء الأفرنجية المتأخرین وان كان معلوما قبل ذلك لبعض قرى

مصر وقري السودان وعند الهنديين ولهم فيه طريقة يعملونها بالخيط
والابرة بتلوين الخيط في ثرات اثناء البقرة ويمرزونها بين الجلد واللحم
من كتف الطفل ويبيق الخيط في الاكتاف وهي من اعظم الالطاف

فالوضع الاولى في سائر العلوم هو تصور قواعد أولية ابتكارية لازالت
تأخذ في الزيادة والاستكمال ويتفرع منها فروع تتسع على مدى الايام والليال
فيكون للعلم بهذا المعنى عدة من الواضعين وجملة من الافضل الموسعين
كلام على رضي الله تعالى عنه فانه قيد الاسننة بعلم النحو حيث أملأ على أبي
الاسود الدئلي اقسام الكلام وقال له تبعه وزد فيه ما وقع لك مما يلام
المقام لتمحوا بذلك من اللحن ما خاطط اللسان العربي مما كاد يفسده من
رطانة الاعمام فوضع أبو الاسود الدئلي قواعد النحو التي فهمها ثم جاء
بعد أبي الاسود سيبويه فوضع كتابه الذي كل من جاء بعده منه يقترب
وبتقديره عليه يعترف وإذا أطلق في عرف النحو لفظ الكتاب فاللهم ينصرف
ووضع الخليل بن أحمد علم العروض وجعل له ميزانا للشعر وصاغ له من
التفاعليل أجزاء ثمانية صيرها لوزنه كالمثاقيل وهذا هي أنوار تلك العلوم
النافعه على جميع آفاق الدنيا ساطعة وهي ثرات الأعمال الصادرة عن
الابدال

ومن الحكم من طلب جلب ومن جال نال ومن جسر أيسر ومن
هاب خاب فقد فاز بالدر غائبه وحاز للصيد قانصه والجراء من اسباب
الظفر وغلبة الاقران والشجاع يعرف بالاقدام ولو على الضرغام وبضده
الحبات والتوانى الكسلان لاسيما الشاب القليل الحيلة واللازم للحليلة
وملقطهم بالرذيلة والراضي بالحشف وسوء الكيله فمن دام كسله خاب امله

ويقال الخيبة نتيجة مقدمتين الكسل والفشل وثمرة شجرتين الضجر والممل
 ويقال ان الحرمان شعاره الكسل ودثاره التسويف والعلل قال بعضهم
 لا تصح الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
 عدوى البليد الى الجايد سريعة والاجر يوضع في الرماد فيخمد
 وقال بعضهم في الرد على من قال الكسل أحل من العسل
 ليس البطالة والكسل يالجايدين لك العسل
 فاعمل فان الله قد حث المطيع على العمل
 وفي كتب الادارة آخر طبقات الرعية طبقة البطلة الغوغاء وهم
 مما ينبغي أن لا يرحمهم الملك لأنهم يغلوون الطعام ويضيقون الطرق
 لاسيما ان كانوا من الفسقة فهم أظلم الناس يا كلون رزق الله ولا يعملون
 لله فلا يصلحون للدنيا ولا للآخرة وكل أحدسو اهم يعمل لنفسه وهم لا ينظرون
 لأنفسهم ولا يعملون لدنياه ولا عقباهم مثل هؤلاء يسوغ للملك ان يخرجهم
 من البلد ان رأى المصلحة في ذلك او يجعلهم مستعدين لنائبه او حادثة يعملون
 فيها بخلاف طبقة العمال المحترفين فعل الملك ان يشوقهم بالعطايا وشمول
 النظر والمساحة حتى يتسابقو الى الحرف البلدية كما أنه ينبغي للملك ان يتلطف
 باصحاب العاهات كالعيان والمحذومين فان منادي الشرع يقول اذا رأيت
 اهل البلايا فاسئلوا الله العافية فيجري عليهم قدر كفاياتهم ويعين لهم موضعا

على طرف البلدة لمصلحة الجميع

وقدماء المصريين من الأزمان الخالية والقرون البالية يعانون الأعمال
 العجيبة ويجهدون في أجزاء الاشتغال الغريبة كالاهرام والمسلات العظيمة
 والتصاوير والتماثيل العجيبة الجسيمة فهذا كانوا ينفرون من القبور والكسل

كمال النفور ويشخصون الكسل ويجعلونه على صورة بشعة توضع في
 مواجهة قدماء مواطنة العامل مصر على العمل
 اليادين العامة لتكون عبرة لأهل المرور والعبور فيصوروون الكسان
 ونفورهم من بهيمة شخص مقم اقعا الکلاب عليه هيئة الحزن والاكتئاب مطأطئا الرأس
 البطالة والکسل وتصورهم الى الارض، مجمع اليدين بعضها مع بعض وبجانبه قضبان مكسورة تفيدهجره
 شخص الكسل بصور مختلفة للاشغال ونفوره وتارة يصوروه على صورة امرأة مطلقة الساعدين شعثاء
 مستنشقة غراء ذات أطمار رثة مسطوحة على الارض متوسدة أحد ذراعيها وبيد
 الزراع الآخر من كتاب مملوء من الرمل ومقلوب تستدل به على ماضى من
 النهار من الساعات وال دقائق ولما عند المصريين رسم آخر فيها غير من الزمان
 وهى رسم الكسل على هيئة امرأة عليها عالمة البطء والتوان كأنها تروم أن
 تختفى سيرها المقوت وتجرب ثوبا من نسج العنكبوت متكة على أريكة
 المجاعة والخمضة تضي جميع أوقاتها في الدعة والاستراحة المقتنصة في عنفوان
 شبابها وأخضرار وغض عود اهابها لا تميل الى حركة ولا تعطف على بركة
 وفي زمن الكهولة والهرم ترقد على فراش العدم والنندم يشيرون بذلك الى
 ان الكسان لعجزه دائما حزين اذا لم يفعل شيئاً لمعاشه ويزيد
 حزنه وأسفه اذا احتاج الى تحصيل شيء لم يقدر على تحصيله ويقال
 مزرعة الكسان كثيرة الشوك والسعاد تزدحم عليها الحشائش
 الطفيلية والأعشاب القضوية فلا تتحصل له منها ما يفي بالقوت
 فيسطو على جيرانه ليكون كلا عليهم أو يتصرف بوصف لص مقوت

قال بعضهم

يانفس ذوقى لذة العمل وواظبي العدل والاحسان في مهل
 فكل ذي عمل بالخير مغبظ وفي بلاء وشوم كل ذي کسل

وقال آخر

دعى نفسي التكاسل والتوانى
فلم أر للكسل الماظ يجني
والا فالبسي ثوب الهوان
ثاراً غير حرمان الأمانى

وقیل

وكم حياء وكم عجز وكم ندم جم تولد للانسان من كسل
وما ألطف ما قيل في الاثارة لمن يؤثر الغناء المدود على الغنى

المقصور

قال لي الالاحي أما حان أئ - ترك لوما متعبا قلت حان

قال فهل قلبك حان على من بت مشغوفا به قلت حان

قال فقل لي ما الذي تشمئzi حان غناء أو غنى قلت حان

مِمَّا فِيهِ مِنْ مُحْسِنَاتِ الْجَنَّاسِ التَّامِ وَالْمَرْاجِعَةُ فَصَفَةُ السَّكُنِيَّةِ مُثْلِيةٌ

خيشة بل هي أم الخبائث فهي تحمل صاحبها على عدم اعمال الفكر والبدن

وبعض الفضلاء يزدريء أرباب الرياسات الباطلة والمرات العاطلة التي

يشرّبها أهلهما ليصلوا بها إلى درجات العظمة والسبّباء ليستروا بها كسلهم

حتى لا يتبين للناس أنهم أرباب بطاله والأفضل يعدون ذلك من النذالة

والسفالة فإن فضل الكساندريون يدفن معه بدون أن تعود منه على نفسه أو غيره

أدنى من ذلك

وقد أشار الى الشغف والبطالة الحكم لفتنته الفرنساوي في حكاية على

لسان المحاولات حلها مكالمة بين الصرار والملمة وترجمها بعض الأفندية

فقال

« مطلب
تمثيل المشتغل
والكسلان
بصارار وعملة

حكاية موضوعها صرار
 وكان قضى الصيف في الغناة
 وحيث جاء زمن الثلوج
 شاهد بيته بلا مؤنة
 وقال للنملة انت جارني
 هل تصنعين معي المعروفة
 وتقرضيني صواعا غله
 فان أتي الصيف فقبل الصبح
 قالت له النملة وهي تجري
 ماذا فعلت في حصيد قدمي
 قالت وما ادخرت فيه للشتاء
 كنت أغنى لاحمير القمح
 وأعلم بان السعي في الذخيرة
 والدرهم الأبيض وهو في يدي
 ومع ميل طباع عامة الناس الى التكاسل والفتور فقد تجبر الاحوال
 والأوقات العصرية على حركة العمل حتى تصير طبيعية وينتج عنها تقدم الجماعات
 فن هذا لا تأس ملة الملل ولا دولة من الدول من ان تأخذ حظها من براعة
 العمل لاسبابا اذا كان لها فيه ساقطة نصيب وافر كبار مصر التي سبقت جميع
 الامم بالسائر الغربية وكباقي الدول الاسلامية التي جددت فيما سلف انواع
 المعارف البشرية والمنافع المعمومية والتقدمات المدنية ومن آثارها استنارة راجاء
 جميع ممالك الدنيا ثم تنقلت من اياها الى غيرها وتكامت المزايا في ذلك الغير

حتى اراد الله سبحانه وتمى ان انوار المعارف الفرعية انتشرت في هذا المصر على آفاق اصولها باجتهاد المجهدين واهتداء المبتدئين واقناع المقتدين والحصول على ما عجز عنه سائر السلف المتقدمين كما يوضح عن ذلك ماسطره بعض اهل الانسا حيث بين اسباب ذلك فيما طرزاً ووشى اذ قال ان عصرنا هذا نشاهد فيه للناس بالتدريج آثاراً عجيبة وهذا دليل على ان التأثيرات الطبيعية في قبضة التصرفات الانسانية لأن الطبيعة هي الحاكمة للانسان بل المذلة اليه ومن هذا يظهر ان هذا العصر مبدأ للتقديرات التي تكون في المستقبل فاستعمال القوة البخارية برا وبحرا سهلت الـأسفار والسياحات وفوائد سرعة المخارات التلغرافية غنية عن البيان اذ تلك القوة كان الانسان قادر على تخفيض اشغاله الخاصة به والاستحصل على اجتماع الافكار ومبادلة الحصولات وذلك كرأس مال يترقى شيئاً فشيئاً ويم اطراف الدنيا حتى انه في مدة يسيرة تلتزم الجميات البشرية وتزول الاختلافات الكافية ويسلاك بعض الناس مع بعض بكمال الوفاق على وفق ما يقتضيه الاخوة المواقف للعقل والحكمة المرضي لرب العزة ونأخذ في العمران الارضي اخالية وتصير معادن للخيرات ونهاب للثروات وقد بلغنا ان السياح الانكليزى (سيرسامويل بيكر) الشهير بالسياحة في القطعة الافريقية عين مأموراً للكشف على اقطارها المجهولة والوقوف على حالها وبمعيته من يلزم ليتوجهوا من طريق النيل ويرشدوا من فيها بالارشادات الالازمة ثم المقرب للمسافات في هذا الاواني ثلات الاول قنال السويس الشرف على تمام الفاصل بين قطعى آسيا وافريقيا فانما بذلك تصلان وتسهل تجارةهما وتجارة اوربا بعد ما كان يحيى في ذلك الطواف من رأس العشم ففتح القنال ينقض مسافة البحر

الابيض نحو الثنين ولقرب قطعة آسيامه عن غيرها من المالك الاورباوية
تزيد حصتها في الفوائد عما سواها لاريب اذا انها أحدثت طريق حديد الى
اوربا كان ببابا عظيما للتجارة ورورة الخزينة ووقع ذلك عند العالم الموقع فيلزم
المبادرة الى انشاء ذلك على الوجه المساعد لنا فان منفعة هذ تزيد عن العادة
ويجتمع منها رأس مال وتسارع الناس في الاستحصل على الرخصة من الحكومة
فيتعد لا ينبعي التأخر عن هذا واما اللازم التأمينات الكافية لاجل منافع
سكان المملكة والاسراع بباشرة العمل

الثاني قنال (هو ندوراس وهو فتح بربخ بناما) المتوسط بين قطعى
أمريقا الجنوبيه والشمالية الذى أصله شق صغير شكله لفتحه قومبانية كبيرة
فانه بواسطته تسير قطعتا أمريقا الجنوبيه والشمالية جزيرتين عظيمتين
وتزول المشقة عن اصحاب السفن من بعد ما كانوا يسافرون من البحر المحيط
الغربي المسمى بالاطاسي الى الصين ولبابونا والجزائر الاقيانوسية مع مكافحة
الخطار الرياح العاصفة وطول المسافة مارين من رأس هورن المشحون جميعه
بالشعاب وذلك لا ضطرارهم فاذن لاتلحقهم الان تلك المشاق بواسطه ذلك
القنال وتكون مسافتهم على النصف في بحر معتدل ساكن الهواء على خط
الاستواء

الثالث سكة الحديد الجسيمة التي حان منها التمام بشمال قطعة أمريقا
البالغة الان مسافة امتدادها ثلاثة آلاف وستمائة وثلاثة وعشرين ميلا
وهي في ارض سهلة تامة المنفعة مبتداة من نيورق اكبر مدن أمريقا الى
مدينة (سان نيسيلو) بآيالة كاليفورنيه الشهيرة بمعادن الذهب وكان قد رخص
لقوم بانيتين في الشأنها (نقولن) رئيس جمهورية أمريقا المتوفى حين

محاربها الداخلية سنة ١٨٦٢ ميلادية وضرب لها ميماد أربع عشرة سنة بجد تا
 كل الجد فيها حتى اكتملاتها قبل تمام نصف المدة ومن بعد ذلك تقطع مسافة
 صحاري جهة أمريكا الشمالية في ستة أيام ولا يجهل محل فيها ولا تعطل جهة
 من الزراعة وسائل الفوائد وقد أنشأت هاتان القوم بآيتان نحو ألفي عربة
 كالدور مشتملة على بيوت واسرة من الحديد ولوقدنات وكبيخانات وهي في
 حال مرورها السريع يتدارك في مامن الطريق ظروف أوراق الحوادث التلفرفية
 المعلقة على الأعمدة الخشبية وطبع في المطابع اللاتي فيها وتنشر على الركاب
 وبهذا يكونون كأنهم في مدن الملك العظيمة في الدنيا القديمة وبما ذكر
 هانت أمور الاسماء وتقارب المسافات بين جميع الجهات وتوصلت
 الجمعيات وزالت الوحشات واطلع الناس على مالم يظشعوا عليه ووصلوا إلى ما
 لم يصلوا من قبل إليه فكان لا مانع من توصل أمم البرية ومن تسمية هذا
 العصر عصر المدينة انتهى ما قاله فكل هذا أعنان ويعين على تقدم وسائل
 المنافع العمومية الآتى تقسيمها في الباب الثاني مع غاية البيان وعلى ذكر
 الوابورات قلت هذه الآيات

العقل في الوابور حار نبني الجواب فلا يحير
 فإذا أردت الاختبار علما به فسائل خير
 فلاك بأوج الاج دار ومن الحضيض له مدير
 يجري على عجل كبار في رسم شكل مستدير
 هو من عطارد لا يغار فكانه الفلك الاسير
 قد اورث الشمس اصفار
 قمر منازله البحار لما علا منه الصغير
 نجم السماء له سمير

في كفه الجوزا سوار
 ببر الثريا اذ تشير
 والمشترى حاز اليسار
 فغدا بزهرته أسيير
 ملك له الوحي انتمار
 ابدا باجنة يطير
 وبراق أسرى في القفار
 يطوى الفيافي اذ يسير
 ملك على الانهار سار
 وعلى البحار له مسیر
 بالعز اكسها الصغار
 مع انه جرم صغير
 قد نال من كسرى اعتبار
 لبخار عنبره عبير
 خاقان هند خوف عار
 ما هاله لهب السعير
 بر كان نار حيث ثار
 فورا وصار له هدير
 او سائح يهوى السفار
 لمصالح الدنيا سفير
 او عاشق سلب القرار
 او يحسد الطرف القرير
 في الحب قد خلع العذار
 ودموع مقاته غدير
 صب وفي الاحشاء نار
 او شاطر طلب الفرار
 شوفا الى القمر المنير
 أو باز صيد قد أغمار
 للامن من أمر خطير
 مغرى على الظبي الغير
 أو ظبي قاع ذو نثار
 يعلدو اذا عم النفير
 البرق سرعته استعار
 والورق منه تستعير
 ويرى الرياح بالاحتقار
 فهو بها معه حقير
 طرف تسابره الددار
 ليلا فتخجل في المسير
 وبه ازدهى الزمن الاخير
 للليل يطوى والنهار
 بل صنع خلاق قادر
 ما الفعل ينسب للبخار

بقنا مصر له منار
 يسمو بأنفاس الامير
 في الكون بالجود المطير
 وبصيت اسماعيل طار
 في الأفق كالعلم الشهير
 وبعدله لما أنار
 هدا عزيز ذو وقار
 ولظهور العلما ظهير
 عتاز بالعمل الكثير
 وطويل باع في العمار
 توفيقه نعم الوزير
 للعدل قد شد الازار
 ولنصر دم أقوى نصير
 عش يا عزيز اخانتصار
 ولأنت بالعلما جدير
 بالمجدد كم شدت الجدار
 رب الخورنق والسدير
 كاثر فسحاس الانس دار

« مطب »
 تقسيم المنافع
 العمومية وتعريفها
 بالمعنى العربي
 الصناعي

الباب الثاني

في تقسيم المنافع العمومية إلى ثلاثة مراتب اصلية وهي
 حركات الزراعة والتجارة والصناعة وفيه فصول

الفصل الأول

في تعريف المنافع العمومية بالمعنى العربي الصناعي
 ومنه يفهم التقسيم إلى ما ذكر

اعلم ان ما عبرنا عنه هنا بالمنافع العمومية يقال له في اللغة الفرنساوية
 أندوستريا يعني التقدم في البراعة والمهارة ويعرف بأنه فرن به يستولى
 الإنسان على المادة الاولية التي خلقها الله تعالى لاجله مما لا يمكن ان ينتفع
 بها على صورتها الاولية فيجهزها بهيئات جديدة يستدعيها الانتفاع وتدعمها
 اليها الحاجة كتشغيل الصوف والقطن للباس الانسان وكبيعها فبهذا المعنى
 يقابل الاوندستريا وتكون عبارة عن تقديم التجارة والصناعة فيقال الملك
 الفلاي يشوق الزراعة والاوندستريا أي التجارة والصناعة يعني يسعى في
 تقديم المنافع العمومية وتطلق معنى آخر أعم من الاول فتعرف بأنها فن
 الاعمال والحركات المساعدة على تكثير الغنى والثروة وتحصيل السعادة
 البشرية فتم التشغيلات الثلاثة الزراعية والتجارية والصناعية وتقديرها
 تكون مجمع فضائل المنافع العمومية وكثرة التصرف والتوصیع في دائرة
 ثم ان براعة المنافع العمومية بالمعنى العام متولدة من كون الانسان له اختيار

وميل الى ما فيه نفعه والى قضاء وطره والى تحصيل حوالجه المعاشرة وانه
 محل هذه الفضائل

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول بعض ما يتعلق بالفضيلة
 ونقول هنا ان الفضيلة صفة نفسية متمكنة في نفس الانسان ينشأ عنها
 العمل الصالح ويدعها ارتياح النفس اليها فبها تصل النفس الى أعلى درجات
 « مطلب »
 تعریف الفضيلة **الكمال** و تستعد الى الحصول على نيل الحمدة فبها تكون أيضا مستعدة
 لفعل الخير العام للجميع فرقة الفضيلة بهذا المعنى ليست حرفة اختيار فليس
 صاحب الفضيلة من يهمك بجميع حواسه على بذل كل همه في المنفعة
 الاهلية لأن وجود مثل هذا الانسان في الدنيا مستحيل و إنما الفاضل هو
 من يكون هواء مائلا بحسب الامكان الى المنافع العمومية واستحسانه لذلك
 فبها يكون أقرب من درجة **الكمال** بقدر ما يلزم ان ينجنب بالفضيلة عن
 المثال وارتكاب الدنيا

ومن اركان الفضيلة الشجاعة وقوة الجسم والعقل وهذه الصفات مهمة
 جداً في الفضيلة فهي الوسائل التي تلزم لحفظ الانسان وتحسين حاله
 لأن الشجاع يدفع الضيم عن نفسه ويذب عن دمه وعرضه وحريته وملكه
 بقدر استطاعته وبعمله وشغله يكتسب عيشه ال�نية ويتمتع باللذات المباحة
 بالحمد و الطمأنينة وتكون نفسه دائماً متمتعة بالسلام والراحة بعيدة عن
 الفضب والانتقام فإذا أصيب بنكبة ولم يكن تدرأ كها بمحزمه وتبصره تجلد
 عليها غاية التجدد والصبر ولهذا عد ارباب الآداب القوة والشجاعة من
 أعظم الاركان

ثم الفضيلة ثلاثة أقسام شخصية ومنزلية وأهلية فالفضائل الشخصية
 « مطلب »
 اقسام الفضيلة

ما ينبغي ان يتصرف بها كل انسان لتكون وسيلة لحفظه ومادة لصونه ومنها ينبع حفظ العائلة والجعية المركبة من افراد الناس والفضائل المترتبة هي سلوك الطريقة النافعة في العمل الجعية العائلة المعتبر اقامتها في منزل واحد كالاقتصاد في المصارف وبر الوالدين وحسن العشرة مع الازواج وحسن تربية الاولاد ومحبة الاخوة بعضهم البعض واداء حقوق السيد خادمه واخادمه لسيده بجميع الفضائل الشخصية والمترتبة متلازمة ومتصادقة على حفظ النوع البشري وتحسين حاله وهي مخلوقة مع الانسان من اصل القطرة والفضائل الاهلية المدنية متكررة بتكرار منافع الجعية المدنية وراجعة الى اصل واحد وهو العدل العمومي والاصف المشترك بين اعضاء الجعية المستلزم جميع فضائل الجعية

ومن هذا يفهم ان الفضائل من حيث هي مقوله بالتوافق محدودة لا تقبل تغييرها ولا بديلها فالاقتصاد فضيلة محققة ان حصل فيها الشطط قربت من البخل والشجاعة ان تجاوزت حدتها استحالات الى المحازفة والكرم ان تجاوز حده عاد اسرافا والصبر ان زاد عن قانونه أضعف الشهامة والحلم اذا اشتد صار جينا واما قد يعتري هذه الفضائل بعض تكيف على حسب مقتضيات الاحوال فان قول الصدق في بعض الاوقات قد يكون مضرًا وتكون المداراة واجبة وكذلك ينبغي مع فلان ان لا يصنع الا العدل ومع انسان آخر قد يكون العدل محض ضرر وقد يكون الحلم في هذا اليوم فضيلة ويكون في غيره مضرًا فراعاة الاوقات والاحوال واجبة في الجعية التأسيية والله در القائل في هذه المعانى

وأقام بالفَكْرِ الْمُلُوكُ وَأَقْعَدُوا
 عَلَيْكَ أَوْ أَبْقَى لِقَوْمِكَ سُودَادا
 أَوْلَيْتَ ذَا أَمْلَ أَعْدَكَ مَقْصِداً
 كَالذَّئْبِ لَمْ يَرِ عَدُوَ الْأَعْدَادَا
 فَاقْتَلَكَ فَقْتَلَكَ الْيَوْمَ مَنْجَاهَهُ غَدَا
 فَاصْفَحْ وَغَالِبُ وَاعْجَلَنَ وَتَأْيِدَا
 غَرِ السَّفِيهِ الْحَلْمُ عَنْهُ فَاسْفَدَا
 ذَا الْبَخْلِ يَدْعُى فِي الشِّيرَةِ سِيدَا
 وَعَنَاقُ غَانِيَةٍ وَبَرْدَا يَرْتَدِي
 فَالْفَضَائِلُ عَلَيْهَا مَدَارِسُوكَ الْجَمْعِيَةِ التَّانِسِيَةِ وَنَجَاحُ أَعْمَالِهَا وَتَنْعِيمُ أَحْوَالِهَا
 وَضَدُّهَا يَضْرِبُ تَقْدِيمَ الْجَمْعِيَةِ فَلَا أَضْرَرُ عَلَى الْجَمْعِيَةِ مِنْ فَسَادِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ
 يَنشَأُ عَنِ الْكَبْرِ وَالدَّعْوَى وَعَدْمِ الْاسْتِقْدَامَةِ لَأَنَّ الْفَغْنَى الْمُتَكَبِّرُ مِثْلًا يَذْهَلُ
 فِي نَشْوَةٍ لَذَّتِهِ عَنِ الْمَالِ خَيَالُ زَائِلٍ فَيَجْسِرُ وَيَجْرُأُ بِالْتَّكْبُرِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَظْنُ
 أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ صِرْوَفِ الدَّهْرِ فَيَقْعُدُ فِيهَا فَالْعَاقِلُ يَقْيِدُ نَعْمَتَهُ بِقِيَدِ التَّوَاضُعِ
 وَالْأَنْكَسَارِ وَيَدْبِرُهَا بِقَانُونِ الْفَضْيَلَةِ لِتَدُومُ فِيهَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا حَالَ حِيثُ
 الْاسْتِقْدَامَةُ قَوْمَ الْفَضَائِلِ وَعَلَيْهَا مَدَارِهَا وَهِيَ مَعْدُلُ حَرْكَةِ النَّفْسِ وَخَلُوصُ
 النِّيَةِ الَّتِي يَحْسِنُ بِهَا الْأَعْمَالُ فَهِيَ رَوَابِطُ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الْمُدْنِيَّةِ وَعَبَارَةُهَا
 حَسْنُ السُّلُوكِ فِي التَّعْالَمِ وَأَدَاءُ الْحَقْوَقِ لِلْعَبَادِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَشِينُهُمَا
 إِلَّا هُوَ النَّفْسُ فَالْعَاقِلُ يَقْعُدُ الْمَهْوِيَّ وَيَصْدُهُ وَالْخَلُقُ الْحَسَنُ يَنْفَرُ مِنْهُ
 وَالْإِنْسَانُ الْمُتَهَوَّنُ بِحَقْوَقِ الْجَمْعِيَةِ الْمُدْنِيَّةِ لَا يَعْتَدُ إِلَّا دِيمُ الْاسْتِقْدَامَةِ وَإِنَّهُ
 لَا يَعْرِفُ مَا يَحْبُبُ لَهُ وَمَا يَحْبُبُ عَلَيْهِ فِي حَقِّ الْجَمْعِيَةِ فَلَيَسْتَ اسْتِقْدَامَةُ الْإِنْسَانِ

الا احترام حقوقه باحترام حقوق غيره والحصول على منافعه بالوفاء بمنافع غيره فاذا عرف هذا الحساب سهل عليه حسن المعاملة فلا استقامة في الانسان علامه اتساع عقله واعتدال مزاجه لأن المستقيم في الغالب قد يفوت منفعة عاجله بقصد أن لا يهم منفعة آجله وأما غير المستقيم فإنه قد تفوته المنفعة العظمى الآجلة بحرصه على منفعة هينة عاجلة

فقد اتفقت الاخلاق والعوائد والشائع والاحكام على ان مكارم الاخلاق منحصرة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وان هذا الحديث قاعدة عظيمة في الدين لأن الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى ان الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف فمن لم يضع المعرفة في موضعه مع التكهن منه لا يعد صاحفا للاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير والاستقامة تدح المعرفة يعظم والاستقامة عبارة عن عدم التعرض لفعل الشر والمعروف العمد الى فعل الخير والمعروف يستحق الشكر عليه وأما الاستقامة فقد لا يحب الشكر عليها لكونها فضيلة فاصرة والمعروف فضيلة متعددة فهو من الاعمال التي عليها مدار الجمعية المدنية

وكما تقدمت براعة المنافع العمومية تقدمت الجمعية واقتضى الحال ميل النفوس الى التمتع بشمار المنافع الكاملة ودقائق المصنوعات الفاضلة فالميل الى التجميل والتزيين ومواد الطنطنة والأبهة يتولد منه غنى جميع الأقاليم التشغيلية لاتساع دوائر الازد والاعطاء وكامل الحرية في ذلك فهذا تسع دوائر الزراعة والتجارة والصناعة باتساع الرخصة في الأقاليم بالتعاونات والمساعدات من ارباب الحكومات المختلفة

ولما كانت الدولة الانكليزية قد احست ان منبع رُوره اهالها لأنجع « مطلب » ملشا تولد الفنى الا من التجارة والصناعة وان كلامهم ما يحتاج الى الحرية التامة والى الاستجلاب والتوزيع للبضائع المختلفة واستحصل الامان وتكثير أموال الملكة بتوزيعها بين الاهالى براحة جميعهم ليكونوا مشتركين في السعادة المالية فتحت هذه التجارة الخارجية الدولة بلادا واسعة في اقطار شاسعة في الهند وبلاط امريقا وجزائر البحر المتوسط الاكبر لتقديم صناعتهم وتجارتهم بالاخذ والاعطاء ليعود ذلك كله بالفوائد الجمة على اهالى مملكتهم بالاصالة وعلى غيرها بالتبعية وكذلك غيرهم من ممالك اوروبا كالاسبانيين والبرتغال والفرنساوية والفلمنك وغيرهم ويقال لهذه الحركة التقدمية اندوستري يا قولنيه يعني تجارة خارجية

ومن المعلوم ان فروع التجارة والصناعة كثيرة متوعة بقدر ما في الاقاليم « مطلب » والملك من طبيعة ارضها واهلها فكل اقليم يوافقه بعض الفروع دون بعض ويروج فيه مالا يروج في غيره فالمنافع العمومية على اختلافها مبنية على المعاوضات والمبادلات بما تقتضيه اصول حرية البلدان ومدار حركتها على ثلاثة اشياء ضرورية

الاول هو الموارد الاجزاء الواقع عليها التشغيل كالقطن والصوف والخديد ونحوه من كل ما يصنع والثانى الالات والأدوات التي يستعان بها على الصناعة وهذا الشيآن تحصيلها ما أصعب من الثالث الذى هو عبارة عن أجراة الاعمال ومكافأة العمال لانه وان كان في العادة يدفع نقدا ويعطى عدا الان المشغولات اذا كانت رائحة ناضحة فاجرة العمل تعتبر صنفا فلا مانع أن يعطى الاجر من عمله وشغله لما قدمنا ان قيمة العمل مجسمة للمصنوعات والمشغولات لاسيما في هذه الاوقات الاخيرة التي صارت فيها الزراعة والتجارة

والصناعة مبنية على أصول ومحاسبات دقيقة فشتان بينها وبين ما كان يعمل في قديم الزمان من اجراء المنافع العمومية فانها كانت ساذجة بسيطة لا تستدعي رأس مال كافى أيامنا هذه فلم يتذكر المتقدمون فيما تفكروا فيه المتأخرون من الدقائق الاطفيفة وتنعيم حال التجارة وتطييقها على أصول حسابية تكاد ان تكون منطقية ولا تزال آخذة في الدقة والرواج الى غير نهاية بحسن ترتيب الحكومات العادلة واعطاء الحرية الفاضله وعمل الميزانيات اللازمة وابعاد الاحتكار

الفصل الثاني

(في حالة المنافع العمومية في الازمان القديمة وانها كانت بسيطة سهلة لاحتياج الى كبرى شئء)

الذى يستبان من كلام المؤرخين والمخططين للبلاد أن الارض الخصبة في مادة الزراعة كانت رأس مال الزارع يستثمرها ويستولى على فائدتها فان الحرثين والعملة في القرى والبلاد كانوا ملوكاً لمالك الارض بالتبعية لها أو أرقاء بالشراء وكذلك المواشى والسباخ وآلات الحراثة كانت أيضاً ملوكاً لرب الارض فكان العبيد وال فلاحون المستعبدون يحرثون الارض ويسوقونها ويبذرونها الى ان يحصدوها وينقلوا مخصوصها الى بيت سيدهم وكانت نظارة الفلاحة و مباشرة الزراعة منوطه باكبر عبيد السيد او عتقاء همن يستنجبه منهم وليس لهذا المباشر ولو معتوقاً مرتب خاص في نظير عمله بل معيشته في بيت سيده كالعبد وعليه مطعمه وملبسه في نظير الارتفاع بخدمته فإذا جسر المعموق وخرج من بيت سيده المتربي فيه لا يجد من

يقوم بشؤونه فكانت الحرية في تلك الاوقات مشوّمة على العتق وامثلهم
 هذا ما يخص الزراعة من المنافع العمومية في تلك الازمان
 وأما الصناعات فـكانت أيضا قاصرة على الامور الالزومية وموكولة
 لتشغيل الارقاء فـكانوا يصطنعون ما تدعوا الحاجة اليه للملابس والمطعم وما
 أشبه ذلك مما تستدعيه الحاجة فقط وأما لوازم الزينة والتجميل فـكانت تجلب
 من بعض ممالك أجنبية أكثر تقدنا من الممالك المجلوبة إليها فـكانوا يشترون
 المنسوجات الصناعية الساذجة من مصانع ليست كثيرة الآلات التفتتة
 الأدوات وكانت تشغيلات الأقدمين قليلة وعملياتهم هينة فـكانوا
 يستخرجون المعادن ويصطنعون الاسلحة وآلات الحرب المعروفة في تلك
 الازمان وكانت هذه الاشغال أيضا وادارتها من وظائف العبيد والمالين
 وكان التعامل بين الاهالي في تلك الازمان بالرقيق فإذا اقتضى الحال للاقتراء
 لم يكن القدر المقترض دراهم ولا دنانير اذ لم تكن النقود رؤس اموالهم
 بل يفترض بعضهم من بعض قدرًا معينا من الاعيان والاصناف ويستعيرونه
 ويدفعون لصاحبها في نظير قرضه أو عاريته قدرًا معينا ولم يكن عندهم أخذ واعطاء
 جسيم ولا تجارة مهمة الامر الا جانب فإذا توفرت عند انسان منهم بضاعة
 او فرع من الفروع الالزمة لجهة من الجهات البرانية وارد الربح شاركه عليها
 تاجرًا جنبيا واشترط عليه شروطا ملائمة لعادة البلاد وجعل الربح بينه وبين
 شريكه العامل بان يعطيه جزءا من الربح قليلا او كثيرا بحسب خطر السفر
 ومشاقه فـكانت التجارة ايضا عندهم بسيطة كالزراعة والصناعة فإذا كانت
 منافعهم العمومية على هذه الكيفية فلا يتصور أن يعود على الحكومة منهم
 كبر ايراد

وفي الحقيقة كانت حكوماتهم ايضا بسيطة لا تحتاج الى كثرة المصارف
لا سيما في اوقات الصلح فكانت مناصب الحكم القضائية والملكية والعسكرية
ليس لها مرتب ولا ماهية لا سيما عند الرومانين واليونانيين فكانت دولتهم
لا تحتاج الا الى قليل من الخراج نعم في اوقات الحروب والا خطارا اذا احتاجت
الحكومة الى امور ضرورية لتجهيز جيوش لحرب الاعداء استعانا باهل
الوطن فكان يعينهم من الاهالي كل من يحترم اوطانه ويصدق في معزته بلاده
ومحل ميلاده فيهدون الى الحكومة برسم تشريف الوطن ما يكفي للحاجة
بدون الحاج من اهل الحكومة ولا لجاجة

« مطلب »
ومن المعلوم من التاريخ ان الدولة الرومانية كانت في تلك الازمان مقارنة
حروب رومية مع قرطاجنة ومعاصرة للدولة القرطاجنية اي التونسية التي كانت اذ ذاك لها السلطنة العظمى
في الاقطار المغربية فكان كل من الدولتين منافس للآخر وكانت العداوة الفاشية
بينهما شديدة ولا تكاد الحروب تتقطع بينهما للمجاورة والمنافرة والمنافسة
كما هو جار الآن بين بعض الدول المتأخرة وتسمى الحروب التي كانت
بينهم بالحروب البوئيقية او الغربية المشهور منها ثلاثة فالحرب البوئيق الاول
كان قبل الميلاد باربع وستين سنة ومائتين ومكث اثنين وعشرين سنة اخذ
فيه الرومان من القرطا جنحين جزيرتين صقلية وسردينيا وصارت قرطاجنة تدفع
لرومية خراجا مقررا وقد تعلم الرومانيون من القرطا جنحين في هذه الحرب صناعة
السفن البحرية الحربية ذات المجاذيف

وفي هذه الاوقات صدر امر من مجلس رومية بان يرتب للعساكر
المشاة جامكية وكانوا قبل ذلك غير بمحكمين فبادر اعيان الاهالي ووجوه الناس
باهداءهم لخزينة الجمهورية مقدار اجسامها من متاعهم للاعانة على مرتبات العساكر

الوقتية فجمعوا ما عندهم من النحاس غير المشغول ووسقوا العربات من ذلك
وبعثوا به الى الخزينة بوصف الاعانة الوطنية فكان يوم ارساله من اخر
الايم الموسمية واحتفل اناس كثيرون للتفرج على موكب هذه المديمة
الوطنية العجيبة فمن هذا يفهم ان احتياجات تلك الايام كانت سهلة بسيطة
كما اسلفناه ولم تكن كاللازم في ايامنا هذه وكذلك في الحرب الثاني
البويني الذي ابتدأه الرومانيون مع القرطاجيين سنة ٢١٩ قبل الميلاد
ومكث ثمان عشرة سنة

وكان سر عسكر قرطاجنة أنيبال وكان شجاعا باسلا هجوم على روما
أشد هجوم وهزم جيوش الرومانيون في الواقع العظيمة وكاد يأخذ رومية
ولكن دخل وقت الشتاء فازوى أنيبال في مدينة يقال لها قبوة ليقضى فيها
فصل الشتاء مع جنده فتعود جنده على اللذات والشهوات وفترت همهم
بالانهال على ذلك وكان في اثناء هذه المدة قد اغتنم الرومانيون الفرصة
بتجميع عساكرهم المشتلة فهجموا على جند القرطاجيين ومع ذلك انهزم
جندهم وفر اميرهم

في اثناء هذه الحرب والاحتياج لامدادات العسكرية والذخائر
تضيق الرومانيون واضطررت الحكومة ان تجمع عساكر جديدة وان
تجهز سفنا حربية لتقاوم قوة القرطاجيين وتتمكن من منازلتهم فاحتاجت
روميا الى الاعانات الضرورية وتحيرت في طريقة تحصيلها وكانت حكومتهم
اذ ذلك منوطه برؤساء يقال لهم القنائل منقادين لمجلس الحكومة الذين
يبيده الحل والعقد والامر والنهي فالرئيس هو لاء الرؤساء من مجلس رومية
ان يفعل كما جرت به العادة بان يحمل الاهالي على ان يدفعوا بحسب

اقتدارهم ما يكفي في دفع مرتبات شهر للسفن البحرية من ماهيات وتعينات
ومن ان هذا طلب هين ومقدار يسير في حد ذاته لما علم به الاهالي اغترت
خواطركم وتکدرروا وتوقفوا فيه وقالوا نحن نعین الوطن باللائق والمناسب
ونبذل ما عندنا من الاموال والرجال ولكن قد أخذت الدولة عيدهننا
وفلاحينا الذين يباشرون الزراعات ومن وقت دخولهم في
العسكر البرية والبحرية تعطلت الزراعة والفلحة ولم يبق لنا الا
أنفسنا وأراضينا فنحن قد تعطلنا بالكلية وتضيع حاننا وضاعت
أموالنا ولو كان عندنا شيء ما بخلنا به على أوطننا فاما استشعر
رؤساء الدولة وأمراؤها بأعذار أهل الفلاحة التمس أحد الرؤساء من مجلس
روميه أن جميع أعضاء هذا المجلس يتظعون لخزينة الحكومة بجميع ما
عندهم من الذهب والفضة والنحاس ولا يبقوا منه شيئاً الا ما في أصابعهم
من خواتم الذهب وما في اصبع نسائهم وأولادهم من ذلك وأنه لا مانع من
ان لا يدعوا عندهم الا النقود اليسيرة للمصارف الضرورية ليقتدي بهم جميع
الاهالي ولتكن هذه المكارم الوطنية معدودة في ما ثرهم وما ثوره في
مناقبهم فأجاب جميع الاعضاء الى هذا الالتماس المدوح عن طيب نفس
وانشراح خاطر ولم يتآخر منهم أحد عن ذلك وفرق المجلس بالتواء على

التبجيز

فكل عضو من أعضاء المجلس شرع في المسارعة والمسابقة ليفتخر بتقىد
اسميه وعطيته بالدفاتر قبل غيره فتراجعوا جميعاً على كتاب الخزينة أن يكتبوا
ما تعمد كل منهم بدفعه على سبيل الاعانة واقتدى بأرباب المجلس من عدم
من أهالي المملكة الرومية بهذه الاعانات تمكن الرومانيون من قهر أعدائهم

وحماية مدنهم من جهة قرطاجنة فهو سبط اعانت الرومانين ومكارم أخلاق
 أهاليهم ووفادتهم أوطانهم ببذل الاموال والارواح شنوا الاغارة عليها
 بالجاش القوى والجيش الجرار في الحرب الثالث الذي صار الشروع فيه من
 سنة مائة وتسعم وأربعين قبل الميلاد فحاصر الرومانيون قرطاجنة وهموا
 عليها برًا وبحراً مدة ثلاثة سنين فأخذوها عنوة وسلبوا أموالها وقتلوا من
 فيها من السكان وحرقو المدينة فمن ذلك الوقت زالت دولة القرطاجنيين
 بزوال قرطاجنة التي كانت دائمًا قرينة رومية ومعاصرة لها في الفخر
 ولم يكن في ذلك العهد ممالك قوية تعادل قوتها هاتين المملكتين حتى
 تعتبر الموازنة فـا أحسن إدارة الممالك في هذه الأعصر الجديدة وما بين
 ملكوكها من المعاهدات والمشاركات واعتبار الميزان السياسي واعتماده لمحافظة
 الحقوق الملكية وحقوق الدول والمملل بعضها على بعض فـا هذا حصن
 حصين لحفظ ذات الملك بقطع النظر عن حفظ تيجان الملوك فـالملكة
 الضعيفة في هذا العهد مأمونة الدوام مالم يلم بها أحوال بوليتيقية أهلية بها
 تخرج عن حدود المشارطات فـيحض القوة في احدى ممالك هذا العصر لا
 يسوغ لها تعلباً على غيرها بدون وجه لمنع الآخرين ذلك بعقد المشارطات
 القوية وهذا أيضًا مما يعد من التقديمات العصرية في النظمات الملكية
 ولو تعددت الممالك الإسلامية المنافرة سياستها لسياسة الدول المتعددة كـملك
 التمار ودخلت في النظام العمومي لصانت أوطانها من اغارة من جاورها بـالتعلل
 بخشونتها والاستيلاء عليها لقصد تدميرها وتحسين حالها في الازمان السابقة
 كانت الشهرة في الدنيا لمدينة رومية ومدينة قرطاجنة لـقوـة الدولتين ولم
 يساو هاتين المدينتين مدينة أخرى

ويقال لو لم تكن رومية موجودة ل كانت قرطاجنة أول مدن الدنيا
ولولا وجود الاسكندرية ب موقعها العجيب ل كانت قرطاجنة ثاني مدينة من
مدن الدنيا فانها كانت حسنة الوضع جيدة الموقع ل وجودها بين بوغاز جبل
طارق بالأندلس وبوغاز القسطنطينية وبهذا كانت اذ ذاك مركز التجارة
وكان أهلها سبعمائة ألف نفس أرباب زراعة وصناعة وفنون كثيرة وكان
يغلب عليهم التقدم في الزراعة واللاحقة لأن هذه الامة القرطاجنية كانت
محتاجة الى الاسفار ونقل البضائع من بلادها وجلب ما ليس عندها من
الخارج الى الداخل وكانت مولعة بالفتوحات وتوسيع دائرة ملوكها فقد
استولت على سائر مدن افريقيا وسخرت من اوروبا جزيرة سردينية
وجزيرتي ما يورقه ومينورقه وغيرها من بلاد الاندلس ومن فرنسا وكان
لها المحالفات والماهدات مع ملوك البلاد التي بينها وبينهم معاملات خربها
الرومانيون لما أعيتهم وأتمبهم فكان تدميرها وخرابها مما يعاب به عليهم
ثم بني الرومانيون مدينة في آثارها بعد مدة من تدميرها وسموها
قرطاجنة باسم الاولى ولم تشهر المدينة الثانية الا في زمن القيصر اغسطسوس
حتى صارت ثاني مدينة في العظم بعد رومية وبقيت الى صدر الاسلام ثم هدمت
حتى لم يبق لها الان اثر وانما بنيت بالقرب من محلها مدينة تونس فانظر الى
حال الامم القديمة فان دولة الرومانيين مع تقدمها في الفتوحات العظيمة لم
يكن عندها تقدم في المنافع العمومية وانما كانت ادارتها بسيطة وكان عندها
نوع من الرفق بالملة الرومانية واهل الوطن الحقيق يعني من له مزية عنوان
الرومانى وكانت اقرب الى الصدق في تأدية المحتوى لرعاياها لا سيمها

عقب الحروب

فقد ذكر المؤرخون انه كان لرومية حرب مع مملكة مقدونيا في بلاد روم ايلی ببعثت بولص أميليوس أحد قوادها الى مقدونيا لقتال برشاوس ملك هذه البلاد فهزمه القائد الروماني واغتنم امواله وعاد الى رومية بالغنائم العظيمة فلما تبين لحكومة رومية ان هذه الغنائم تقوم بعصارف الدولة وتکفى في مصالحها رفت جميع المطالب المقررة على الاهالي الى وقت الحاجة

« مطلب »

حروب رومية

مع مقدونيا

وبالجملة فقد كان القدماء من المالك والدول لا يعرفون اقتراض الحكومة من الاهالي او غيرهم بالفوائض والارباح كالمجاري الان اعتمادا على ما يحصل من الاموال والعواائد بل هذه الطريقة الاختراعية من مسميات الدول المتأخرة الاروباوية وانما كانت طرق التقديرين انهم اذا اقتضت الضرورة للمال فان رؤساء الحكومة كمال الاقليم يعقدون مع اغنياء الاهالي عقد القرض والسلفة في حالة ما اذا خلت خزينة الدولة عن الدرام بالكلية ولم يكن عقد القرض باسم الحكومة بل هو اتفاق شخصي بين الحكماء والمقرضين لاعتماد الحكماء واما نتهم وكانوا يعينون للدفع ميعادا ويحددون له اجل امسى فكانت امانة الحكماء والمقرضين ومكارم اخلاق الاغنياء المقرضين هي المسئولة لقضاء حوائج الدولة بحيث لم تكن في اوقات الاخطار عرضة لان تقع في الحيرة والمضايقة فقد احتاجت دولة الرومانيين بعد مضي سنوات من الاعنة التطوعية الى الدرام لتمويل فتوحاتهم لقراطاجنة وكانوا في خطب شديدة يخشون من عساكر ابيال امير القرطاجينيين فانه طالما ازعجهم وهددتهم حتى كاد يفتح مدنهم ويستروعهم في تلك الاوقات الخطرة اضطر جميع حكامهم أن يقتربوا من بعض اغنياء الاهالي مقايدا جسميا من الاموال فعاقدوهم

على ان يدفعوها لهم على ثلاثة اقساط متساوية في ست سنين فجعلوا لكل سنتين قسطا والترز الحكام بالأقساط فوفوا منها قسطين في اثناء الحرب وتصادف ان القسط الثالث حل اجله ولم يكن في الخزينة الرومانية ولا عند الحكام ما يغطي به خضر المقرضون وطلبوه من الحكام فعجزوا عن دفعه فحضروا معهم مجلس رومية وطلبو ادينهم فاعترف المجلس بجميع الديون مع عجز الخزينة عن دفعها اذ ذاك فحصل التراضي بين المجلس والدائنين على ان يأخذ أرباب الديون من املاك الحكومة وأراضيها التي يمكن بيعها بقدر ما يفي بديونهم يلتقطون بعثتها ومحصولها وقوموها لهم بقيمة المشتريات لهم الحكومة انه عند يسار الخزينة كل من اراد ان يتنازل عن الارض التي أعطيت له يرخص له ان يطلب دينه نقدا بقدر الثمن الذي اخذه كبيع الوفاء فاستلم ارباب الديون الاراضي وفرحوا بها وباذروا باستغلالها وهذه معدلة من الحكومة ومكرمة من ارباب الديوان من الاهالي الرومانية ومع عدها في المآثر الجميلة لا تساوى مكارم الاخلاق العربية التي كان يفعلها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

« مطلب »
 غزوة تبوك التي يقال لها غزوة العسرة ليظهر بها كيفية
 الاعانات الاسلامية وسبب غزوة تبوك التي هي ارض بين الشام والمدينة
 المنورة ان متصرفة العرب كتبت الى هرقل ملك الروم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هلك واصابت اصحابه سنون اهلقت اموالهم فبعث رجلا من عظامهم وجهز معه اربعين ألفا ليحارب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموها مقدماتهم الى البلقان وكان صلى الله عليه وسلم فاما يخرج في غزوة

الا كنـى عنـها وورـى بنـيرـها الا ما كانـ من غـزوـة تـبوكـ بعد المـشـقة وـشـدة
الـزـمان بالـحرـ وـكـثـرة العـدوـ وـلـيـأـخـذ النـاسـ أـهـبـتـهمـ فـأـصـرـ النـاسـ بـالـجـهاـزـ وـبـعـثـ
إـلـى مـكـةـ وـقـبـائـلـ الـعـربـ لـيـسـتـفـرـهـمـ وـحـضـأـهـلـالـغـنـيـ علىـالـنـفـقـةـ وـالـجـمـلـ فـيـ سـبـيلـ
الـهـ وـأـكـدـ عـلـيـهـمـ فـيـ طـلـبـ ذـلـكـ

وـكـانـ آـخـرـ غـزوـةـهـ صـلـىـالـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـأـنـفـقـ عـمـانـ بـنـ عـفـانـ رـضـىـالـهـ
عـنـهـ نـفـقـةـ عـظـيمـةـ لـمـ يـنـفـقـ أـحـدـ مـثـلـهـ أـحـيـثـ جـهـزـ عـشـرـةـ آـلـافـ مـجـاهـدـ أـنـفـقـ عـلـيـهـ
عـشـرـةـ آـلـافـ دـيـنـارـ غـيرـ الـأـبـلـ وـهـيـ تـسـعـائـهـ بـعـيرـ وـغـيرـ الـخـيلـ وـهـيـ مـائـةـ فـرـسـ
وـجـهـزـ الـزـادـ وـمـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ حـتـىـ مـاـ تـرـبـطـ بـهـ الـأـسـقـيـةـ وـجـاءـ أـيـضـاـرـخـيـ الـهـ عـنـهـ
بـأـلـفـ دـيـنـارـ فـصـبـهـاـ فـيـ حـجـرـ النـبـيـ صـلـىـالـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـجـعـلـ رـسـوـلـ الـهـ صـلـىـ
الـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـلـبـهـ بـيـدـهـ الشـرـيفـيـنـ وـيـقـولـ مـاـضـرـ عـمـانـ مـاـ عـمـلـ بـعـدـ الـيـوـمـ
وـيـقـولـ غـفـرـ لـكـ يـاعـمـانـ مـاـ أـسـرـتـ وـمـاـ أـعـلـنـتـ وـكـانـ أـوـلـ مـنـ جـاءـ بـالـنـفـقـةـ قـبـلـ
عـمـانـ أـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ رـضـىـالـهـ عـنـهـ جـاءـ بـجـمـيعـ مـالـهـ وـهـوـ أـلـافـ درـمـ
فـقـالـ لـهـ رـسـوـلـ الـهـ صـلـىـالـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هـلـ أـبـقـيـتـ لـأـهـلـكـ شـيـأـ قـالـ أـبـقـيـتـ
لـهـمـ الـهـ وـرـسـوـلـهـ وـجـاءـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـىـالـهـ عـنـهـ بـنـصـفـ مـالـهـ فـقـالـ لـهـ
رـسـوـلـ الـهـ صـلـىـالـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هـلـ أـبـقـيـتـ لـأـهـلـكـ شـيـأـ قـالـ الـنـصـفـ الثـانـيـ
وـجـاءـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ رـضـىـالـهـ عـنـهـ بـمـائـهـ أـوـقـيـهـ مـنـ الـفـضـةـ وـهـذـاـ قـيلـ
إـنـ عـمـانـ بـنـ عـفـانـ وـعـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ رـضـىـالـهـ عـنـهـمـاـ كـانـ خـرـانـتـينـ مـنـ خـرـائـنـ
الـهـ فـيـ الـأـرـضـ يـنـفـقـانـ فـيـ طـاعـةـ الـهـ تـعـالـىـ

فـقـدـ كـانـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ رـضـىـالـهـ عـنـهـ تـاجـرـاـ كـثـيرـ الـأـمـوـالـ بـعـدـ
إـنـ كـانـ فـقـيرـاـ بـاعـ مـرـةـ أـرـضـاـ لـهـ بـارـبـعـينـ الـفـ دـيـنـارـ وـتـصـدـقـ بـهـ كـلـهـ وـتـصـدـقـ
مـرـةـ أـخـرىـ بـتـسـعـائـهـ جـمـلـ بـأـجـمـالـهـاـ قـدـمـتـ مـنـ الشـامـ وـأـعـانـ فـيـ سـبـيلـ الـهـ

بخمسة مائة فرس عربية وأوصى لـ كل رجل يقى من أهل بدر بأربعينية دينار
وكانوا يومئذ مائة رجل وقسمت تركته بعد موته على ستة عشر سهما وكان
ـ كل سهم ثمانمائة ألف دينار وعينه عمر رضي الله عنه في جملة ستة يصلاحون
ـ للخلافة من بعده فقام هو بأمر البيعة لعمان وروى الامر عن نفسه
ـ ومن هنا يعلم ان تجارة العرب في الزمن القديم كانت رابحة عظيمة
ـ ثم جاء العباس رضي الله عنه بمال كثير وكذا طاحنة رضي الله عنه وبعثت
ـ النساء رضي الله عنهن بكل ما يقدرون عليه من حليهن وتصدق عاصم بن
ـ عدي رضي الله عنه بسبعين وسقا من تم

ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع التي بها المعسكر وهم
ـ ثلاثة ألفا متوجهين إلى تبوك عقد الألوة والرايات فدفع لواءه الأعظم لابي
ـ بكر الصديق رضي الله عنه ورأيته صلى الله عليه وسلم العظمى للزبير رضي
ـ الله عنه وساروا حتى نزلوا إلى تبوك فوجدوا عينها قليلة الماء فاغترف
ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائتها فمضمض بها فاه ثم بصقه
ـ فقارت عينها حتى امتلأت وأقام صلى الله عليه وسلم أياما وأتاه يحيى بن روبة
ـ صاحب أية فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية وأتاه أهل
ـ جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والخاء المهملة بلدان بالشام فأعطوا الجزية
ـ أيضا ولم يقع في هذه الغزوة قتال ولكن فتحوا في هذا السفر دومة الجندي
ـ حيث بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك في أربعينية وعشرين
ـ فارسا إلى ملوكها أكيدر وكان نصراانيا فخرج خالد من تبوك وانصرف
ـ صلى الله عليه وسلم منها إلى المدينة فصالحه أكيدر على الفي بعير وثمانمائة فرس
ـ واربعينية درع فرضي خالد بالصلح ففتح له باب الحصن الذي كان على هذه

القرية وانطلق باكيدر وأخيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما قدم بها صاحبه صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية وخلى سبيله وسيط أخاه فمن هذا يفهم ان عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز ثلث الجيش في هذه الغزوة

وبالجملة فآثار الصحابة رضي الله عنهم في مكارم الاخلاق لا تُحصى ولا تُحصر فبالنسبة اليهم رضي الله عنهم لا يقال ان سبب ذلك البساطة في الاخلاق وعدم كثرة العاملات والأخذ والعطاء فانا نقول ان أهل آسيا في تلك الأزمان كانت التجارة عندهم راجحة ايا ما كان نوعها فكان للعرب كل سنة رحلتان رحلة الشتاء والصيف ومن المعلوم ان الاسفار من وسائل التقدم ودليل عليه

الفصل الثالث

في أن الاسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية

قد اسلفنا في الفصل الاول من الباب الثاني ان دوائر الزراعة والتجارة والصناعة تتسع باتساع الرخصة في الاقاليم بالمعاونات والمساعدة من ارباب الحكومات وان دولة الانكليز فتحت بلاد الهند وغيرها للتحييل على اتساع تجاراتها وكذلك تحويل غيرهم من الدول على ذلك كما قيل

ومن طلب النجوم أطال صبراً على بعد المسافة والمثال
وتمر حاجة المحتاج نجعاً اذا ما كان فيها ذا احتيال

« مطب »
ادارة السياحات
على تقدم
المنافع العمومية

فِهِمْهُ هُؤلَاءِ الْأَمْمَ نَعْيَلُ إِلَى الْجَدْ وَالْكَدْ وَالْكَدْحُ وَالْأَنْتَصَابُ
لِسَارِ الْأَهْوَالِ فِي تَحْصِيلِ الْمَعَالِي وَالْأَمْوَالِ وَالتَّرْقَى إِلَى مَنَازِلِ الْعَزْ وَكَسْبِ
الْجَدْ وَالْأَقْبَالِ وَتَوْصِلِ إِلَى ذَلِكَ بِالْحَرْكَةِ وَالنَّفْلَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَالرَّاحَةِ
وَالْأَقْدَامِ عَلَى رَكْوَبِ الْأَخْطَارِ لِنَيلِ الْأَمَانِيِّ وَبِلَوْغِ الْأَوْطَارِ وَمِنَ الْكَلْمِ
الْنَّوَابِعِ وَالْحَكِيمِ السَّوَابِعِ صَعْوَدَ الْأَكَامِ وَهَبُوطَ الْغَيْطَانِ خَيْرٌ مِّنَ الْقَعُودِ بَيْنِ
الْحَيْطَانِ وَلِبَعْضِهِمْ

أَمَا تَرَيْنِي عَلَى بَنِي الْمَلَائِكَةِ لَا عَبَاءُ الْأَمْوَارِ حَمْ وَلَا دَائِمُ النَّصْبِ
فَمَا اسْتَوَى شَرْفُ الْأَعْلَى كَافِ وَلَا صَفَّا ذَهَبُ الْأَعْلَى لَهُ

فَتَجْشِمُ الشَّاقُ عِنْدَ خَاطِبِ الْمَعَالِي حَلُو الْمَذَاقِ

« مَطَابٌ »

تَفْسِيرُ سُورَةِ
قُرْيَاشٍ عَلَى
حَسْبِ الطَّافَةِ

فَالطَّرِيقَةُ الْمُوَسَّعَةُ لِدَوَائِرِ الْمُعِيشَةِ قَدِيمَةٌ عَمُومِيَّةٌ قَضَتْ بِسُلُوكِ طَرِيقِهَا
فِي الْأَزْلِ الْحَكِيمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَقَدْ سَخَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِقَرْيَاشٍ بِالْحِجَارَةِ مِنْ
وَسَائِطِ الْكَمِ وَالْكَيْفِ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى إِلَيَافِ رَحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصِّيفِ فَقَالَ
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ لَا يَلِفَ قُرْيَاشٍ إِلَيَافُهُمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصِّيفِ فَلَيَعْبُدُوا
رَبَّهُمْ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَطْعَمُهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنُهُمْ مِنْ خُوفٍ وَتَفْسِيرُ هَذِهِ
الْآيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا رَأَدَهُ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى لَا يَلِفَ قُرْيَاشٍ اعْجَبُوا لَا يَلِفَ
قُرْيَاشٍ لَا هُمْ يَمَادُونَ فِي غَيْرِهِمْ وَجَهَلُهُمْ وَاللَّهُ يَؤْلِفُ شَمْلَهُمْ وَيَدْفَعُ الْأَفَاتِ
عَنْهُمْ وَيَنْظِمُ أَسْبَابَ مَعَايِشِهِمْ أَبَيْ اعْجَبُوا مِنْ حَلْمِ اللَّهِ وَكَرْمِهِ عَلَيْهِمْ وَنَظِيرِهِ
فِي الْأَنْفَةِ قَوْلُهُمْ لَزِيدٌ وَمَا صنَعْنَا بِهِ أَبَيْ اعْجَبُ لَزِيدٍ وَمَا صنَعْنَا بِهِ مِنَ الْأَكْرَامِ
وَالْأَلِيافِ الْأَلَزَامِ يَعْنِي اعْجَبُوا لِالْأَلَزَامِ قُرْيَاشٍ وَمَعْمُولُهُ عَامٌ يَعْنِي إِلَيَافٍ
قُرْيَاشٍ كُلُّ مَوْاْنِسَةٍ وَمَوْاْفِقَةٍ بِلِيَهُمْ مِنْ مَقَامِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَلَفْظُ
قُرْيَاشٍ مَا خُوذَ مِنَ الْقَرْشِ وَهُوَ الْكَسْبُ لَا هُمْ كَانُوا كَاسِبِينَ بِتِحْارَتِهِمْ

وصر لهم في البلاد ومن انتشرش وهو التجمع لجمعهم المال بالتجارة أو
الاجماع بعد التفرق في البلاد ثم بعد أن عمّ تعالى الآلاف الاول الذي
هو نعمة عامة خص إيلاف الرحلتين بالذكر بسبب انه قوام معاشهم
فقد امتن سبحانه وتعالي عليهم بنعمتين وهما الآلاف العام والآلاف
الخاص الذي هو تعويذهم على رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام
قال المفسرون كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن لأن اليمن أدفأ وبالصيف
الى الشام وذكر عطاء عن ابن عباس ان السبب في ذلك هو ان قريشا كانوا
اذا أصاب واحدا منهم مخصوصة خرج هو وعياله الى موضع وضرروا على انفسهم
خباء حتى يعودوا الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن
يقال له اسد وكان له ترب من ابني محزوم يحبه ويأدب معه فشكى اليه الضر
والمجاعة فدخل اسد على امه يبكي فارسلت الى اولئك العمال بدقيق وشحم
فعاشوا فيه اياما ثم آتى ترب اسد اليه مرة أخرى وشكى اليه من الجوع فقام
هاشم خطيبا في قريش فقال انكم اجدتم جديبا تقلوا فيه وترلون وانتم اهل
حرم الله واسراف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فيليس عليك منا
خلاف فجتمع كل بني أب على الرحلتين في الشتا الى اليمن وفي الصيف الى الشام
للتتجارات فارجح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغينهم فجاء
الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنواب اكثرا مالا ولا أعز من قريش
قال الشاعر فيهم

الحالطين فقيرهم بغينهم حتى يكون فقيرهم كالكاف
فنعمه الله عليهم بآلافهم وتأديسهم بجمعهم قبيلة واحدة في مكان واحداً مكمن
في النعمة من ان يكون الاجتماع من قبائل شتى ونبه تعالى بقوله ايلاف علي ان

من شرط السفر المؤانسة والأنفة لأن السفر أحوج إلى مكارم الأخلاق
من الاقامة

ثم لما كان هذا الآيلاف انعاما من الله تعالى عليهم وأنه يستحق أن يقابل بالشكر والعبودية أتبه سبحانه وتعالى بطلب العبودية فقال فليعبدوا رب هذا البيت ومعنى فليعبدوا أي فليتذلّوا ويخضعوا للمعبود على غاية ما يكون ليشمل التوحيد والعبادات المتعلقة بالجوارح والمعنى ليتركتوا ما هم عليه من عبادة الأوثان ويعبدوا رب هذا البيت أي الحرم وهو الله سبحانه وتعالى وقوله الذي أطعمهم من جوع أي رزقهم بالطعام في السفر والمقام و قوله وأمّهم

من خوف أي حمام حيث جعلهم أهل حرم آمن فكانوا يسافرون آمنين « مطلب »
سياحة العرب
مطلعات في الأرض
قدما
 لا يتعرض لهم أحد ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم كما يشير إليه قوله تعالى ألم يروا أن جعلنا حرماً آمناً وقد أطعم الله تعالى قريشاً وأمّهم انعاماً منه تعالى واجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام في قوله رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثرات فكانت رحلة الشتاء والصيف بها ميرتهم ومعيشتهم وثروتهم هذا ما يتعلّق بقريش

واما العرب على الاطلاق فكانوا من الازمان القديمة يسيحون في الأرض سوقه وملوكها حتى بلغوا اقصى المغرب وبلغوا من حدود المشرق سمرقند وبلغوا باب البواب ودخلوا بلاد الهند ولكن كانوا يغيرون على غير بلادهم ولم يستقروا فيها حتى يصيروا ملوكها بل في النابل كان يقتصر على ملك أبيه وإذا غلبه عليه غيره رحل إلى البلاد البعيدة ليستنجد على خصميه بمملأك أجنبى ذى قوة وبأس كما وقع لأمرىء القيس الكندى حيث ذهب إلى قصر الروم ليستنجد به ومر في مسيرة أيام على جماعة وشیزر كما يشير إلى ذلك

فِي قصيدة مطلعها * سَمَّالَك شوق بعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرًا * يَقُولُ فِيهَا
 تقطع أسباب البأناة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
 يُكَلِّ صاحبِي لـأَرَأِي الدرب دونه وأَيْقَنَ أَنَا لَا حقان بقيصراء
 فقلت له لـأَتَبَك عيناك ائِمَّا نحاول ملِكَا أو نموت فتعذرا
 فـكـانـ كـلامـهـ فـأـلـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ حـيـثـ مـاتـ بـقـرـبـ أـنـقـرـهـ وـدـفـنـ فـيـ سـفـحـ جـبـلـ
 يـقـالـ لـهـ عـسـيـبـ وـقـدـ أـنـشـدـ فـيـهـ حـالـ مـرـضـهـ يـخـاطـبـ حـمـاـةـ فـقـالـ

أـجـارـتـناـ اـنـ الـهـمـوـمـ تـوـبـ وـاـنـيـ مـقـيمـ مـاـ أـقـامـ عـسـيـبـ
 أـجـارـتـناـ اـنـاـ مـقـيـاـنـ هـنـاـ وـكـلـ غـرـيـبـ لـلـغـرـيـبـ نـسـيـبـ

وـقـدـ بـثـتـ بـالـعـقـلـ وـالـنـقـلـ تـوـاتـرـاـ اـنـ الـعـرـبـ اـكـثـرـ الـامـمـ شـجـاعـةـ

وـمـرـوـءـةـ وـشـهـامـةـ وـلـسـانـهـمـ أـتـمـ الـأـلـسـنـةـ بـيـاـنـاـ وـتـمـيـزـاـ لـلـمـعـانـيـ جـمـعاـ وـفـرـقاـ يـجـمـعـ
 الـمـعـانـيـ الـكـثـيرـةـ فـيـ الـلـفـظـ الـقـلـيلـ اـذـ شـاءـ الـمـتـكـلـمـ الجـمـعـ وـالـمـيـزـ بـيـنـ كـلـ
 لـفـظـتـيـنـ مـشـبـهـتـيـنـ بـلـفـظـ آـخـرـ مـخـتـصـرـ إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ وـهـذـاـ مـنـ خـصـائـصـ

الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ فـالـعـقـلـ قـاضـ بـفـضـلـ الـعـرـبـ وـلـوـ اـنـهـ كـانـواـ قـبـلـ الـاسـلـامـ لـاـ
 يـشـتـغـلـونـ بـعـضـ الـعـلـومـ الـعـقـلـيةـ الـحـضـةـ كـالـطـبـ وـالـحـسـابـ وـالـمـنـطـقـ وـنـحـوـ ذـلـكـ

وـإـنـاـ كـانـ عـلـمـهـمـ مـاـ سـمـحـتـ بـهـ قـرـأـهـمـ مـنـ الشـعـرـ وـالـخـطـبـ وـمـاـ حـفـظـوـهـ مـنـ
 أـنـسـابـهـمـ وـأـيـامـهـمـ مـنـ التـوـارـيـخـ أـوـ مـاـ اـحـتـاجـوـاـ إـلـيـهـ فـيـ دـنـيـاهـ وـمـعـاشـهـمـ مـنـ

الـأـنـوـاءـ اوـ النـجـومـ اوـ الـحـرـوبـ فـلـمـ جـاءـ الـاسـلـامـ وـنـقـلـهـمـ مـنـ حـالـةـ الـجـاهـلـيـةـ التـيـ
 اـحـاطـتـ بـهـمـ زـالـتـ الـرـيـونـ عنـ قـلـوبـهـمـ وـاستـنـارـ باـطـنـهـمـ بـفـطـرـةـ جـديـدةـ وـفـطـنـةـ

نـيـرـةـ سـعـيـدـةـ فـاجـتـمـعـ لـهـمـ الـكـمالـ التـامـ وـالـخـيـرـ الـعـامـ بـالـقـوـةـ الـتـجـدـدـةـ فـيـهـمـ
 وـدـرـجـةـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ فـلـذـلـكـ كـانـ بـقـاؤـهـمـ نـورـاـ فـيـ الـاسـلـامـ وـفـاءـهـمـ فـسـادـ فـيـهـ

(وـقـدـ روـيـ) عـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـنـهـ قـالـ اـذـ زـلـتـ الـعـرـبـ زـلـ

« مـطـلـ »

ثـبـوتـ فـضـلـ
 الـعـربـ عـلـىـ غـيـرـهـمـ
 بـالـتـوـاتـرـ فـيـ أـغـلـبـ
 الـحـصـالـ الـجـيـدةـ

« مـطـلـ »
 الـكـلـامـ عـلـىـ
 مـدـيـنـةـ سـبـاـ وـمـاـ
 يـتـعـلـقـ بـهـ

الاسلام فـ كـيـف وـهـم الـذـيـن فـتـحـوـا بـلـادـ الدـيـنـا وـأـعـزـوـهـا بـالـاسـلـام وـمـدـنـوـهـا
بـالـعـلـوم وـانـ اـتـسـعـ فـيـهاـ غـيرـهـمـ فـلاـ بـأـسـ مـنـ كـوـنـهـمـ بـوـاسـطـةـ النـظـامـاتـ
الـمـلـوـكـيـةـ الـعـامـةـ يـقـبـيـسـونـ مـعـارـفـ الـأـعـصـرـ الـجـديـدـةـ وـيـزـيدـونـ عـلـيـهـاـ فـصـيـتـ
تـنـعـمـاتـ الـعـربـ قـدـيـعـاـ قـدـ بـقـيـتـ خـلـدـةـ الـذـكـرـ فـيـ جـمـيعـ تـوـارـيـخـ أـهـلـ الدـيـنـاـ لـاـسـيـماـ
أـهـلـ الـيمـنـ

وـقـدـ أـطـنـبـ الـمـؤـرـخـوـنـ فـيـ عـظـمـ مـدـيـنـةـ سـبـاـ الـتـيـ تـسـمـيـ مـأـربـ وـبـيـنـهـاـ
وـبـيـنـ صـنـعـاءـ مـسـيـرـةـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ فـهـىـ بـيـنـ مـلـكـهـ الـيـنـ وـمـلـكـهـ الـمـسـكـتـ
وـبـسـطـوـاـ الـكـلـامـ عـلـىـ مـاـكـانـتـ عـلـيـهـ مـنـ الـثـرـوـةـ وـالـغـنـىـ وـكـثـرـةـ الـخـيـرـاتـ الـمـعـدـيـةـ
وـالـنـبـاتـيـةـ وـأـنـ مـلـكـلـهـ آـلـ إـلـىـ بـلـقـيـسـ الـتـيـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ حـقـهـاـ وـلـهـ عـرـشـ
عـظـيمـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـ حـقـ أـهـلـ سـبـاـ نـقـدـ كـانـ لـسـبـاـ فـيـ مـسـاـكـنـهـمـ آـيـةـ جـنـتـانـ عـنـ
يـمـيـنـ وـشـمـالـ كـلـاـوـاـ مـنـ رـزـقـ رـبـكـمـ وـاشـكـرـوـاـهـ بـلـدـةـ طـيـيـةـ وـرـبـ غـفـورـ قـالـ
الـفـسـرـوـنـ الـمـرـادـ بـالـجـنـتـيـنـ جـمـاعـتـانـ مـنـ الـجـنـانـ وـلـاـ تـصـالـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ جـعـلـهـاـ
جـنـةـ وـقـولـهـ تـعـالـىـ كـلـاـوـاـ مـنـ رـزـقـ رـبـكـمـ اـشـارـةـ إـلـىـ تـكـمـيلـ النـعـمـ عـلـيـهـمـ وـقـولـهـ
وـاشـكـرـوـاـهـ بـيـانـ أـيـضـاـ لـكـمـالـ النـعـمـةـ فـاـنـ الشـكـرـ لـاـ يـطـلـبـ الـأـعـلـىـ عـلـىـ النـعـمـةـ
الـمـعـتـرـةـ ثـمـ لـاـ يـيـنـ تـعـالـىـ حـلـمـ فـيـ مـسـاـكـنـهـمـ وـبـسـائـلـهـمـ وـاـكـاهـمـ أـمـ بـيـانـ
الـنـعـمـةـ حـيـثـ بـيـنـ اـنـهـ لـاـ غـائـلـهـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ تـبـعـةـ فـيـ الـدـيـنـاـ فـقـالـ بـلـدـةـ طـيـيـةـ أـيـ
طـاـهـرـةـ عـنـ الـمـؤـذـيـاتـ ثـمـ قـالـ وـرـبـ غـفـورـ يـعـنـيـ اـنـ نـعـمـهـمـ كـامـلـةـ حـيـثـ كـانـتـ
لـذـةـ حـائـيـةـ خـالـيـةـ عـنـ الـعـقـوبـاتـ الـأـخـرـوـيـةـ فـلـاـ يـتـرـبـ عـلـىـ تـعـاطـيـهـاـ عـقـابـ مـنـ
جـانـبـهـ تـعـالـىـ

وـأـمـاـ مـاـكـانـ مـنـ جـانـبـهـ فـقـدـ بـيـنـهـ تـعـالـىـ بـقـولـهـ فـأـعـرـضـوـاـ فـارـسـلـنـاـ
عـلـيـهـمـ سـيـلـ الـعـرـمـ الـآـيـةـ فـيـنـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ اـنـهـ اـنـقـمـ مـنـهـمـ بـظـلـمـهـمـ بـالـعـرـاضـ

تصديقاً لقوله تعالى إن من الجرمين منتقدون فأرسل عليهم للانتقام منهم
سيلاً غرقاً أو هم وخرب دورهم فهذا كله ظاهر الدلالة على غنى اليمن وثروة
أهلها ورفاهيتها ونعمتهم في زمان سيدنا سليمان عليه السلام وتقديرهم في
الزراعة والتجارة والعمارة

وفي سنة ستين ومائتين والف من المجرة استكشف من أرسل
من طرف الحكومة المصرية محل مدينة سبا المسماة مأرب ووجد رسومها
وأطلالها بالحفر فوجد ما يدل على عظمها ثم قال تعالى وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة إلى أن قال تعالى فجعلناهم أحاديث
ومزقاهم كل ممزق المراد بالقرى المباركة فيها قرى الشام فأنها هي البقعة
المباركة ومعنى فجعلناهم أحاديث أي فعلنا بهم ما جعلناهم به مثلاً يقال تفرقوا
أيدي سبا وعلى ذكر قرى الشام ناسب أن نذكر هنا أهل سوريا وهم أهل
الشام في قديم الزمان حيث سبقو أكثراً من الأمم في المنافع العمومية وفي
الاسفار البحرية والآمة التي اشتهرت منهم بذلك هي أهل صور وصيدا
وبيروت فكانوا يسمون بالفينيكيين وسيأتي بيانهم في الفصل الرابع ومن
اشتهر أيضاً بالاسفار البحرية المندو

وأما العرب فانما كانوا يستغلون التجارة في البر بالأخذ
والعطاء مع أهل الشام أو مع أهل اليمن فيما كانت تأتي به أهل سواحل
الشام أو الهند من بلادهم فكانوا ينقلونه من البر إلى جميع مواطنهم
او ينقلون بضائع مواطنهم إلى تلك البلاد للمعاوضات إلى أن ظهر
الإسلام واستوى على البحور والبرور فتغيرت أحوال الترقيات في العلوم

وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام في تجارة خديجة رضي الله عنها بتجارة الى مدينة بصرى باقليم حوران وسبب ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له عمّه ابو طالب ليرشده الى التجارة والكسب أنا رجل كثير العيال قليل المال وقد اشتد الزمان وهذه غيرها من خوارف العادات

« مطلب »

تبعد رجالاً من قومك في تجاراتها فلو ذهبت اليها وقلت لها في ذلك لعلها تقبل فبلغ خديجة ذلك فأرسلت اليه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن وقالت له أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك لأنك الحبيب القريب فقال له أبو طالب بهذا رزق ساقه الله اليك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارة خديجة رضي الله تعالى عنها وارفقت معه غلامها ميسرة ليعينه فساروا حتى دخلوا الشام فنزلوا ببصرة عند صومعة بحيرة الراهب التي بجانب المدينة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل تحت شجرة روعرت ببروله
تحتها خرج من الصومعة نسطروا الراهب وبيده صحيفه ينظر فيها مره
وينظر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم مره أخرى فاجتمع عليه القوم فقال
لهم يا قوم فوالذي رفع السماء بغير عمد ما زلت بي ركب هو أحب الى منكم
وانى لا أجد في هذه الصحيفه ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول الله
رب العالمين وخاتم النبيين من اطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم أقبل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اني لأرى فيك شيئاً ما رأيته في أحد من الناس انى
لأحسبك النبي الذي يخرج من هامة ثم باع النبي صلى الله عليه وسلم تجارة
وربح ضعف ما كانوا يربحون

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة وخبر خديجة برج التجارة فسرت بذلك وكان صلى الله عليه وسلم قد ظهرت منه خوارق عادات أرها صاحباً للنبوة كتظليل الغمام فأخبارها ميسرة بهذه العجائب وبما قال نسطوراً الراهن فاضعفت له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمعت له وكانت رضي الله عنها امرأة عاقلة شريفة في قومها مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وكانت كثيرة المال فكان رجال قومها يحرضون على زواجه ولكن شرفها الله تعالى بزواجه أشرف العالمين عقب التجارة الرابحة

فما احسن الاسفار التي افادت المال وعادت على العامل وصاحب رأس المال
 بتحسين الأحوال ونتج عنها نتائج جليلة أعقبت أهل البيت الطاهرين أبناء
 فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وهي أول من آمن به
 على الاتلاق ويقال انه صلى الله عليه وسلم سافر خديجة قبل هذه السفرة سفرتين
 الى اليمن وثبت أيضاً انه أجر نفسه قبل النبوة لرعى الغنم وكذا ثبت في حق
 غيره من الانبياء كموسى قيل ان حكمة ذلك ان راعي الغنم التي هي أضعف
 البهائم يسكن في قلبه الرقة والاطف فإذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان
 قد هذب قبل ذلك وأماري موسى عليه السلام لشعيوب فإنه حصل أيضاً
 عقب السفر من مدينة عين شمس بعصر الى مدين حين قتل القبطي ونصر
 الاسرائيلي وهو أهل مصر بقتله فقال له مؤمن آل فرعون ان الملايا تمورون
 بك ليقتلوك فاخبرني انك من الناصحين خرج يطلب بلاد مدين بدون
 زاد ولا راحلة وبينها وبين مصر مسيرة ثانية أيام ولم يكن له في طريقه طعام
 الا ورق الشجر حتى ورد ماء مدين فكان ما قال الله تعالى في كتابه وما
 ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسكنون ووجد من دونهم أمرأتين

« مطلب »
 الحكمة في رعي
 الانبياء للفغم
 قبل النبوة

« مطلب »
 سفر موسى عليه
 السلام الى مدين

لَدُودَانْ أَى تَحْبِسَانْ أَغْنَامَهَا لَانْ عَلَى الْمَاءِ مِنْ كَانْ أَقْوَى مِنْهَا فَلَا تَكَنَّا
مِنْ السَّقِيِّ مَعَ كَرَاهَةِ الْمَزَاجَةِ عَلَى الْمَاءِ وَخَوْفِ اخْتِلاطِ اغْنَامَهَا بِأَغْنَامَ غَيْرِهَا
وَمَعَ التَّحْفِظِ أَيْضًا بِالْأَخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ فَقَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالُوكَا لَا نَسْقِي حَتَّى
يَصُدِّرَ الرَّعَاءُ أَى نَتَظَرَ مَا يَبْقَى مِنَ الْقَوْمِ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ صَدُورِهِمْ عَنْهُ وَانْصَارَهُمْ
وَقُولُهُ وَأَبُونَا شِيخُ كَبِيرٍ كَنْيَاةً عَنِ الْضَّعْفِ وَدَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَوِيًّا
لَحَضَرَ وَلَوْ حَضَرَ لَمْ يَتَأْخُرِ السَّقِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقِيُّهُمْ مُوسَى قَبْلَ صَدُورِ الرَّعَاءِ
وَعَادُوكَا إِلَيْهَا قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُعْتَادِ وَكَانَ قَدْ سُأْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوْمُ أَنْ
يَسْمِحُوا فَسَمِحُوا

وَقِيلَ أَنَّ الْقَوْمَ مَا زَاحَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْمَدُوا الْقَاءَ حَجَرَ عَظِيمٍ
لَا يَقْلِهُ وَلَا يَرْفَهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ عَلَى رَأْسِ الْبَئْرِ فَرَفَعَهُ بِالْقُوَّةِ عَلَى ضَعْفِهِ
مِنَ الْجَمْعِ وَسَقَيْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَسَقِيَ لَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ لَأَنَّهُ سَقِيَ
لَهُمْ فِي الشَّمْسِ وَالْحَرِّ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ قُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ وَعَلَى أَنَّ
أَحْوَالَ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ غَيْرَ أَحْوَالِ أَهْلِ الْحَضَرِ يَعْنِي أَنَّ مَا يَعْدُ عِيَّا فِي الْحَضَرِ
قَدْ لَا يَعْدُ عِيَّا فِي الْبَادِيَّةِ فَلِهُذَا سَاغَ لَنْبِيُّ اللَّهِ شَعِيبٌ أَنْ يَرْضَى لَابْنَتِيهِ بِسَقِيِّ
الْمَالِشِيَّةِ بِدُونِ أَنْ يَقْدِحَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ بِشَيْءٍ حَيْثُ لَا مُفْسَدَةٌ فِي ذَلِكَ لَانَّ
الَّدِينَ لَا يَأْبَاهُ فِي الْبَدُو وَلَا فِي الْحَضَرِ وَمَرْوَةُ أَهْلِ الْبَدُو لَا تَأْبَاهُ لَا سِيَّما
إِذَا كَانَتِ الْحَالَةُ حَالَةً ضَرُورَةٌ لَانَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِشَعِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ
مَعِينٌ سَوَاهِمَا

وَلَمَا كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ مَكَثَ مَدَةً الطَّرِيقَ لَمْ يَذْقِ طَعَاماً إِلَّا
بَقْلَ الْأَرْضِ قَالَ رَبِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيْيَنِ خَيْرٌ فَقِيرٌ أَى أَنِّي لَا يَشَاءُ
أَنْزَلْتَ إِلَيْيَنِ خَيْرٌ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ غَثٌ أَوْ سَمِينٌ لِفَقِيرٌ أَى سَائِلٌ وَطَالِبٌ

فباءه احداها تمشي على استحياء اي مسيحية قد استقرت بكم فيهم
 ماشية على بعد مائة عن الرجال قالت ان أبي يدعوك ليعزيك أجر ما سقيت
 لنا و ذلك ان البنين لما رجعنا الى أبيها قبل الناس قال ما أعدل كما قالا وجدنا
 رجالا صغار حناء فسقى لنا فقد فهمتا من حاله انه سقى أغذامهم تقربا الى الله
 تعالى فوصفتاه بالصلاح فقال شعيب لا أحداها اذهب فادعيه لي فأرسلها
 شعيب الى موسى مع أنها شابة وهو شاب لأنه عليه السلام كان قد علم
 بالوحي او من حسن التربية طهارتها وبراءتها فكان يعتمد عليها فذهب معها
 موسى عليه السلام مع الاحتياط والتوعر وامتثل دعوة أبيها للتبرك بروية
 ذلك الشيخ لا طلبا للاجرة وروي أنها لما قالت ليعزيك أجر ما سقيت
 لنا كره ذلك

ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال أنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا
 نأخذ على المعروف ثنا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من
 ينزل بنا فليس موسى عليه السلام فاكل بعد أن قص عليه قصته فذكر
 نسبة الى يعقوب وحكي جميع أمره من لدن ولادته وأمر القبائل والمراضع
 والقذف في اليم وقتل القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه فلذلك قال الله تعالى
 فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي لا
 سلطان لفرعون بأرضنا فلمسنا في مملكته فقد أسكن روع موسى عليه السلام
 وان كان فرعون لقوته وبطشه وكثرة جنوده يكفيه أن يتسلط على أرض
 مدين اذا قصد ذلك الا ان شعيبا يعلم انه لا سبيل لفرعون على هذه
 الارض وان الله سبحانه وتعالي عما واجها منه فقالت ابنته الصغيرة
 وكانت آنست منه القوة برفع الحجر عن رأس البئر واستسقاها بالدلو العظيم

« مطلب »
 اجتماع موسى
 بشعيب وما
 حري ينهما

وعهدت فيه الامانة حيث أخرها إلى خلفه في السير معها يابت استأجره
 ان خير من استأجرت القوي الأمين فرغب فيه شعيب فكانت ابنته من
 أفرس الناس حين تفرست الامانة في سيدنا موسى عليه السلام قال شعيب
 اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثانية حجج يعني
 على ان تكون لي أجيراً ترعى لى ثانية سنين فان أتممت عشر افون عندك
 وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك يبني
 وبينك أمما الاجلدين قضيت فلا عداوان على والله على ما نقول وكيل

فتزوج موسى صفرأ وهي الصغرى منها وطلب عصا فقال له ادخل
 يتي أي الذي يأوي فيه نخذ عصاك وكان فيها عصى كثيرة فدخل موسى
 اليت وأخذ من العصى عصا حمراء فقال له شعيب هذه عصا الانبياء انتقلت
 من آدم الى شيث ومنه الى ادريس والى نوح وhood وصالح وابراهيم
 واسمعيل واسحق ويعقوب وكاهم توأماً عليها فلا تخرجها من يدك ثم
 اوصاه وحذرها من أهل مدين وقال انهم قوم حسنة واذا رأوك قد كفيتني
 أمر غنم حسدوني عليك فدلوك على وادي كذا وكذا وهو كثير المرعى
 وانا فيه حية عظيمة تبتلع الغنم فان دلوك عليه فلا تمر به فاني اخاف عليك
 وعلى غنم خرج موسى بالغنم وكانت يومئذ اربعين رأساً وقال في نفسه
 ان من اعظم الجهاد قتل هذه الحية وتوجه بالغنم الى ذلك الوادي كلما قاربه
 اقبلت الحية الى الغنم فقتلها موسى ورعي غنمها الى آخر النهار وعاد الى شعيب
 واعلمه الخبر ففرح بقتلها وفرح اهل مدين وعظموا موسى وأجلوه وقام موسى
 بغنم شعيب يرعاها ويستقيها حتى انقضت المدة التي بينهما وبلغت الغنم
 أربعمائة رأس وعزم موسى على المسير

وقد ورد انه لما رعى الفغم لم يضرب واحدة مهن بعصا اما كان
 « مطلب » نمرة الشفقة على يهش بها فقط وكان لا يجيعها ولا يؤذنها بعطش وجاء مرة الى نهر ليس فيها فوجد
 خاق الله فهـ شاه عرجاء لا تقدر على الوصول الى الماء فحملها ونزل بها فسقاها
 فلما رأى الحق منه قوة شفنته على غنه بعشه ببيا وكـما راعيا لبني اسرائيل
 وناجاـه بالتوراة وغيرها كما يأتي فمن رحم رعيته وشفق عليهم اصطفاه من بين
 الخلق ومن لم يكن عنده شفقة ورحمة على خلق الله لا يرقى المرافق العلية المسعدة
 ولما اراد موسى الانصراف بكـ شعيب وقال يا موسى اني قد كبرت
 وضعفت فلا تضيئـي مع كـبر سـنـي وكـثـرة حـسـادـي اـتـرـكـ غـنـمـي شـارـدـة لـارـاعـي
 لها قال موسى انـهـلاـ تـحـتـاجـ الىـ رـاعـ وـقـدـ طـالـتـ غـيـرـيـ عنـ اـهـلـ فـقـالـ شـعـيبـ
 اـنـيـ اـكـرـهـ اـنـ اـمـنـعـكـ وـأـوـصـاهـ عـلـىـ اـبـتـهـ وـأـوـصـاهـ اـنـ لـاتـخـالـفـهـ وـسـارـ مـوسـىـ
 عـلـيـهـ السـلـامـ بـأـهـلـهـ يـرـيدـ مـصـرـ حـتـىـ بـلـغـ جـانـبـ وـادـيـ طـوـيـ فـيـ عـشـيـةـ شـدـيـدةـ
 الـبـرـدـ فـأـنـزـلـ مـوسـىـ اـهـلـهـ وـضـرـبـ خـيـمـتـهـ عـلـىـ حـافـةـ الـوـادـيـ وـادـخـلـ اـهـلـهـ فـيـهاـ
 وـهـطـلـتـ السـمـاءـ بـالـمـطـرـ وـكـانـتـ اـمـرـأـتـهـ حـالـمـاـ بـخـاءـهـ الطـالـقـ بـجـمـعـ حـظـبـاـ وـقـدـحـ الزـنـادـ
 فـلـمـ يـوـرـفـمـاهـ وـخـرـجـ مـنـ الـخـيـمـةـ فـرـأـيـ نـارـاـ فـقـالـ لـاـهـلـهـ اـمـكـثـواـ اـنـيـ آـتـىـ نـارـاـ
 لـعـلـىـ آـتـيـكـمـ مـنـهـ بـخـبـرـ اوـ جـزـءـ مـنـ النـارـ لـعـلـكـمـ تـصـطـلـونـ فـلـمـ اـتـاـهـاـ نـوـدـيـ مـنـ
 شـاطـيـءـ الـوـادـيـ الـأـيـمـنـ فـيـ الـبـقـعـةـ الـمـبـارـكـهـ مـنـ الـشـجـرـةـ أـنـ يـاـمـوسـىـ اـنـيـ اـنـاـ اللـهـ
 رـبـ الـعـالـمـيـنـ وـأـمـرـهـ بـخـلـعـ نـعـلـيـهـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ فـلـمـ اـتـاـهـاـ نـوـدـيـ يـاـمـوسـىـ اـنـيـ اـنـارـبـكـ
 فـاـخـلـعـ نـعـلـيـكـ اـنـكـ بـالـوـادـيـ الـمـقـدـسـ طـوـيـ وـاـنـاـ اـخـتـرـتـكـ فـاسـتـمـعـ لـمـاـ يـوـحـيـ اـنـيـ
 اـنـاـ اللـهـ لـاـهـ لـاـهـ اـلـاـنـاـ فـاـعـبـدـنـيـ وـأـقـمـ الصـلـاـةـ لـذـكـرـيـ الـآـيـةـ فـاـكـتـسـبـ مـوسـىـ عـلـيـهـ
 السـلـامـ الـنـبـوـةـ فـيـ الـعـودـ اـلـىـ مـصـرـ كـاـكـتـسـبـ الزـوـجـةـ الصـالـحةـ فـيـ الـوـرـودـ مـنـهـ
 اـلـىـ مـدـيـنـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـيـهـ فـيـ الـاسـفـارـ بـعـراـتـ الـاخـيـارـ وـالـبـرـارـ

وذلك فضل الله يؤتى من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيما اسفاراً هامة
أسفرت عن اسفار التوراة التي بنت للناس جميع التواريخ من أيام الخليفة
إلى زمن موسى كأبنته لامته الأحكام والشرايع وبشرت برسالة خاتم الأنبياء
والمرسلين فلا شك أنه قد تربى عليهما مالا يحصى ولا يحصر من المنافع مما كانت
البلاد الشامية له من أعظم المنابع

الفصل الرابع

في أن الصوريين وهم أهل سواحل بر الشام قدموا في سالف الأزمان
التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع

أهل سواحل الشام في القديم والحديث هم أغني أهل بلاد سوريا
وكانوا يسمون في قديم الزمان الفنكيين وكانوا على سواحل البحر الابيض
الشامي وكانت اعظم مدنهم مدينة صور التي كانت تسحب في سالف الأزمان
ملكة البحار ويلها مدينة صيدا في شماليها ثم مدينة بيروت ولكون أرض
السواحل كانت عقيمة لا يخرج منها ما يكفي لمعيشة سكانها اضطروا إلى تعليم
الصناعات النافعة لأن الضرورة هي الاصل الاصيل لاستفادة المعرف ففقد
استفادوا بامان افكارهم وتكرار تجارتهم ووقوع أمور اتفاقية بالمصادفة
معرفة كثيرة من المنافع انضمت إلى الصناعات

وقد عرموا من الأزمنة الخالية ان ركوب البحر يوصلهم إلى التجارات
واعانهم على ذلك كونهم سواحلية ومجاورة جبل لبنان الكثير الغابات والأخشاب
فاستهلاوا ركوب البحر الملاوح مع ما يهدون فيه من الأخطار بلوغ الأوطاف

مع ان السفر كما في الحديث النبوى قطعة من العذاب الا أن البركات مع الحركات
وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفراً أحدث لك رزقاً قال الشاعر
بلاد الله واسعة الفضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
اذا صافت بكم أرض فسيحوا

قال الامام الشافعى رضي الله عنه

قرب عن الأوطان فى طلب العلا
واسفر فى الاسفار خمس فوائد
تخرجهم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولم يكن لهم دليل فى البحر الانجنة القطب لأن البصلة التي هي بيت الابرة
لم تكن تعرف عند الاقدمين وإنما صار استكشافها فى الاعصر الجديدة يعني
في آخر القرن السابع من الهجرة استكشف صناعتها وخاصيتها العرب فهمي
من اختراعاتهم المقيدة لعموم الناس وليس من اختراعات الافريقي ولا اطلع
عليها العرب عند أهل الصين اذ كانت عندهم معلومة من أزمان قديمة وهي
حق مشتمل على ابرة مسقية بالقنطيس تتجه دائماصوب الشمال يهتدى بها
الملائكون صوب مقصودهم كما يهتدون بالنجم الذي أنم الله به على عباده قال
تعالى وبالنجم هم يهتدون بعد قوله وهو الذي سخر البحر إلى آخره والاهتداء
بالنجم الذي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش عام في البر والبحر ولو انه ذكر
بعرض البحر وكما يهتدى المسافر بالنجم في البحر والبر في الاسفار يهتدى
به أيضا في بحري القبلة اذا عميت عليه وكذلك بيت الابرة مما تحرر به القبلة
فاختراع العرب للبصلة من المنافع العمومية المتأخرة التي كان لا يعرفها
المقدمون ومع ذلك فاهتدوا كغيرهم بالنجم ووصلوا إلى الأقطار القاسية
كالصوريين الذين نحن بصددهم وذلك انه لما ظهر الاسلام واستولى العرب

بالفتحات على ممالك الدنيا براً وبحراً تأهلوا للقبول المدند الذى كانت آثاره
 لم تزل موجودة في الدنيا عقب انفراط دولة الروم فتصدوا للأسفار البحرية
 واظهروا الحروب وفازوا بظفر الفتوح وكانوا كالرومانيين في مبدأ امرهم
 فركبوا السفن وجندوا الجنود وشنوا الغارات واستداموا في الزمان
 والاماكن على تحشيم الاخطار واقتحام البحار للتمتع بالتجارة واخترعوا بيت
 الابرة التي أعانت على الاسفار فكانت تجارتهم في القرن الثالث في الاقطار
 المشرقية تنمو وتزيد في البحر المتوسط وقد لاحت أعلام الخلافة على بحر الهند
 فتصدى تجارة العرب للتجارة في جميع البلاد فامتدت تجارتهم إلى جبل الطارق
 ومثلهم تجارة الفرس وجمست معاملتهم التجارية في الهند والصين وصار لهم
 مراكز تجارية في تلك الاقاليم حتى ان من العرب من أقام في جزيرة سيلان
 وفي المدن الهندية والصينية وانتشروا في اماكن عديدة وفي عهد الدولة
 العباسية تهذبت العلوم وحسن التمدن وأسست القصبات الجديدة على هر
 الدجلة وانتظم امر التجارة وصارت المراكب الغربية الخفيفة تجوب في البلدان
 وتسير الى جزر الهند وبوغاز ملقة فكانت تجارةهم في كل جهة وكل مكان
 وكانت المراكب الكبيرة توجه الى جهة سيراف في بحر العجم وكثرت
 السياحات العربية في سائر البلاد البرية فارتفاع شأن التجارة عند العرب حتى
 كانت اعظم شيء يشتعل به في اصلاح المعاش وتأسس في أمور التجارة
 أصول في ایام الخلافة الشرقية والمغاربية وعقدت المعاهدات مع الدول
 الاجنبية الورباوية في شأن الملاحة ببلادهم لحسن استقامة اهل الاسلام في
 المدن الاجنبية لا سيما مع الملك الذي على البحر واستمر الامر على ذلك حتى حصل
 حرب أهل الصليب فاضعف ذلك فلما انتهت الحروب الجسيمة بين الاسلام

والافرنج عادت التجارة بين الطرفين على حالها ومن المعلوم أن التجارة في أيام الخلفاء أعلت أحوال الصنائع كلها عند العرب وصار جاب المصنوعات العربية من مصانعها إلى اطراف الدنيا جميعها

ومن المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم صناعات الساعات كالساعة التي اهدتها الرشيد إلى كرلوس الا كبر ملك الافرنج فكانت اذ صناعة الساعات المصنوعة ذات من نوادر العصر وأما المصنوعات النفيسة المكملة الصنعة المخترعة للعرب فقد بقيت شهرتها إلى الآن كلاًّ قشة الموصلية والسيوف الدمشقية وهذا غير اختراع ما لا يحصى من العلوم والفنون ثم كباً بهم جواد الاختراعات وخيالاً منهم زناد الابتداعات وصاروا كما قيل

رب قوم رتعوا في نعمة زمان العيش ريان غدق

سكت الدهر زماناً عنهم ثم ابكاهم دماً حين نطق

ومن امعن النظر في كتب الفقه الاسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بوبيا لمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للاحكام التجارية كالشركة والمضاربة والقرض والخارة والعارية والصالح وغير ذلك ولا شك أن قوانين العاملات الاوروباوية استنبطت منها كالسفتجة التي عليها مبني معاملات أوربا ولم تزل كتب الاحكام الشرعية إلى الآن تتلى وتطبق على الحوادث والنوازل عملاً لا عملاً كما ينبغي وإنما مخالفات تجار الغرب ومعاملتهم مع أهل الشرق انعشت نوعاً هم هؤلاء المشارقة وجددت فيهم وازع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع انتظام حيث ترتب الآن في المدن الاسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوى والمرافعات بين الأهالي والاجانب بقوانين في الغالب اوروبية مع

ان المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخالت بالحقوق
 توفيقها على الوقت والحال مما هو مهل العمل على من وفقه الله بذلك من
 ولاة الامور المستيقظين ولكل مجتمع نصيب لا سيما في هذه الازمان التي
 تكاملت فيها الاسباب وتطبقت على المسببات فشتان بين هذا العهد وعهد
 الصوريين الذين زاولوا في التجارة الاخطار وركوب البحار فاقتحموا الماشق
 في تلك الازمان فاتسعت تجاراتهم على وجه عجيب حتى عمرت بلادهم بالمنافع
 العمومية بل خرج من اقبائل عمروت جزيرتي قبرس ورودس وجزيرتي
 صقلية وسردانيا ووصلوا أيضا الى بلاد الاندلس بل دخلوا البحر المتوسط
 الغربي فصارت مدينة قادس مركز تجاراتهم وكانوا يستخرجون من مملكته اسبانيا
 المكاسب العظيمة والمفاصيم الجسيمة لكثرتهم معادنها فنالوا اغراضهم منافع
 بحريي العرب والعجم حتى انفردوا في تلك الاعصر بفوائد التجارات وكانوا
 ينتصرون بمنافع البحرين المذكورين يمنعون من سواهم من اجراء التجارة فيما
 كانوا انفراداً هنالك زمان طويلاً بالانتفاع بهما وبجلب منافع الهند النفيسة الى
 سواحل بلاد العرب ولما كثرت عدد الصوريين الفضة واستثنوا جاهابي بعض
 الاسفار اخذوا منها هلاوبا السفهون بدلاً عن الرصاص ليكون حلاها في السفن لمنفعتين
 وبالجملة وبكثرة الاسفار والتجارات انتفعوا بمنافع غيرهم ونفائهم
 وكانوا يبالغون في كتم اسفارهم البحريه وعاصم تعريف الطرق والمسالك حماقة
 أن يزاحهم غيرهم في اكتساب هذه المنافع فكانوا دائماً يجتهدون في ان
 وطنهم يختص بالتجارة والملاحة ويعملون ذلك من الحقوق الخصوصية والمزايا
 الاحتكارية التي لارخصة فيها للاغراب وليس هذا التحكير كان خاصاً
 بدولة الصوريين بل كان اصلاً لجميع الدول السالفة كل فيما يخصه ويظن ان

فقد حكى بعض المؤرخين ان الصوريين كانوا يسافرون الى جزائر بحر الانكليز المسماة جزائر القرزدير لاستخراج معادن القرزدير والرصاص منها وان احد الصوريين ذهب في سفرة الى تلك الجزائر القرزدية التي لم تكن معلومة الا للصوريين دون غيرهم فلما حان وراء سفينته سفينة أخرى رومانية تردد هذه السكة وتعرفها فاختار الصوري ان يقذف سفينته على رصيف هناك لتغرق ويهرك اهلها وتغرق السفينة الأخرى بجانبها ففعل ذلك حتى لا تتفوه السفينة الاجنبية أثره فأتلف سفينته نفسه وغيره واجتهد في ان ينجو بنفسه فجأا وذهب الى اهل صور في نحو قطيرة فـ~~يكافئه~~ على ذلك مكافأة عظيمة وجبروا خسارته وأغدقوا عليه بالانعام وأكرموه غاية الـ~~كرام~~ جراء لما صنعه لصالحة الوطن الصوري وبعد ان كان لسان حاله ينشد حمزة

لَا نَحْنُ أَبْنَاءِ سَالِمٍ بِأَنفُسِنَا
كَرَامٌ رَجْتُ أَمْرَ اخْتَابَ رَجَاؤُهَا
لَا نَفْسَنَا خَيْرٌ لِقَائِمٍ إِنَّهَا
تَوْبَةٌ وَفِيهَا مَأْوَهَا وَحَيَاوَهَا

عاد ناشد مصرة

فكان أهالى السواحل الشامية لهم في الوطن محية مستولية على الطياع
ومسيرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب
كم فرجة مطوية لك بين أبناء النواب

ومن اخبار حب الوطن وانباءه من اهل الشام لاسيما للأنبياء عليهم
الصلوة والسلام أن يوسف عليه السلام وصى بان يحمل تابوه الى مقابر آباءه
ومما يؤثر عن الصوريين ما ذكره المؤرخون أن الملك نحوس بن أبسميتوكوس
أمر جماعة من الصوريين البحريين ان يكشفوا الحدود افريقيا بأسرها فساروا
من بحر القلزم ثلاث سنين حتى طافوا حول افريقيا واستكشفوا أطرافها
وعادوا في آخر السنة الثالثة من البحرapis الشامي ودخلوا مصر من
مصب النيل وكان ذلك قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون وهو من اعجب
ما وقع من الصوريين حيث استكشفوا سواحل افريقيا ولابد لهم من رأس
عشم الخير خصوصا في زمان كان سير السفن فيه في وسط تلك البحار يكاد
أن يكون مستحيلا مع أنه لم يستكشفه البورتغاليون الا في آخر القرن التاسع
من الهجرة وسموه رأس عشم الخير تقاؤلا والا فهو رأس التلاقيح ومع
استكشافهم له فلم يروا عليه في سياحة لهم البحريه الا بعد خمس

عشرة سنة

ولما أرسل البرتغاليون أناسا من أهاليهم في هذا الأقليم للإقامة به ولادحالة
في أملاكهم الخارجية أخذه منهم الانكليز واستولوا عليه فرن ذلك الوقت
صار هذا الأقليم نافعا للإنكليز في سلوك طريق الهند ذهابا وايابا واهله ما بين
سود وبعض على التناصف في قبضة الإنكليز فقد أسسوا على هذا الرأس
مدينة انكليزية تسمى مدينة الكتاب وهي أبعد مدينة افريقيه جهة الجنوب
ترسي عليها جميع السفن الذاهبة الى الهند والحااضرة منه

ومن سياحة الصوريين في افريقيه بأمر ملك مصر يستنتج نتيجتان
عظيمتان يستدل منها على تقدم دولتين عظيمتين وهما دولة مصر الامرة

بهذه السياحة العظيمة وهي مشروع جسم في الاعانة على المنافع العمومية
لا يخطر الا بخاطر دولة متمدنة محبة للتقدم العجيب ودولة مأمورة ذات
ملاحة وسياحة بحرية ذات سفن عظيمة تقتتحم اخطار البحار
وتبحث عن المنافع العامة في شاسع الاقطار وكل يدل على ان هاتين
الدولتين كان عندهما في تقديم المنافع اعمال الافكار ان في ذلك لعبرة
لاؤلى الابصار

ثم ان الصوريين هم اول من استكشف الصياغة باللون الاحمر
الارجواني الذى كانت تتحذى الامراء من مصنوعاته الحلل والثياب والمضارب
والقباب وكان استخراجهم لهذا اللون الجھول عندهم من الصدفة
والاتفاق وذلك ان بعض رعاياهم رأى كتابا جاءها كسر مخارة من صدف
البحر فاكتلبوا قتلوا حنكه باللون الاحمر الارجواني فاعجبتهم ذلك اللون
البييج فاستخرجوا من المخار هذه الصياغة وصبغوا بها الاقدمة حتى اتفقا
صياغتها فصار هذا اللون بعد مدة زينة للملوك في ذلك العهد لا سيما للملوك
مصر وكثيرا ما تكون الاتفاقيات سببا في اختراع الصنائع وتکثير المنافع
ومن جملة ما اخترعه الصوريون مما اورثهم الشهرة فن الكتابة حيث
اخترعوا حروف المجام الاستخرج منها الحروف الافرنكية

واول من نقل حروف المجام من الصوريين اليونان ومن كتابة
اليونان القديمة استخرج اللاطينيون حروفهم المجائية ومنهم استخرج
جميع اهالي اوروبا حروفهم فهذه الحروف القليلة وصلت الامم الى معرفة
العلوم فكانت آلات لجمعها فهي في الحقيقة تعد من آثار الصوريين وهذا
اما الهام رباني بعض آثارهم على ان الواضع هو الله سبحانه وتعالى فان

« مطلب »
اد الصوريين
هم اول من
استكشف
الصياغة باللون
الاحمر
الارجواني

« مطلب »
في ان اول من
نقل حروف
المجام من
الصوريين
اليونان

كانت هذه المأمور الصورية من وضع البشر فالافعال كلها لله والله خلقكم
وما تعملون وعلى كل حال فهي آثار نافحة
تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدها الى الآثار
(وقال آخر)

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار
وهذا القول ينبغي أن يكون بالنسبة لحروف المجاء التي تأسس عليها
خط أئم أوربا والا فالكتابة قديمة بدليل صحف شيش ونحوها بل هي
داخلة في تعليم آدم الأسماء وما يدل على ذلك الحروف الأبجدية التي لها
خواص واسرار الهيئة فلا شك في قدمها وأنها ليست من مخصوص وضع البشر
فإن الكتابة « طاب »
في إن الكتابة من الفضائل الأولى
من اختراع الصوريين وأنهم أول من كتب بالقلم في بلادهم وبين أئمهم
وأنقل منهم إلى اليونان فلهم فضل لا ينكر فإن الكتابة في حد ذاتها من
الفضائل الأولى وفضل الكتاب دأبنا متداول على السنة ذوي الالباب قالوا
الكتاب سياسة الملك وعماده واركان السلطان وأطواذه باقلامهم تبسط
الارزاق وتبيض الآمال وبها تساند العاقل اذا عجزت عن صونها الرجل
وقالوا الكاتب مالك الملك يصرفة بقلم الانشاء كيف يشاء وقالوا لو ان في
الصناعات صنعة مربوبة لساخت الكتابة ربا كل صناعة وقالوا الكتاب
قطب الادب وfolk الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة
العقل وبالكتاب قامت الرئاسة والسياسة واليهم القى تدبير الأئمة
والآزمات عليهم يعتمدون في حصر الاموال وتنظيم شئون الاحوال وما
مدحوا بحسن من قول القائل

ثُمَّ اسْتَمْدُوا بِهَا ماءَ الْمِنَاتِ
وَمَا لَا يَنْالُ بِحَدِّ الْمُشْرِفَاتِ
قَوْمٌ إِذَا أَخْذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصْبِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعْدِيهِمْ وَانْ بَعْدُوا
وَمِنْ قَوْلِ الْآخَرِ

سَفَكُوا الدَّمًا بِأَسْنَةِ الْأَقْلَامِ
أَمْضَى وَانْفَذَ مِنْ رَقِيقِ حَسَامِ
قَوْمٌ إِذَا خَافُوا عَدَاوَةَ بَيْنِهِمْ
وَلَضْرِبَةِ مِنْ كَاتِبِ بِلَسَانِهِ
(مفرد في المعنى)

لَهُ يَرَاعُ سَعِيدٍ فِي تَقْلِبِهِ أَنْ خَطَّخَ طَاطِعَتِهِ الْمَقَادِيرِ
وَقَالَ ابْنُ الْمَقْعَدِ الْمَلُوكُ أَحْوَجُ إِلَى الْكِتَابِ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى الْمَلُوكِ وَمِنْ فَضْلِ
الْكِتَابِ أَنْ صَاحِبُ السِّيفِ يَزَاحِمُ الْكِتَابَ فِي قَلْمَهُ وَلَا يَزَاحِمُهُ الْكِتَابُ فِي
سِيفِهِ وَرِسَالَةُ الْمَفَاخِرَةِ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلْمِ مَشْهُورَةٌ مِنْهَا لِابْنِ الرَّوْمَى فِي تَفْضِيلِ

الْقَلْمُ عَلَى السِّيفِ

اَن يَخْدُمَ الْقَلْمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرَّاقِبُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْاَمْمَ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءٌ يَعْدَلُهُ مَا زَالَ يَتَّبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلْمُ
وَمِنْ مَوْجَزِ الْبَلَاغَاتِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ مَا كَتَبَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلَكِ إِلَى مَرْوَانَ
اَنْ مُحَمَّدًا وَقَدْ بَلَغَهُ تَلْكُؤَهُ عَلَيْهِ فِي بَيْعَتِهِ اَمَا بَعْدَ فَانِي اَرَاكَ تَقْدِيمَ رِجَالٍ وَتَؤْخِرَ
أَخْرَى فَمَا تَدْرِي أَيْهُمَا أَحْرَى فَإِذَا اتَّاكَ كَتَابِي فَاعْتَمَدْتُ عَلَى اَيْهِمَا شَائِئٌ وَيَقْرَبُ
مِنْهُ مَا كَتَبَهُ بَعْضُ الْمَلُوكِ إِلَى قَرَا اَرْسَلَانَ وَقَدْ بَغَى عَلَيْهِ الَّذِي نَعْلَمُ بِهِ قَرَا
اَرْسَلَانَ اَنَا نَحْنُ نَزَلْنَا بِنَدَادِ صَبَاحِ اَفْسَادِ النَّذَرِينَ فَأَمْرَنَا اَهْلَهَا بِالدُّخُولِ
تَحْتَ طَاعَتِنَا وَالخُروجُ عَنْ مَعْصِيتِنَا فَابْوَا فَقِي عَلَيْهَا القَوْلَ فَدَمَرَ نَاهَا تَدْمِيرًا
فَانَّ كَتَبَتْ مَنْ يَدْخُلُ تَحْتَ طَاعَتِنَا وَيَخْرُجُ عَنْ مَعْصِيتِنَا فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ
نَعِيمٌ وَانَّ كَتَبَتْ الْاَكْلَاحَافِرَ لِفَتْلَهُ بِظَلْفَهُ وَاجْمَادِعَ لِسَارَنَ اَنْهُ بِكَفَهِ فَسُوفَ

« مَطْلَبُ
الْمَفَاخِرَةِ بَيْنِ
السِّيفِ وَالْقَلْمِ »

يلحقك بالأخرين اعمالا الذين ضل سعهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم
يسعدون صنعا فرجع لوقته

ومع كثرة معارف الصوريين واتساع تجاراتهم برا وبحرا فكانوا
عبدة أوئل واهل بدع وأوهام فمن بدعهم الفاسدة أنهم كانوا يقربون
الآدميين قربانا لآلهتهم وهذه العادة وان كانت بشعة في حد ذاتها وواقعة
في كثير من أقاليم الأرض عند الامم المتبربرة الا انها أقبح عند الصوريين لمقدمهم
ويقال ان مملكة صيدا كانت دار ملك التقنيكيين يعني اهل السواحل
الشامية ثم نشأت مدينة صور المذكورة وصارت عاصمة جدا وهي التي
كانت منبعا للمنافع العمومية وقد ذهب منها جماعة الى بلاد المغرب فأسسوا
مدينة قرطاجنة وعمروها وجعلوها مملكة عظيمة قبل الميلاد بثمانمائة وتسعين سنة
وبسبب مهاجرة الصوريين الى بلاد المغرب أنه كان في سواحل الشام
على بلاد الصوريين ملك ظلوم غشوم يسمى بغاليون كان من الجبارين وكان
له اخت تسمى ديدون متزوجة بأمير يقال له سيدشه فقتله ذلك الملك لقصد
سلب أمواله فجمعت ديدون ما عند زوجها من الاموال وجميع ما في خزاناته
وفرت الى أفريقيا بالغرب وأسست هناك مدينة قرطاجنة فعمرت هذه
المدينة حتى فاقت في الغنى والثروة والبطش والقوة مملكة الصوريين وصارت
فيما بعد مقارنة لرومية دار سلطنة الرومانيين وفيما بعد اشتدت العداوة بين
المملكتين كما تقدم ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب
ثم انتهى أمر الصوريين بعد العز والطنenze أن صاروا ارعايا للعجم
والبيونان والرومانيين الى ان صار فتح العرب بلادهم بالاسلام بفتح الشام وقد
أسلفنا في آشاء الكلام على الصوريين بعض شيء في حق تقدم العرب بما ناسب المقام

الباب الثالث

في تطبيق أنواع المعرفة العمومية في الأزمان الأولى على مصر الحميمية وإنها كانت من التمدن والتقدم بمكانة عالية وفيه فضول

الفصل الأول

في تقدم مصر وغناها في عدة أزمان سابقة وأدوار متناسقة وحيازتها
للمعرفة العمومية بوجه إجمالي

المتبدّل لآراء أرباب العقول الذكية أن أعظم البلاد الساحلية قابلية للتقدّم في المعرفة العمومية هو الديار المصرية وأنه لم يتقدّم على سواحل البحر الأبيض مثل بلاد مصر فيما يخص الزراعة والصناعة وإنها كانت أشغالها وعملياتها متقدمة تقدماً عظيماً وإن حركة المعرفة العمومية فيها كانت على غاية ما يمكن من النشاط والاتقان فأن صعيدها الأعلى الذي هو الوجه القبلي مع اتساع أراضيه لا يبعد من النيل إلا مسافة أميال أفاليمها بالوجه البحري يقسمها النيل إلى عدة فروع في كل الوجهين يمكن بمساعدة اليد الصناعية والعملية توصيل ممتلكاتها ومحصولها من بعض المدن الكبيرة إلى بعضها يمكن نقلها إلى القرى والكافور من قرية إلى أخرى ومن ضيعة إلى أخرى أو إلى مدينة وهكذا وهذا بأقل المصروف ويسير الكلفة براً وبحراً ومن المعلوم أن نيل مصر واسع جداً يسهل فيه سير السفن في داخل البلاد بعضها مع بعض فالظاهر أنه أقوى سبب في كون الديار المصرية

اكتسبت قبل غيرها من الملك في الازمان الخالية صفة الثروة والفن
وقدمت في المنافع العمومية وتكلفت في منقبة التمدينة كما دلت عليه
التواريخ فكان تمدها تمنا رفيعا متسع الدواير فيما يخص الصنائع مستوفيا
للغى مستوى عالمتناه وعلو المكانة كما يشهد لذلك ما يوجد في صعيد مصر
من المباني التي لم تزل قائمة على ساقها إلى الآن فليس أعدل من شهادة مدينة
طيوه ذات المائة باب فان في رسومها القديمة وأثارها الجسيمة ما يعجب منه
أولو الأباب وقد توصل السواحون إلى الوقوف على ما فيها تحت الأرض
من المدافن والقبور وقرؤا تاريخ بنائها الأزلي فوجدوها قد مر عليها خمسة
وعشرون قرنا قبل الميلاد ولم تغيرها العصور والدهور وقد استخرج في هذه
الايم بالبنش في معبد قديم بملكه نابولي احدى ممالك ايطاليا ستة اعمدة
من المصنوعات المصرية المنحوة من الصوان الأحمر منها أربعة كبيرة طول

العمود أربعة أمتار وثلث متر وقطر محيطه اثنا عشر سنتيمتراً ويعلم من **«مطلب»**
استكشاف اعمدة مصرية بمعبد قديم في نابولي
ارتفاعها وتناسب سمكها وبريق لونها أن صنعتها بهذه المثابة كان في عصر
وجود به فن نحت الاحجار بصر وان مصر اذ ذاك كان لها التقديم في
هذه الصناعة من أحقاب خالية وأما العمودان الآخران فصغيران ولكل
منهما قاعدة من نوع الطين المذهب واكيل غريب الشكل وقد بيعت هذه
الاعمدة في باريس بأربعين الف فرنك في المزاد ولا شك ان استخراج
هذه الاعمدة كان من محاجر مصر ونقلها إلى بلاد الرومان ووضعها في
معابدها القديمة ثم استخرجها الآن بعد مرور نحو ألف سنة وهي على
حالة حسنة ومبיעها بهذا المبلغ يدل على كمال صناعتها وقوتها مادتها فشل هذه
الاعمدة الغريبة والمباني العجيبة الحسنة النقش المختلفة الألوان الهمجة المكتوبة

بالاقلام القديمة المصرية نطق بسان حامه بتقدم مملكته مصر في درجة التمدن ولكن لا يفصح لسان مقاها عن حقيقة الحوادث الداخلية التي أوجبت هذه الرموز والله ويرى ونهاية الحال ان ما هو منقوش عليه من التاريخ لبنيها يفيد قوة ملك مصر الذي حصلت هذه المباني في ايام سلطنته وان في ايامه كانت المعرف بالآلات والأدوات عجيبة وهذا كله يدل على شوكة هذه الدولة وتقدمها في الصناعة والمهارة ويستفاد أيضا من هذه الكتابات القديمة أن هذا الملك العظيم سار بجيش جرار عدة مرات الى أقصى الملك وانتصر فيها النصرات العظيمة وفتح الفتوحات الجسيمة وبلغ مناه وشق غليله من عداته وزاد خفاراً على خفاره واتسعت دائرة علو قدره واعتباره

وهذه الحروب كانت كما يفهم من النقوش والرسوم مع سلطان عظيم صاحب شوكة قوية وارتفاع شأن معلوم وهو سلطان بابل العريق الذي لا يوازيه في القوة والشوكة من ملوك ذلك العصر الا ملك مصر الذي كان بينه وبين ذلك الملك الشقاق والوفاق فان في ذلك الزمان المعهود كان أشهر مدن الدنيا مدینتين متسابقتين في ميدان الفخار ومتافستيتين في كسب الاعتزاز وها مصر وبابل

وقد دل أقدم التوارييخ على انه ما كانتا دون غيرهما سلطنتين عظيمتين ودولتين بالحدود متباورتين تيزهما الحدود الطبيعية كالبحر المأه ونيل وان غيرهما من الملك ليس من هذا القبيل فكان مصر مملكة الغرب مخلدة وبابل مملكة والعراق في القديم الشرق مؤبدة وبين مملكتي الشرق والغرب تارة الصلح وتارة الحرب وجميع من كان من الامراء والملوك لاغون ان الملوكة والحكومة فاما كان بالنهاية والفرعية عن

« ملك »
الماصرة بين
سلطنتي مصر

هذه الجرثومة وكانت من اجل المالك المعتبرة بما اشتهر تابه من عجائب السحر وغرائب السحرة وناهيك بمن تعلم السحر من هاروت وماروت وحسبك ماجعنه فرعون لموسى من المدائن من كل سحار عالم لنصرة الطاغوت وبهذا كان لهم الولاء التام على من جاورها من الملوك والحكام وكان بين الملكتين كمال الانتقام ووثوق العهد الذي لا يتعريه نقض ولا ابرام وبقى هذا الوصف الجليل الى ايام حرب ترواده كما ذكره أميروس الشاعر فقد نص على انه كان في ايامه بينهما الصلح الكامل ثم استبان مما ذكره المؤرخون انه عرض لهما في آخر القرن الثامن قبل الميلاد ما يطرأ على المالك من التزيف فضعف مملكتة مصر وتقزت مملكتة العراق فسبحان مقسم الارزاق ومالك الآفاق ومن المعالوم ان الذي اسس بابل هو النبؤذ الذي هو ابن حفيد سيدنا نوح عليه السلام كما هو نص التوراة واما مؤرخواليونان والرومان فقد نسبوا تأسيس مدينة بابل الى سمير اميس زوجة مينون أحد عساكر ملك بابل تأسيس مدينة بابل ومدينة بابل ومدينة نينوى المسماة هذه الملكة سمير في التواريخ الشرقية وبيان ذلك ان مملكتة بابل كان يجاورها في قديم الزمان مملكتة أشور يعني بلاد الكردستان مدينة نينوى يعني مدينة سيدنا يوحنان عليه السلام بناها الملك أشور ثم حسمها الملك نينوس فكانت مدينة عظيمة في طول ثمانية فراسخ ونصف لا يطوف السائر حولها بمحيطها الا في نحو ثلاثين ساعة وكان ارتفاع سورها الخارج عنها مائة قدم واتساع جدار الاسوار عريض بحيث يسير فوقه ثلاثة عجلات بعضها في جانب بعض ولو مع غاية السرعة وكانت مدينة حصينة وفي داخلها خمسة عشر برجا ارتفاع البرج مائتا قدم ولما تزوجت سمير اميس نينوس ملك مدينة نينوى التي كانت اذاك تحت كل من مملكتة العراق ومملكتة الكردستان المتن

« مطلب
تأسيس مدينة
بابل ومدينة
نينوى »

صارت كالملكة الواحدة ألبسها التاج وسلامها البلاد حيث كانت وهي في عصمة
 زوجها الاول قد اشتهرت بأفعال الشجعان في واقعة من الوقعات العظيمة
 وكانت قوتها العسكرية نحو مليون من النقوش فصاروا في تصرفها فلما مات
 نينوس اعقب منها ولدا قاصرا يقال له ننياس فتقلد الملكة وكانت أمها سمير اميس
 وصية عليه فصار يدها زمام الملك وأرادت احرار الشهرة والصيت وكسب
 الفخار الخلد فبنت مدينة بابل وزينتها بانواع الزينة على مثال مدينة نينوى
 وبقدر الساعه او بنت اسوارها بالاجر والقراميد وجعلت مؤنة البناء بمادة قارية
 صلبة قفرية وجعلتها عريضة الاسوار بحيث يمر بها سهلا عجلات متلاصقة
 تسير متوازية مع بعضها على حزاء واحد مع غاية السرعة ويقال انها حفرت
 حولها خنادق عميقه وجعلت فوق الخنادق مائة قنطرة من النحاس كل
 قطرة توصل الى بابل وعملت فوق بيوت المدينة بستين معلقة جميلة الشكل
 تجري بها المياه في الغدران والجدائل وتصل اليها من برابخ عجيبة بتديير
 عجيب وجعلت في المدينة الميادين الواسعة والربات الفسيحة المغروسة بالأشجار
 من جميع الأقطار والجهات بحيث يمكن المسير في المدينة من باب الى آخر
 من ابواب القنطر بدون ان يكون للشمس سلطنة على احد ولا عظيم سلاطة
 للمطر لاتفاق الاشجار بعضها بعض وتعريشها وكانت بابل على نهر الفرات
 على قول أغلب المؤرخين ونينوى على نهر الدجلة

فيفهم من هذا أن باني بابل هي الملكة سمير اميس وهو مخالف لكلام
 التوراة من أن الباني لها هو الترورذ مع ما بين زمانيهما من القرون العديدة
 والدهور المديدة وإن هذه الملكة بنت مدينة على أطلال بابل وكانت قد دُرِّخت
 بمر الدهور وذكر العصور أو بنت أخرى في غير محلها وسمتها بهذا الاسم

محاكاة للنمر وذو كان تحت يده هذه الملكة في مملكة العراق من سواحل الشام
وفلسطين الى نهر السندي بلاد الهند حتى ان عساكرها طردت عساكر مصر
من تلك الجهات المشرقة التي كانت متقدمة عليهما اذ ذاك وكانت كلها انتصرت
بقوة شجاعتها زادت مطامعها في الفتوحات ولشجاعتها وخفتها حركتها سميت
سميرامييس يعني الحمامنة لأنها اتى دلفتوح البلاد بـ صار اسمها كاسماء الاجناس
على كل مملكة اشتهرت بالشجاعة واقتحام الاختصار في البلاد البعيدة لقصد
الفتوح ولذلك يقال لـ كاترينة الثانية مملكة الموسقو سميرامييس الشمال
يعني الجهات الشمالية ويقال ايضا لمجريطه مملكة الدانيرة
سميرامييس الشمال ايضا لأنها جمعت المالك الثلاثة وهي مملكة اسوج
ومملكة زوج ومملكة دنيرقة وقد قلنا فيما سبق ان تلك الملكة كانت تحكم
العراق والكردستان وما يتبعهما من المالك الواسعة بالوصاية على ولدها نيناس
لكونه فاقدا

وفي مدة وصيتها بـ نيناس بـ بابل هيكل الشمس الذي دخله متخد
من الذهب وبـ نيناس اعدت مدائـن اخر وأرادت ان توغل في بلاد الهند
فسارت بـ جيش كبير فانتصر عليها ملك الهند وفرت مدبرة الى بلادها وكان
ولدها قد بلغ رشده وتأهل لـ ان يحكم مملكته بنفسه فـ تـ قـ لـ دـ زـ مـ اـمـ المـ مـ لـ كـ وـ اـ سـ بـ يـ بـ
برأيه فـ اـ حـ بـ اـ تـ حـ بـ ذـ بـ اـ يـ هـ اـ وـ تـ دـ نـ وـ مـ نـ هـ باـ سـ مـ اـ تـ هـ اـ يـ هـ جـ مـ اـ هـ اـ وـ تـ شـ وـ يـ قـ هـ اـ
وصـ اـ لـ هـ فـ رـ اوـ دـ هـ عـ نـ فـ سـ هـ عنـ نـ سـ هـ حـ كـ فـ يـ صـ يـ رـ الحـ كـ فـ يـ دـ هـ اـ دـ اـ سـ تـ وـ لـ تـ عـ لـ قـ بـ هـ
فـ اـ سـ تـ عـ اـ دـ اـ مـ فـ جـ وـ رـ اـ بـ اـ الـ فـ جـ وـ رـ اـ بـ اـ لـ اـ سـ يـ هـ اـ وـ اـ هـ اـ سـ تـ شـ عـ رـ بـ اـ هـ اـ قـ لـ تـ وـ الـ دـ هـ بـ الـ سـ مـ
فـ سـ لـ كـ سـ بـ دـ لـ الـ اـ نـ قـ اـ مـ وـ اـ دـ اـ قـ حـ اـ مـ تـ هـ كـ اـ سـ الـ حـ اـ مـ وـ سـ كـ اـ نـ ذـ لـ كـ قـ بـ لـ مـ يـ لـ اـ دـ

عـ يـ سـ يـ بـ شـ لـ اـ نـ هـ عـ شـ رـ وـ اـ لـ فـ وـ مـ اـ ثـ يـ

وكان الملك نبياس قليل الطمع في الفتوح فقنع بما تحت يده عن
 الطريق بالتلاد وازوى في قصره متنعماً بأهل بيته بعيداً عن العباد ولم تعلم وقائع
 غريبة حصلت في مملكة العراق وكردستان في خلال ثمانمائة سنة حتى
 تسلط عليها الملك سردينال سنة سبعمائة وسبعين وستين قبل الميلاد فأنهمك
 هذا الملك على اللذات والشهوات وأغار عليه أهل أذر بيجان وحاصروه أشد
 المحاصرة فمن شدة المضايقة أحرق نفسه ونساءه فاستبد أهل أذر بيجان بالحكم
 وخلعوا طاعة بابل ثم دخل أهل أذر بيجان وبابل تحت مملكة العجم وكان
 حكماء البابليين يتقدون رصد الكواكب لكثره الصحو وقلة الغيم و
 بهذه البلاد فصار لهم كمال الوقوف على العلوم الفلكية وهم الذين اخترعوا
 الزوايا وتشبثوا بعلم التنجيم وزعموا معرفة حوادث الأزمنة المستقبلة من
 أنواع النجوم وتولع الناس بتقليدهم وتصديق أوهامهم الفاسدة التي يبطلها
 الشرع ويكتذبها العقل فهل هذه الأشياء تعد من كبوات الاجياد وهفوات
 الاجماد أو من بدع الجahلية الأولى الظاهرة الفساد وضلالات أهل الكسد
 والظاهر أن هذه الأمة أضلتها الكواكب ضلالاً مبيناً حتى عبدوا الشمس
 ودخلوا أذر بيجان وكانوا يعرفون الإله الحق يقيناً فالتنجيم فن مذموم ولكن لا بأس بعلم
 النجوم فقد كانت العرب أشد عنائية بمعرفة النجوم وقد قيل لأعرابي ما
 علمك بالنجوم قال من ذا الذي لا يعلم أخداع بيته وقيل لاعرب أتعرفين
 النجوم فقالت سبحان الله أما نعرف اشباعاً وقوفاً علينا كل ليلة

وبالجملة فكانت الفنون والعلوم والصناعات بلاد العراق في غاية التقدم
 وكان فيهم سوق التمدن نافقاً فكانوا يتنافسون ويتفاخرون في المطاعم
 والمشارب والزينة والزخرفة واشتقت أنها كهم على اللذات والشهوات

« مطلب »
 تسلط الملك
 نبياس داخله
 زمام الملكة
 من امه

« مطلب »
 تسلط سردايا
 على العراق
 واحراق نسائه
 ونساءه

« مطلب »
 دخول أذر بيجان
 والعراق تحت
 مملكة الفرس

« مطلب »
 ما تسبب عن
 توليد كبروش
 ملك العجم
 مملكة العراق

خصوصاً لما تولى عليهم كيروش ملك العجم فقدس أخلاقهم وانحصار
 نظامهم وأما مصر المقارنة لبابل فقد تزهت ملوكيها عن مثل هذه الرذائل
 فقد اجمع المؤرخون على ان مصر دون غيرها من الملك عظم تمدنها
د. مطب ، ما كانت عليه مدينة منف في الزمن القديم
 وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية فكيف لا وأن آثار المدن
 وأماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة واربعين قرنا يشاهدها الوارد
 والتردد ويعجب من حسنهما الوافد والمترجر مع تنوعها كل التنوع فجميع
 المباني التي تدل على عظم ملوكيها وسلطانها هي من أقوى دلائل العظمة
 الملوكيه وبراهينها فانظر الى آثار منف وأبنيتها وعجائبها وأصنامها ودافنهما
 مما يحكيه المؤرخون عنها وانها كانت ثلاثين ميلاً بيوتاً متصلة وفيها بيت
 فرعون وهو قطعة واحدة من الحجر وسقفه وفرشه وحيطانه من الحجر
 الاخضر وكان لها سبعون بابا وهي مدينة المملكة المصرية وكانت منزل الملك
 من القبط الاولى والعاليق ومسكن الفراعنة وما زال الملك بها الى ان ملك
 الروم اليونان ديار مصر فانتقل كرسي المملكة منها الى الاسكندرية ومع
 ذلك لم تزل عامرة الى ان جاء الاسلام ثم خربت وفيها كانت الانهار تجري
 من تحت سرير الملك وكانت أربعة انهار
 ويقال ان ملوك الدنيا لو اجتمعوا واتفقوا على أن يصنعوا امثالها لما
 أمكنهم ذلك وكان فرعون اذا أراد الركوب من منف الى عين شمس صنع
 صاحب المرقب علامة فإذا رأى صاحب عين شمس تلك الاشارة تأهب
 لاستقباله وكذا يصنع اذا أراد الركوب من عين شمس الى منف لأن كل
 من المدينتين كان تحت المملكة ويقال انه كان بينف قبة فيها صور ملوك
 الدنيا

وَلَمَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ مَصْرَ فِي سَنَةِ سِبْعَ عَشَرَةِ وَمَا ثَانِي وَقْدَ رَأَى مَدِينَةَ مِنْفَ

« مطابق »
دخول المأمون أنشد الآيات الآتية
العباسي مصر

سَأَلَتْ أَطْلَالَ مَصْرَ عَنْ عَيْنِ شَمْسٍ وَمِنْفَ

فَأَهْرَاتْ جَوَابًا وَلَا أَجَابَتْ بِحَرْفٍ

وَفِي السَّكُوتِ جَوابٌ لَذِي الْفَطَانِ يَكْفِي

وَهُلْ عَلَامَاتُ التَّمَدُّنِ وَدَلَائِلُ الْعَظَمِ إِلَّا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ وَهِيَ حَسْنٌ

الْادْرَاجُ الْمَلَكِيَّةُ وَالسِّيَاسَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ وَمَعْرِفَةُ الْأَلْوَاهِيَّةِ فَهَذِهِ الْثَلَاثَةُ أَسَاسُ

تَمَدُّنِ الْمَالِكِ الْعَدْلِيَّةُ عَلَى الْعُومَ وَالْمَصْرِيُّونَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانُوا مِنْقَادِينَ

لِلْحُكْمِ الْمَلْوَيِّ فَكَانُوا مَطْيَعِينَ لِلْمَلَكِ وَكَانَ الْمَلَكُ مِنْقَادًا أَيْضًا لِلْقَوَافِينَ الْمَلَكَةِ

وَأَصْوَلَهَا فَكَانَتْ حَرْكَاتُهُ وَسُكُونُهُ عَلَى طَبِيقِ الْقَوَافِينَ وَكَانَتْ حُكْمَاءُ

مَصْرَ تَذَكَّرُ الْمَلُوكُ دَائِمًا بِالْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ وَتَحْتَمُ عَلَى التَّمِسُكِ بِالْفَضَائِلِ

الْمَلَوِيَّةُ وَتَلَعُّنُ مَنْ يَصْرُفُهُمْ عَنْهَا مِنْ بَطْلَانِ السُّوءِ وَأَهْلِ النَّفَاقِ وَكَانَ الْمَلُوكُ

فِي تَلَكَ الْأَوْقَاتِ يَشْتَغِلُونَ بِعَطَالَةِ الْحُكْمِ وَالْآدَابِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْتَّوَارِيخِ وَكُلِّ

« مطابق »
توزيع اراضي مصر على
عواطف ثلاثة ما يرشد الى العدل والاستقامة وكانت مصر منقسمة الى عمارات على كل

عَمَالَةٍ حَاكِمٍ وَأَرَاضِيهَا مَلْوَكَةُ ثَلَاثَ طَوَافَاتٍ مِنْقَسَمَةٍ بَيْنَهُمْ قَسْمٌ لِلْمَلَكِ وَقَسْمٌ

لِأَمْنَاءِ الدِّينِ وَقَسْمٌ لِلْعَسَكِرِ الْمَهَارِيْنِ وَأَمَّا بَوَاقِ الطَّوَافَاتِ فَكَانَتْ مَعَايِشَهُمْ

مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَصَنَاعَتِهِمْ فَهَذَا التَّقْسِيمُ قَوِيٌّ شُوكَةً أَمْنَاءِ الدِّينِ وَجَعَلَهُمْ مُخْتَصِينَ

بِسِيَاسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِمَارْسَةِ الْعِلُومِ وَبِتَقْدِيمِ الْقَوَافِينَ الْمَلَكَيَّةِ وَبِنَفْوذِ الْكَلَامَةِ فِي الْحُكُومَةِ

وَكَانَتْ مَصْرُ كَثِيرَةُ الْجَنُودِ وَالْعَسَكِرِ وَلَهُمْ أَصْوَلٌ تَحْمِلُهُمْ عَلَى الشَّجَاعَةِ فَكَانَ

الْعَسْكَرِيُّ الَّذِي يَظْهِرُ الْجَلَادَةَ فِي الْحَرْبِ يَعْطِي عَلَامَةَ الْشَّرْفِ وَالْإِفْتِخارِ

وَالَّذِي يَجْبِنُ عَنِ الْحَرْبِ أَوْ يَفْرُّ مِنِ الزَّحْفِ يَعَاقِبُ بِوَسْمِهِ بِعَلَامَةِ الْعَيْبِ

والعار والافلاضاح بحيث تكون السمة ظاهرة على بدنه تلوّنه وتدلّسه بين أهل وطنه والظاهر ان اقطاع الارضي للمحاربين كانت سبباً في كثرة أمواهم ورفاهيتهم فترتب عليها فيما بعد فتوحاتهم في الحروب وترتب على ذلك أيضاً بداول الازمان عدم القدرة على مقاومة كل من كان يهجم على مصر من الامم الا ان هذا لا يمنع من ان الادارة العسكرية كانت متقدمة عندهم بدليل ان الملك سيزوستريوس جيشاً عظيماً لقصد سلب بلاد العراق والعجم والهند وفتحها فسار اليها من طريق الشام فاستولى على بلاد فلسطين وفتح العراق والعجم والهند وبني بلاد العجم مدينة شامينار التي سميت فيما بعد مدينة اصطخر وما ذاك الا بقوة عساكره وضبطتهم وربطهم وأما الديانة عند المصريين فكانت أيضاً مرتبة اذ كان أمناء دينهم يعتقدون الالوهية الذات العلية وكان لهم اسرار عجيبة فكانوا لا يظهرونها الا لقليل من الناس وكانت العامة يبعدون الاوثان ومسائلاً عبادتها عندهم كانوا يؤلهون كل من اخترع امراً غرياً من قانون أو علم أو فن فكانت مقدمين في الهندسة والمساحة والآلات الهندسية كعلم الجغرافيا والنجوم وكانت كتاباتهم بالقلم القديم البربائى الذي كان يعرفه حكامهم وأمناء اديائهم فكان كالرموز لديهم فكانت علومهم سرية مخفية عن العالم حتى لما ظهرت الحروف المجائية وانتشرت عندهم كما انتشرت في الملك لم تزل صحف العلوم المصرية ترسم بالقلم القديم البربائى

ومن اختراعاتهم العجيبة آلة الحرارة التي انتفع بها جنس البشر عموماً حيث تقدمت الفلاحة وبه تولد الحمدن بين جميع الناس مع اختراع السوق والنواعير مما لهم من اللطيف الخير فانها اساس لآلات السوق باحسن تدبير

وكانَتِ الدُّولَةُ الْمُصْرِيَّةُ تُعْرِفُ قِيمَةَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي سُعَادَةِ
 الْمَالِكِ فَأُنْتَخِبَتْ مِنْ مَنْ هُمْ أَشْلَاطُهُ الَّتِي هِيَ عَيْنُ شَمْسٍ وَمَنْفٍ وَطَبِيعَهُ قَضَاءُ
 « مَطَلَّبُ » ترتيب مجالس القضاة في القديم
 اِتَّدَبُوهُ أَحْوَالَ الْمَلْكَةِ وَجَعَلُوهُمْ اِرْبَابَ الْمُشَوَّرَةِ الْقَضَايَّةِ وَكَانُوا ثَلَاثَيْنَ قَاضِيَاً
 فَكَانَتِ مُحَكَّمَتُهُمْ نَافِذَةُ الْحَكْمِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الاحْتِرَامِ وَكَانَتْ مَصَارِفُهُمْ عَلَى
 طَرْفِ الْحَكْوَةِ الْمُلوَّكِيَّةِ وَكَانَ الْمَالِكُ يَأْخُذُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ إِنَّ لَا يَطَاوِعُوهُ إِذَا
 أَمْرُهُمْ بِشَيْءٍ خَارِجٌ عَنِ الْحَدِّ وَكَانَتْ مَذَا كَرَّةُ الْمَجَلسِ فِي الْمَصَالِحِ وَالْقَضَايَا
 وَالْأَرَاءِ تَكَبُّ بِالْقَلْمَنْ وَالْمَنَافِشَاتِ وَالْمَحاورَاتِ وَالرَّافِعَاتِ كَذَلِكَ إِثْلَاعًا يَخْفِي الْحَقَّ
 بِالْفَصَاحَةِ وَاللِّسْنِ لِسَافِيِّ الْبَيَانِ مِنَ السُّجُورِ وَكَانَ لِلْحَقِّ صُورَةً مُجَسَّدَةً فَإِذَا ظَهَرَ
 الْحَقُّ لِأَحَدِ الْخَصَمِينَ رَفَعَ الرَّئِيسُ الصُّورَةَ بِيَدِهِ وَأَذْنَنَ لِلْمَحْقِيقِ أَنْ يَضْعِفْ يَدَهُ عَلَيْهَا
 اِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْقَاضِيَّ فِي الْحَقِيقَةِ وَنَفْسُ الْأَمْرِ أَنَّهَا هُوَ الْحَقُّ فَهُوَ الْحَاكِمُ .

الْحَقِيقَ

وَكَانَ فِي اِحْكَامِ الْمُصْرِيِّينَ عَقَابُ الزَّنَادِيدَا جَدِيدًا كَوْنَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ
 الْمُخْرَمَةِ لِلَّامَةِ فَكَانُوا يَجْلِدُونَ الرَّجُلَ الْفَجْلَدَةَ وَيَجْمِدُونَ أَنْفَ الْمَرْأَةِ وَانْ مِنْ
 قَدْرِ عَلَى تَخَاهِيَصِ الْمَقْتُولِ مِنَ الْقَاتِلِ بِدُونِ حَقٍّ وَلَمْ يَخْلُصْهُ بِجَزَاؤُهِ الْقَتْلِ وَانَّهُ
 لَا تَسْطِطُ لِلْدَّائِنِ عَلَى ذَاتِ الْمَدِينِ بَلْ وَفَاءُ الْدِينِ مَحْلُهُ اِمْوَالُ الْمَدِينِ لَا شَيْخَصَهُ
 وَكَانَتْ قَوَانِيمُهُمْ تَعْلِيَلًا إِلَى الْحَثِّ عَلَى الْعَمَلِ وَقَطْعِ عَرْقِ الْبَطَالَةِ وَالْغَشِّ وَالْتَّدَلِيسِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْبُ فِي آخِرِ كُلِّ سَنَةِ التَّفْحِصِ عَنِ اَحْوَالِ
 الْاَهَالِي فَرَدٌ اَفْرَدًا فَيُسَأَلُ كُلُّ اِنْسَانٍ عَنْ مَوَادِ تَعْيِشِهِ وَمَنْ اِنْ اَكْتَسِبَهُ اوْ كُلُّ
 مِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ تَعْيِشَ مِنْ وَجْهِ حِرَامٍ بِجَزَاؤِهِ الْقَتْلِ وَهَذَا الْقَانُونُ مِنْ وَضْعِ الْمَلَكِ
 اِمْسِيسٍ فَمَنْ هَذَا يَفْهَمُ تَقْدِيمَهُمْ فِي التَّهْدِينَ وَانَّ مُحَكَّمَتَهُمْ فِي الْاَزْمَانِ السَّالِفَةِ

كَانَتْ عَادِلَةً مُحْتَرِسَةً مُسْتَنِيَّةً بِالْعَارِفِ

« مَطَلَّبُ » المَأْقَبَةُ عَلَى الْذَّنَوبِ عَنْ قَدَمَاءِ الْمُصْرِيِّينَ

« مَطَلَّبُ » التَّفْحِصُ عَنْ وَجْهِ النَّعْيَشِ

وقد دلت التواريخ ان ديوان حكمتها كان في غاية الاطف والتهذيب واستقامة الاخلاق والآداب وحفظ ناموس العرض والادب والحياة وكان على غاية من حفظ الرسوم الملكية المعتبرة والعوائد السلطانية المقررة وقد قامت الراحلين والدلاّل على استمرار أبهة التمدن على تعاقب القرون الكثيرة في أيام الملوك الأوائل وما يعوض ما قاله المؤرخون واستكشافه الحكماء الراسخون قصة يوسف عليه السلام فان مضمونها لفصل القول أحد من الحسام كما سنينه في الفصل الثاني من الباب الثالث من ذكر هذه القصة الصدقية التي يستنتج منها في هذا المعنى معارف تصورية وتصديقية

الفصل الثاني

في تأييد تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن القديم أخذنا من قصة القائل
اجعلني على خزانة الأرض أنني حفظ عالم

كان يعقوب عليه السلام قد ولد في زمان جده ابراهيم ونبي في زمانه
أيضا وتزوج زوجتين اختين أحدهما بعد الاخرى فولدة له الثانية يوسف
عليه السلام وبنiamين وماتت في نفس بنiamين وكانت الاولى ولدت منه ستة
يوسف لاخيهم
أولاد ثم تزوج بعد الثانية التي ماتت زوجة اخرى ورزق منها أربعة فكان
أولاد يعقوب اثنى عشر وهم الاسباط وكان احب اولاده اليه يوسف
خمسة اخوه فاحتالوا عليه فقالوا يا يوسف أما تشترى ان تخرج معنا
فنلعب ونتصيد فقال بلى قالوا فسل أباك أن يرسلك معنا فاستأذنه فأذن له فلما
خرجوا الى الصحراء اظهروا له ما في انفسهم من العداوة فقطن لما عزموا عليه

فأخذها أخوه روبيل الذي هو ابن خالته أيضا فضرب به الأرض وجلس على صدره
 ليقتلها وقال ليوسف قل لروياك تخلصك وكان قد رأى وهو ابن سبع سنين
 الشمس والقمر والمجموع ساجدين له فصاح على أخيه الآخر يهودا وقال خل بيدي
 وبين من يريد قتلي فقال يهودا أقوه في غيابة الجب فترعوا قيصه لا لقايه
 فقال ردوه على أستر به عورتي ويكون كفناي في مماتي فلما أقوه استقرت
 قدماه على حجر مرتفع من الماء وذبح أخوه جديا فلطخوا به القميص وقالوا
 أكله الذئب ومكث في الجب ثلاثة أيام وأخوه يرعون حوله ويهدوا يا إلهي
 بالقوت فلما جاءت السيارة الذين حضروا من مدين إلى مصر بالتجارة وكانت
 بضائعهم من الصمغ لتصبير الاموات فجعلت تسقي من الجب بدون التفات
 تعلق يوسف بالجبل فأخر جوجه بجاه أخوه يوسف فقالوا أهذا عبد أبق منا فباعوه
 منهم بعشرين درهم وحلة ونعلين فحملوه إلى مصر وجاؤوا به إلى مدينة منف
 فوق قوه للبيع فتزاد الناس في ثنه فاشتراكه قطير وكان أمير ملوكهم وخازنه
 وقال لأمرأته زليخا أكريمي مثواه وكان يوسف عليه السلام حسن الخلق
 والخلق كاملقطنة عظيم القيافة يتسم فيه الخير من رأه أحبه حتى ظهرت
 منه امارات الأمانة والصدق فامتاز في بيت العزيز بكمال التميز فرأوه
 أمرأة العزيز عن نفسه فعصم منها فترتب على ذلك سجنها وأحبه أيضا من
 كان معه في السجن كصاحب طعام الملك وصاحب شرابه وعبر لها روياتها
 وبقي مسجونا إلى حين منام الملك فعفا عنه بعد سجنها بضع سنين فلما أخرج
 من السجن فوض إليه أمر مصر وجعله أمينا حفيظا على خزائن مصر
 ولما تقلد يوسف عليه السلام منصبه وأراد أن يذهب إلى ديوانه
 حلق رأسه وتحمل بالثياب التفيسة وأخذ طراز الرتبة وعنوانها وعقد له

موكب جليل وحين مكنته من منصبه مر على اولئيم الملوك المعلقة بamarته وزوجة فرعون مصر بزوج من اعظم العائلات وهي ابنة ملك عين شمس فامتلأت الخزائن من الاقواف في زمن الرخاء لتنعم في زمن القحط وصار تدبيرها وادارتها على احسن حال واتم منوال

ومن اعجب ما صنعه طريقة حفظ البرق سنبلاه فقد دام وبقي بهذه الوسيلة محفوظا من آفات الانفاساد حتى اذ بعض الفراعنة اصر بحفظ القمح بذلك بعد عهد يوسف بعائة سنة ولما حفظ يوسف الاقواف في ايامه وباعها في زمن القحط كان يبعها باغلي ما يكون من القيم فكان يبيع مكيال البر بمكيال من الدر فاشترى اهل مصر بأموالهم وحلتهم ومواسיהם وعقاراتهم وعيدهم ثم باولادهم ثم برقاهم وكان يوسف عليه السلام لا يسبع في تلك الايام ويقول أخاف ان انسى الجائع وبلغ القحط الى كنعان فارسل يعقوب ولده للميرية قال يابني قد بلغني ان بمصر ملكا صاحبا فانطلقوا اليه فاقرؤه مني السلام فمضوا فدخلوا على يوسف فعرفهم وانكروه فقال من اين اتكم فقاموا من ارض كنعان ولنا شيخ يقال له يعقوب وهو يقرئك السلام فبكى وعصر عينيه وقال لكم جواسيس فقالوا لا والله قال فكم اتكم فقالوا احد عشر وكننا اثنتي عشر فأ كل احدنا الذئب فقال ائتوني بأخيك من ايسكم ثم درج بضاعتهم في رحالمهم فعادوا الى ابيهم فقالوا انا نمنع منا السكيل فأرسل معنا اخانا نكتل فقال يعقوب هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على أخيه من قبل ثم حمله احتياجه الى الطعام على ان ارسله معهم فلما دخلوا على يوسف أجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنديمين شقيق يوسف وحيدا يبكي وقال لو كان أخي حيا لا جلسني معه فاعتني به يوسف وقال أنا أخوك ثم احتفال عليه فوضع الصاع في رحله فلما لم يقدر وأعلى خلاصه

أقام ورجعوا الى يعقوب يقولون ان ابنك سرق فنلقاهم بصر جمیل ثم قال لبنيه
 « مطلب » اذهبو وتجسسوا من يوسف وأخيه فلما عادوا اليه بضاعة مزجاة وقفوا موقف
 يوسف الذل وقالوا تصدق علينا فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وكشف الحجاب
 عن نفسه فعرفوه فقالوا ائنك لا ننت يوسف فقال انا يوسف وهذا اخي
 فقالوا تالله لقد آثرت الله علينا اى اختارك وفضلك وكان قد فضل عليهم
 بالحسن والعقل والحلم والصبر وغير ذلك وان كنا لخاطئين اى المذنبين آمين
 في أمرك قال لا تشرب عليكم اليوم اى لا اعيركم بما صنعتم ثم سألهم عن ايه
 ذهاب البشير يقيص يوسف ابي ايات بصيرا فلما خرجوا من مصر حمل القميص يهودا وقال انا حملت قميص
 من اهله وولد ولده اني لا جدر يحي يوسف لولا أن تفندون اى لولا أن تشكروا
 على لاخبرتكم انه حي فلما اذ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدى بصيرا ثم خرج
 يريد مصر في نحو سبعين من اهله وخرج يوسف لتلقائه فلما التقى قال
 يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال يوسف بكثيت يا ابتي حتى
 ذهب بصرك أما علمت ان القيامة تجمعت واياك فقال يابني خشيت ان يسلب
 دينك فلا نجتمع واقام يعقوب عند يوسف اربعا وعشرين سنة في اهنا
 عيش فلما حضرته الوفاة أوصى الى يوسف أن يحمله الى الشام حتى يدفنه
 عند ابيه اسحق ففعل ثم ان يوسف عليه السلام رأى أن امره قد تم فقال
 توفي مسلما وألحقني بالصالحين وأوصى الى يهودا فهذا مآل القصة التي
 قصها الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف بفصيح العبارات البالغة حد
 الاعجاز وبلغ المعاني المفيدة لبيان النكات مع مراعاة الحال لما يقتضيه مقام

البسط أو الإيجاز ولذلك قال سبحانه وتعالي لنبيه عليه الصلاة والسلام نحن
قص عليك أحسن القصص وذلك لما فيه من العبر والنكت والمعاجيب فان
من الفوائد التي في هذه القصة انه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من
قدره تعالى وأنه اذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو اجتمع عليه العالم لم
يقدروا على دفعه (وقد روی) ان سبب نزول ذلك ان علماء اليهود قالوا
لكراء المشركين سلوا محمدًا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن
كيفية قصة يوسف فأنزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه
قرآنا عربياً لعلكم تعملون الآيات وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة
باللفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير

استنبط علو درجة مصر من قصة يوسف
«مطلب» سبب نزول سورة يوسف عليه السلام
انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآناً عربياً
فسمى بعض القرآن قرآن لأن القرآن يقع على البعض والكل ومن قصته
هذه يفهم علو درجة مصر التي قضى الله سبحانه وتعالي بانتقاله إليها لعلو
مرتبته فيها حتى انه عليه السلام لما قدم أبوه وسأله عما صنع به أخوه قال
سلني عما فعل بي ربى وأخذ بيده وطاف به في خزاناته فادخله خزانة الذهب
والفضة وخزانة الخلي وخزانة الشباب وخزانة السلاح وخزانة القراطيس
وكان يوسف يركب في كل شهر ركبة يمر بها على عمله ويدور فيه فينصف
المظلوم من الظالم ولا يركب إلا في عدد كثير من الجندي والألوية ومعه الف
سياف ولم يكن معه حكم مصر كله بل بعضه لانه على ما يقال ان طيبة
بعض عهد مصر كانت مملكة مستبدة عليها ملك آخر يدل على ذلك آية
حرب قد آتتني من الملك أي بعض ملك مصر كما أشار له بعض المفسرين فالبلدة التي
خزائنهما وعساً كرها بهذه المتابة لا تكون الا عظيمة الشوكه والثروة والتنظيم

والتعظيم وهو عين التمدن وان تأملت حق التأمل في مبدأ امر يوسف عليه السلام من اقتصار العزيز على سجينه وصبره عليه في السجن وعدم المبادرة عليه بالانتقام مع انه مملوك للعزيز خازن فرعون مصر علمت ان الدولة المصرية لم تكن امة خشنة تستعجل بالقتل لغلام مستقيم فطن بل كانت امورها تجري على منهج الاستقامة

ويستدل بهذا ايضا على ان قوانين معاملة الخدم والرقيق كانت عادلة لا يسوغ فيها للسيد الذي اساءه عبده كل الاساءة ان يتصرف منه لنفسه كما يكتب ويختار فهذا يفيد ان الملة كانت متمدنة واما سجن يوسف عليه السلام مع صاحب طعام الملك وصاحب شرابه فيدل على ان فرعون كان له كبراء اصحاب مناصب لقصره كما في الدول المتقدمة وانهم ما اتهموا بالخيانة الملكية يعني بارادة سمو الملك وان فرعون غضب عليهم ما حين اتهمهم واصر بسجنهما لحين تحقيق دعواهما فلما بين له ان احدهما مذنب بما يوجب القتل قتله وان الآخر بري فرج عنه فعاد الى منصبه كما ان يوسف ايضا لما علمت براءته ارتقى الى ما ارتقى اليه من العزارة

فمنه يعلم انه كان بصر اذ ذاك احكام عادلة وقوانين مرتبة وحدود مشروعة خالية عن الاغراض والنفسانيات وهي نتيجة التمدن النام وقد دلت التواريخت الارثية على انه كان لفرعون يوسف كل سنة عيد عظيم لمولده وان هذا العيد كان يعمد في ميعاده في القصر الملوي بأكمل ما يكون من الاحتفال الكامل والرسوم الجليلة فهذا يدل ايضا على جودة التمدن وطول مدته في مصر قد يعا حتى ان رسوم الملكة كان يحافظ عليها ويتمسك بها بدون تسامح ولا تماهل فان يوسف عليه السلام لما مات يعقوب وحزن عليه حزن بني اسرائيل

اجتناب ان يتمثل بين يدي فرعون واحترس كل الاحتراس ان يدخل في « مطلب »
 كيفية عيده
 ديوانه بزى الحزن ولم يستطع ان يخالف الرسوم المعمودة فكانت رسوم ديوان فرعون السنوى
 فرعون وآدابه واحلاقه معلومة علم يقين دامت عليه التوراة فهى مبنية على النقل
 دلالته على القدن
 المتواتر والسماع المستفيض فلا يشك فيها ومن المعلوم انه لا يتصرف بهذه
 الآداب الرسمية الا الجماعة المتقدمة في المعارف فلا شك ان جميع ما كان فى
 الدول المتاخرة المتقدمة من حسن الاخلاق والعوائد كان موجودا نظيره عند
 دولة مصر القديمة في ايام زهوها فليس التمدن من خصوصيات الازمان الاخيرة
 وإنما ذوقيات التمدن مختلفة بما يلائم طباع الوقت ويطابق مقتضى الحال فلا
 يبعد على صرف هذا المصير ان تستجلب السعادة وتكتسب من القوة المدية
 الحسنى وزيادة وتحصل من وسائل الغنى على مقاصد الافادة والاستفادة
 لأن بنية اجسام أهل هذه الازمان هي عين بنية أهل الزمان الذي مضى
 وفات والقرائح واحدة ووسائل هذا العصر الاخير متعددة ومتعددة فلا شك
 انها مساعدة على اكتساب المنفعة لمن يريد حقائقها وأعظم وسائلها رخصة
 الاخذ والاعطاء داخل وخارج وكمال الاتحاد مع الملك الاجنبية في المعاهدات
 التجارية العائنة بالمنافع العامة على الوطنية كما فعل ملك مصر اسمه تكوس
 الاول ابن نخوس ملك مصر من جلب الاجانب في مملكته كما سيأتي في
 الفصل الثالث من الباب الثالث

الفصل الثالث

في ان اعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالى الملك
الأجنبية واعتبارهم في الوطن كالاهلية

من المعلوم ان من أحسن في مملكة مصر السعادة والسيادة والامنية
وحفظ حقوق الرعية هو الملك رمسيس الذي اشتهر باسم سينستريوس وهو
الذى شيد في مصر القصور الشامخة والهياكل السامية المنافسة للاطواد
الراسخة واتخذ ما يلزم للوطن من الجسور والقناطر والخلجان
ورفع الاراضي المنخفضة المعرضة للغرق عند زيادة النيل واستبدل المدن
المتحفظة من محالها ببنائها على الربى العالية لسلامة البلاد والعباد ولم يفارق
الدنيا حتى ترك مصر على غاية من الثروة والغنى والسعادة والهدا وكل انسان
شاكر لفعاله وعلى تداول الازمان لا زال التاريخ يثنى على شمائله وجيل
خصاله الا انه هو ومن قبله واكثر من بعده من الملوك لم يحصل منهم كا
حصل من الملك ابساميطيقوس الاول من مساعدة التجارة داخلا وخارجا
فإن سعادة الاهلي إنما هي بالأخذ والاعطاء والتسللات الملكية

فكان هذا الملك في الحقيقة خر الدولة المصرية في الازمان الجاهلية
ومصباح تاريخها اعني بتاريخه مؤرخو اليونان لأنه أول ملك مصرى
قربهم الى بلاده واستمال قلوبهم بتوظيفهم ببرائسة اجناده وخالف عوائد
أسلافه وعامل يونان آسيا واوربا بأخص استعطافه وأقطعهم الاقطاعات
من الاراضي المصرية وسوى في الحقوق بينهم وبين الجنود الوطنية وجعلهم
من المقربين في المعية وأعطائهم جملة من الغلام المصريين لتعلم اللغة الاغريقية

« مطلب »
مساعدة الملك
ابساميطيقوس
ملك مصر للتجارة
داخل وخارجها

ليكونوا مترجمين بينهم وبين المصريين في أيامه انتشرت معرفة اللغة اليونانية وبواسطتها كثرت التجارات والمعاملات والمخالطات وتأسس بالقطع المصري العازر التجارية فكانت هذه أولى مرة تكلم فيها اليونان بلسانهم في غير بلادهم ولما رأى من صداقتهم ومساعدتهم وسع لهم في المعاش وأغدق عليهم غاية الاغداق وسواهم بحسبه فكانت منتفعهم جسيمة

« مطلب »
 فتح الله
 ومن فتح لليونان ثغور مصر وأبواها من ملوكها الملوك أمسوس ويقال
 له أمسيس فإنه كان قوي الفطنة جيد القرىحة حسن التدبير لم تسع مصر
 له أمسيس فكان قوي الفطنة جيد القرىحة حسن التدبير لم تسع مصر
 في أيام غيره كسعادتها في أيامه الهيئة ولم تخصل بالنيل بخصلها في أيام دولته
 وأمسيس متواءم لاسمه د رعيته بالثروة والغنى
 العدلية حتى قيل ولو انه من المبالغات التاريخية ان مدن مصر وقرها بلغت
 في عهده عشرين ألف مدينة وقرية وكلها غنية مثيرة وجمل أسباب ثروتها
 التجارية العظيمة لا سيما مع اليونانيين فما لهم اذ ذاك كانوا أرباب التجارة
 والصناعة واتسعت دائرة لهم في ذلك من مخالطة المصريين فقد شملتهم أنظار
 هذا الملك الخصوصية حيث أحسن مثواهم ورخص لهم الاستيطان بالديار
 المصرية بمدينة نقراطيس التي يقال ان محلها الآن فوقة وقيل غيرها

وكانت هذه المدينة دون غيرها مخصوصة بان يرسى عليها سفن الدول
 الأجنبية وقد أباح هذا الملك للغرباء أن يتسلکوا في مصر بأصول دياناتهم
 وأنعم عليهم بأراض مخصوصة لم ينروا فيها معابدهم وهياكلهم ومذاكيهم
 ومحاربيهم على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم وعقد مع دولة أثينا أي
 مدينة حكماء اليونان معاهدات وعقد أيضاً معاهدات أخرى مع دول أخرى
 كدولة القبروان بالغرب وكان له مخالطات ومراسلات متواترة مع الملوك

الْجَانِبُ كَمْلَكُ جَزِيرَةِ صِيَصَامُ احْدَى جَزَائِرِ الرُّومِ الْكَبِيرَةِ فَإِنَّ التَّارِيخَ قَدْ
 حَفِظَ نَصِيْحَتَهُ لِمَلَكِ الْجَزِيرَةِ الْمَذْكُورَةِ وَمَضْمُونُهَا لَا تَأْمُنُ صَرْوَفَ الزَّمَانِ
 وَتَفَكَّرُ فِي نَوَابِ الْحَدَّانِ وَاعْصَمِ النَّفْسَ فِي اتِّبَاعِ هُوَا هَا وَخَافَهَا وَلَا تَبَنَّهَا
 مِنْهَا فَلَمَّا قَرَأَ مَلَكُ صِيَصَامُ الْبَطَافَةَ عَزْمَ أَنْ يَرْهَدَ فِي الدِّينِ حَسْبَ الطَّافَةِ وَكَانَ
 بِاصْبَعِهِ خَاتِمُ جَوَهْرِ نَفِيسِ عَظِيمِ القيمةِ لَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ مِنْ زِينَةِ الدِّينِ شَيْئاً
 وَلَكِنْ وَقَعَتْ بِقَلْبِهِ وَعِظَمَةُ الْمَلَكِ أَمَاسِيسُ أَعْظَمِ مَوْقِعٍ فَنَزَعَهُ مِنْ اصْبَعِهِ
 وَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَعَزْمَ عَلَى تَرْكِ الزِّينَةِ وَصَمَمَ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ جَدُّهُذَا الْمَلَكِ
 قَائِمًا وَالسَّعْدُ لَهُ خَادِمًا رَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذَا الْخَاتِمَ فِي بَطْنِ حَوْتٍ سَعَى بِهِ إِلَيْهِ
 صَيَادُ مِنَ الْبَحْرِ قَادِمٌ فَقَهْمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ بِخَوْتٍ وَسَمُودٍ وَأَنَّ خَاتِمَ
 الْمَلَكِ وَأَنَّ زَهْدَ فِيهِ فَهُوَ إِلَيْهِ مَرْدُودٌ وَتَاجُ السَّعَادَةِ عَلَى مَفْرَقَةِ مَعْقُودِ

قال الشاعر

الْبَخْتُ أَفْضَلُ مَا يَأْتِيُ الْفَتِيُّ فَإِذَا
 يَكْفِيكُ فِي الْبَخْتِ تَسِيرُ الْأَمْوَالَ وَرَوْانِ
 وَالْحَاظُ أَجْدَى لِصَاحِبِهِ مِنَ الْحَجَى وَاهْدَى فِي طَرَقِ مَأْرِبِهِ مِنْ نَجْوَمِ
 الدَّجَى وَمِنْ لَطَافَ المَطْبُوعِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ شَرْفِ الْقِيرْوَانِيِّ
 إِذَا صَحَبَ الْفَتِيَّ جَدَ وَسَعْدٌ تَحَمَّتْهُ الْمَكَارَهُ وَالْخَطُوبُ
 وَوَافَاهُ الْحَيْبُ بِغَيْرِ وَعْدٍ طَفَيْلِيَا وَقَادَ لَهُ الرَّقِيبُ
 وَيَقَالُ إِذَا أَقْبَلَ سَعْدُ الْمَرْءِ فَالْأَقْدَارُ تَسْعَدُهُ وَالْأَوْطَالُ تَسْاعِدُهُ وَإِذَا
 أَدْبَرَ فَالآيَمُ تَعَادِيهِ وَالنَّحْوُسُ رَوَاهُهُ وَتَغَادِيهِ قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَنَاتِهِ
 الْأَفَاخِشُ مَا تَرْجُوهُ وَجَدُكُ هَابِطٌ
 وَلَا تَخِشْ مَا تَخَشِي وَجَدُكُ رَافِعٌ
 فَلَا نَافِعُ إِلَّا مَعَ النَّحْسِ ضَائِرٌ

وأعلم أن كمال العقل وسوء الحظ كاملة والعلول لا ينفك احدهما عن الآخر كما أن قلة العقل وكمال الحظ متلازمان ويصحبها الجهل والحمق قال ابن المعذ

وحلاوة الدنيا لجاهها ومرارة الدنيا لمن عقلها

وقال أبو الطيب

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخوه الجهمة في الشقاوة ينعم

وقال القاضي الفاضل

ما ضر جهل الجاهلين ولا انفعت انا بحذق

وزيادتي في الخلق فهو زيادة في نقص رزقي

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق وصبرنا والصبر من المذاق

كل من كان فاضلاً كان مثلي عند قسمة الارزاق

وقال أبو تمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقصد ولا المجد في كف امرئ والدرام

ومن عدم تعليم الحظ قول أبي الطيب

هو الحظ حتى تفضل العين اخترها حتى يكون اليوم لايوم سيدا

وعلى هذا فيجب على المألف التسليم في جميع الامور وتلقي المقادير بالرضا والقبول

كما قال

تبارك من أجرى الامور بحكمة كما شاء لا ظلم اراد ولا هضما

فما لك شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا وان شئت مت غما

فاذًا عامت أن قسمة الحظوظ في سابق الارل لحكمة يعلمها لا تبدل ولا تغير

فِي ذَلِكَ وَسَامَتْ الْأَمْرُ لِوَلَاكَ الْفَاعِلُ الْخَتَارُ الْمُنْتَرِفُ فِي مَا كَهُ كَيْفَ يَشَاءُ
بِالْأَخْتِيَارِ فَلَا عَتَابٌ وَلَا مَلَامَةٌ قَالَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التَّهْمَهُ وَقَالَ كُلُّ فَعَلَهُ
لِحَكْمَةٍ وَانْ ارْزَاقَ الْعِبَادَ قُسْمَهُ تَحْصُلُ بِالتَّقْدِيرِ لَا بِالْهَمْمَهِ كَمَا قِيلَ
مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَظَلَّبُهُ مُثَلُ الظَّلِّ الَّذِي يَعْشِي مَعْكَ
أَنْتَ لَا تَدْرِكُهُ مَتَبْعِدًا فَإِذَا وَلَيْتَ عَنْهُ بَعْدَكَ
وَقَلَ آخِرُ

هون عليك وكن بربك وأثقا فاخو انتوكل شأنه التهوي
طرح الاذى عن نفسه في رزقه لما يقتن انه مضمون
ومما يناسب ذلك ما يحكي عن عروة بن اذينة انه وفدى على هشام بن عبد الملاك
فسكت اليه حاجته فقال له ألسنت القائل

لقد عالمت وما الامساك من خلقى ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أمسى اليه فيعيننى تطلبته ولو قدمت أتاني ليس يعيبنى
وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين
لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من
الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نسائه رجل من قريش قال
حكمة ووفد على فجنته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بالفي دينار فقرع
عليه الرسول باب داره بالمدينة واعطاها المال فقال ابلغ امير المؤمنين مني الاسلام
وقل له كيف رأيت قولى سمعت فأكيدت فرجعت فأتاني رزق في نهلى
ولا يتعجب من بلغ نصيحة اما سيس ووعظه فانه كان بينه وبين سولون
حكم اثناء اسلامات لا قتباس الحكمة اليونانية والمعارف التي تكسب الفضائل
فاقتبس من حكمه وفضائله وقوائمه ما تميز به عن غيره من الملوك السابقين

وكان سولون المذكور في مملكته أثينا من ذوي البيوت اكتسب من « مطلب »
 السياحة في البلاد ماصيره فريدي زمانه في الحكم والتدبير والسياسة وكان من الحكم اليوناني
 مناقب سولون دخل مصر من الفلاسفة فعاد الى مملكته أثينا فوجدها مختلفة النظام منحلة
 وقوانينه الأحكام فالمتسوا أن يجعلوه ملوكا عليهم كانوا جمهوريه فلم يرض أن يلبس
 التاج الملكي ويسلط على بلاده وإنما اقتصر على تنظيم الجمهوريه والأسواعون
 قوانين داخلية منها أن من ثبت عليه من الأهالى أنه لم يستغل بحرفة ولا صنعة
 بعد المراقبة معه ثلاث مرات وهو مصر على البطالة فإنه يفضح على رؤس الشهاد
 وكذلك كل ولد استغل بصنعة وسلك مسلك التبذير في أمواله فإنه يفضح على
 رؤس الشهاد ايضاً وان الولد الذي لا يقوم بعونة أبويه العاجزين عن الكسب فإنه
 يعاقب بذلك العقاب ولا يعاقب بهذه العقوبة الوالد اذا بخل بالإنفاق على ولده
 ومن قوانينه أنه لا يجب على المرأة عند الزواج ان تتجهز لزوجها باكثر
 من ثلاثة اثواب ومتاع قليل الثمن لأن تكيفها أكثر من ذلك ربما عاد بالفائدة
 على اهل الزوجة وان من اجتمع من الرجال بالنساء المتبرجات وعاشرهن لا يسوغ
 أن يكون من اعضاء مشورة الجمهوريه أبداً لأنه لا يؤتمن على مصلحة الأهالى
 وان من ثبت عليه من أصحاب المشورة السكر فإنه يعاقب بالقتل وان المدين لا يجوز
 حبسه وان من لم يكن له ذرية فله ان يوصى بجمعية امواله قبيل وفاته وان من
 مات في الحرب وله ذرية فان الوصى على ذريته الحكومة وهي الكافلة والمسئولة
 عن ابناءهم والمطالبة بتربيتهم واصلاح احوالهم وشئونهم وانه يجب الاقتصاد
 في المصروف التي تنفق في الجنائز والاحتفالات الدينية بقدر الامكان وان
 تدخل الغرباء البلاد اليونانية ولكن لا يسوغ تداخليهم في مناصب الحكومة
 فاما كاز سولون معدوداً من المشرعين والمحفظين اقتبس منه امايسيس بعض

قوانين وقد تقدم في الفصل الاول من هذا الباب الثالث ان امايسس اوجب التفحص عن معيشة الانسان وكسبه من الحلال وانه كان يحكم بالقتل على من يكتسب من الحرام فلاشك انه التمس ذلك من مخالطة اليونان فالمخالطة مغناطيس المنافع فهي تساوى حركة العمل في ذلك وكلها لا يستغني عن الحرية والرخصة ومنبع الجميع وكسب المعارف العمومية والمحبة الوطنية التي يترتب عليها اجتماع القلوب والتعاون في ابلاغ الوطن المطلوب في مخالطة الاغرب لاسيما اذا كانوا من اولى الاباب تحابب للارواطان من المنافع العمومية العجب العجاب ولو كانت مترتبة على ظواهر التغلب والاغتصاب فربما صحت الاجسام بالعمل ولنضرب لك المثل في فتوح اسكندر لمصر في الايام الاول فقد ترتب على فتوحه في تلك الايام اعاة قديم بهجة مصر بعد ان دمرها حكم الاعجمان حيث واسى اهلها وراعى عوائدهم واباح عقائدهم وساسهم بأحسن ما يمكن من السياسة والعدل في الاحكام

الفصل الرابع

فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومي للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع العمومية الناتجة عن مقدمات الحزم والسياسة وشروطيات اشكال العدل في التدبير والسياسة

من المقرر عند أرباب المقول أن اقوى شيء في حفظ البلاد وراحة العباد وتوسيع دائرة المنافع العمومية وتأسيس قواعد تمدن الوطنية إنما هو مراعاة عوائد الاهالى واباحة تمكّنهم بعقائدهم وعدم منهم حسب الامكان بما لا يستطيعون مفارقته من ملوكهم المأذونة والحافظة على ارضاء خواطركم ولو للفاتح المتغلب والمغير المقتصب فان اسكندر الرومي بحسن

سيرته وكمال كياسته تغلب على بلاد العجم التي أسمها أكيروش وسلفه بعد
 ثلاثة حروب عظيمة ففتح هذه البلاد الواسعة الاطراف والاكناف
سلوك اسكندر في البلاد المفتحة له مسلك الفاتحين
 باستقامة تدبره وحسن سلوكه مع أهاليها وتطهير خواطركم وحفظ عوائدهم
 وشرائعهم حتى صار فتوحه للبلاد الشرقية زماناً تورخ به الوقائع والحوادث
 فلم يكن فتوحه كفتتاح سلفه من اليونان ولا غيرهم من أهل العراق
 والكردستان ولا كفتتاح العجم اذا كانوا جميعاً يدمرون البلاد ويملكون
 الام واما اسكندر فكان كلما فتح مملكته أسس فيها وجدد وبني وشيد
 ووطأ ومهد ومدن المدائن وأكثر الاموال في الخزائن وأوجد وسائل
 العمارة وأحيا قلوب أهالي البلدان وكان من تقدمه من اصحاب الخروج
 والفتوات اذا فتح مدينة او مملكة عرض أهلها الخالفين له في الاحكام
 والعقائد للمملكة فأغضبه جميع الاهالي بسوء سلوكه فسلك اسكندر
 مسلكاً غير مسلك الفاتحون قبله من سلاطين ذلك العصر وملوكه فكان
 يرخص في كل اقليل فتحه ابقاء الاهالي على عوائدهم القديمة وربما وافقهم
 على التمسك باتباعها في عمل خصبة نفسه ولو لم تكن بحسب رأيه مستقيمة
 وذلك مجرد ايناس نفوسهم وتوطينهم على حب حكومته وتأنيسهم فكان
 مشائخ قواده وأمرائه يشيرون عليه بنسخ دين ما يفتحه من البلاد وعدم
 ابقاءه فلا يسمع مقاومتهم حتى ان تمادي على ذلك أغضب أبطالهم فلم يبطل
 شيئاً فيما فتحه من البلدان من أحكام الشرع والاديان وقصد بذلك تحييز
 أغراضه الصالحة والمجادل الوحدة لسلطنته الفتاوية يجعل أجناس الام في
 جميع الاقطار المفتوحة ممتزجة كامة واحدة أو كجسد واحد وجعل حرية
 التمسك بالشرع روحه وصمم على أن تكون أمم سلطنته كعشيرة واحدة

ودائرة ملوكه وطناً مركزياً وجميع الأهالى خطوطاً شعاعية منبعثة من المركز
إلى المحيط ولم تساعده القدر حيث الامل طويل وال عمر قصير

ولنذكر نبذة موجزة من تاريخه فنقول هو اسكندر بن فيليش
المقدوني تولى أبوه على مقدونيا جهة اقليم روم ايلى فرتب الملكة ونظمها
ثم عزم على تحصيل مقاصد مهمه من أهمها ترتيب العساكر والقوانيين
واخترع كيفية في صف العساكر يقال لها الكردوس على هيئة المثلث

فكان مرعباً في ذلك الوقت كارهاب شكل الكلمة المرربع الذي عليه العمل
في الحروب في هذا العهد وجعل الكردوس نحو سبعة آلاف نفر وقسمها

إلى ستة عشر صفاً بعضها وراء بعض وأسلحهم بحراب طوال جداً حتى إن
حراب الصف الأخير كانت تصل إلى الصف الأول فصاروا بهذه الهيئة

مهماً لا يستطيع العدو أن يظفر به

وكان يعامل العساكر بالرفق واللين ويدعوه بالاصحاب ويعلمهم قواعد

الحرب والقتال وكان حسن سياسته يقدر كمال شجاعته وقوته ذكائه وفطنته
فتوصل بذلك كله للاستيلاء على جميع اليونان فأحبه الجميع وأطاعوه فأدأه

طمعه في الفخار وحب الشهار إلى أمر عظيم لا يمكن لغيره الإقدام عليه وهو
أنه قصد محاربة العجم لأننا منه أنه يظفر بملكهم وطلب من جميع أمم اليونان

أن يكونوا معه في ذلك فتلقوه ذلك بالقبول وحمدوه على هذا المقصد
الحسن وقلد نفسه رياضة الجيوش الحربية وكان قد استشار الكهنة في ذلك

على حسب عادة اليونان فأجابوه بكلام متشابه واقوال مبهمة محتملة لمعان
متعددة حيث قالوا ليس الثور التاج والا كليل ودنا اجله فهو ذبيح عما قليل

فهل ذلك على ملك العجم فيئما هو يصنع عرساً لزواجه بنته اذ قتله بعض

« مطلب »
تربى على اسكندر
للام المختلفة
والتأليف لسائر
من تحت حكمه
من الملل

نسب اسكندر
ولاية ابيه وما
ربه ابوه في
العسكرية

« مطلب »
قصد فيليش
حرب العجم
وحرام البوتان
على المساعدة

« مطلب »
قتل فيليش
في عرس ابنته

الامراء فمات لوفته وكان قد رزق ابنته اسكندر الذي شب في حياته وainع
 نصير غصنه في حدائقي العز وروضاته فرمى على أن يعلمها العلوم والمعارف ^{مطلب تربية ارسطاطايس لاسكندرية}
 فرأى انه لا يجب الا اذا أعطاه لاعظ حكماء زمانه فلم يجد أفضل من أرساطاطايس فكتب له جوابا مضمونه قد رزقني الله بولد فحمدته وأثنى عليه لا سيما انه أعطاني اياب في زمنك فالمرجو أن تجتهد في تعليمه وحسن تربيته ليكون أهلا لأن يخلفني على مقدوري فاما شغل الحكيم أمره فهو ذهب اخلاق اسكندر وجعله اهلا للامر فكان اسكندر في أيام شبابه تلوح على وجهه بشائر الخير العظيم مع ما تعلمه من ايده ومن استاذه من انواع التعليم فقد أخذ عن معلمه ما له دخل في رياضة ذهنه وتنوير عقله بأنوار معرفة الاخلاق والآداب وما ثر التواريخت التي هي مرآة افعال الملوك الماضين ينظر فيها المتأخر حسنات أو سينئات السابقين

قال بعض المؤرخين لو فرضنا ان التاريخ غير نافع للآحاد فلا يستغني عنه احد من ملوك الدنيا الذين ولاهم الله رقاب العباد فانهم يطعون فيه على مآناوته الانفس والشهوات واقتضته المنافع بحسب الاحوال والوقات وينظرون فيه وقائع الازمة والامكنته والاحوال الضنية والمتينة والآراء الصائبة والاهواء الكاذبة وهل التاريخ الا أفعالهم السياسية واسغالهم السياسية فرجع امورهم اليه ومدار عملهم عليه فانه مشتمل على التجاريب وهي لازمة لهم في حزفهم واجراء احكامهم على وجه مصيب فإذا رأوا في التاريخ ما يدح تبعوه أو ما يذم هجروه واجتنبوه ف بذلك اضافوا اليه تجاربهم المستفادة وانتفعوا بالاصل والزيادة فيذغى لهم ان يتشبهوا بذلك ويترکوا اما اعتادوا عليه من سلوك أقرب المسالك من الاقتصاد على الامور الوقتيه التي تستخرج من احوال الرعية

او نستدعيها مفاحرهم الذائية المواتية فيمرون في الحيره لعدم استنارة البصيرة
 فإذا استعنوا بالتاريخ أصلحوا عقولهم بالتجاريب ولم يقعوا في مضار الحوادث
 الماضية ولم يأخذوا منها بنصيب وإذا طلعوا في الواقع التاريخي على ما وقع
 لغيرهم من العيوب الخفية التي يعده الملوك في حال حياتهم من اهل النفاق
 وتبقي ملوثة لصفتهم التاريخية التي تسير بها الركبان في جميع الآفاق تعظوا
 بذلك واعتبروا كل الاعتبار فإذا تعلق اليهم المتفاقون وتدكروا ما اغتر به في
 مثل ذلك السائقون خجلوا من فرجهم باطل المدح ورجعوا في العمل للرأي
 الريجع وايقنوا ان الفخر الحقيقي لا تستحقه الملوك الا بالفضائل المأثورة
 للخلف وان عاقبة الفعل السيء الندم والاسف فقد تنزهت نفس اسكندر عن
 ذلك وقد كان مو لاما بطالعة تاريخ نصرة ترواده اليونانية التي جمع حربها جميع
 امراء المالك فكان جل رغبته وميله للفاحر العسكرية لما شاهده من هذا
 التاريخ من الثناء على حفول الرجال من الامة اليونانية وطالما شوهد نفسه
 الصعداء غير مرة حين اخبر ان اباه فليش انتصر في الواقع قانلا بعض
 اخصائه ها هو ابي قد تغلب على جميع البلدان بسيفه وما ابقى لسيفي شيئاً وما بینما
 كان يتحدث ذات يوم مع سفراء ملك العجم فاصاح لهم عن زينة بلادهم ولا زخارفها
 وتنعمها بل سألهم عن المسافات بين البلاد دوقوة الدولة وكيفية سياستها وتدبرها
 وسلوك ملوكها فتعجبوا غاية العجب وقال بعضهم لبعض ان هذا الامير لعظيم
 واما ملوكنا فهو امير غني فقط وكان يتراءى في طبيعة اسكندر في حال صغره
 الشجاعة وحب الرياسة والتديير وشدة الميل للتاذذذ بذوق اقتحام العظام حتى
 انه امتاز واشتهر غير مررة في الحرب تحت لواء ابيه في حداثة سننه
 ولما مات ابوه كان ابن عشرين سنة خلفه على الملكة وكان جديرا باللقائه

الرعب والهيبة في قلوب الامم وكان يظن بعد ممالك اليونان الذين كانوا تحت طاعة ايهم يغتنمون الفرصة بالخروج على اسكندر فasher و السلاح فانتصر عليهم جميعا في غزوهاته التي كان رئيسها بنفسه فلما رجع الى مقدونيا استعد لفتح بلاد آسيا وابى ان يتزوج خوفا من ضياع الزمن في ولية العرس ومن ضياع الاموال في الافراح بل اغدق بما عنده من الاموال على كبار عسكره برسم الانعام فقال له بعض الامراء ما اعددت للانفاق على نفسك وعسكرك قال اعددت لذلك كله قوة الرجاء فأبقي في مملكته ثلاثة عشر الف رجل للمحافظة واستصحب معه خمسة وثلاثين الف مقاتل لكنهم ابطال تحت طاعة شيوخ مجردين ثم توجه الى آسيا وليس معه من المال الا نحو سبعين مثقالا من الذهب

ومن الذخيرة اهبة شهر واحد وثوقا بقوته وطالع سعاده وضعف اعدائه وطالع نحسمهم وكانت بلاد آسيا تحت طاعة العجم يحكمون على جميع مالكمها وكانت باهبة تسلية توجه اسكندر لحرب بلاد آسيا ثم توجه اسكندر لحرب بلاد آسيا وقد اشرفت على الخراب لاتساع سلطنتها وسوء تدبيرها واستبعادها لللام وظلم ملوكها حتى ان ولات اقلتها كادوا يكونون ملوكا مستقلين بعدم عن مركز السلطنة الذي كان اذ ذاك منبعا للفتن والاختلال وكان دارا هو ملك الملوك يحكم بلاد آسيا الشرقية ويحكم من بلاد افريقيه مملكة مصر ففتح اسكندر

البلاد التي كانت تحت ملوك العجم جميعها حتى وصل الى الشام وفتحها وعقب فتوح اسكندر قتوح اسكندر بلاد العجم وانطلاقه الى مصر وكانت دولة العجم مبغوضة لمصربيين لازدراء العجم بدين اهل مصر وتشديدهم عليهم في تركه فتلقي المصريون اسكندر بالترحيب ورغبوافي حكومته لينفذهم من اعداء دينهم ثم قصد استهلاه قلوبهم اليه واستهداه لهم تحبته واقبالمهم بالقلب والقلب عليه فاغفر لهم ان يتسلکوا بشرائهم وعوايدهم واسس بمحرم مدينة اسكندرية التي صارت من اعم

مداين الدنيا وأزهاها وainها بالعلوم النافعه والتجارات الساطعة لأن الابنية
الجسيمة من المنافع العمومية العظيمه التي تفتح بانها من العز والفاخر بقدر ماتكسيه
الغزوات المخربة من الكراهة والنفار

ثم كانت وفاة اسكندر بعد فماله العجيبة بمدينه بابل قبل الميلاد بثمانه وثلاث
وعشرين سنة و عمره ثلاط وثلاثون سنة ولم يرض ان يعيش وارثاً بعده
بل قال قد أبقيت وراثة السلطنة للأحق بها وأخبر أله سيسفك الدم في
جنازته فكانت الحروب الداخلية وانفصال الملك عن اتصالها عاقبه
فتواهه بعد انقضاء حياته فكل واحد من امراء جيوشه أخذ ملائكة جسمية
فلما تقاسم امراؤه سلطنته سموا بملوك الطوائف ولم تعد فتوحاته من النوفل
بل ترب عليها مزايا جسيمة للتمدن والمنافع العمومية حيث بقىت الاجتماعات
والعلاقات السياسية مدة عشرة قرون بين أهالي المشرق والمغرب وذلك
لان قطعة آسيا قبل فتوح اسكندر كانت مغلقة الابواب عن قطعة أوربا
لما بينها من العداوة

« مطلب »
وفاة اسكندر
في عنفوان
شباء بدون
ان يهدى الى
أحد في السلطة

فن عهد هذا الفاتح فتحت أبوابها للتجارات فهو سلطنة ذلك انتشرت
العلوم والمعارف في المدن لاستفاده بعضها من بعض وكذلك ترب على
فتواهه تجدد عائلات الملوكية في البلاد اليونانية شيدت ممالكها في البلاد
فكان من الدول القوية وحسب اسكندر أنه خلفه على مصر الملوك
البطالسة فهم الذين أعلوا درجتها وأعادوا بهجتها حتى صارت مصر في
عهدهم على هيئة جليلة وصورة استعداد جميلة وعاد إليها خيرها القديم في تلك
الحال الراهنة وكان قد انعم باستيلاء الاعجم وتنقلهم على ملك الفراعنة
فنجحت ثمرة فتوح اسكندر وبدأ صلاحها في مصر ومضافاتها وظهرت

نتائج عقل ذلك الفاتح المقدواني في عهد البطالسة بالاصالة وبعدهم بالتبعية
وكان اولهم بطليموس اللاغوسي وكان يعرف أهمية مصر ورفعه قدرها
وامتيازها بين الملك فأول ما نقل ملوكها أحسن التدبير والسياسة واهتم
بالدافعة عنها من يrid المجموع عليها فكان لا يغلهه غالب وسبب ذلك منعة
لصر في عهد فتوح اسكندر لمصر ومن مينام التي يصعب الدنو منها وميل المصريين اليه لعله وتحبيه اليهم لأن
ميل الرعايا الموكهم هو الحرز الحريز والمحصن الحقيق لحفظ الملوك والممالك

وقد تفرغ هذا الملك بعد النصرة على أعدائه في الخارج إلى تنظيم
المملكة فشرع في تعميم مباني سكندرية لتصدير من اعظم مدن الدنيا
فبني ضريح اسكندر الاكبر وكان قد أحضر معه جثته من بابل إلى
الاسكندرية فبني له هيكلان عظيماً ويفعل على ظن أرباب المعارف ان قبر
اسكندر بقرب محل المسمى بنبيل الله دانيال أو هو هو وكذلك أنشأ منارة
الاسكندرية الشهيرة بجوار المينا البحرية لمنافع التجارة والاسفار البحرية
وفوائد المعاملات الاهلية والاجنبية التي هي احدى عجائب الدنيا كما قال فيها

بعض الشعراء

وسامية الارجاء تهدى أخ السرى ضياء اذا ما خندس الليل أظلمها
لبست بها بردا من الانس صافيا فكان بتذكار الاحبة معلمها
وقد ظلتني من ذراها بقية لأحظ فيها من صحيبي أنجها
خييل ان البحر تحتى غمامه واني قد خيمت في كبد السما
ومن أفع ما أنشأ بطليموس في الاسكندرية المدرسة العظيمة
المتعلقة بقصره فقد جمع فيها جميع العلوم المألوفة في ذلك الزمان من فلسفة
ورياضيات وطبيعتيات والهياطات وعلوم طبية وجلب اليها علماء لليونان وغيرهم

فصارت اسكندرية في قليل من الزمان مركزاً للمعارف جمِيعها وأنشأ في هذه المدرسة الواسعة كتبخانة ملوكية جمع فيها نفائس الكتب القديمة وجلب إليها النساخين والمصححين والمجلدين والمذهبين

وكان يستعيير الكتب الجليلة من محاكمها فينسخها ويرسل المنسوخ لربابه ويبيِّن الأصل في خزائنه فكثُرت الكتب النافعة من جميع الفنون والعلوم في هذه الكتبخانة وكان له العناية الكاملة بالفنون البحريَّة وبناء السفن لتشجُّر الأسفار والتَّرْغِيب في رَكوب البحار فـكأنَّه أراد محاكاة الصوريين حيث صاروا أصحاب تجارة الدنيا بأجمعها بحسن موقع مدِيَّتهم للتجارة وباتِّداع سفُنهم البحريَّة حيث أطاعتهم الأمواج وخضع لسفُنهم البحريَّة العجاج ولم يكتُرُّوا بالعواصف والقواصف وجربوا البحار واعماقها وجسسوها قرارها وعرفوا مخاضها وأغرقوها ورصدوها النجوم بالبعد عن البر وفي بحبوحة البحر وجمعوا الأُمم الاجنبية التي فصلت بينهم البرور والبحور ونظمو عمُّ في سلكٍ نضيد كأنَّهم عقود في نحورٍ فكانوا في الصنائع والفنون عطاردية وأرباب صبر وتجدد على الحركات العملية وحازوا النظافة في المسكن والملبس والمطعم وكانوا مع ذلك أرباب قناعة واقتصاد فيما خول لهم به المولى المنعم وكانت حكومتهم ذات ضبط وربط وتدقيق وحسن الملاحظة وتفتيش وتحقيق لا يدخلون بين الأهالى الشحناء والشقاق ولا يحيدون عن سبيل الوفاق بل هم دائعاً أخوان صفاء ورفاق وهم أشد الأُمم تمسكاً بهذه الخصال كما أنَّهم أهل صدقة وأمانة وكامل عندم الراحة للأُمم الاجنبية بل يعتبرونهم كأهالى الوطنية فبهذا أينعت عندهم أزهار التجارة النافعة والمعاملة مع سائر أُمم البرية وقد تنزهوا عن العداوة والحسد وتمسكون بالاقتصاد

« مطلب »
كتبخانة
اسكندرية

« مطلب »
تقدُّم الملاحة
والأسفار
البحريَّة في عهد
بطليموس
الأول

والكـد وأـكرـمـوا أـربـابـ الفـنـونـ وـحـافـظـواـ عـلـىـ الـامـانـةـ فـيـ سـرـ التـجـارـةـ المـصـونـ
 وـلـمـ يـحـتـكـرـواـ التـجـارـةـ وـلـاـ الصـنـاعـةـ وـلـاـ تـرـكـوـ الـبـشـاشـةـ وـالـتـرـحـيبـ لـأـربـابـ
 الـبـرـاعـةـ فـلـهـذـاـ كـانـتـ شـوـكـتـمـ قـوـيـةـ وـمـلـكـتـهـمـ مـثـرـيـةـ غـنـيـةـ فـبـسـيرـ مـلـكـ مـحـسـنـ
 السـالـفـ الذـكـرـ عـلـىـ سـنـ الصـورـيـنـ عـادـ فـنـ الـمـلاـحةـ عـلـىـ مـصـرـ بـالـثـروـةـ لـكـثـرـةـ
 الـعـامـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ مـعـ الـبـلـادـ الـذـاـتـيـةـ وـالـقـاصـيـةـ وـالـأـمـمـ الـاجـنـيـةـ كـاهـلـ باـخـ وـهـمـانـ
 وـالـهـنـدـ وـالـسـوـدـاـزـ وـالـجـبـشـةـ وـالـقـيـرـوـاـزـ وـبـثـروـةـ الـأـهـالـيـ أـثـرـ الـحـكـومـةـ الـمـصـرـيـةـ
 وـقـوـيـتـ شـوـكـتـمـ وـعـظـمـ سـلـطـانـهـ وـارـتفـعـ شـائـهـاـ وـانـشـرـتـ الـاعـلـامـ الـمـلـوـكـيـةـ
 عـلـىـ هـذـهـ السـفـنـ فـكـانـتـ مـخـتـرـمـةـ النـامـوسـ عـنـدـ جـمـيعـ الـمـلـلـ وـالـدـوـلـ وـعـظـمـتـ
 قـوـةـ مـصـرـ الـبـرـيـةـ وـالـبـحـرـيـةـ فـكـانـتـ فـيـ اـيـامـ يـعـكـمـهاـ الـاسـتـحـضـارـ عـلـىـ مـائـيـةـ
 أـلـفـ مـنـ الـعـسـاـكـرـ الـمـشـاةـ وـارـبعـينـ أـلـفـ مـنـ الـفـرـسانـ وـعـلـىـ ثـلـاثـةـ مـنـ الـأـفـيـالـ
 الـحـرـيـةـ وـعـلـىـ الـفـيـ عـرـبـةـ مـسـلـحـةـ بـالـمـاـشـيـرـ وـالـمـاـجـلـ وـكـانـ فـيـ خـزـيـنـ الـمـهـمـاتـ
 الـمـصـرـيـةـ ثـلـاثـةـ أـلـفـ طـقـمـ مـجـهـزةـ مـنـ الـزـرـدـ وـكـانـ بـالـتـرـسـاـنـاتـ نـحـوـ ثـلـاثـةـ آلـافـ
 وـخـمـسـائـةـ سـفـيـنـةـ مـاـ بـيـنـ كـبـيرـةـ وـصـغـيـرـةـ وـكـانـ مـاـ يـبـقـيـ مـوـفـرـاـ فـيـ كـلـ
 دـخـانـرـ خـرـائـنـ مـعـ مـصـرـ فـيـ أـيـامـ بـطـلـيمـوسـ الـأـولـ «مـطـلـ»
 سـنـةـ مـنـ الـأـيـادـ بـعـدـ الـصـرـفـ الـوـافـيـ نـحـوـ مـائـةـ أـلـفـ كـيسـ فـكـانـ الـوـفـرـيـتـاـ كـمـ
 عـلـىـ مـمـرـ السـنـينـ وـتـداـولـ الـأـيـامـ فـكـانـ الـمـلـكـةـ غـنـيـةـ وـعـلـىـ حـالـةـ فـيـ ثـرـوـةـ تـلـكـ
 الـأـزـمـانـ مـرـضـيـةـ وـكـانـ الـتـجـارـةـ الـأـهـلـيـةـ وـالـقـادـمـةـ إـلـىـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ تـحـتـ حـمـاـيـةـ
 السـفـنـ الـمـلـوـكـيـةـ فـصـارـتـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ بـذـلـكـ عـامـرـةـ بـالـسـكـانـ الـمـبـيـنـ لـمـلـكـتـمـ
 بـتـرـخـيـصـهـ لـهـمـ فـيـ التـجـارـةـ وـالـأـرـبـاحـ وـحـسـنـ مـعـامـلـةـ مـعـ الـأـجـانـبـ فـكـانـتـ
 الـتـجـارـةـ تـكـنـسـبـ كـلـ يـوـمـ الـتـوـ وـالـزـيـادـةـ «مـطـلـ»
 وـكـانـ هـذـاـ الـمـلـكـ يـجـابـ دـاءـعـاـ الـأـهـالـيـ منـ أـوـطـانـهـ لـلـاستـيـطـانـ بـفـيـ
 حـارـةـ خـصـوصـيـةـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ حـتـيـ أـنـ رـغـبـ طـوـافـ الـيـهـودـ بـالـدـخـولـ إـلـيـهـاـ حـتـيـ تـكـارـوـ فـيـهـاـ

و عمروا فيها خطة كبيرة تسمى حارة اليهود و مع ذلك لم يجرؤوا مدينة منف
 بل جعلها دار الملوك الرسمية فلما تولى بعده بطليموس الثاني محب أخيه
 قبل الهجرة بسبعين و تسعمائة كانت مدينته أيضا خيرا من مدة أبيه فصرف
 همته في تقديم العلوم والمعارف والتجارات فكانت مصر في أيامه أعمراً بلاد
 الديالان أباًه كان قد أضاف إلى مصر بلاداً كثيرة كملكة الفيروان
 و سواحل الشام وبلاد العرب المجاورة لمصر وجزيرة قبرص وجزائر بحر
 الروم وأغلب مينات Anatoli الجنوبية ومينات سواحل روماً إيليا فقمع الملك
 بهذا الميراث العظيم والتفت إلى العمليات الجسيمة التي تعود على مصر وعلى
 ممالك الدنيا بالمنافع العظيمة فاعتنى باستكشاف طرق البحار بالاسفار لمعرفة
 المسالك والملاك فاستكشف بلاد افريقيا وثور بحر عمان وفارس وأرسل
 من يستكشف منبع النيل فوصل قبطانه إلى جزيرة مروة بقرب شندي
 وهي جزيرة أتبة وارسل قائداً آخر إلى تلك الجهات فوصل فوق ما هناك
 وانعطف إلى جهة المغرب فبهرت السياحتين اتسعت دائرة المعاملات التجارية
 وكثرت المخالطة بين الديار المصرية والسودانية وتقدمت المعارف الجغرافية
 وعلمت في مصر أحوال البلاد والعباد واجتهد هذا الملك في تأييد المعاملات
 التجارية بين مصر والمملكة الهندية والشرقية وأرسل سفنه أيضاً لاستكشاف
 سواحل الحبشة وأمر رؤسائها أن تبقى فيما تستكشفه محطات عسكرية
 ومراكم تجارية وكان مسيرها من مينا القصير فكان بندر القصير مورداً
 ومصدراً للتجارات السودانية والعربية والجمالية والهندية وكانت اسكندرية
 مركز العموم ومحط رحال التجار كما هو معروف ولم تنتقل عنها فضيلتها الأولية
 في أيام حكومة البطالسة فكانت قطب دائرة الدنيا بدون أن يسوغ لمدينتها

آخر ان تكون لها منافسة

٣٤٦

ثم بتداول الازمان صارت دائرة تجاراتها وحيط صناعتها في الاعصر
الاخيرة ومع ذلك فلم تزل منابع للمنافع النسبية غزيرة لا سيما بعد فتوح
الاسلام فقد عوض الله تعالى مصر دون غيرها في صدر الاسلام وبعد
تجارة لن تبور واكتسبت تمدنا آخر أعلى من الاول وبقي القرون العديدة
وأخذت منه مدن الدنيا بحظ موفور وناهيك بتقدم التمدن أيام خلفاء بغداد
ونقل الخلافة بمصر في أيام الفاطميين فانه السبب اثره على جميع البلاد فان
يكن التمدن قد قصر في مصر وانحط عن قدره الاصليل فاما كان ذلك في
أيام المماليك الذين أساوا في تدميرها وسموا في خرابها وتدميرها بما جبلوا
عليه من العسف والتعدى وعدهم عن الجادة بسلوك ما ليس يجدى حتى
أنقذهم منها شوكه آل عثمان وغارت دولة الغوري بمصر واطاحت قلوب أهلها
بسلامة السلطان سليم خان وقتلها للسلطان طومان ومع ذلك فصارت مصر
متربدة متჩيرة لتداول أيدي الولاية العثمانين المختلفين في درجات العدل
المعتبرة مع بقاء نفوذ أو جفات الشراكسة أهل الجماعة والعصبية ولم يكن

لا كثراهم أدنى حظ في قصد التمدية فاستبدلوا الربح بالخسران وآثروا التدمير
على العمران وحل الخوف في أيامهم محل الامان فانكل نظامهم و اختلت أحکامهم
فطمعت دولة الفرنساوية في أن تجعل حكومة مصر ملحة مضافة إلى ملكتهم
بالجر على وجه الاضافة وتغلبت عليها وأرادت بها ما أرادت وأراد الله خلافه
وأعادت كما كانت إلى دار الخلافة ولكن كان حكم المماليك قوة نفوذ غالبة
وأظفارأسود ناشبة تفتى بالرعية ولا ترعى حقوق الدولة العالية ولا واجب
الإنسانية حتى آن الاوان وسخر الله سبحانه وتعالى خلاصها من أيديهم

« مطلب »
ضيق دائرة
المان المصرية
في الادوار
الاخيرة

« مطلب »
استيلاء السلطان
سلیمان خان على مصر

« مطلب »
تفاوت الفرنساوية
على مصر

بفتکهم أول أمير عجيب خرج من قوله وثاني خول أمراء مقدونيا محمد
الاسم على الشأن كما اشار لذلك بعض شعراء الفرنساوية بما معناه
فعلاك الخير بعده حسن ذكر مستمر على ملدي كل دهر

٦ مطابق
استخلاص
المرحوم محمد
علي مصر من
قبضة الملوك

فاغتنم حوز مشتهى نيل مصر
فلقد شابه دما سيف انصر
وغدا في حماله يشق رفدا
فائق اعم نفعه كل قطر

فانه بقريحته العجيبة أوصى مصر الى درجة مهيبة ثم لما آتت المملكة
المصرية الى الحكومة الاسماعيلية بعد فترة تضعضع فيها الاساس اجهزت
في ان يكسوها من المجد والفحار اعظم لباس وأن يصونها داخلاً وخارجاً
من الشدة والباس حتى تكون هي المسر وناسها هم الناس ولا يتم مثل هذا
التقديم بدون انجذاب قلوب الاهالي صوب مركز التمدن والتقطيم وتوجه
نفوسهم بالطوع والاختيار الى الوفاء بحقوق هذا الوطن العظيم بمعنى أنه
اذا تشبت الحكومة المصرية بكليات المصالح الوطنية ساعدها الاهالي كل
على قدر حاله بايجاد المصالح الخيرية الجزئية بحسب ما يقتضيه الوقت وال الحال
فهم هذه الوسائل تحصل على النافع العمومية في اطراف مصر وآكناها بجميع
الحال فالقوة الوطنية والنخوة الاهلية مما ينتج أظهار شعائر الاسلام وينبرج
به دين خير الانام والفضل في ذلك للمؤسس الاول الجليل ولمن يقفوا
آقره من كل وارت نبيل وسيأتي ان ما فعله المؤسس الاول هو مابني عليه
من بعده لا سيما ما حصل من التجديفات في هذه الايام مما يكاد أن يعجز
عنه البشر فالاعمال الاخيرة شواهد وها هي نص عين كل مناظر ومشاهد

الباب الرابع

في التشبيث بعود المنافع العمومية إلى مصر حسب الامكان في عهد محيي مصر جتنمكhan
وفيه فصول

الفصل الأول

في مناقب جتنمكhan محمد الاسم على الشان وانه نادرة عصره ومحيي مأثر مصر والقابلة
يلمه وبين عدة من مشاهير ملوك الاعصر القربيه

كان المرحوم محمد على سليم القلب صادق اللهجـة أـميناً في تصرفـه حـكـيمـاً
في أـعـمالـه كـريـماً إـلـىـ الغـاـيـة حـرـيـصـاً عـلـىـ عـمـارـ الـبـلـاد وـفـيـاً فيـ مـعـاـشـه مـحـرـصـاً عـلـىـ
وـدـعـشـيرـه وـجـنـوـدـه وـرـعـيـتـه مـتـحـبـيـاً يـهـمـهـ وـاـنـ كـانـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ سـرـيعـ
الـفـضـبـ فـمـدـ كـانـ قـرـيـبـ الرـضـاـ حـلـيفـ الـحـلـمـ صـفـوـحـاـ عـنـ الجـانـيـ مـقـدـاماـ عـلـىـ
اـنـتـخـامـ الـاـهـوـالـ صـبـورـاـ عـلـىـ الشـدـائـدـ وـتـنـقـلـ الـاـحـوـالـ شـدـيدـ الـحـرـصـ عـلـىـ
شـرـفـ نـفـسـهـ وـصـوـنـ نـاـوـسـهـ قـوـيـ الفـطـنـ سـرـيعـ الـادـرـاكـ يـحـولـ فـكـرـهـ فـيـ
اـلـاـمـوـرـ الـبـعـيـدةـ بـصـيـراـ فـيـ الـحـسـابـ الـهـوـائـيـ الـعـقـلـ عـجـيبـ الـبـداـهـةـ غـرـيـبـ الـرـوـيـةـ
تـعـلـمـ الـقـرـاءـةـ وـالـكـتـابـةـ فـيـ أـفـرـبـ وـقـتـ وـعـمـرـ خـمـسـ وـأـرـبعـونـ سـنـةـ اـذـ ذـالـكـ
جـبـ الـمـاـفـاهـ فـيـ زـمـنـ الصـغـرـ وـتـدارـ كـالـمـاـيـزـيـدـ فـيـ مجـدهـ فـيـ زـمـنـ الـكـبـيرـ فـرـغـبـ
فـ طـالـعـةـ التـوـارـيـخـ وـلاـ سـيـماـ تـوـارـيـخـ الـفـاتـحـينـ كـتـارـيـخـ اـسـكـنـدـرـ الـاـكـبرـ
الـمـقـدوـنـيـ وـتـارـيـخـ بـطـرسـ الـاـكـبرـ اـمـراـطـورـ الـرـوـسـ اـىـ الـمـوـسـكـوـ وـتـارـيـخـ نـابـليـونـ
الـاـكـبرـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ التـوـارـيـخـ الـمـتـرـجـمـهـ إـلـىـ الـتـرـكـيـهـ مـعـ الـمـواـظـبـهـ عـلـىـ الـاـطـلـاعـ

على ما في الكازيات الافرنجية التي كانت تترجم له وكان صاحب فراسة اذا تکام أمامه أحد باغة أجنبية فهم من النظر الى حركاته و اشاراته مقصده يستشير العقلاء واللقاء في حل أموره وكان نشيطا يحب الحركة ويكره الكسل والبطالة قليل النوم سريع اليقظة يستيقظ غالبا عند الفجر يسمع بنفسه العروضات التي تعرض له يوميا عند الصباح ويعطي عنها جوابا ثم يذهب لمناظرة العمارت الميرية التي كان مغرما بها وكان متذينا الى حد الاعتدال بدون حمية عصبية ولا تشديد فكان يغترف لاهل الملل والدول في بلاده التمسك بمقاييسهم وعواوينهم مما أباحته في حقهم الشريعة المطهرة وهو أول من أعطى للعيساوية الداخرين في الخدمات الميرية لمنافعهم الاقتصادية من اي المراتب المدنية وكان يؤثر الفعل على القول بمعنى أنه اذا أراد ترتيب لائحة مهمة فيما منفعة للامة شرع فيها بقصد التجريب وأجرها شيئاً فشيئاً على طريق الاصلاح والتهذيب فإذا سلكت في الرعية وصارت قابلة لعوامل المفعولية كساها ثوب الترتيب والتنظيم وأخرجها من القوة الى الفعل في ضمن قانون الاصول والاحكام لما أنه كما يقال أحسن المقال ماصدق بمحسن الفعال وكان مولعا ببناء العمار وانشاء الاغراس وتمهيد الطرق واصلاح المزارع واتقان الصنائع والاعمال يرغب في توسيع دائرة التجارة ويستميل عقول الاهالي ليجذبهم الى ما فيه كسب البراعة والمهارة

وبالجملة فكان وحيد زمانه في جميع أوصافه وفريد أو انه في عدله وانصافه لا سيما بعد ان صفاله الوقت عقب توليته على مصر فانه مكت قبل ذلك نحو خمس سنين وهو يقاري ما يقاري من الشداد ويعلن من أخصامه جميع أنواع المكائد حتى عزم على رجوعه الى وطنه الاولى بدون صلة وعائدة لكن

لوفور سعده وتعبه وكده وسبق القدر بوصله الى تمام عزه ومجده صرف
 النظر عن العودة ونال واهب العطايا ما يهيا له من تبوي^٤ بمحبوحة الملك
 كون قاصد الفضل اما كالصائم او كالمتقطط للتربيه
 واعده ولا شك أنه عرف داء مصر وعلاجها في اثناء هذه المدة ولا بد أيضا
 انه كان نوى لها تحسين الحال والمال ان بلغه الله الامال وأمده ولا يخفى
 أن من قصد الاستيلاء على مملكة لا يخلو عن أحد أمرين اما ان يكون
 كالصياد يقتضي مصيده بكل مكيدة أو كالمتقطط لليتيم المفارق أبويه لينقذه
 من التهلكة ويجعله ولديه فالامر الثاني هو المدوح وهو مقصد حميد
 لا ولی الفضائل من اصحاب الفتوح فانه مقصد سني ومطلب هنی فاستقامه
 الامور لهذا الامير الكبير وما حصل له في الاستيلاء على مصر من التسخير
 والتيسير يدل على حسن النية وصفاء الطوية فـ كانوا أرشاده الى بلوغ هذه
 المنزلة مصداق حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له فكان دأبه في العناية
 بشؤون تقديم مصر الاخلاص وحسن النية فأعماله صارت على ذلك مبنية
 وقد خلصت نيته فهبت صوبه نسخات القبول وأصاب بشرف النفس وعلو
 المهمة واخلاص العمل ادرك المأمول (قال) عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الاعمال بالنيات وإنما كل
 أمر ما نوى فـن كانت هجرته الى الله ورسوله فهو هجرته الى الله ورسوله ومن
 كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهو هجرته الى ما هاجر اليه
 ومرجع هذا الحديث ان الامور بمقاصدها وهو مني قوله تعالى يريدون
 وجه الله فالمدار على الاخلاص في العمل * وعن أبي موسى الاشعري قال
 يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رباء فـأى ذلك
 في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلة

« مطب »
 اما الاعمال
 بالنيات

الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل يعني فالعمدة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وقوله صلى الله عليه وسلم ليس للعامل من عمله إلا ما نوأه ففتحت هاتين الكامتين من كنوز العلم ما لا يوقف له على غاية ولذا قال الشافعى رضي الله عنه حديث الأعمال بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك أن للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وأيضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح (وقال) بعض الأئمة حديث الأعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه أن الدين قول وعمل ونية * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وفي حديث آخر تتصعد الملائكة بالأعمال فینادی الملك ألق تلک الصحيفة فتفقول الملائكة ربنا قال خيرا حفظناه عليه فيقول الله تبارك وتعالى لم يرد به وجهي وینادي الملك اكتب انملان كما وكذا فتفقول الملائكة يارب انهم يعلمون فيقول الله عز وجل انه نواه (وقال) الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل فسكان بعضهم يقول دلونى على عمل لا أزال به عامل الله فيقال له إنواخير فنانك لا تزال عاملًا وان لم تعمل فالنية تعمل وان عدم العمل والناس في النيات على ثلاثة طبقات الطبقه الأولى من ينوي بالعمل وجه الله عز وجل والطبقه الثانية من ينوي العمل لله تعالى ويشوبه بقصد الخلق تعبا لا أصلًا والطبقه الثالثة ما يكون الباعث على العمل الرياء فالخلاص في الطبقه الأولى والتجرد من التواب في الثانية والحرمة في الثالثة

وقد كان السلف لا يعلمون شيئاً إلا أن تقدمه النية الأخالصة ومع ذلك فقد نص العلماء أن من حج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج

فكذلك الفاتح املأ كه اذا نوى اصلاح حطها وتربيه أهلها او هذيب أخلاقهم
 واسعادهم وتنعيم بالهم وتحسين أحوالهم برفع الظلم عنهم كما يقتضي به حسن
 الظن في حق المرحوم محمد على كما هو الواقع فهو مثال قطعا ولو دخله قصد
 منفعة دنيوية مما لا يفارق الملك من حب المحمدة في غالب الاحيان ولو لم
 يكن من أفعاله الخيرية الا تخلص الحرمين الشريفين والاقطار الحجازية من
 عبد الله بن سعود شيخ الوهابية لكتفاه فان ابن سعود المذكور اتعب
 الحجاج بقطع الطرق وأزعج عباد الله فغزاه جند محمد على جنتمكان وهرمه
 بعد حروب طويلة وأرسله الى الاستانة فأمرت الدولة العلية بضرب عنقه
 ليكون عبرة للناظرین وكذلك حربه في موردة فانها من أجل الافعال المبرورة
 حيث ان اروام تلك الجهة هجموا على الاسلام في الجوامع والمساجد فقتلوا
 منهم الجم الغفير ولم يرجموا الشیخ الكبير ولا الطفل الصغير وفتکوا بالجميع
 فـ كما ذریعا بطریقة فظیمة تـ اباها النفوـس الـ اـیـة وـ تـ فـرـ مـهاـ الطـبـیـعـة وـ طـالـماـ قـبـضـواـ
 عـلـىـ سـفـنـ الـاسـلامـ وـ قـتـلـواـ مـنـ فـیـهاـ وـ اـذـاقـوهـ کـأسـ الـحـمـامـ وـ کـثـیرـاـ مـاـ عـذـبـواـ
 الـمـقـتـولـینـ بـالـتـزـیـقـ وـ التـحـرـیـقـ وـ اـضـرـمـواـ نـارـ الـفـتـنـةـ فـیـ جـزـائـرـ الـبـحـرـ الـایـضـ بـینـ
 کـلـ فـرـیـقـ وـ حـرـضـواـ جـزـائـرـ کـرـیدـوـرـوـدـسـ وـ سـاقـسـ وـ غـیرـهـ عـلـىـ الـعـصـیـانـ وـ ماـ
 خـلاـ مـنـ فـتـنـهـمـ فـیـ الـارـوـامـ الرـعـایـاـ بـلـ وـ لـ مـکـانـ وـ لـمـ يـقـتـرـنـ وـ فـیـ الجـبـرـوتـ
 وـ الـطـغـیـانـ عـلـیـ مـخـالـفـةـ الشـرـیـعـةـ الـعـیـسـوـیـةـ بـلـ هـتـکـواـ حـرـمـةـ النـوـامـیـسـ الطـبـیـعـةـ
 فـارـسـلـ الـیـہـمـ مـحـمـدـ عـلـیـ باـشـاـ عـمـارـتـهـ الـبـحـرـیـةـ لـقـعـہـمـ وـ اـدـخـلـھـمـ تـحـتـ الطـاعـةـ
 خـارـبـھـمـ نـجـلـهـ الـاـکـبـرـ جـنـتمـکـانـ فـدـمـرـھـمـ وـ شـتـتـ شـمـلـھـمـ ثـمـ اـسـتـقـلـواـ بـلـادـھـمـ وـ فـارـقـوـ
 الجـمـاعـةـ وـ لـمـ يـنـتـجـ مـنـ هـذـاـ الـحـرـبـ نـتـیـجـةـ تـعـودـ عـلـیـ مـصـرـ بـالـنـفـعـةـ الـھـمـ الـاـ زـانـ
 اـکـتـسـبـتـ عـدـةـ مـنـ اـرـبـابـ الـامـیـازـ الـوـافـرـ مـنـ اـعـیـانـ الـاعـیـانـ الـاـ کـاـبـرـ مـنـ

- أهالى تلك البلاد الرومية من هاجر الى الديار المصرية وبها قام وأدى بها
 الخدمة الصادقة ونال علو الرتبة والمقام ومن هذا الجنس الرومي من تناسل
 بالقطر وعد من أبناء الوطن النظام وان كان في غزوة البلاد اليونانية فائدة
 أخرى جليلة فاهى الاتمرين الرجال العسكرية المصرية على الحروب وممارستهم
 لغزو والجهاد وتعودهم على اقتحام الخطوب تحت قيادة أحد رؤساء الجنود
 المعدودين الذى لا يزال صيت صوته الجاهدي باقيا الى يوم الدين وكذلك
 فتح محمد الاسم على الشأن لغير هذه البلاد من كفتحه للاقطارات السودانية
 مما وسع دائرة المنافع الوطنية وحررها مع والى تكامل معلومة وجوانب جنوده
 فى الشام وغير الشام مفهومه لم تكن تلك من محض العبث ولا من ذميم
 تعدى الحدود اذ كان جل مقصوده تنبية أعضاء ملة عظيمة تحسبهم أيقاظا وهم
 رقود والدليل على حسن النية ان هذه الحسنة النى على صورة الجنية انتجت أصل
 وراثة مصر التي ترب عليها رفع الاصر ولو لا بقاوه تحت ولاء الدولة
 العلية ومراعات حفظ الحالة الراهنة على ما هي عليه من الراجحية والمرجوحة
 بحال فى القتوحات الخارجبة مجال اسكندر الاكبر وحسن حالة التمدن وجد
 فى جادة العمران وفعل ما فعله اسكندر حيث اتحدوا فى البلد فكان لا مانع
 أن يتحدا فى المظاهر فن سعد مملكة مقدونيا وتخليد خارها أنها موطن أميرين
 جليلين بقى ذكرهما فى الخافقين أحددهما من بيت الملك رئيس اليونان وقادهم
 وفتح معهم سائر البلاد فانتصر بالتدبير والاعوان وتغلب بذكاء العقل
 وتجارب الشجعان والثانى من بيت بمحمل ونسل أمثل ساعفتة المقادير واستعان
 بحسن العقل والتدبیر ولم يكن له بعد مولاه غير عقله نصير فنم المولى ونعم
 النصير ألم جموع أبناء جنسه المجردين عن الانتظام اقتحام العقبات وحسن

الاقدام والاحجام واستئصال الصعب لنيل المرام

الاقدام واد حجام واستسهم الصعب لميل ابرام
لاستahlen الصعب اوأدرك الاني فـا انقادت الآمل لا لصابر
فـلما هزم بهم جيوش الماليك بسائر الجهات وأذهب دولة سناجمهم
وـمحمد عـلى جـليلـين اـسكنـدر مـوطـنـ اـميرـين كـونـ مـقـدـونـيا

وتحقق الحقائق وزالت الشبهات خلٰع على حزبه المراتب السنوية وجاءهم
حكاماً في اقطار مصر وحصلت بهم الامنية وربما كا يربى الاستاذ الطلبة
ونال بهم قصده وماربه فلو كان الاسكندر بهذه الثابة لم يصب من العز
ما أصابه ولا بلغ نصيب محمد على ولا نصاته وعلى كل حال فقد حل الثاني
 محل الاول فكانا ذلك وثق بهذا وعليه في تقييم المقاصد عول كما قلت في
تاريخ بداية القدماء وهداية الحكماء في هذا المعنى من ضمن قصيدة

لصرية شأن شريف زهت به
أتاح لها المولى مليكا قد انتى
محمد أفعال على مكارم
يقول أناس طالع السعد حظه
دفاتر تاريخ السلاطين سطرت
وما مثلها مقدونيا اذ سمت به
منازل منها اسكندر فاتح الوردي
باضاهنه في اوصافه الغر نجله

وفي هذا البيت الاخير اشارة الى جنتكمان ابراهيم باشا كالإشارة
الى قصيدة أخرى في الرحلة بقولي

من کان مثل امیرنا فقرینه
فی کفہ سیفان سیف عناپہ
اسکندر او کسری آن و شروان
والشہم ابراهیم سیف ثانی

بطل مكاره الجليلة قلدت هام الزمان مكال التيجان
 ولما كان محمد على يحس من نفسه باز عزمه اسكندرية كان متولعا
 بقراءة تاريخ اسكندر و منكبا عليه و شبيه الشيء كما يقال منجذب اليه وفي
 الحقيقة فكان بينهما من جميل الصفات والسمائل ما شهدت به الشواهد
 ودللت عليه الدلائل فلو استولى أميرنا على مصر وفيها بقايا من حكماء
 الأعصر المصرية القديمة حكموا بما يعتقدونه قدماً لهم في أيام الجاهلية الذهمة
 من تناصح الأرواح بعد الموت وانعاشها لاجسام أخرى وان روح اسكندر
 انتقلت بعده إلى شبيهه فهو بها أحرى وأما نحن معاشر أهل السنة فنقول
 ان تشريك اثنين وتسويتهم في الصفات الفاضلة والمعانى الكاملة هو محسن
 فضل من الله ومنه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهذا القيس الفارق بينه وبين
 اسكندر يجري أيضاً في قياسه باصحاب الخروج والفتحات الملوكين
 فقد أعادتهم ممالكهم وجندوهم وقادهم على كسب العز والتمكين
 وقد كان عصر السلطان سليمان الثاني اعظم الاعصار اذ هو الذي قدم
 الدولة العثمانية الى اوج الفخار فافتتح الفتوحات العظيمة وأعلى كلمة الله ورفع
 النار وبasher الغزو بنفسه في ثلاث عشرة غزوة وانتصر في جميعها بقوه
 التدبر وتنظيم الجيوش وأي قوه وبني الابنية العجيبة وفعل كثيراً من
 الافعال الخيرية الغريبة وأنشأ الدولتين العثمانية وكان كهفاً وملاذاً لأـ كثر
 ملوك البلاد الفاسدة والداينية وكان في أيامه باوربا اثنان من الملوك العظام
 الاول شرلakan الذي كان متولياً على المسا بلقب امبراطور وكان يسمى
 كرلوس الخامس يعني الخامس كرلوس من الامبراطوره المسميين بهذا الاسم
 وكان متولياً أيضاً على اسبانيا بلقب ملك اسبانيا وكان يسمى بالنسبة لمملكتها

« مطلب »
 فتوح السلطان
 سليمان

« مطلب »
 الملك شرلakan
 فرالاسبانيا
 والنمسا

كرلوس الاول يعني انه اول ملك تولى عليها باسم كرلوس والملك الثاني من الملك العظام هو فرنسيس الاول ملك فرنسا و كان يلقب ببابي العلوم لانه كان يحب العلوم والمعارف كما كان مولعا بالعماير العظيمة فقد أسس بفرنسا مدرسة ملوكية وكتبة وبنى كثيرا من السرايات والقصور وادخل في ديوانه الراfeature وآداب المدن وتهذيب الاخلاق ومع كثرة مصارفه وما كان ينفقه في المنافع والمنازه من خزنته الخصوصية فقد ترك فيها نحو أربعين ألف دينار غير ما لم يقبضه من خزينة الملكة من مرتب التاج الملكي السنوي وهو ربع مرتب السنة وكان بينه وبين شرلكان امبراطور النمسا السالف الذكر منافسات ومشاجرات أدت الى توأر الحروب بينهما و مع أن دائرة المهزيمة كانت دائما على شرلكان الا ان فرنسيس انهزم في واقعة وقع في قبضة خصمه وهو شرلكان وأخذه أسرى الى اسبانيا فاستنصر الملك فرنسيس المذكور بعونا السلطان سليمان وكتب اليه كتابا مؤرخا في سنة تسعمائة واثنين وثلاثين يشكو من تغلب أعدائه على مملكته ويستصرخ به ويستغيث فأجابه بعد صدر الكلام بقوله ان الكتاب الذي أعرضته الى الاستانة الملكية مع رسولك المستحق لا ماتتك أفادك العدو حاكم في مملكتك وانك صرت الان أسرى وتلمس من طرفك أسر لك الجميع ذلك عرض على اقدام سرير سلطنتي العالية التي هي ملجاً العالم وقد أحاط علمي الشريف بجميع شرح كلامك ولا غرابة في أيامنا هذه اذا انهزمت الملك ووقمت في الاسر فشجع قلبك ولا ترك نفسك تجبن في مثل هذه الاحوال لما رأينا سلفنا المجددين واجدادنا الـ كرمـين لم يتأخر واعن الدخول في قتال الاعداء وفتح البلاد فانا مقتف لآرائهم فطالما فتحت في هذا العهد كثيرا

من الولايات والمحصون القوية التي لا يدنون منها أحد وقد حرمت على نفسي
النوم وجعلت سيف لا يفارق جاني والله يسهل " علينا ا تمام الخير وغير ذلك
فأسأل رسولك عن جميع ما جري مما استقر عليه الحال واقنع بما يخبرك به
من المقال فإنه واقع لا محالة ثم بعد رد الجواب أرسل مولانا السلطان سليمان

عمارة بحرية وأمر عليها خير الدين باشا يجذب بها ملك فرنسا

ولما وصلت إلى مرسيليا انضمت إلى عمارة الملك فرنسيس وساعدته

علىأخذ بعض البلاد ونصرته على أعدائه ثم عادت إلى القسطنطينية وكان

خير الدين باشا من أعظم قباطين الدنيا وكان قد فتح أخوه بلاد الجزائر في

أيام السلطان سليم ونزعها من يد شيخ العرب سالم بن تيمى وكان حاكماً عليها

ثم تقدم أخو خير الدين باشا المذكور في توسيع الفتوحات فأربع كرلوس

الخامس حتى خاف بطشه وخشي أن يتغلب على أملاك إسبانيا التي بأفريقية

فبعث إليه جيشاً عظيماً جراراً واستشهد هذا الأمير أخليطير عند هذه المدينة

خلفه أخوه خير الدين باشا المذكور على حكومة جزائر الغرب المذكورة

ودخل في حمایة السلطان سليم وقرر على نفسه خراجاً للدولة العلية فلما تولى

السلطان سليمان جعله قبطان باشا على جميع الدوّنما العمانية فحسن بلاد الجزائر

بالاستحكامات الالازمة

وفي شهر رجب سنة أحد وأربعين وتسعمائة أرسل خير الدين باشا إلى
غزوة الجزائر البحرية الملحوقة بإسبانيا وغيرها من الجهات البرية كإيطاليا وتوجه
السلطان بجيشه من جهات البر وأرسل بطريق البحر لطفى باشا وخير الدين
باشا ب نحو خمسمائة غراب مشحونة بعساكر البحر وأمرها أن يسير وتنزل
في مسكنه المنصور فنزلت في ثلاثة وأربعين وتسعمائة فقتلت في البر والسوائل

« مطلب »
بعث السلطان
سلیمان عمارة
بحرية الى
فرانسا لتجدة
ملكتها

« مطلب »
سفر السلطان
سلیمان بجيشه
من جهة البر الي
اوربا وموده
منصور

كثيراً من الاعداء واغتتمت غنائم عظيمة وافتتحت في جزاء ذلك البحر
اثنين وثلاثين حصنانا من ممالك ايطاليا وغيرها واقتلتها من اسasها
وغنم جيوش المسلمين من الاموال والسبايا ما لا يحصى وعاد السلطان مع
سائر عساكره المجهزة برا وبحرا

وكان في سنة احدى وأربعين تقدم خير الدين باشا الى اسوار مدينة
تونس وكان ملكها مولاي حسن من بنى حفص وكان في مدة ولاته قد
قتل أربعة وعشرين من اخوه مشتغلًا بذلك وشهواه غير ملتفت الى تحصين
بلاده فافتتحها خير الدين باشا وطرده من البلاد غير ان هذا النتوح لم يمكث
الا مدة قليلة حيث ان مولاي حسن التجأ الى كرلوس الخامس فيش على
تونس واسترجعها بالحرب لدولة بنى حفص ثم في أيام السلطان سليم بن السلطان
سليمان صار فتحها بالدولة العثمانية وبقيت في أيديهم

ففي تلك الايام كانت الحبيبة العثمانية عظيمة مربعة ملوك اوروبا مع وجود
فرنسis الاول ملك فرنسا وشرل كان امبراطور النمسا وملك اسبانيا
وفي أيام هذين القرالين اتسعت دائرة بلاد اوروبا في الفنون والمعارف
وأخذت في كمال التقدم ومن ذلك العهد لازالت اوروبا آخذة في تقدم
الجمعيات التمدنية الى أن أبلغها درجة الكمال عصر لويس الرابع عشر وكان
ذلك بهمة هذا الق فال الذي تارikhه لا ينبغي أن يهم لما بينه وبين جنتكمان
محمد على من الشبه الا كمل الامثل عشرف المفصل والمجمل

فنالذ كر منه نبذة وجيزة فقول تولى هذا الملك على تخت فرنسا من
سنة ألف وثمانمائة وخمسين الى سنة ١٠٧٢ من المجرة وكان عمره اذ ذاك
خمس سنوات ومكث الى بلوغ رشده تحت ولاية امه فابت بنفسها عنه

في المملكة وقلدت الوزارة لـ كردينا مازارين فـ كانت مدة مملكته اثنتين وسبعين سنة فلما تم عمر الملك اثنتين وعشرين سنة باشر احكام مملكته بنفسه وكان يميل الى المجد والشوكه فلا زال مستوزرا مازارين فلما دلت وفاته هذا الوزير وأحس بدنو أجله وكان معه ودا منه الصدقة لوطنه ومملكته أوصى الملك أن يستوزر بعده كولبرت وكان من كبار الرجال الفرنسيـية فـ عمل الملك بوصيـته وكان كولبرـت حسن التدبير كـامل الاستقامة فـ بذل جهـده في تنـيم المالية وترـيـب القوانـين العـدلـية النـافـعـة وجعل من الـاصـول مـكافـأـة أربـابـ المـعـارـفـ وـتـشـويـقـ أـربـابـ الصـنـائـعـ من الـاهـالـيـ والـاجـابـ وجـددـ في المـملـكـةـ الفـرنـسـاوـيـةـ عـمـارـةـ سـفـنـ حـرـيـهـ وأـسـسـ مـدارـسـ العـلـومـ وـالـفنـونـ وـاعـتـىـ بالـعـلـومـ الـمـسـتـظـرـفةـ كـالـرـسـمـ وـالـنـقـشـ وـجـعـلـ لـهـاـ مـكـاتـبـ خـصـوصـيـةـ وـجـدـدـ منـ المـنـافـعـ الـعـمـومـيـةـ ماـ صـيـرـ مـلـكـ مـهـابـاـعـنـدـ الدـوـلـ الـاجـنبـيـةـ وـأـبـطـلـ أـسـبـابـ الـظـلـمـ وـالـجـوـرـ فـ دـاـخـلـ الـبـلـادـ وـأـقـامـ قـسـطـاسـ الـعـدـلـ وـالـإـنـصـافـ لـرـاحـةـ الـعـبـادـ وـتـحـولـ أـحـوالـ الـاقـالـيمـ فـ الـدـاخـلـ بـالـعـمـلـيـاتـ الـنـافـعـةـ وـتـحـسـنـ الـاحـكـامـ وـالـقـوـانـينـ وـصـارـتـ رـيـاضـ الـنـافـعـ يـانـعـةـ

وفي آثناء ذلك استئنار فـكرـ الملكـ وـصـارـ قـابـلاـ لـلـاحـظـةـ السـيـاسـةـ بـنـفـسـهـ ولاـ تـخـابـ رـؤـسـاءـ مـلـكـتـهـ منـ كـلـ رـئـيسـ نـافـعـ لـاـ بنـاءـ جـنـسـهـ وـكـاـنـ الـوزـيرـ كـولـبرـتـ مـتـقـلـدـ بـالـوـزـارـةـ الـمـلـكـيـةـ كـانـ المـارـشـالـ توـرـينـ مـتـقـلـدـ بـرـئـاسـةـ الـعـسـكـرـيـةـ وـكـانـ هـذـاـ الـامـيرـ مـنـ خـوـلـ رـجـالـ عـصـرـهـ نـافـذـ الـسـكـلـمـةـ فـيـ الجـيـوشـ الـفـرنـسـاوـيـةـ فـ نـهـيـهـ وـأـمـرـهـ حـلـيفـ الصـبـرـ وـالـحـلـمـ فـ حـالـتـيـ الـحـرـبـ وـالـسـلـمـ لـمـ يـمـهـدـ عـلـيـهـ غـضـبـ مـخـلـ وـلـاـ حـمـدـ وـلـاـ حـسـدـ بلـ كـانـ يـتـحـبـ لـكـلـ أـحـدـ مـعـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ الـانـفـرـادـ بـالـفـضـائلـ وـالـعـارـفـ وـالـفـرـائـيـ وـالـلـطـائـفـ وـكـانـ إـذـاـ

وَجَدَ مِنْ غَيْرِهِ عِبَراً سَتْرَهُ وَخَلَالًا سَدَهُ وَجَرَهُ وَكَانَ مَقْدَامًا عَلَى الْحَرُوبِ جَلَدًا
 عَنْدَ الْخَطُوبِ يَحْسَنُ مَكَابِدَ تَدَارُكِ الْأَعْدَاءِ وَلَا يَحْمِلُ أَحَدًا مِنَ الْعَسْكَرِيَّةِ عَلَى
 أَنْ يَخْطُو خَطْوَةَ سَدِيِّ فَقَدْ قَضَى زَمَانَهُ فِي خَدْمَةِ الْأَوْطَانِ وَحَازَ مِنَ الْجَهَدِ
 عَلَى الْعَسْكَرِيَّةِ أَبْهَى عَنْوَانَ

وَلَامَاتُ أَمْرِ الْمَلَكِ بِدُفْنِهِ فِي الْقَبُورِ الْمَوْكِيَّةِ وَتَشْرِيفُ بَعْدَ اِنْفَضَاءِ حَيَّاهُ
 بِهَذِهِ الْمَزِيَّةِ وَكَتَبَ عَلَى قَبْرِهِ مِنَ الشِّعْرِ مَا مَعْنَاهُ قَدْ دُفِنَ تُورِينُ فِي مَقَابِرِ
 الْمُلُوكِ وَامْتَازَ بِهَذِهِ الْحَظْوَةِ بِسُلُوكِهِ فِي الْحَرُوبِ أَفْوَمَ سُلُوكٍ وَقَدْ أَذْنَ لَوِيزَ
 الرَّابِعُ عَشَرُ بِذَلِكَ لِيَتَوَجَّ بَعْدَ الْمَوْتِ بِتَاجِ الْمَجَازَةِ إِذْ كَانَ هَذَا الْبَطَلُ قَدْ
 أَحْسَنَ رِئَاسَةَ الْغَزَا وَإِيْفِيدَ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْقَرْوَنِ الْآتِيَّةِ إِنَّهُ لَا فَرْقَ فِي
 الدَّرْجَةِ بَيْنَ مَنْ بَيْدَهُ قَضَيَبِ الْمَلَكَةِ وَالْقَادِيِّ الَّذِي يَصْوُنُ بِحَسْنَ تَدْبِيرِهِ
 الْوَطَنَ مِنَ التَّهْلِكَةِ

جَمِيعُ مَا كَانَ مِنَ الْفَزُولَاتِ الْفَرَنْسَاوِيَّةِ وَالْاِنْتَصَارُ فِيهَا عَلَى الْأَخْصَامِ
 الْأَجْنبِيَّةِ كَانَ مِنْ حَسْنِ تَدْبِيرِ تُورِينِ وَأَمَا كَوْلِبِرْتُ رَئِيسُ الْأَوْزَارِ إِذَا قَدْ
 جَدَ الْمَذَافِعُ الْعُمُومِيَّةُ وَوَسَعَ دَائِرَةَ التِّجَارَةِ الْفَرَنْسَاوِيَّةِ بِكَثْرَةِ الْأَخْذِ وَالْأَعْطَاءِ
 فِي الْهَنْدِ وَالْأَفْرِيْقِيَّةِ وَجَعَلَ فِي هَذِهِ الْمَالَكِ الْأَجْنبِيَّةِ قَبَانِيَّاتِ فَرَنْسَاوِيَّةَ وَسَهَّلَ
 التِّجَارَةَ الدَّاخِلِيَّةَ بِفَتْحِ مَسَالِكَ فِي الْأَنْهَارِ بِحَيْثُ صَارَتْ مُسْلُوكَةَ السَّفَنِ وَكَذَلِكَ
 فَتَحَ طَرِيقًا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ يَمْنِي الْمَحِيطِ الْغَرْبِيِّ وَالْبَحْرِ الْأَيْضِ وَهُوَ خَلْبَجُ
 لِنْدِدُوقُ وَقَدْ كَانَ تَصْوِرُ فَتْحِهِ فَرَنْسِيَّسُ الْأَوْلُ مَلَكُ فَرَانْسَا وَلَمْ يَشْرُعْ فِيهِ
 فَقْعَلَهُ كَوْلِبِرْتُ فِي أَيَّامِ لَوِيزِ الرَّابِعِ عَشَرَ وَانْشَأَ الْمَصَانِعَ وَالْمَعَامِلَ وَالْوَرَشَاتَ
 وَالْكَرَاخَانَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ بِنَوْعِ الْمَشْغُولَاتِ حَتَّى سَلَبَ مِنَ الْبَنَادِقَةِ الْأَخْتَصَاصِ
 بِصَنْعَةِ الْمَرَابِيِّ وَالْتِجَارَةِ فِيهَا دُونَ غَيْرِهِمْ وَمِنَ الْقَلْمَنِكِ صَنْعَةِ الْمَلَابِسِ وَالْمَفْروشَاتِ

ومن بلاد الدولة العلية الاختصاص بصناعة البسط والسجاجيد الجيدة ورتب
 الصالح البحرية من ترسانات ودوابين وعوائد وحسن الزراعة والفلامة
 وأكتسب الملك من أيام وزرائه الصادقة في العمل فلاحه ونفع الأحكام
 والقوانين وهو المؤسس لمدارس العلوم الكبيرة المملوكيه ولمدارس الرسم
 لا سيما مدرسة رومية التي هي بحسن الرسم معهودة ولم تزل باقية إلى الان
 على طرف الفرزنجاوية ومرصودا لها دراهم معدودة ورتب مكاتب التحت
 والمقش والمباني وحسن مدينة باريس بتشييد الارصفة على نهر الصين وزينها
 باليادين العمومية الفسيحة وقوى علم النجوم بالرصد خانة الملوكي وجدد فيها
 الحسبة والضبط والربط الداخلية وأدخل حسن التربية في الجيوش العسكرية
 وسوى بالمعارات بالساحل الميليات المأمونة وبنى عليها قلاع التغور المصوته
 وجدد لنفع الملك بتمامها قشلة العساكر السقط على آثم أسلوب وأكمل نخط
 وعقد لملكه فرانسا على غيرهم من الدول عقود المعاهدات والمحالفات النافعة
 وجمل الروابط والعلاقات بينهم وبين خلفائهم متواتقة مهانة وأكثر من

مطر ،
وناء ولغير الشاعر
لوزراجم عن

الفتوحات الفاخرة التي وسعت لعموم الوطن محيط الدائرة وقد رثى ولثير
 الفيلسوف الشاعر لويس الرابع عشر بذكر بعض المآثر فتقال ما معناه لم يتول
 قبله ملك من تلك المصابة ولا سواه غيره في تربية الرعية بهذه المثابة
 فالفاخر شعاره والمجدد ثراه وكان أحظمي الملوک بأكتساب الطاعة من رعاياه
 والاقياد كما كان أعظمهم في الهيئة عند الاخذان والاصدادر وربما كان
 دونهم في ميل الرعية اليه ومحبهم له بانعطاف القلوب عليه فطالا رأيناه
 تقبال عليه صروف ازمان وتلاعب به حوادث الحدثان وهو عند النصرة
 يظهر الفخار ويجلد عند المهزيمة ولا يظهر بظهور الذل والا نكسار فقد أرهب

عند عشرين سنة عليه تھصبت وعلى قتاله تحالفت وتحزب وبالجملة فهو اعظم
الملوك في حياته كما كان عظيم العبرة عند مماته انتهى
وكان في عصر هذا الملك من مشاهير الرجال جماعات كثيرون في

كل فن فكان الملك في أعلى درجات الفخار بالجمعيات العظيمة المؤلفة من « مطب »
رؤساء المشاهير أرباب القراء الحكمة والقول الراجحة الفاضلة وقد استعان اللاظفين العثمانية
بجمييعهم وعرف لكل منهم فضله وقدره من الوظائف بقدر استحقاقه فهو في عصر لويس الرابع عشر

مع هذه الجمعيات العظيمة التي ساعدت مظاهر سعاده مخلد الذكر عند من
جاء من بعده وفي بحر مدة حكمه تولى على الدولة العثمانية ستة من السلاطين
فقد تولى لويس الرابع عشر على دولة فرانسا وكان اذ ذاك متوليا على الدولة
العثمانية السلطان ابراهيم بن السلطان احمد خان الاول خلفه ابنه السلطان
محمد الرابع سنة ثمانية وخمسين والاف ومات في سنة تسعة وتسعين ومائة
وخلفه ابنه في هذه السنة السلطان سليمان الثاني ويقال له الثالث ثم توفي في
أوائل شعبان سنة الف ومائة وأثنين من المجرة

ثم تولى في هذه السنة السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم خان وتوفى سنة
الف ومائة وواحد من المجرة خلافا في هذه السنة السلطان مصطفى خان الثاني ابن
السلطان محمد الرابع وتوفي في اوائل سنة الف ومائة وخمسة عشر ثم تولى
السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع سنة خمسة عشر ومائة والاف
من المجرة وفي ايامه توفي لويس الرابع عشر فقد عمر لويس المذكور عمر اطويلا
بقدر عمر خمسة من الملوك العثمانية فكان طول عمره مما اعانه على كثرة
مشروعاته وانجازه جميعها

فقد علم من هذا مساعدة كبار الملوك على مقاصدهم برجال محربين يقاد

« مطلب »
مساعدة كبار
الوزراء ارباب
القراائح للوكيم
على التمدن

ان تُنسب الافعال العظيمة اليهم كمساعدة خير الدين باشا وامثاله مولانا
السلطان سليمان وكمساعدة الوزير مازارين ورئيس الوزراء كولبرت وكارلرمان
تورين وغيرهم من مشاهير الابطال الذين لا يحصون عددا فلرخطي المرحوم
محمد على في اوائل توليته بامثال هؤلاء الفجول المتصفين بالسياسة والريادة
وذكاء العقول لكان اعظم ابطال الدنيا ومع ذلك فله الفضل الذي كاد ان
يختص في كونه اعمل قريحته في تربية رجاله الذين جاءوا معه الى الديار المصرية
او الذين انتخبهم ورباهم فاحسن تربيتهم في هذه الديار وبركة يمنه وحسن نيته
الخيرية سلكوا معه سبيل الفخار ونالوا تربيته كمال الشهرة والاعتزاز
 فهو بهذه الملاحظة بالنسبة لملك الازمان حاز قصب السبق في ميدان الملوك
السابقين فهو جدير بأن يعد من عظام ملوك الدنيا بيقين وحسبه انه احسن
تربيه نجله الاكبّر ابراهيم باشا تربية عسكرية حتى شهد له بالفضل الحربي
جميع امراء جيوش الدولة الاورباوية وايقنوا جميعا انه من كبار قواد الجنود
الذين اشتهروا في القديم والحديث وانه اول امير من امراء الجنود في الدول
الاسلامية من القرون الاخيرة واما في السياسة الملكية فكان من كبار
المدبرين وادارته الخصوصية اعدل شاهد على انه لو طال عمره بعد توليته لكان
من اعظم المعمرين وقد افاقت حكمه الحكيم ان وضع في اسماعيل سراج ابراهيم
وانه حين آلى سرير الملك اليه اجرى الله تعالى كمال خير التمدن على بيده وما تجده في
عهده من الحasan الجمة شاهد عدل على ان مولاه وضع فيه سراجيه وجده وهي
نعمـة عظـيمة وأـى نـعـمة

الفصل الثاني

فَإِنْ مَنَافِعُ مِصْرَ الْعَوْمَمِيَّةِ قَدْ تَمَكَّنَتْ كُلَّ التَّمْكِنِ مِنَ الْذَّاتِ الْحَمْدِيَّةِ الْعَلْيَا وَتَسَاطَطَتْ عَلَى قَلْبِهِ وَأَخْدَتْ بِمَجَامِعِ لَبِّهِ

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَوْى إِلَيْهِ أَدْرَكَ بِقَرِيمَتِهِ الصَّحِيحَةِ وَفَطْنَتِهِ الرَّجِيْحَةِ أَنَّ
 الْمَلَكَةَ الْمُثْرِيَّةَ السَّعِيدَةَ وَسَائِلَ الثَّرَوَةِ فِيهَا وَالسَّعَادَةُ هِيَ عَيْنُ وَسَائِلِ الصَّيَاّنَةِ
 وَالْمَجَادَةِ وَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْضُّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِزِ وَأَنْ لَا يَفْتَحَ لِشَوَارِدَهَا سَبِيلَ وَلَا
 مَنَافِذَ وَمِنَ الْعِلُومِ أَنْ مَنْبَعَ سَعَادَةِ مِصْرَ بِالاَصَالَةِ الزَّرَاعَةِ فَلَا يَسْوَغُ لَهَا أَنْ
 تَقْوِيَّةَ الْمَطَابِ »
 كُونَ الْفَلَاحَةِ
 هِيَ مَنْبَعُ زَرَوَةِ
 مَعْرِفَةِ الْمُتَقْبِلِ
 وَتَحْفِظُ حَكْمَاءِ
 الْمَلُوكِ عَلَى شَوْهَنَا
 تَقْوِيَّةَ الْمَحْصُولَاتِ الزَّرَاعِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا فَلِيْسَ مِنَ بِلَادِ الدُّنْيَا
 بِلَدٌ يَسْهُلُ اسْتِخْرَاجَ غَزَارَةِ مَحْصُولَاتِهَا كَالْأَرْاضِيِّ النَّيْلِيَّةِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ
 أَقَالِيمِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّلْفِ كَمَرَ كَمَرٍ أَذْرَاصِهِمَا أَشَدُ عَرْضَةً لِلفَسَادِ بِفَسَادِ
 النَّيْلِ فَهِيَ تَابِعَةٌ لَهُ وَجْهُ دُونَهُ وَعِدَمُهَا فَإِذَا أَغْمَضَ النَّيْلَ عَيْنَهُ عَمَّا سَنَةٌ مِنَ السَّنِينِ
 وَحَجَبَ عَنْهَا فِيضَانَهُ الْمَزْوَجِ بِالْطِينَةِ الْخَصِيبَةِ كَانَتِ السَّنَةُ عَقِيمَةً وَمَجْدِيَّةً كَمَا
 إِذَا أَغْرَقَهَا بِعَائِهِ الزَّائِدِ عَنِ الْحَاجَةِ وَالْمَلْزُومِ فَإِنَّ السَّنَةَ الْغَرْقِيَّةَ كَسْنَةُ الشَّرَاقِ
 تَوَرَّثَ الْهَمُومُ وَحَسِبَكَ فِي الْخَصِيبِ وَضَدَهُ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ
 الصَّدِيقِ مِنْ ذِكْرِ سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَهَانٍ يَا كَاهِنَ سَبْعِ عَجَافٍ فَلَا يَأْتِيَهُ قَدْ اجَادَتْ
 فِي وَصْفِ مِصْرَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ وَقَوْلِهِ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ بِرَشْدٍ
 إِلَى الْأَحْتِيَاطِ وَالْأَحْتِرَاسِ لِجُمِيعِ مَلُوكِ مِصْرَ وَسَائِرِ مِنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ فَهُنَّ ذَلِكُمْ
 كَانَ حَكَمَاءِ مَلُوكِ مِصْرَ يَحْتَاطُونَ فِي سَنِ الْخَصِيبِ فَلَا يَخْرُجُونَ الزَّائِدَ لِغَيْرِهَا
 مِنَ الْبَلَادِ وَيَعْتَنُونَ كُلَّ الْأَعْتَنَاءِ بِحَفْظِ مَجْرِيِ النَّيْلِ وَتَنظِيمِ الْقَنَاطِيرِ وَالْجَسُورِ
 وَالْتَّرْعِ وَالْخَلْجَانِ لِمَصْلِحَةِ الرَّى فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَسَبِيلٍ فَلِذَلِكَ رَى مِنْ مَبَانِي

الفراعنة ما عظم نفعه من المصالح الخيرية لحفظ الزارع والمنافع النيلية فبهذا
 أبدوا سعادتهم وذلدوا ذكرهم من بعدهم وأقتلوا بهم غيرهم من الملوك
 وعند فتوح الاسلام سلك الخلفاء والسلطانين والولاة بقدر استطاعتهم
 في هذا السلاوك وإنما صارت مملكة مصر في قبضة الكويمان وصار لهم
 عليها الرياسة واحتلت أحواهم وضعف عندهم السياسة ولم يبق لهم من
 شهامة الحكم إلا مجرد احسان ركوب الخيل والفروسية بدون فراسة أهملوا
 عمليات النيل وخسروا من نيل الثروة وكسب السعادة خسرانا مينا وهم
 عليهم الفرساوية فلم يجدوا لهم من النظام المعنوي ولا الحسي منجدا ولا معينا
 فتبعد شملهم بالكلية وصارت مصر في يد الفرساوية تعد إقليما من أقاليم
 الجمهورية ولم تعد للدولة العلية إلا بعد التي والتي فزحف عليها الماليك وبالحملة
 الحمدية العلية لم يلشووا بها ملها ثم بتوطن هذا الامير وتوطيد هذا السرير
 أدرك انه لم يستول من الاراضي الا على موات ولم يسترع الا أحياء ضعاف
 الملة وهم في الحقيقة لا خلال المهيئ الاجتماعي في حيز الاموات

ولعل البطل المهام المؤسس فهم بقوه فطنته ما أجاب به عن سؤال
 عمر بن الخطاب بعد الفتوح ماك مصر المقوقس وذلك ان عمر بن الخطاب
 رضى الله تعالى عنه كتب الى عمرو بن العاص ان يسأل المقوقس عن مصر
 من أين تأتي عمارتها وخرابها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخرابها
 من وجوه خمسة الاول ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها
 من زروعهم الثاني ان يرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر
 كرومهم الثالث ان يمحف في كل سنة خلجانها الرابع أن تسد روعها وجسورها
 الخامس ان لا يقبل مطلب اهلها فإذا فعل هذافيها عمرت واز فعل فيها بخلافه خربت

فـكـان الـمـالـيـك الـمـسـتـوـلـون عـلـيـهـا لـا يـنـظـرـون إـلـى عـمـارـهـا وـأـنـما يـأـخـذـون مـا
بـدـالـهـم وـرـاجـ فـكـل عـام حـتـى صـارـت بـيـبا وـازـدـادـت خـرـابـا فـقـدـ كـان أـهـلـهـا
الـمـالـيـك نـحـو خـمـسـيـن سـنـة بـدـوـن عـمـلـيـة نـيلـيـة فـكـانـت الـأـرـاضـي تـفـسـدـ فـكـل
عـام فـكـثـير مـن الـأـقـالـيم حـتـى هـجـمـت جـيـوش رـمـالـ البرـارـى عـلـى وـادـى النـيل
الـصـالـحـ لـلـأـزـرـاعـةـ فـكـوـنـ مـن الرـمـالـ عـلـى شـوـاطـىـء النـيلـ تـلـالـ وـاـكـوـمـ وـلـوـ بـقـى
حـكـمـ اـبـراـهـيمـ بـكـ وـمـرـادـ بـكـ عـشـرـيـنـ مـن الـأـعـوـامـ لـفـسـدـت جـمـيعـ أـرـاضـيـ مـصـرـ
الـزـرـاعـيـةـ

قال نابليون حين تأمله في أراضي مصر لوحكمت هذه الديار بحكومة
في مساحة متساوية متساوية لحكومة فرنسا وطاليا وإنكلترا وفرنسا لزيادة مزاراتها
وأهاليها ذات أضعاف ما كانت عليه في أيام الملائكة فان المزارع تجلب من
سواحل أفريقية ومن جزيرة العرب خلقاً كثيرين ينجمون إليها للميرة لما
فيها من الخيرات انتهى فقد سخر الله تعالى لها محمد على لاحياء موتها وقد
قال صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضًا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق يعني
ما يخترق بال
محمد على من
الملحوظات الستة
لاحياء باز مصر
من الموات
والتشتت بسبب
الاجياء
« مطلب »
قال صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق يعني
من عمر أرضاً فقد ملكتها بالاحياء والتممير وليس من غرس عرق شجرة
ظلام حق فيما غرسه وورد أيضاً من أحيا أرضاً ميتة فله فيها أجر وما اكتنه
العاافية منها فهو صدقة والمراد بالعاافية كل طالب رزق من آدمي أو غيره وصفة
الاحياء التي يملك بها الموات شرعاً ما يعد مثلاً العرف عمارة للمجيء فيختلف
ذلك بحسب الفرض منه الا ان احياء الديار المصرية هي حياة عمومية ملوكية
فعلمك خطر في خاطرك وللنعم الملحوظات الآتية

الاولى أنه لم يكن للتل في هذه الايام الا فرعان فرع رشيد وفرع دمياط وأنه يجب عمل أقفال وسدود لهذين الفرعين بطريقة تقتضي ان لا

ينصب ماء النيل في البحر الابيض الا ما لا يمكن تركه فبهذه الوسيلة يكون
ماء النيل الفائض جسيماً ويتند على كثير من الاراضي زيادة عما هو عليه فبهذا
تتسع الارض الصالحة لزراعة أو للسكنى أزيد من الحالة الراهنة

الثانية اذا صار الاعتناء بتطهير الترع والخياجان كافياً وصار الاجتهداد
في تكثيرها بقدر اللزوم تكثف المياه على الاراضي جزاً عظيماً من السنة
فيتسع وادي النيل ومجراه ويمتد فيروي الاراضي الصالحة لزراعة فمن هذه
الاراضي القابلة لغرس الواحات اخارجة وجزء عظيم مبذؤه من بريه الفرما
وسائر البحيرة ومريوط وما حوالى الاسكندرية فان جميع تلك الاراضي
كانت في الازمان القديمة عامرة بالزراعة ليست من ما آثر النيل محرومة
الثالثة قد صرحت وجه الحدس والتخيين ان بواسطه الطريقة السابقة المستحسنة
بعدها اذا اجريت بالضبط والمواطبة وحسن الهندسة الصادرة عن فكره سليم
الناتجة عن حكومة منظومة تزيد في مزارع مصر العامرة ما ينفي عن
تسعمائة فرسخ مربع

الرابعة الظاهرة أن النيل في الاعصر السابقة سبق مروره بالفيوم بالأرض
للسماة هناك بحر ا بلا ماء وجرى من الفيوم الى بحيرات الطرون وكان يخرج
منها فينصب في الماح من الحال الذي خلف قلعة المرب والظاهر أيضاً ان بركه قيرون
السماة بحيرة مورياس التي هي كذلك بالفيوم سدت هذا الفرع وصارت بحيرة
الخامسة من المعلوم مما سبق أن خصب مصر ويعنها متسبب عن النيل
وين غيرها الزراعي متسبب عن اختلاف الفصول والامطار فبهذا كانت
مصر مستعدة لكسب السعادة اكثير من غيرها بشرط ان نظام حكم متها
واجتهاد أهاليها لأن اختلال حكم متها يخل بزراعتها بخلاف اختلال غيرها

من الحكومات فلا يؤثر شيئاً في جريان الفصول والامطار فيتعين من هذا
 ان يصر اذا توفرت فيها شروط انتظام الحكومة واصلاح النيل وسهولة
 وسائل المنافع العدوية ودفع الضرار البليمة كثیر خيروها وبها وادا اختلت
 فيسئت مزروعها فاختلال مصر من السنين الماضية أضر بها كثیرا مع انه
 يمكن ان تكون أرض مصر وزارعها مستوية الخصوصات في جمع اجزاء الاوليم
 بخصوصية واحدة اذا صار تمدها على الوجه السالف الذكر بخلاف ما اذا
 اهانت جسورها على عملها المعتاد وترك الترع بدون تطهير فان ذلك يجب
 تلف الاوليم بقائه ويجعله صحراء لا ينفع بها فتفاخير العمليات عن مواعيدها
 موجب لتلف فان الزراعة والمحصد مبنیان على ازمان فيضان النيل وكثبات
 مياهه وبقوات العمليات ثبوت مواعيد الزراعة والمحصادة
 السادس ذا صار الشروع في عملية تناظر عظمية تسد فرع دمياط ورشيد في محل
 المسماى بطن البترة وعمل لها أبواب ورباحات ومصارف فان بواسطه ذلك يحصل
 تحويل النيل لمحلات التي لا يصل اليها بدون ذلك فمصلحة الري تصير
 كاملة ويصير ماء النيل عند الفيضان ضعفين بجز مياهه ومنع الاسراف
 فيها بانصبابها في البحر هذا ما تصورته المكرة الجليلة الحمدية العلية لا سيما
 مما أرادت إجراءه فيما بعد بناء القناطر الخيرية وبالجملة فكان ميل جستكـان
 متوجها كالية الى بذل مجده وقوه نشاطه لا حياء عملية الري والزراعة
 وعن ذلك نتج احياء مصر وأهلها واستنشقت في أيامه رأعة الراحة لانه
 لما كان الري يضمونا بهذه العمليات صارت الاراضي المصرية التي هي عناصر
 ارزاق الاهالى ذات اثمان غالبة لكونها تؤدي مسؤولاتها بغاية من المسؤولية
 بشرط ترتيب المياه والاقتصاد فيها فكانت الحكومة المصرية دائماً متشددة

بتحسين مصلحة الارى والاحتراس من الغرق والنشريق فقد سلك جمِّ مسْكَان
 في ذلك مسلكاً حسناً اذ في أقرب زمان اكتسب من مالية الاراضي اضعاف
 ارادها الاول بقدرست مرات قبل أن يتفرغ لتكثير العمليات النافعة وانما
 تأخرت أعمال الري الجسيمة التي هي أهم من غيرها في حد ذاتها وبالنسبة
 للإلهالي وتكتير اراد المملكه لاز غيرها كان في ذلك الوقت أهم منها وهو
 ايجاد المسارك وتكثيرهم والا حتياج لهم لتصميم ملوكه والامن على نفسه
 وحماية الوطن فكانت بالنسبة الى البشا المرحوم جميع المنافع العمومية الملكية
 عرضية ونابعة للعسكرية التي لها تصميم كرسى الدبار المصرية فلم يلتفت لرواج
 الزراعة البلدية الا التفانا ظنوباً ولم يصرف عليها في اوائل حكمه الا مقدار
 غير جسيمة بالنسبة لما صرفه على تأسيس العسكرية ومع قلة الابادات
 اذ ذلك فكان يحسن تدبيره ويقتن اراده على قدر مصروفه فلهذا لم تكن تحسينات
 الترع والجسور في مبادي احكامه متعددة بل كان يقتصر فيها على الضروري
 منها

ومن المعلوم ان النيل لا يقاس به غيره من انهر الدنيا فانه يستدعي
 للاقتصاد فيه تدقيقاً مستمراً وتأملاً متكرراً فلا ينبغي ان يقاس بالانهار الواسعة
 البوغازات فان لها عند مصبهما ما يسمونه حاجزاً وهو السيف الذي يرسب
 من الطين وغيره من الاشياء المتجمعة في البوغاز وهذا الحاجز يصادم مياه
 الهر عنده انصباتها في البحر فيحمل مجرى المياه وانصباتها بطياً وأما النيل فان
 بوغازه عريض عرضاً ذريعاً مخصوصاً به في أيام فيضانه وفي مائه من الطين
 الذي يتحول معه من بلاد الحبشة جزءاً عظيماً فيتكون منه عند بوغاز رشيد
 حاجزاً كبيراً جداً يعوق السفن المارة من النيل الى البحر عن الدخول فيه

« مطلب »
 صرف هذه الاموال
 على في مدة امره
 لتنظيم العدة
 المسكر بواياته
 لها على كثير من
 المنافع العمومية

« مطلب »
 عدم قياس النيل
 بشيء من الانهار

أو يحمل دخولها خطاً وليس ل مصر الأ طريق واحد من النيل إلى هذا البحر تنقل منه محصولاتها فلما كان في أوائل حكومة المرحوم محمد على طريق رشيد هي دون غيرها الموصلة لنقل المحصولات لمن يسافر إلى البلاد الأجنبية اضطر في سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة أن يفتح ترعة بين النيل والاسكندرية وكان في قديم الزمان ترعة تسمى بالخليج الاشرف باقية الآخر وكانت توصل مياه اليل إلى صحراء اسكندرية وقت الزيادة فكان يمكن توسيعها والسفر فيها إلا أن جنتمكان محمد على عمد إلى إنشاء ترعة جديدة سماها الحمودية فكانت من أعظم الترع التي أنشأها على كثرة فقد فتح كثيراً من الترع والخلجان إلا أنها متفرقة في جهات عديدة ونافعة في موقعها ولم يعمل صورة رى واحدة عمومية بحيث يجتمع المهندسون

ي موقعيها ولم يعمل صوره رئيسيه في بحثه
رسم ميزانية مصرية مؤلفة من مجموع الترع والجسور اللازمه لأشغاله
تفرغ محمد على العاملات النافعه لثروه مصر عند
بعا هو أهم من ذلك مدة طويله في مبادى أمره وفي اثناء ولايته وانما بعد
الاوان مدة طويله اسعت آراءه في العمليات وعرف الاسباب والسباب واكتسب
 التجارب وتفرغ للعمليات النافعه وكانت قد جاء او انها توفرت وسائلها
ونفقاتها وذلك أن النيل في الحقيقة منه تكون قلب مصر وقلبه وهو الموج
للرطوبة الضروريه لقطر اذ لا يستغنى القطر عنها فالنيل نائب عن الامطار
« مطاب »
نعم بعض
الحكماء ان
ارض مصر
حدثه من
الطبي
من أن الوجه البحري متولد من تراكم الطمي الطيني الراسب من فيضان النيل
جميع وادي النيل متولد من الطمي ويؤيد هذا القول ما ذكره الاقدمون
وأن شكل ساحل البحر الذي على هيئة نصف دائرة علامه قوية

على صحة هذه الدعوى

وعلى كل حال فمن المحقق ان النيل كل سنة يحصل منه تغيرات
وتبدلاته وتحويلات يترب عليها اثاث مخارات يبني الأمل فيها التداركها
الاولى ان تراكم الارسال الطينية يتسبب عنه ارتفاع ارض وادي
النيل بقدر لا يصله الري فتضيق كيارات الاراضي الزراعية التي يصل اليها
الماء عند الزيادة

« مطلب »
الانتهاء المضار
الثلاث البيانية التي
يجرب انتفخة منها

الثانية ان النيل حين يفيض بمحفر الارض وينحر الحصبة فينفذ في
خلال القبوف فيسقطها فيحدث من ذلك كل سنة انخفاضات جسيمة
فيتسع فرش النهر ومجراه وقدر ذلك تماقش تسوية ميزانية النهر وينحط
سطحه فيولد عن هذا أن الاراضي التي كانت تغرق سابقاً بالماء مدة الزيادة
صارت بعيدة الآن عن النيل بمسافة بحيث لا يصعد اليها الماء فهذا صارت
يابسة ولو في زمان الزيادة وهذه الحالة ملزمة للحالة الاولى

« مطلب »
مضمار البحر
عند مصب البيل

الثالثة ان النيل من حيث انه غير محبوس يحور على البحر عند بوغازه المصادر ماؤه ماء
البحر عند مدة ويجور البحر الماح أيضاً على الاراضي المستجدة التي يضيق عنها
نطاق الري فيتفاوت سياقها فيما بعد معاجلة هذه الملل الثلاثة اضرة بوادي النيل وبيان
مضرة البحر الماح للاراضي الزراعية انه في شهري برموده وبشنس يكون
ماء النيل قيل المياه منخفضاً فيصعد البحر الماح نحو ثلاثة فراسخ فوق دمياط
ورشيد فيرسب منه رسوب كالبربات من المياه الماح المخفضة الزراعة
مضمار البحر الماح فيتكون من ذلك البرك الماح فعن ذلك بحيرة المزلاة وغيرها من البحيرات
عند مصب البيل التي كانت مزارع وزالت ثم يأخذ النيل في الزيادة في الصيف ويحصل الوفاء في
الخريف فينقى النيل مستمر اعلى زيادته مدة ايم ثم يأخذ في النقص شيئاً فشيئاً

حتى اذا دخل فصل الشتاء كأن مأواه منخفضا جداً - لكن لا تزال المياه موجودة في الترع الكبيرة ففي هذه الحالة يدخل فصل الزراعة فإذا انقضى فصل الخريف يبست جميع الترع ونضب ماؤها ماعدا عدة ترع مستثنية يسبق منها بالراحة او بالآلات ففي هذا الفصل تسقي الزروع والغرس في أكثر محلات الديار المصرية بالتوابيت والسوقى الا ان طريقة السقى على هذا الوجه ضعيفة شاقة كثيرة المصروف ومع ذلك كله لا ينتفع منها الا قليل من المزارع لا سيما

القريبة من النهر

فبواسطة السقى الدائم يحصل من مزارع الديار المصرية ثلاث محصولات او اربعة في كل سنة ولكن اغلب اراضي مصر ما تزال غير رواتب فلا تسقي بذلك الطريقة بل يعمها الماء وقت الرأى حسب العادة فلا زراعة الا مرة واحدة ولا تؤدي الا محصولا واحدا في السنة وقد لوحظ بالقاونوں الهندسى انه اذا صار تعميم النيل بترتيب مساقى مرتبة على فصول السنة وتوفيق السقى على المحصولات بحسب مزاج القطر وما يناسب من اصناف الزراعة فإنه يتطلب على هذا ايجاد عدة محصولات للمزارع في السنة

فإذا أُمِلَّ أهْلُ الزراعة إلَى اسْبَابِ تَكْثِيرِ الْمُحْصُولَاتِ وَتَعْدِدِهَا وَمَا تَسْتَدِيهِهِ مِنَ الْقُوَىِ غَيْرِ الْمُعْتَادَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمُدْبِرَةِ فَإِنْ هَذِهِ الْقُوَىِ تَسَاوِي النُّوَىِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي تَنْمِيَةِ الْمُحْصُولَاتِ فَقَدْ لَا يَحْظُ جَنْتَمَكَانِ مُحَمَّدٍ عَلَى باشا انه ينبغي قبل كل شيء ابطال الاسباب الطبيعية الموجبة في أكثر الاوقات لتنمية اراضي الزراعة على التدرج وانه لا يدرك مرامه في اثرورة والغنى الا بالانتصار عليها وهزها اذهي اعدى عدو للبلاد كما انتصر في وقائمه الحرية الاول من هذه الاسباب ارتفاع وادي النيل المانع لري عدة محلات

والماجر لعمومها بالماء

الثاني تلف القيوف المسبب عنه توسيع فرش النيل وانحطاط ميزانية ماءه
 الثالث جور مياه البحر المالح وامتدادها على الارض الزراعية وسلبها منها
 على التدرج مقدار واسعة فهذه ينبغي معالجتها وقتياً بما يليق بها من الاصلاحات
 كتسبيخها وتسميدها وتوسيع المياه اليها ولم تنتهي بهذه المعالجات قدر عددة
 المحصولات السنوية الا ان فائدتها تنسحب الزراعة على اسلوب واحد بحيث
 ان الماء يصلها فلا تمثل الى حد حصول التدارك المائية بالغرض واسهل
 طريق في منع تلك الاسباب المضرة وازالة ضررها دفع واحدة في آذ واحد
 مع الاقتصاد في المصروف هو ان يحصر النيل بسدود لا نفحة يعني ان يعمل
 له بالهندمة والهندسة فرش محصور محدود لا يمكن معه اتلاف القيوف فالجزء
 الرائد من ميزانية المهر الذي يطقو على السدود ومن الفيضان يصير تصريفه
 بالتوزيع على الاراضي والفيضان كما كان جارياً قبل عمل السد فيحصل الطهي
 كالعادة

فهذه العملية تجعل فرش النيل محصوراً وتريدف سرعة جريان ماء المهر
 عند مصبه فيتجدد من هذه القوة فعدة عظيمة لان ماء النيل يزاحم حينئذ مياه
 البحر الملاطمة له ويغلب عليها فيصدها ويرد امتدادها وانتشارها بما فيه من
 السرعة والقوة ويطردها طرداً عنيفاً كما فعل ذلك في بعض انهر اوروبا التي
 بهذه المثابة وهذا المعنى هو الбаشر للمرحوم على عمل الجسور العظيمة وعلى عمل
 القنطر الخيرية التي هي من اعظم المنافع العمومية المصرية كما يذكر في الفصل
 الثالث من الباب الرابع

الفصل الثالث

فيها ذكره المرحوم محمد على من اصول المنافع العمومية الجسيمة والوصول بها الى الحصول على الت Cedمات العميمه في زمان يسير مملاً أجزاء من المؤوك جم غير لعد من العمل الكبير وحسن التدبير

الغرض التكلم على ري الاراضي وسقيها بما يخص العادة والأمور الهندسية التي هي ايضا من تدبير الحكمة الالهية والأقوان نظرنا لشخص الحكمة الالهية لقلما كما قال الفزالي رحمة الله تعالى في احياء علوم الدين ان الرغيف لا يستدير ويوضع بين يدي الآكل حتى يدخل فيه ثلثاء وستون صانعاً ولهنهم ميكائيل عليه السلام وهو الذي يكتب الماء من خزان الرحمة ثم الملائكة التي ترجر السحاب والشمس والقمر والافلاك ودواب الارض وآخر ذلك الخباز انتهى ويقتاس على ذلك كل فرع من فروع المعاش فالعمل هو الذي عليه المدار وهو القوة الاولى في ابراز المنافع الالهية كما سبق في الفصل الثاني من الباب الاول فان ما يأتني في العمليات اليومية نحسب ارض مصر بؤيد ما ذكر في ذلك الفصل ومن المعلوم أن مصلحة الري التي هي ماء رة عن عمل الترع والجسور والقاطر من أهم مصالح الحكمة لأن هذه المصالحة اليومية لها مدخل عظيم في غنى الاهلى وسعادتهم كما ان لها تأثيراً اعظم في تكثير ايراد المملكة المصرية لأن النيل هو رأس مال البلاد والاقليم كما قال بعضهم لمصرنا من نيلها ثروة فالرزق من اصبعه يجري يقول من أبصره احرا قوموا انظروا للذهب المصري فإذا كان النيل في يد مدبر نشط أحسن التصرف فيه فإنه يرجح ربحا

عظمها بخلاف ما اذا كان في يد انسان مهمل أو جبان أو فاتر همة أو جاهل لا يدرك العواقب فانه يتلفه بسوء تصرفه فيكسد رأس ماله الذي هو النيل وتدوق مصر عذاب القحط الويل لأنها بدون الري ليست الابلاغ فماريتها بقدر حسن التصرف في مياها النيلية فالنيل بالنسبة اليها كالدم لجسم الانسان فقوه البدن بقدر ما فيه من الدماء كما قال بعضهم

ه مطلب ،
ما يترتب على
انظام مصلحة
الري

ان الدماء قوام بكل جسم صحيح وحمرة النيل فيها قوام جسم وروح فمصلحة الري العمومي هي عملية الاقتصاد في النيل وتدبير مياهاه فقد كانت مصر في أيام الفراعنة ذات قناطر وجسور حسنة التدبير والتقدير حتى ان الماء كان يجري تحت منازلها بمقدار منافعها فيجسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك معنى قوله تعالى فيما حكي عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحت أفلأ تبصرون ولم يكن يومئذ ملك اعظم من ملك مصر

فإذا اتظمت العمليات باصول واسعة فان ارض مصر الزراعية تزيد وتمتد وتكثر وسائل ثروتها وتمدتها وتعظم شوكتها وقوتها المملكية وأما اذا بقيت قليلة الترع والجسور عديمة الانتظام والتطهير والاصلاح والترميم فانه ينحط قدرها ويظهر الفقر والمسكينة على أهلها ويضعف تمدتها فلا بد من صورة تنظيمية وأصول اجتماعية مستوفية للمذاهب المائة وقوة اجرائية ومثل هذا لا يمكن من وظيفة الاحد والافراد ولا من محض وظيفة القرى والبنادق والبلاد سواء كان بالاجماع او الانفراد بل هذه وظيفة القوة الحاكمة العمومية التي هي من المولى تبارك وتعالى كالوصي على مصر وعلى جميع

الرعاية ففؤود الحكومة هو الذى يتعهد اصلاح هذه الدرة البئية وليس فى ممالك الدنيا مملكة لصاحبها الففوذ الحقيقي على الزراعة وال فلاحة الا صاحب مصر فانه لا يجد فى اهالها فلاحة وقدر ففوذه على ادارة الزراعة يكون له التفوذ على الاهالى وأما غير مصر من البلاد التي ريها بالطريق فليس للحكومة عليها ولا على قلوب أهلها كبير سلطان

ولما كان رى مصر دائماً صناعياً مدبراً كان لا بد فيه من حسن الادارة المائية والضبط والربط في تطهير الترع وبناء الجسور والقناطر فان كانت الحكومة المتولية على مصر سيئة التدبير أو قليلة المدى أو ضعيفة القوة فانها تقتصر على تدبير بعض الاقاليم دون بعض أو بعض الاملاك الخصوصية على قدر منفعتها وتجحف بالمعاملة العمومية فلا تخلي الاقاليم في داخلها من المشاجرات بين الاهالى واذا فتحت الحكومة رعية عظيمة خصوصية أو اهملت رعية في الترع وجعلتها عرضة للتلف ترتب على ذلك ان الري لا يكون الا في اماكن قليلة فتناقص كمية الاراضي الزراعية عن اصولها الاتساعية وهذا الخلل اما يترب على عدم الحكومة المركزية فان حكومة المالك الاختلالية لم تجردت عن القوة المركزية ووحدة الحكومة تجردت بالضرورة عن صورة الرى العمومية المصرية

فقد كانت حكومة المالك مؤلفة من عدة سنادق تتوزع بينهم اقاليم مصر وكل سندق يقطع لکشافه القرى والنواحي وكان كل سندق منفصلاً عن غيره بادارته و سياسته لا يتبع الا هوى نفسه ولا يطبع الا ما يسوله له عقله من وسائل التحرير وان كان مستقى للصادفة والاتفاق فالغالب عليه التكاسل وعدم النشاط فكان في أيامهم لكل قسم وكل قرية ترع وجسور خصوصية لا ينتفع من السقي منها الا اهالها ولم يكن بينهم روابط عمومية

فـكـان اـصـحـاب الـأـرـاضـى وـالـمـازـارـعـون لـهـا الـجـاـوـرـون شـطـوطـ المـاء يـحـتـكـرـون
 الـرـى وـالـسـقـى وـيـخـتـلـفـون مـنـ المـاء مـاـ هوـ قـرـيبـ مـنـهـ وـيـغـنـيـونـ الـأـرـاضـى
 الـبـعـيـدـةـ مـنـ ذـلـكـ مـعـ كـوـهـاـ لـهـاـ حـقـ فـيـ مـشـارـكـهـمـ فـيـ المـاءـ عـنـ الـفـيـضـانـ فـكـانـ
 يـذـشـأـ مـنـ هـذـاـ مـاـ لـاـ مـزـيدـ عـلـيـهـ مـنـ عـرـاوـةـ قـرـبةـ لـاـخـرىـ وـرـبـاـرـتـ عـلـىـ ذـلـكـ
 الـقـتـالـ وـسـفـلـتـ الدـمـاءـ فـاـنـهـ الـحـوـادـثـ الـجـارـيـةـ فـيـ أـيـامـ حـكـمـهـ تـقـهـرـتـ الـعـمـلـيـاتـ
 الـهـنـدـسـيـةـ الـمـوـزـوـنـةـ عـنـ الـفـرـاءـ وـالـرـوـمـانـيـنـ وـمـنـ بـعـدـهـ مـنـ الـخـلـفـاءـ وـالـسـلاـطـينـ
 مـنـ كـانـتـ دـوـلـةـ مـصـرـ فـيـ أـيـامـهـ مـنـظـومـةـ كـاـيـاـمـ اـحـمـدـ بـنـ طـولـونـ فـاـنـهـ لـمـ تـوـلـىـ
 الـامـيرـ اـحـمـدـ عـلـىـ مـصـرـ تـسـلـهـاـ مـنـ اـحـمـدـ الـمـسـرـ وـقـدـ تـلـاثـيـ اـمـرـهـاـ وـاحـنـطـ خـرـاجـهـاـ
 فـاـهـمـ اـبـنـ طـولـونـ فـيـ عـمـارـةـ جـسـورـهـاـ وـبـنـاءـ قـنـاطـرـهـاـ وـحـفـرـ خـلـاجـاـهـاـ وـسـدـ رـعـهاـ
 فـاسـقـامـتـ اـحـوالـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ اـيـامـهـ وـوـصـلـ خـرـاجـ مـصـرـ مـعـ وـجـودـ
 الرـخـاءـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ أـلـفـ دـيـنـارـ وـثـمـانـةـ أـلـفـ دـيـنـارـ يـعـنـيـ أـرـبـعـةـ مـلـاـيـنـ دـيـنـارـ
 وـثـلـثـ مـلـيـونـ تـقـرـيـباـ وـهـذـاـ غـيـرـ مـاـ تـحـصـلـ مـنـ الـمـكـوسـ وـكـانـ مـلـكـاـ شـجـاعـاـ
 صـاحـبـ جـوـشـ وـسـخـاءـ كـثـيرـ الـأـمـوـالـ وـالـخـزـائـنـ مـسـتـقـلـ بـعـدـهـ كـمـصـرـ يـسـتـوـفـيـ
 خـرـاجـهـاـ وـكـانـتـ مـصـرـ فـيـ أـيـامـهـ عـاـرـةـ آـهـلـةـ كـثـيرـ الـحـصـولـ لـرـفـقـهـ بـرـعـيـتـهـ
 وـتـكـثـيرـ تـرـوـيـمـ وـقـوـيـمـ وـعـدـمـ ظـلـمـهـ وـجـوـرـهـ عـلـيـهـمـ وـمـاـ كـانـ تـحـصـيلـ الـأـمـوـالـ
 الـكـثـيرـةـ جـدـاـمـهـاـ الـابـسـبـبـ عـمـارـهـ اـفـكـانـتـ كـالـرـوـضـ الـبـهـىـ فـيـ زـهـرـهـ اوـ نـضـارـهـاـ
 فـقـدـ بـنـىـ مـدـيـنـةـ شـرـقـ مـدـيـنـةـ الـقـسـطـاطـ وـسـمـاهـاـ الـقـطـائـعـ وـكـانـ مـدـيـنـةـ جـلـيلـةـ
 بـنـيـتـ قـبـلـ الـقـاـهـرـةـ وـكـانـتـ مـيـلـاـ فـيـ مـيـلـ اوـلـهـاـ مـنـ كـوـمـ الـجـارـحـ الـصـاـيـاهـ
 وـعـرـضـهـاـ مـنـ قـنـاطـرـ السـيـاعـ الـىـ جـبـلـ الـقـطـمـ فـلـماـ فـرـغـ مـنـ بـنـائـهـ اـسـكـنـ بـهـاـ
 جـنـدـهـ وـكـانـ قـرـيـاـ مـنـ الـلـائـةـ أـلـفـ ثـمـ اـبـتـأـ بـنـاءـ جـامـعـهـ الـذـيـ بـلـغـ النـفـقـةـ
 عـلـيـهـ مـبـلـغاـ جـسـيـاـ وـرـأـيـ اـحـمـدـ بـنـ طـولـونـ الصـنـاعـ يـبـنـونـ فـيـ الـجـامـعـ وـبـنـاخـرـونـ

إلى دخول الليل وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء
أفطاراً عليهم وأولاده أصر فوم بعد العصر فصارت سنة غالبة إلى اليوم
بمصر قيل لم يكن بمصر بقعة أعظم من البقعة التي بني فيها هذا الجامع وكانت
تسمى جبل يشكير وهو مشهور بجابة الدعاء فيه وبني أيضاً بجوار هذا الجامع
مارستاننا وصرف عليه ستين ألف دينار والظاهر أنه أول مارستان بمصر
وجعل به خزينة الشراب والأدوية وكان يجلس على بابه كل يوم جمعة طيبان
برسم مناظرة الضعفاء وأرصد عليه الأوقاف الكثيرة الدارة وقد أصلاح
أيضاً مقاييس مصر وصرف عليه الف دينار فain حسن عدله وتدبره من
ظلم الماليك السكيمان في الأعصر الأخيرة وتدبرهم للبلاد فدار العار على العدل

وبضدها تغير الأشياء كما قيل

عليك بالعدل إن أوليت مملكة واحد من الظالم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع الكفر النذيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر
فإنماك في مدة أحكامهم صارت مصر تفقد كل يوم عناصر حياها على
التدريج باخلال الانتظام فكانت مصر محتاجة إلى نظمها في وحدة حكومة
مركزية فادركت مرامها بنادرة العصور وهي الذات الحمدية العلية ولو لا
إن رزقت بالمرحوم محمد على باشا الدرست رسومها بالكلامية فقد أسعدهم الله
سبحانه بسيادته وكان ألقاذه لهم من قبضة القلمة سليماً لسعادتهم وسعادته
فإنما أهم بصلاح الترع القديمة باترجم وجدد ما اقتضته الضرورة من
الترع والجسور والذئاطر ما عاد على الزراعة بالحسين والتقديم

وقد أسلفنا الكلام على ترعة محمودية وعلى منتفعها العمومية ولا يسعنا
هذا سرد جميع العمليات المسائية التي صارت في أيام حكومته العدلية وإنما

« مطلب »
تسخير المولي
بنبارك وتعالى
محمد على
لأحياء عمارية

مصر

نذكر بعضاً منها فنقول ان من جملة اعماله عمل الجسر الاعظم الممتد بطول النيل على الساحلين مبدؤه من جبل السلسلة في الصعيد وانتهاؤه الى بحر اسكندرية وهو يحيط بالوجه البحري فهذا الجسر سد عظيم يحفظ بقاء مياه النيل في فرشه ومجراه فإذا ارتفع الماء عند الفيضان حفظته الجسور من انتشاره وتغيريقه للبلاد كما ان هذه الجسور تحفظ أيضاً مياه النيل في زمن الري مدة طويلة على الارض حتى يربس طينها النافع وتحصل فائدة الطمى وقد صار عمل هذا الجسر الاعظم الحافظ للمياه في ظرف سنة واحدة بدون اتعاب للأهالى اذ كل بلد أعانت في عمله بقدر ما ينحص بلدها منه وهذا كله غير القناطر والجسور الخصوصية المنشأة في الاقاليم البحرية والقبيلية لا سيما بالجهات البحرية فانها اخصبت جداً وتكللت فيها زراعة الاصناف وعلى الخصوص زراعة الاقطان اذ صارت ضامنة الري اياماً كانت زيادة النيل بخلاف الصعيد فانه لم يصل الى هذه الدرجة القصوى اذ لم تتفقل عنه عين المرحوم طرفة عين وان لم يجتهد في اصلاح الصعيد بمثل ذلك الاجهاد مع أن اغلب ملوك مصر في الازمان القديمة كانت همهم في تحسين الصعيد وتقديره حتى قيل ان الاقاليم القبلية كانت سابقة التمدن قبل الاقاليم البحرية قيل ولعل سبب تراخي اهتمامه به كمال الاعتناء ان الصعيد لا يصلح لزراعة الاصناف كالوجه البحري لا سيما زراعة القطن وان كان الصعيد ينجح فيه زراعة الكتان والافيون وغير ذلك بل والقطن على قلة حتى ان زراعته في بلاد النوبة التابعة لمصر ناجحة وانما تحتاج لعزيمة الحكومة فكمال الاهتمام في المصالح النيلية مبنية لعانياً حكومة النزيرية المتولية العزارة ومن احوال الصعيد الان ان السينين التي فيها زيادة النيل متوسطة

لابد أن يقي فيها منه جزء بدون ري وإنما أكثر مزارع مدبريني أسيوط
وجريدة صادمة في هذه الحالة للري والظاهر أن هذا الوصف في تلك الجهة
تصوّر الأرضي « مطالع »

حاصل من قديم الزمان

فقد ذكر بعض المؤرخين أن الدينما كله ما صورت للرشيد لم واستحسنه منها
لارشيد

يستحسن منها الأكرة أسيوط لان من مساحتها ثلثين الف فدان في استواء

الارض لو وقع فيها قليل الماء لا تنشر في جميعها لا يشرق منها شيء يزرع
بها الكتان والقمح والقرطم وسائر أنواع النبات فلا يكون على وجهه
الارض بساط أتعجب منه وبها مناسج الارمني والدبقي والثلث وسائر أنواع
المنبوس الذي لا يخلو منه ملك اسلامي ولا جاهلي وبها الخس والسفرجل
الذى يزيد على كل بلد في كثرة و بهائه والليمون الذى يحمل الى سائر
الآفاق وبمدينة أخميم من عمل الاسيوطية الطراز الصوف الشفاف والمطارف
والملازم والملزم الابيض والملوكى ويحمل منه الى أقصى البلاد والى سائر
الآفاق يبلغ الثوب منه عشرين ديناراً والمطرز مثله فهذا يدل على حسن
الزراعة والصناعة بتلك الجهات انتهى فاظهر ما حكاه المؤرخون في شأن
أسيوط وأخميم فإنه يتراءى استبعاده مع ان الواقع أن قطرها الى الان قبل
لمثل ذلك ولعله يعود الامر كما كان وفي قريب من الزمان

وقد كان تصميم جنتمكان على ان يعمله برعة عظمى محاذية للنيل على
استقامة الصحراء وتكون فوهتهم من عند جبل السلسلة فلم يتم مرافقه الا انه
صار عمل بعض برع فوق البلينة اصلاحت كثيرا من الحال بتلك الجهة حتى
صارت حيضاً بتلك الجهات تروي من بعضها في أيام اخذ النيل في النقص
ومع صرف المرحوم المشار اليه همته العالية في مصلحة الري في الاقاليم البحرية

فلم يأخذ الري فيما حده الا كمل بسبب تعدد تطهير الترع في مواعيدها كل سنة
 مع اتساع الدوائر الزراعية اتساعاً وافرا في الاقaim البحرية ولا تكمل مصالحة
 الري الا بامداد القناطر الخيرية على فرعى النيل المفترقين من شلقاتن الذين احدهما
 شرقى وهو فرع دمياط والثانى غربى وهو فرع رشيد وذلك ان هذين الفرعين
 يتكونان منها مثلاً وهو الجزيرة المسماة ايضاً الدله ومهما تروى عدة مديريات
 وهى مديرية القليوبية والشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية الا ان انفاس هذه
 المديريات منها لا تكون قامة الا في زمان فيضان النيل واما في ايام التعاريف
 فانها اهم ما تصب في البحر الماح ولا تعود منها على الزراعة ادنى منفعة فانصبابها
 في البحر الماح عرض خسارة على الزراعة فاستصوب المرحوم قنطرة ما من
 امام شلقات الى بر الماشى بقنزطرين احداهما على البحر الشرقي والثانى على البحر
 الغربى يعيون كثيرة وان تكون القنطرتان على استقامتهما واحدة من البرىين يعني من
 برشلون الى بر الماشى وان يبني على رأس الجزيرة رصيف يكون ابتداؤه من
 الشط الغربى من فرع دمياط وانتهاؤه الى الشط الشرقي من فرع شيريدو فائدة هذا
 الرصيف من الماء من ان تقطع رأس الجزيرة فتفرق المنوفية والغربية وان يكون
 هذا الرصيف على يد اصحاب لايترفع اليه الماء عند الفيضان وان يعمل اعيون هذه
 القناطر الخيرية بوابات محكمة تقول وتفتح بحسب الاقضاء لحبس المياه وارسالها
 وان يعمل ايضاً المساعدة القناطر الخيرية ثلاثة ترع رياحات تكون فوقها هامن فوق
 تلك القناطر الخيرية احدى هذه الترع تكون معدلاً رى القليوبية والشرقية والدقهلية
 بالراحة وفوهتها من الشط الشرقي قبل شلقان وترعه الثانية تكون فوقها من
 وسط رأس الجزيرة يعني من منتصف الرصيف وتكون معدلاً رى المنوفية والغربية
 والتربعة الثالثة تكون فوقها هامن فوق القناطر الخيرية ببر الماشى وتكون معدلاً رى

« مطلب »
 كل مصححة
 الري نازام
 القناطر الخيرية
 « مطلب »
 لزوم الرياحات
 للقناطر الخيرية
 والمديريات
 المتقدمة بها

مديرية البحيرة وان يعمل لهذه الترع الثلاثة التي هي عبارة عن فروع خارجة من بحر دمياط ورشيد قناطر وعيون على حسب ميزانية الارض وان يعمل لها بوابات تغلق وتفتح على حسب الاقتضاء

فإذ انت على هذا الوجه ترتب عليها انه في وقت فيضان النيل تفتح القناطير الخيرية وقناطير الثلاثة ترع المسماة بالرياحات لتصريف مازاد من مياه النيل عن زوم الارى في البحر الماح وحبسه بقدر الازوم بقفلها بقصد السقي ويجعل سفر المراكب ممكناً في ايام التحاريق تغلق بوابات القناطير الخيرية قفل محكم بحيث ترفع المياه أمام القناطير المذكورة بقدر عدة امتار فتنصب بالضرورة في الرياحات الثلاثة المستمدة الماء منها في هذه المدة وكذلك تغلق أبواب قناطير الرياحات الثلاثة المستمدة الماء بحيث تفيض مياهها على الاراضي التي أمامها ولا يترك منها إلا القدر الا زائد ليتوزع على الاراضي والخیزان من حوض إلى آخر

وبهذا القفل في القناطير الخيرية وفي الرياحات يمكن السفر في السفن في هذه الجهة في النيل وقت التحاريق فالقناطير الخيرية والرصيف والرياحات هي المقصود الذي به تم مصالحة الري في المديريات السالفة الذكر وقد تم منها في أيام المرحوم جسمكان القناطير والرصيف ولم يتم عمل الرياحات بل الذي صار اعماله جزء من رياح القليوبية وجاء من رياح المنوفية وجاء من رياح البحيرة فجزء رياح القليوبية تلف الآن بالكلية وجاء رياح المنوفية يستعمل الآن استعمالاً لا غير المقصود منه فإن مصلحة رى المنوفية أحوحت إلى استعماله بتوصيله المياه إلى الترع القديمة وأما جزء رياح البحيرة فلم ينزل إلى الآن باقياً لكن بدون ثمرة بل بوابات القناطير الخيرية التي هرمت فنفعها القناطير لم يتم منها إلى الآن إلا بعضها لا جيمها البعض الذي صار عمله لم يكن محكم القفل والفتح بالسهولة فلا يكون

الانتفاع منه إلا بالصوبية فلو تم عمل البوابات كالغرض المطلوب منها في الفتح والنقل
 بغاية السهولة وتمت الرياحات الثلاثة المذكورة وقناطرها الثلاثة حكم المرغوب
 لحصات التمرات الظيمية للمديريات المذكورة وتوفرت المياه التي تسقي بالراحة
 وتوفرت أيضاً جميع السوافي والنوابيت وكانت بحسب الأهل المكاسب العظيمة
 من الزراعات مع قلة المصادر حيث أنها لا تخسر مياه النيل التي لا ينصب
 منها في الماء إلا القدر الزائد عن اللزوم فلا شك أنها إذا تمت القنطرة الخيرية
 على الوجه الأكمل بوجوب تصميمات الحكومة في الحالة الراهنة فإنها تكون
 من أعظم ما يوجب كمال الاقتدار للجند والحفيد وال موجود منها الآن فهو من
 آثار جوهرى العقل الفريد إذ أنوار عقله السواطع هي أشعة المنافع

قد بلغ النيل كل نفع من فيض تلك اليد الكريمة
 وصار ذا غلة ورزق فهذه نعمة جسيمة

وقد ذكر ناعنانيه جستمكن بعلاج مصب النيل وقد ادعني أياضار جمه الله بالبحث عن
 استكشاف منبعه اقتداء بمشاهير قدماء ملوك مصر وملوك العجم واسكندر
 والبطالسة وقياصرة الروم وعلماء خلفاء مصر وبلاد سلاطينها وملوكها بعد الفتح
 فارسل في ظرف أربع سنوات ثلاث ارساليات متولدة وكانت في سنة ١٢٥٧
 الارسالية الثانية تحت رئاسة سليم بك قبودان ودرنو بك مهندس وهي انفع
 الارساليات فسارت هذه الارسالية من الخرطوم في النيل المسى هناك بالبحر
 الا يضم مسافة خمسة أيام فرسخ حتى وصلت إلى جزيرة جانكيير بشرع كندرو
 وعند هارمال وصخور متکاثرة كالشلالات تمنع السير عن النيل منعاً كلها فاقتصر
 القبودان المذكور علىأخذ الاستعلامات الازمة مما يعلم من أهالي تلك الجهة
 فاستبان من ذلك أن منبع النيل بقرب دائرة الاستواء على ثلاثة

مرحلة فوق جزيرة جانكير المذكورة ف تكون المسافة بين جانكير ومنبع النيل « مطلب » نحو مائة وخمسين فرسخا تقريبا وبهذا الاستكشاف سهل لسياحي الانكليز ارسالية المرحوم ظاماً استكشافهم بين ارسالية جنتم كان الذي كان ولم يزل طرفه للبحث عن منبع النيل احراز المكامن يقطان

ملك أشهر عينا لم تزل هبها شريد هم الراقدين
ماروى الراون بل ماسطروا مثل ما خطت له أيدي السنين
(غيره)

أصبحت دون ملوك الأرض منفردا بلا شبيه اذ الا ملاك أشباه
مشمر او بنو الاسلام في شغل عن بدء غرس لهم أمغار عقباه
فقد انفق على مصالحة النيل النفقات الخارجة عن حد العادة كما قيل
لو ان فيض النيل فاض نيله لم تفتقر مصر الى مقىاس
فقد اشتري وسائل التمدن ومقاصد المآثر العالمية ومقدمات التقدم
بالإمكانيات الفالية

ومن يصطب للعلم يظفر بليله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذل
فله اليه الطولى التي نقلت صورة الاهلى من صورة الى اخرى ومن
هيولي الى هيولي فقد اوجد عزم محمد على بالتوقيفات الصمدانية من الامة
الاسائية اطباء الاباء وأرباب هندسة عالية وترجمة سامية وأرباب إدارة
ملکية وضباط عسكرية وأرباب صنائع وتجارات وكان هذا للمدارس
والمكتاب من أفضل النتائج وأجمل الثمار
فقد أنشأ من أول الامر مدرستي قصر العيني والدرسخانة فكانت

أولاًها كالتجهيزية والمبتدئات وكانت الثانية كالمخصوصية يخرج منها المستخدمون بـأي ديوان ثم جدد مدرسة الطب والمهندسانة بعد تجديد عساكر النظام فكان يخرج منها الأطباء والمهندسوـن للمصالح الملكية والعسكرية من المهرة العظام ثم جدد مدارس الجمادـية من بـيادة وسوارى وطوبـجية ليخرج منها الضباط الفيجـام وكذلك جدد مدرسة العمليـات لـتعود بالنفع على الفنـون والصـناعـمـ من سـائر أنـواعـ المـنافـعـ ومـدرـسـةـ الـأـلسـنـ الـأـهـلـيـةـ والأـجـنبـيـةـ لمـعـرـفـةـ الـلـغـاتـ واستـفـادـةـ تـرـجـمـةـ الـكـتـبـ الـأـجـنبـيـةـ وـنـتـجـ عـنـهـاـ تـكـثـيرـ الـمـعـلـومـاتـ وـاحـرـزـتـ دـيـارـ مـصـرـ مـنـهـاـ الـفـوـائـدـ الـجـمـعـيـةـ وـالـمـعـارـفـ الـمـهـمـةـ وجـددـ مـدـارـسـ وـمـكـاتـبـ عـدـيدـةـ لـالـمـبـتـدـيـانـ وـالـتـجـهـيزـيـةـ عـلـىـ صـورـةـ جـديـدةـ وـاجـتـيـعـاتـ الـجـمـيعـ عـلـىـ وـجـهـ مـنـظـمـ رـفـعـ

فقد أـرـشـدـ المـلـلـةـ الـقـاـصـرـةـ إـلـىـ النـافـعـ الـمـفـيـدـةـ حـتـىـ صـارـتـ المـلـلـةـ الـمـصـرـيـةـ رـشـيـدةـ قـتـلـمـتـ الـمـبـادـيـ وـالـمـقـاصـدـ وـتـكـثـيـتـ مـنـ مـعـرـفـةـ فـوـائـدـ الـأـنـحـاءـ الـمـرـأـصـدـ وـلـمـ يـكـتـفـ بـتوـسيـعـ دـائـرـةـ التـعـاـيمـ فـيـ بـلـادـهـ بلـ أـرـسـلـ إـلـىـ فـرـانـسـاـ عـدـدـ اـرـسـالـيـاتـ لـتـعـلـيمـ الـعـلـومـ وـالـصـنـاعـمـ وـاستـخـرـاجـ الـفـنـونـ مـنـ مـعـادـنـهـ لـتـقـيـ بـعـراـدـهـ فـتـكـفـلـ باـسـتـخـرـاجـ الـمـنـافـعـ مـنـ مـعـادـنـهـ وـبـاسـتـبـاطـ عـيـونـ الـمـعـارـفـ مـنـ مـوـاطـنـهـ وـمـعـ ذـلـكـ فقدـ أـنـشـأـ كـاـسـبـقـ مـدـرـسـةـ نـلـانـسـنـ فـيـ الـأـكـثـرـ لـقـصـدـ تـرـجـمـةـ الـكـتـبـ الـغـرـيـبةـ فـكـانـتـ لـلـوـفـاءـ بـجـلـ مـقـصـدـهـ مـجـيـهـ وـتـرـجـمـ فـيـهـ كـثـيـرـاـ مـنـ الـعـلـومـ الـمـتـوـعـةـ وـدـخـلـ رـجـالـهـ فـيـ الـخـدـامـاتـ الـمـيـرـيـةـ وـعـادـتـ مـنـهـمـ عـلـىـ الـبـلـادـ الـمـنـفـعـةـ وـقـدـ نـتـجـ عـنـ اـنـشـاءـ مـدـرـسـةـ الـطـبـ مـشـورـةـ صـحـيـهـ تـدـيرـ عـمـومـ الصـحـةـ الـأـهـلـيـةـ كـاـ نـتـجـ عـنـهـاـ عـدـدـ اـسـبـاتـيـاتـ نـفـعـهـاـ عـمـيـمـ حـيـثـ تـرـبـتـ فـيـ جـمـيـعـ الـأـقـالـيمـ وـمـدـرـسـةـ الـوـلـادـةـ تـعدـ مـنـ أـعـظـمـ الـمـآـثـرـ كـاـنـ مـصـلـحـةـ تـلـقـيـحـ الـجـدـريـ وـقـتـ النـفـوسـ مـنـ الـأـخـطـارـ وـتـرـبـ

عليها الصون من التشویه وتنیة الاهالی وتکثیر العمار وأما تجدیده لترتیب
 العساکر الجہادیہ بربیة وبحربیة علی صورۃ جمیلة وهیئتہ جلیلة فقد عجز عنہا
 علی هذا الوجه قبله ملوك الاسلام وانصاغت هذه التنظیمات لهذا الھمام
 المقدام واقتدى به بعد ذلك سواه ولكن لم يصلوا في زمنه الى درجة ما
 أحسن ترتیبه وسواء لا سیما سفنه البحریة فسکانت بحسن النظام حریة فقد
 رتبها قبل حرب موره حيث استدعتها الضرورة وذلك لأنه لما طلب منه
 دیوان القسطنطینیة الاعانة باقتوة في غزوہ موره التي هي أتعجب غزوہ
 مشهورۃ لم يبعث هذا الديوان سفنه البحریة ولا عمارته العثمانیة لنقل العساکر
 المصریه والذخیرة الى جزیرة موره ولم يكن اذذاک عند المرحوم محمد
 على بصر الاسفینتان كل سفینۃ منها ذات ثلاثةين مدفعاً لم يکمل
 شغلهما فجهز ثلاثة وثلاثین سفینۃ حربیة کاملة الآلة والعدة في أقرب مدة ومائة
 سفینۃ من سفن العادۃ لنقل المهمات

وقد تکامل هذا العدد واقعة انوارین وتألف أکثره باحرائق المتعصبین
 فشرع في عمارة سفن اخری أعظم منها بشر اھامن البلاد الاجنبیة الاورباویة
 ثم شرع في عمل ترسانة الاسکندریة سنة الف ومائتين وسبعين وثلاثین التي لم
 تکن دون ترسانة طولون بلاد الفرنساویه

فقد رتب بهذه الترسانة مصانع ومعامل متوعة ومخازن مهمات ومفاتل
 احیال وأنشأ بهذه الترسانة ايضاً کثیراً من السفن الحربیة التي کل سفینۃ منها
 من ذوات المائة مدفع وغير ذلك من السفن حتى صارت دونما عظیمة واستخدم
 فيها الاهالی وكذلك كان الشغالون وارباب الصنائع فيها من الاهالی المصریة
 وكان جميع المستخدمین بالدونما والترسانة على الطراز العسكري فیکان اهلها

يرقون الى الرتب العسكرية على حسب معارفهم

فتعلم ابناء الاوطان جودة صناعة السفن فبهذه الطريقة صارت اثماز
هينة جدا على الحكومة وبطل شراؤها من الاجانب وكانت همة جنتمكان
في هذه المسادة السفينة الحربية كهمة سلطان الموسقو بطرس الاكبر في
الاجهاد والاعتناء بهذه المادة اذ كان دائما مواظبا على مناظرة الاشغال بالترسانة
والاقامة فيها الساعات العديدة من النهار ولو ان ملك الموسقو كان قد تعلم
عمارة السفن بنفسه الا أن محمد على رخص لهندس السفن سيريزى بك الرخصة
التابعة في حسن ادارتها فكان مهندسها ينفذ اغراض سيده كما يحب ويختار
كانه هو فلا يعييб الاصليل مارآه الوكيل حسنا ولا يغض عليه ما ابرمه فكان
تازل المرحوم لهذا الحد في التفويض يوازى تازل بطرس الاكبر في كونه
تعلم صنعة السفن بنفسه وعامها لاهل وطنه ولم يتکبر في ذلك وكان ابنه
جنتمكان ابراهيم باشا يبادر بتشهيل التشغيل مبادرة زائدة وقوى عزيزة المهندس
والشغالين ويترقب اتمام السفن الحربية في أقرب وقت ويكرم المهندس الاكرام
الكلي ويقضى النهار بتمامه في الترسانة بجانب الاشغال وكان جنتمكان محمد
على يديم النظر في السفن عند صناعتها ويتصور الغرض منها وكلما شارفت
الا تمام ازداد فرحا وسرورا واذا نزلت سفينة في البحر لم يتمالك نفسه مع ما كان
عليه من كمال الهيئة وحفظ ناموس الوقار ان يظهر امارة السرور فلهذا كملت
عنه دونها ملوكة على طبق مرامة وطقمها بالمدافع والعتاد ونظمها على
نسق نظام العساكر البرية وانشأ مدرسة بحرية بشقر سكندرية ليخرج منها
من الضباط ما تحتاج اليه هذه الدونما وترجم العلوم البحرية وصار لها كتب
كافية كسائر العلوم الأخرى كما قيل

اذا شئت ان تلقى عدوك راغماً وقتله هما وتحرقه غماً
 فسام على وازد من الفضل انه من ازداد على زاد حاسدهما
 وايضاً كان من جملة الارسالية الاولى عدة من الاقندة المبعوثين الى
 باريس تعلموا العلوم البحرية وسافروا الى افريقيا والهندو غير ذلك من البلاد
 وتمكنوا من العلوم البحرية فلما حضروا قلدهم بوظيفة قبودانية السفن وكان
 لهذه الدنما قبودان من البشاوات وكان معه بوسون بك الفرنساوى بوظيفة
 رياسة رجال البحرية فكان منزلة رئيس الرجال سليمان باشا في الجمادية البرية
 ثم ان المرحوم ابراهيم باشا المغازى اموره وحضر منها جدد الآيات السوارى
 وييان ذلك ان جنتمكمان محمد على كان قبل غزو قمورة يعتقدان فرسان المالىك
 اعظم فرسان الدنيا حيث شاهد ذلك منهم في الحروب المتكررة معه وان تعلم
 فروسيتهم على اجود ما يكون وكان يظن ان حرکات الخيالة الاورباوية كلا
 شيء بالنسبة لحرکة المالىك فكانت فرسانه جارين على طريقة الكوليمان
 وكذلك المرحوم ابراهيم باشا كان يعتقد ذلك فقد ظهر للمرحوم ابراهيم باشا
 في حرب موره ان تعاميم السوارى على طرز اوروبياً اكملاً وأنزل لما شاهده من
 سوارى الفرنساوية هناك فرتب آليات السوارى بجميع انواعها على طراز
 فرنسي من شرخجية ودراغون وغير ذلك فبهذا صار انشاً مدرسة السوارى في
 الجيزه ليتعلم بها الفروسية النظامية والمسايفه والرسم وغير ذلك ليخرج منها
 الضباط العظام وكان عدد تلامذتها ثلاثة وستين نفر و كان عدد تلامذة مدرسة
 الطوبجيه بطره ربمائة تلميذ وعدد تلامذة مكتب الرجال في الخانقاه
 نحو مائتين تلميذ وكان لا يقبل في مكتب الرجال أى أركان حربية الا الترك
 والماليك ثم انضم اليهم ابناء العرب كانوا لا يحرزون عند الامتحان رتب

الضباط فالمرحوم ابراهيم باشا أبطل هذه الطريقة في حق أولاد العرب وفي
حق أبناء السودان وسواهم بغيرهم

وبالجملة فكان المرحوم محمد على لا تكل همه ولا تفتر عزيمته ولا يرتاب
بده وعقله بل دائماً مشغول بما يخص التمدن والتفكير في التجديدات ومحيد
المشروعات ولا يبالى بالمصارف والتكليف لاحرص على تقديم وطنه المنيف
وآخر اخراج الرعاعيا من ورطة التخشن العنيف

المال ملء يد القوم ملك يد ولا أطيل وهذا جملة الخبر
اذا لو لا ماصلت مصر الى هذه الدرجة من التقدم والرفاية بعد ان مكثت
عدة قرون في الذل والمسكينة وكانت جبال منافعها واهنة

فقد تحدد في ايامه من الامور المقررة للتمدن اشاره الاخبار ووابورات
البخار والدوالib البخارية وقد عمل تجربة في كفر مجر لسكك الحديد وكان
صمم فيها على الانشاء والتتجديد فنجز بعضها على وجه هين ثم تكاملت
الآن بالاصل والفرع على وجه في درجة الكمال بين

زيادة الفيل نقص عند فيضها فـا لنا نتقاضى منه الديم
فلو لم يكن للمرحوم محمد على من الحasan الا تجديد المخالطات المصرية مع
الدول الاجنبية بعد ان ضعفت الامة المصرية بانقطاعها المدد المديدة والستين
العديدة لـكافاه ذلك فقد اذهب عنها داء الوحشة والانفراد وآنسها بوصال
أبناء الملك الـآخرـ والبلاد لنشر المنافع العمومية واكتساب السبق في
ميدان التقدمية فـا أحسنت بـنتـيـةـ الدـوـاءـ الشـافـيـ والعـلاـجـ المعـافـيـ الاـ فيـ هـذـهـ الاـيـامـ
الـاخـيرـةـ التيـ ضـاعـفـتـ الـادـويـةـ الـحـسـيـةـ وـالـمعـنـوـيـةـ النـظـرـيـةـ وـالـعـدـلـيـةـ بـطـرـقـ منـ النـجـامـةـ
جـلـيـهـ وـأـضـعـفـتـ دـاءـ الجـمـالـةـ الـمـعـدـيـةـ فـكـلـ لـصـيـعـهـ اـمـتـشـكـرـ وـمـقـرـ بـاحـسـانـهـ اـغـيـرـ مـنـ كـرـ

وَلَدِينَا تَضَاعَفَتْ نَعْمَالُ
عَرَفَ الْحَقُّ أَهْلَ مِصْرَ وَكَانُوا
وَحَصَلْنَا بِالْحَمْدِ وَالْأَجْرِ وَالنَّصْرِ
قَدْ بَلَغْنَا بِالصَّابِرِ كُلَّ مَرَادٍ
لِيُسْمَرِي الرِّجَالَ مِنْ مَلَكِ الْمَالِ
وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَيْتُ الْآخِرُ الَّذِي هُوَ مِنْ الْحَكْمِ الْلَّطِيفِ وَمِنْ جَوَامِعِ

الكلم المنيفة

وقد كان المرحوم محمد على من وقت حيازته واستيلائه على السودان التي استولى عليها بسيفه سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف مشغول بالاستكشاف معادنها واستخراجها فلذلك سافر إليها بنفسه ليتحسن معادنها وياطف أهلها ويشوّقهم إلى اكتساب التمدن والتقدم كما فعل بمصر وتفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب

الفصل الرابع

فِي سَفَرِ جَنْتِمَكَانِ مُحَمَّدِ عَلَى الْجَلِيلِ الشَّانِ إِلَى جَبَالِ فَازْغُلُو بِبَلَادِ السُّودَانِ لِاِسْتَكْشَافِ
الْمَعَادِنِ الْدَّهِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنْهَا بِخَضُورِهِ وَاعْمَالِ الْطَّرَقِ التَّجْرِيَّةِ

لِمَا مَهَدَ مُحَمَّدٌ عَلَى فِي مَصْرِ الزَّرْعَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالصَّنْعَةِ الَّتِي هِيَ الْمَنْافِعُ
الْعَوْمَمِيَّةُ وَكَثُرَتْ ثُرَوةُ مَصْرَ بِالْاِخْذِ وَالْعَطَاءِ وَحَظِيَ أَهْلُهَا بِطَيْبِ الْعِيشِ
وَالرَّفَاهِيَّةِ وَذَاقُوا ثُرَّةَ الْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَالْفَضْلِ وَالْاِمْتِنَانِ وَكَانَ أَوْآخِرُ
عَصْرِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدٌ عَلَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ مَا كَانَ يُسَمَّى عَصْرَ الْذَّهَبِ عَنْدَ أُمَّةِ
الْيُونَانِ فِي أَوَّلِيَّاتِ الْأَزْمَانِ حِيثُ عَوْضَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلُ مَصْرَ

مطلب
امهات المعدن
الستخرجة في
هذا العهد

فِي مَقَابِلَةِ مَا ذَاقُوهُ مِنِ الشَّدَائِدِ فِي أُولَى الْأَسْرِ ذُوقُهُمْ طَعْمُ الْمَنَاءِ وَالرَّاحَةِ
 التَّامَةِ فِي آخِرِهِ وَذَلِكَ مَصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنْ مَعَ الْعُسْرِ
 يُسْرًا وَكَانَ الْمَرْحُومُ لَا يَزَالْ يَصْرُفُ وَقْتَهُ فِي تَكْمِيلِ الْمَنَافِعِ الْعَوْمَيْةِ لِلْدِيَارِ
 الْمَصْرِيَّةِ وَكَانَ الْاِقْتَارُ السُّودَانِيُّ الَّتِي تَحْتَ حُكْمِهِ تَجْرِيْقَدِيْاً وَحْدِيْشَا لَا
 سِيمَا فِي الْذَّهَبِ وَشَمِيرَةَ بَا فِيهَا مِنِ الْمَعَادِنِ الْمُشَبِّعَةِ صَرْفُ هَمْتَهُ الْعَلِيَّةِ إِلَى
 تَوْسِيعِ اسْتِخْرَاجِ الْمَعَادِنِ بِتَلْكَ الجَهَةِ لِمَا أَنْ مَعْدَنَ الْذَّهَبِ مِنْ أَشْرَفِ نَعْمَمْ
 اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ أَذْ بِهِ قَوْمُ الدِّينِ وَنَظَامُ أَحْوَالِ الْخَلْقِ فَإِنْ حَاجَاتُ النَّاسِ إِلَيْهِ
 كَثِيرَةٌ وَكَاهَا تَقْضِي بِالنَّقْدِيْنِ وَيَبْاعُ بِهِمَا وَيُشَرِّي كُلَّ شَيْءٍ بِخَلْفِ غَيْرِهِمْ مِنْ
 الْمَعَادِنِ فَإِنْ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ رَغْبَتِهِ فِي النَّقْدِيْنِ حِيثُ هَمَا كَالْقَاضِيْنِ الْمَاصِلِ
 لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا وَلَذِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفَضَّةَ
 وَلَا يَنْفَقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِّ لَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُمَا تَداوِلُهُمَا
 بَيْنَ النَّاسِ لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ فَمَنْ كَنِزَهَا فَقَدْ أَبْطَلَ الْحَكْمَةَ الَّتِي خَلَقَهَا وَكَانَ
 كَمْ جَبَسَ قَاضِيُّ الْبَلْدِ وَمَنْعِهِ أَنْ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ فَالْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ كَمْ يَجْلِبُانِ
 الْمَنَافِعَ يَجْلِبُانِ الْمَضَارَ

وَأَمْهَاتِ مَعَادِنِ الْذَّهَبِ الْمُسْتَخْرِجَةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ هِيَ مَعَادِنُ بِلَادِ الْأَمْرِيْقَهِ
 « مَطْلَبُ » مَعَادِنِ الْفَضَّةِ فِي تَخْرِجِ مِنْ جَوْفِ الْأَرْضِ أَوْ مِنْ تَنْظِيفِ الرِّمَالِ الْذَّهَبِيَّهِ وَفِي بِلَادِ أَفْرِيْقَهِ
 اَمْرِيْقَهِ مَعَادِنِ الْفَضَّةِ فِي تَجَارَهِ السُّودَانِ وَلَيْسَ فِي بِلَادِ أُورُوْبَا الْمَعَادِنِ سَبِيرَنِ
 بِلَادِ الْمُوسَقُوِّ وَمَعَادِنِ بِلَادِ الْجَرِّ فِي مَمْلَكَهِ الْنِيْمَسَا وَفِي آسِيَا مَعَادِنِ الْذَّهَبِ
 وَرِمَالِهِ وَأَمَّا مَعَادِنِ الْفَضَّةِ الشَّمِيرَهِ فِي بِلَادِ أَمْرِيْقَهِ بِالْقَلِيمِ بِرُو وَغَيْرِهِ وَهِيَ الَّتِي
 تَعْطِي كَمِيَّهُ عَظِيمَهُ مِنِ الْفَضَّهِ الْمُتَعَالِمُ بِهَا فِي أَيْدِيِّ التَّجَارِ فِي بِلَادِ مَقْسِيْقَهِ أَزِيدَهُ
 مِنْ ثَلَاثَهُ آلَافَ مَعَادِنِ مُسْتَخْرِجَهُ وَكَذَلِكَ مَعَادِنِ بِلَادِ بِرُو بِأَمْرِيْقَهِ فَإِنْ هَمَثِيرَهُ

جداً ومعادن كاليفورنيا المشهورة بالذهب المشبع التي استكشافت سنة خمسة
 وستين ومائتين وألف وهي في جمهورية مكسيقاً بلاد افريقيه طاشهه بأمر يقه
 فلهذا أرسل المرحوم محمد على باشا عدة مرات من يلزم من المعدنجية لتجرب
 معادنها فلم يقف منهم على حقيقة تامة في شأن ذلك فشك في مهارتهم وفي اجهادهم
 العدين بالبعث فيها

» مطلب «
 مشابهة افرقيه
 لأمر يقه وظن
 انها يستكشف
 منها معادن
 القديرين بالبعث
 سبيل العينة فكان يطير بها فرحاً فأرسل في نحو سنة مائتين وألف كلاً من
 ارسال محمد على
 معدنجيه
 بالسودان
 لاستكشاف
 المعادن

موسيو روسيجير وموسيو بريالي الكيماوي فلأول كان قد ذهب الى
 المعادن قبل الثاني بكثير فشرع في التجربة ورجع الى الخرطوم فوجد
 موسيو برياني قد أقام بها ينتظر الفصل المناسب فكتب موسيو روسيجير
 من الخرطوم الي المرحوم محمد على ما مضمونه ان النفر الذي يستغل في المعدن
 باليومية يستخرج ذهباً بعشرة فرنكات كل يوم يعني بأربعين قرشاً ميريا
 وكان ذلك في مدة ولاية خوشيد باشا الحكمدارية السودانية وآخر المعدنجي
 الحكمدار بذلك فلم يصدق ذلك الحكمدار المذكور واما المعية السنية
 فأخذت كلام المعدنجي المذكور قضية مسلمة واعتقد ذلك أيضاً المرحوم محمد
 على وتبادر بأنه اذا صار استخراج المعادن على هذه الكيفية يصير أغنى الملوك
 وانتقلت الرغبة في الزراعة التي بها غذاء أهل مصر والتي هي كاللبن لرضا عهم
 الى الرغبة في المعادن فصار مطعم النظر من النيل أنه وسيلة المسير فيه
 لاستخراج الذهب وجبله وكأنما هذا الغرض هو المقصد منه بالأصل

ثم لما اعتدل الوقت للنلاقة السفر الى المعادن خرج موسيو روسيجير
 وموسيو بورياني من الخرطوم ومعهما من الخفر الف من عساكر الجمادية
 تحت رئاسة مير اللوبي مصطفى بك وصاروا جميعاً حتى وصلوا الى فاز غلو

» مطلب «

شيحة بحرية

معادن فاز غلو

وشرعوا في استخراج المعدن والبحث عنه فوجد حفائر حفرها العبيد قبل ذلك وبجوارها قصاع من الخشب فكل واحد من المعدنية أخذ قصعة وعمل صنعة التنظيف للرمل الخارج من الحفرة فلم يظهر لأحد منهم ريح بل ما تبقى من بعد التصفية أنها هو فزوات مشوبة بالحديد والتراب ثم كرروا التجربة فلم تنتهي أزيد من ذلك فان موسیو بورياني أخذ قطارين من الرمل وصفاها فلم يخرج منها سوى حبة ونصف من الذهب وكذلك موسیو روسيجير ثم توجهوا إلى جهة سنجه وهي بعد محل فتحه المرحوم اسماعيل باشا ومشهور بكثرة الذهب فـكشوا فيه ليلة بواد يسمى خور البابا كان العبيد قد حفروا فيه حفائر لاستخراج الذهب ثم ذهبوا إلى محل يقال له زيبو حوله غابات عظيمة ووديان وسفوح منخفضة ووصلوا إلى وادي يسمى وادي توماتو جارى المياه فوجدوا فيه حفائر وقصاعاً معدة لتنظيف الذهب وتنقية فـكان نتائج التجربة كالسابقة فاقتضى الحال أن يروا بـغابات غير مسلوكة فوصلوا إلى جبل أبو غولجي وزلوا بهذه الجهة المشهورة بـمعدن الذهبية فأرسلوا بطلب شيخ السودان هناك ليستعلموا منه عن ذلك فأبى الحضور فرجعوا من طريقهم بوادي أبو غولجي نفسه فـكان يبسلا ماء فيه بكثرة وإنما كانوا يجدون في طريقهم في الحفر بعض مياه وبعض حفائر حفرها العبيد وعلى حکايتهم أن هذه المعدن التي بهذا الوادي كثيرة الذهب ثم بعد ذلك بـمسير مسافة ساعة صوب العرب وجدوا واديا آخر على الحواف الصخرية فلم يقفوا عنده وبينما هم ساعرون في أباطحه قبض موسیو بورياني قبضة من الرمل فوجد بها أربع فزوات من الذهب كل فلز منها وزن حبة فـساروا من وادي آخر حتى وصلوا تجاه جبل سنجه وغوشه وبسفحهما

« مطلب »
 تجربة جهات
 سنجه وزينيو
 وتوماتو

« مطلب »
 تجربة معدن
 أبو غولجي

« مطلب »
 مرصد جبل
 سنجه

بنو شنقول وسنجه ولم مساكن لطيفة مقبوقة يقال لها توکول وعدتها
تنيف عن الفي بيت وعرض جبل سنجه في الدرجة العاشرة والعشرين دقيقة
شماليًا ولا يزرع سودانها الا قليلاً من النرة والدخان حول مساكنهم فلما
رأوا العسكر قربوا من مساكنهم ولو هاربين فدخل العسكر مساكنهم
فوجدوا بها الآلات والأدوات المستعملة لتنظيف الرمل واستخراج الذهب
منه فبعث رؤساء العسكر لطلبهم فلم يحضرموا ولا حضر المندوبون في طلبهم
ولا ظهر عنهم خبر ولا باز لهم أثر فاحتدرس العرضي كل الاحتراس وضررت
الخيام في حال عالية من الوادي خوفاً من الهجوم فظهر على حين غفلة فوق
الجبل وعلى بعد عدة من العبيد حتى دنو من العرضي وصاروا يرمون
العساكر بسهامهم وحرابهم وكان العسكر قد سكنا بمساكنهم فهجم
عليهم العسكر فهربوا ثم عادوا وصاروا يحاربون إلى الليل

ولما اعتذر الليل أحاطوا بالعسكر من كل جانب ولم يتشتت شملهم
الا بضرب النيران فلما أصبح الصباح صعدوا على ذروة الجبل وفوقوا بهم
وسهامهم على العسكر كالامطار ومع هذه الحرث الخطرة فكان مع
المعدنية ما ثأة نفر يخرونهم فاشتغلوا في وقت الحرب بتجربة النهر الخارج
فن هذا الجبل فتحصل مosisيو بورياني على فلات ذهبية خرجت بالتنظيف
عدة مرات ووضعتها في زجاجة ليختزنها فيما بعد ولا زال العبيد يغصون
على العسكر حتى تركوا جبل سنجه بدون تيم التجربة فاقتفي السودان أثرهم
إلى جهة وادي بولنيدية فأخذوا قنطرين من دقيق رمل هذا الوادي
وغسلوها وحسبوا ز من شعلتها فكلما خرج منها وضع في الزجاجة وجدوا
أن الذخائر كانت تندى منهم فرجعوا من طريق سنار وقد جربوا تجارب

« مطلب »
مجمع أهل
سنجه على
العسكر

« مطلب »
تجربة وادي
بولنيدية

« مطلب » كثيرة في طريقهم وكلما تحصلوا عليه من الفازوات وضعوه في الزجاج وسدوا
رجم العذنبية عليه وكانوا يجدون في عودتهم كثيراً من المعادن الحفرية التي حفرها العبيد
من تلك الجهات ولم يجد العسّار في طريقهم بيوتاً ولا مساكن مسكنة بأحد لأن العبيد
لخوفهم من العساكر كانوا يهربون منها فلذلك لم يقف العذنبية على حقيقة
الحال ولم يعترضهم أن يذهبوا إلى الحالات المشهورة لحصول الذهب كجبل
دول لفقد الذخيرة وقد وجدوا على سطوط نهر هادي عدة آبار مستدرية
عميقة يبلغ عددها نحو ستمائة بئر عمق البئر الواحدة أربعة وعشرون قدماً
و قطرها نحو أربعة أقدام وفي قاع كل بئر ما ثي يتوصل إليها بواسطة سلام
صغيرة

وهذا النهر كثير الذهب جداً فقد عثر موسیو بوريانی على الذهب
في ثلاث صوانات أخذها من هذا النهر وكذلك موسیو روسيجیر وجد به
قطعاً من الأحجار مشتملة على الذهب

فباستكشاف معادن هذا النهر اطمأنت قلوب أهل المرضى وفرحو به
فرحاً شديداً حتى هض العساكر على الانقضاض بهذا النهر اعتماداً على حكاية
أهل الجهة وجمعوا ما عثروا عليه من الحجر ثم عادوا إلى مدينة الخرطوم التي
خرجوا منها من نحو ستة أشهر فلم يجدوا الحكمدار فيها حيث كان قد توجه
لقتال الحبشة المغرين على الاطراف فأخذوا في تحليل ما تحصلوا عليه فوجدوا
العينات مختلفة الرسم وذلك أن موسیو بوريانی عمل التجربة التنظيفية بطريقة
التحليل بالزئبق فكانت النتيجة في احدى التجربات بالنسبة إلى اقليم كاميل
لم يحتو قنطرة الرمل إلا على ثلاثة جبات من الذهب فالرجل الذي معه ثنان
مساعدان لنقل الماء والتراب إذا كان ينظف كل يوم عشرة قناطر يبر من الرمل

الى اثني عشر فلا يجمع الا سبعة قروش ميري من الذهب بالنسبة الى رمال
اقليم فاشنقار ولا يحصل الا على ثلاثة قروش ونصف من الذهب في اليوم
واحد فكتب بهذه التجربة خطاباً وارسله مع العينة الى الحكmdار خورشد
باشا فارسل الحكmdار المذكور ذلك بصحبة موسیو بوریانی الى المعية السنیة
وكان ذلك في سنة اربع وخمسين ومائتين والف

واما تجربة موسى وروسيجير فكانت نتائجه بخلاف ذلك فان الاحجار
المعدنية الذهبية يحصل منها اثنا زين في المائة يعني ان صافي المائة درهم مثلا درهما
واما الذهب الصفائحي الذي يوجد في المعادن كالعروق فانه يحصل في كل الف
قطار من مائة وستين الى مائة وثمانين صفيحة من الذهب يعني من ثماناء
ونصفة وثلاثين درهما الى الف ومائة وستة وثلاثين درهما من الذهب وقيمة
الدرهم ثمانية وثلاثون قرشا وتحقق عند هذا المعدنجي ان الشخص الواحد
ينظف كل يوم ثلثمائة وخمسين أوقية من الرمل فيحصل منها ذهب قيمته من
ثمانين قرشا الى مائة قرش فكان هذا المعدل يزيد عن معدل موسى بوريانى
عشرين مرة فلما اطلع المرحوم محمد على على العدلين ووجد الفرق بينهما جسيما

لم يملك نفسه من الغضب على موسى بوريانى لأنه كان يميل بالطبع لما فيه « مطلب » تصريح المروح عدد على على السفر الى بلاد السودان الارجحية في الرجع فهذا مثال الى تقرير موسى بور سجيرا ولاجل الوقوف على الحقيقة صمم على السفر الى بلاد السودان لتصير التجربة امامه مع تقدمه في السن وشيخوخته وطبيعة اقليم الاقطار السودانية وتعب الاسفار الشاقة بها الا انه كان ملحوظا بالعلنية الربانية ومحفوظا بالتوقيفيات الصمدانية كما قيل ان حل فالشرف التلميد انيسه او سار فالظفر الطريف قرينه فالدهر خاذل من اراد عناده ابدا ورزاق العياد معينه

وامر موسيو بورياني بالذهب قبله بعده ايام فأراد ان يخلص من ذلك
 وقال ان طريقة التحليل بالزئق التي ملكتها موسيو روسيجير ربما يمكن ان
 ينال بها اكثرا من طريقة القصعة التي عليها العمل عند السودان فكان انه سلم
 ان طريقة صاحبه مردحة وكان قوله ذلك لحضور الاعتزاز والخروج من الورطة
 ثم قال ايضا ان الرمل لامانع من ان يعطي كل يوم للشغل نحوار بين قرشا
 ومع انه قال ذلك المجرد المسيرة الا ان المرحوم محمد على اخذته بالقبول وفرح به
 وكان المرحوم محمد على جلب من فرنسا معدنجيا شهير اعلم المعادن
 وهو موسيو ليفبره كان سبق استخدامه في مدرسة المعادن المصرية وكان
 موسيو بورياني قد سافر الى السودان امثلا للامر العالمي وبعد ثلاثة أيام
 ركب المرحوم محمد على البحر وصحبته خير الدين بك قبودان السفن وعدة
 اشخاص منهم موسيو ليفبره المعدنجي ودارنو ديك المهندس ولمير ديك المهندس
 واحمد افندي يوسف الجشنجي فسافر بالسلامة بالنيل حتى دخل السودان
 اركب النيل ما استطعت فقيه راحة الفتى وغاية بغية
 كم تفرجت حين سافرت فيه في بلاد وكم ظفرت بنينه
 فلما دخل مدينة الخرطوم كان يوما مشهودا فحضر جميع من هناك للتشریف
 فلطفهم جميعا ودعوا له بخير وفرحوبه غاية الفرح وأشوا عليه بتحمیل الثناء ومكارم
 اخلاقه كما قيل

كل الامور تيدعنك وتنقذني الا الثناء فانه لك باق
 لو اني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
 ثم امر موسيو ليفبره المعدنجي ان يتوجه الى جبال مويه وسكادي وهي
 على ثمان فراسخ في الجنوب الغربي من سنار ليجرب معادن الفضة ومعادن

« مطلب »
 استصحاب
 المرحوم محمد على
 في سفره جدا
 من ارباب
 الخبرة في
 المعادن وغيرها
 دخول المرحوم
 محمد على
 الخرطوم وما
 حصل من
 الاختلاف به
 وارسله
 المعدنجي الى
 عدة جهات
 واقامته
 بالخرطوم
 لاستقبال
 لاودين عليه

النحاس التي هي على ميمنة النيل باقليم روسيري وارسل خلفهم كل من موسیو
 بوريانی ودرنود بيك وأما حضرته العلیة فقد بقي في الخرطوم ليستقبل رؤساء بلاد
 السودان الواقفين عليه من جميع الجهات على اختلافها كاهم ووعدو بالمساعدة
 جهة سنار

على مشروعه وان يعينوه بستين ألف نفس لالشغل اذا اقتضى الحال هذا القدر
 ثم سافر الى جهة سنار ونزل باقليم روسيري وحضر اليه ملوك سنار وفاز غالو
 وصار يستعلم منهم عن المعادن ومحل وجودها وعن احوال زراعة البلاد وما
 يناسبها وارشد رؤساء السودان الى طرق جديدة في الزراعة وفي الصنائع والفنون
 وغيرها

التي لا يعرفونها وامر عم بالحصول عليها واستعملها لتصل نوبة التقدم للنوبة
 باكتساب وسائل المنافع المحبوبة المجاورة وينوب الخيط الايض من فجر
 الفنون عن الخيط الاسود من جبور الفنون وليكونوا من اهل التبصرة
 ونكون عندهم آية النهار بمصرة ثم حضر المعدنجي ليغيره من جبل مویه
 وأخبره أنه لم يجد أثر المعدن الفضة ولا معدن النحاس في المحل الذي حكى
 عنه موسیو روسيري فنفر من الاقامة بهذه الجهة لعدم الحصول على مقصدده

ولكن

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعد الدهر
 فرفع معسكله ونهض الى اقليم فاز غالو وكان احمد باشا قد تولى حكمدارا
 عوضا عن خورشيد باشا وكان قد بعثه محمد على الى محاربة جبال رجبيج
 وكانت عاصين فوى أن ينتظر عودة الحكمدار بعد وصوله في ظرف ثلاثة
 أيام وصل المرحوم محمد على الى قريه فاموكو تجاه فاز غالو وهي على ميمنة
 البحر الازرق فضرب خيامه بها وأتعبه حسنهما وظرافتها فأمر بناء قصر فيها
 على اسمه ليذكر سفره بها وعين حالا درنود بيك لهذه المأمورية فهندسه

البك المذكور وبنيت حوله الدور حتى صار بلدة شهيرة هناك سميت بـ محمد على وهي من الآثار الجليل الجل لا أنها صارت محل التغريب ينشد فيها المنفي

الغريب

« مطلب »
وصول المرحوم
محمد على الى
قريات فاما وجوه
واستحسانه ايها
وامره ببناء قصر
فيها على اسمه

ياعين ان بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
ففقد ظفرت من الزمان بطائل ان لم تريه فهذه آثاره

ولما عاد أَحمد باشا من غزوه كان فصل المطر قد دنا والذحائر كادت

تنفد وكان المرحوم محمد على توجه الى اقليم فاشنقارو وكان قد بعث حين توجهه
احد مماليكه ليأخذ الرمل من وادي قراده فاستخرج المعدينجية من هذا
الرمل نحو ثلاثة فنارات من الذهب اليسيير القيمة القليل الجودة

ولما نزل المرحوم محمد على في فاشنقارو ضرب مخيمه تحت شجرة تين

والعسكر حوله ولم يبق معه من المأكولات الا البساط واليسير من
الازز فسئمت نفوس الجميع من قلة الرزاد والحط والتراحال بهذه الحالة ولا
كل الناس موسيو بورياني على تأمين الباسا المذكور وتجسيمه له في ربع
المعادن الذهبية بجمع الباسا المذكور المعدينجية والمهندسين ليأخذ رأيهم فقرروا

« مطلب »
وصول المرحوم
محمد على الى
فاشنقارو

جميعا على عمل تجربة جديدة بطريقة أخرى مفيدة وهي أن يجمع الرمل
من جميع الحالات بمقادير متناسبة ويعلم كمية ما يخرج منها خرجة النتيجة
بهذه التجربة مثل السابق في قلة الرسم ولكن قد استكشف موسيو بورياني
في بئر من آبار وادي قراده في عمق اثنين وعشرين قدمًا طبقة معدينية يتراهى
انها كثيرة الذهب ليتحققها مع الثاني وقبل أن يرحل موسيو ليغيره المعدينجي
من الخرطوم كان عثر أيضا على رطلين من الرسبق في مخازن الحكدارية
فأحب موسيو بورياني أن يعمل امتحانه لما أخذه بطريقة التحليل فسكت

« مطلب »
جمع المعدينجية
وعمل تجربة
عمومية

عن ذلك وصار منهم كاعلى اتباع هذه الطريقة في التجربة فلم يشعر اذ وجد في قرار القرazaة جرما معدنيا ذهبيا مخلوطا بغيره ولم يعرف سبب هذا الغش فأخبر غيطاني بك وموسيو لمير بك بذلك وهم أخروا المرحوم محمد على فوسيو بورياني اتهم بعض أخصامه انهم أرادوا أن يفسدوا عليه تجربته وأرادوا بأخبار من ذكر البحث عن صاحب الفعلة فادعى احمد افدي الجشنجي ان موسيو بورياني المذكور هو الذى خلط الذهب بالزئبق عمدًا لعدم نتاج تجربته وأخبر بذلك أمام الباشا وصدق عليه الحاضرون في اليوم الثاني استعمل موسيو بورياني طريقة الفسل بالقصاع فغسل مائة قنطار من الرمل ماؤخذوا من فرش الوادي بمحال قرادة فاستخرج منها تسعا وأربعين حبة من الذهب

في هذه التجربة الكبيرة ظهر منها اشباع معدن وادي فاشنقار والذى جرب عليه موسيو روسيجير سابقاً فوجد بين طريقة روسيجير بورياني وموسيو روسيجير فرق جسيم في هذا الاختلاف الفاحش ضاق صدر الباشا المرحوم وفترت همته حتى كاد أن يصرف النظر عن قضية استخراج المعادن ولكن عاد إلى تحمله وصبره وأمر بعقد جمعية تستخرج مقدار قيم مجاميع الأشغال التي حصلت كلها فبادرت الجمعية باستخراج ذلك ففتح أنه لا يحصل من عملية الصانع الواحد من الذهب الا بقيمة ثلاثة قروش كل يوم

فن هذا الوقت سقطت قيمة المعادن الذهبية من أعين الجميع وقل اعتبارها فتغير خاطر المرحوم محمد على من ذلك وداخله اليأس من رواج معادن السودان ولو كان موسيو روسيجير حاضرا معه لبسلاه وعلم بالامانى

وأما موسى بورياني فقد كان حاضراً وأخبر بالصدق ولم يدلس ولكن
 لكونه كان يهاب سيده كثيراً فلم يستطع أن يذب عن نفسه فضرب عنه
 المرحوم محمد على صفحاً وأنعم على جميع المهندسين والمعدنجية عند ارتحاله من
 السودان بركروبة ورخت مذهب وما استثناه من هذا الانعام ولا غض عنه
 البصر ويئس من وجود الذهب المشبع من بلاد السودان ولكن لم يظهر
 له الحقد ولا صرف عنه النظر بل أمر الجمعية أن تتمكث وتبثت مع غاية الدقة
 عن الطريقة الالزمة لاستخراج هذه المعادن فكان العسكر المحافظون على
 أهل هذه الفزوة العالمية يعتقدون أن سيدهم أبقى هؤلاء المهندسين رسمياً
 فقط وإن اشغال هؤلاء المهندسين ليست الأصولية فكانوا لا يسعدهم
 على اشتغالهم ولا يصرفون لهم في اعطاء ما يلزم لتنمية التجربة وكان
 قد تميّن لادارة المعادن خير الدين باشا فكان يسيء السلوك لأنّه كان
 مكرهاً على الاقامة بتلك الديار وترك وطنه فهذا كان يعتقد أنّ الافترنج المعدنجية
 هي السبب في طول غربته فكان يجاهر بتقريرهم وتوبيخهم

ثم إن موسى ليفره أصابته حمى شديدة وكان قد وعده المرحوم محمد على
 أن يعطيه بعد تمام الاشغال رتبة ميرالي فكان على غاية من الاجتهد فمات
 بالحمى وقبل موته صرّح بأنّ تقرير الجمعية بعد تربیح المعادن في السودان
 ليس بقطعي ولا يبني على حكم وانه لا ينبغي ان يقطع الرجاء بالكلية من ربیح
 هذه المعادن لاسيما وأنّ موسى بورياني قرر تقريراً شفاهياً يؤيد رأي ليفره
 السابق وعباراته ليس من ارباب الجمعية تمامها من هو معتمد في قوله فيما يخص
 قيمة ما يحصل من الرمال من الذهب حيث جمعنا لا معرفة له تامة باستخراج
 المعادن فلسنا متبحرين في هذا الفن بل الظاهر انه لو صارت الادارة على صورة

« مطلب »
 ياس المرحوم
 محمد علي من
 استغراً بممادن
 الذهب بالسودان
 في نفس وعوده
 إلى مصر

« مطلب »
 موت رئيس
 المعدنجية واغاثته
 قبل موته ان تقرير
 الجمعية بعد ربیح
 استخراج المعادن
 لا يمول عليه

حسنة مستقيمة وصدق الممتحنون في تجاريهم وصار الاجتهاد في الاستخراج على وجه مرضى فلا بد أن تظهر نتائج عظيمة خصوصاً إذا كان المأمور بذلك من المعدنية المتبخرin في هذا العلم ولها سابقة عمليات صحيحة وأما سفرنا هذا فلم يكن إلا محض مناظرة واطلاع على نفس الحال المعدنية بالبلاد السودانية مجرد عن راحة الفكر والبدن وقوله في محله لأن العرضي كان دائماً عرضة لاغارة السودان الحمل وكان بدون أهبة ولا ذخيرة وكانت عساً كر الاتراك الحافظين على المعدنية أشد عليهم عداوة من السودان

فهذا لم يمكن الوقوف على حقيقة الحال من الاهالى وكانت التجارب

تميل بالخوف والعجلة وكانت الامراض ايضاً من جملة الموانع ومع ذلك فقد صبح تجربة موسى بورياني التي استمرت نحو ثلاث سنوات أن بعملية استخراج المعادن بالعيدي يعطي قنطر الرمل نحو خمس حبات من الذهب مع قبول الزيادة عن ذلك لو وجدت المعرفة والصداقة ومع هذا كله فنقول إن ذهب السودان لا ينكر وأن الأقطار السودانية التابعة لحكومة مصرية وإن كانت دون أقاليم امريكية بكثير فهي مصر إن لم تسعفها المعادن المتطرفة فمعادن الزراعة فيها محققة ولو لالتغافل والتکاسل من بعض الحكماء واتصاف بعض آخر بالجهل التام لكان ايراداتها ومحصولاتها على أكمل نظام فان خصوبتها أرضها صحية وحيواناتها صحية واخشابها جيدة ومعادنها متعددة فالواليد الثلاثة فيها على غاية من الكمال ولا نظر إلى ما يعتقد العامة الناس من أن أكثرها رمال فقد يوجد من الاهالى من يترافع مع أخصامه في ملكية ألوف من الفدادين لنفسه ويريد نزعها من يد أبناء جنسه وفي أيام حكمدارية حضرت لطيف باشا أعطى الفدان لأسد السنافق وهو دموز انما من البور فلم تبرح مدة يسيرة أن صارت من المعمور

وصح فيها جميع البقول والفالل لاسيما زرع الخنطة الذي في تلك البلاد بالوهناك اراض بعديرية دنقله لا يعلوها النيل الا في زمن الفيضان الغزير وليست داخلة في دفتر مكلفات الاقليم وقد التس زراعتها في سنة من السنين بعض الاهالى بدفع العشور فزرعها من صنف الدرة فأدت محصولاً فوق الاربعين الف أربض فدفع الى شونة الميري عشرها فصار صنف الدرة رخيصاً في هذه السنة فشكوا الاهالى المزارعون كسد محصولاً لهم فأبى مدير تلك الجهة ان يتولى في ذلك الوقت أن يعطيها بعد ذلك لاحد وأحب أحد البكتاشات المستخدم بتلك الجهة ان يتواهدها في كل سنة بقيمة مكافأة لعشرها السنوى فلم يساعد على ذلك وأمثال هذه الاراضى كثيرة جداً والاراضى منبتة للنباتات الناتجة بنفسها بدون عمل مع قبول أهلها للتمدن الحقيق لدقة أذها لهم فان اكثراهم قبائل عربية لاسيما الجعلين والشاقية وغيرهم فان اشتقا لهم بما أفسوه من العلوم الشرعية شغل رغبة واجتهاد ولهم ما ثر عظيمة في حسن التعليم والتعلم حتى ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد الاجنبية للمجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الفقير فيعينه أهل بلده على ذلك بتوزيع المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة بكل انسان من الاهالى يخوض الواحد او الاثنين فيقيمون بشؤونهم مدة التعليم والتعليم

ولقد رأيت في طريق بلاد الشاقية بعديرية دنقله حرم سنجق يدعى

الملك الاذيرق تسمى السيدة أمونة تقرأ القرآن التشريف ومؤسسة مكتبين أحدهما للغeman والثانى للبنات كل منها لقراءة القرآن وحفظ المuron تتفق على المكتبين من كسبهما بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله ولا ترضى ان يشوبه شيء من مال زوجها وتحاول المكتبين خلوات لم يختلى من العياد

«مطال»
استعداد أهالى
السودان
لل المعارف
والكمالات
وجود التعاون
عندهم على طلب
العلم

والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لاداء فريضة الحج الشريف ومنزلاها
كالاتكية للفقراء وابناء السبيل والقادسين بيت الله الحرام وامثال ذلك
كثير هناك في ظل الحكومة المصرية

ومما يدل على حسن مقاصد المرحوم محمد على أنه في عودته من البلاد
السودانية استصبح معه عدة غلنان من أبناء وجوه السودان إلى مصر
وأدخلهم في المدارس المصرية ليتعلموا مبادى العلوم ثم نقلهم إلى مكتب
الزراعة ثم إلى مدرسة الألسن وكان القصد من ذلك أن يذوقوا طعم
المعرفة التمدنية ليشروها في بلادهم وقد شاهدت بعضهم مستخدما
بعدريه الخرطوم بوظيفة كاتب ويغلب على الظن انه بواسطة تنظيمات
سعادة شاهين باشا الأخيرة المؤسسة على حب تقديم الجمعية التمدنية
وهمة سعادة جعفر باشا صاحب الانظار التمدنية تذكر ايصال التقدمات
العصريه بعنایة الحكومة المصرية في اطراف وأكناfe تلك البلاد التي هي
الآن لم تخلي قراه عن نوع التقدم في الحضارة مع مساعدة الوارد والمتردد
اليها في هذه الايام لقصد الزيارة أو التجارة فانها اقرب للتقدم من اقاليم
أمريقة بكثير وجميع اهلها ماعدا بعض الجبال لساهم عربى فصيح حيث ان
جلهم من نسل العرب المنتجة القبائل قدما يحفظون احسابهم وانسابهم
وفيهم كمال الاستعداد وذكاء القطنـة واما يحتاجون في حصول المطلوب الى
اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام ارباب صدقة وغافـ وعدل
وانصاف لا تحملهم المطاعـ الدينـية على عـض الـانتـفـات الى الـامـورـ الـدينـيةـ
بل توجـدـ القـابلـيةـ أـيـضاـ فـالـاهـالـيـ المـاـصـلـينـ

ويدل على هذا ما حكى لل الخليفة أبي جعفر المنصور عما جرى بيت
 عبد الله بن مروان بن محمد وبين ملك النوبة مما ذكره المؤرخون في حق
 الملك المذكور مع أنه كان من ملوك السودان المتأصلين والجنس القطيين إذ
 لم تكن القبائل العربية اتتجمعت إلى السودان ولا تساطع على هذا الأقليم ملك
 من أهل الإسلام ولا من العربان وهو ابن أبي جعفر المنصور حضره زيارة
 عبد الله بن علي وصالح بن علي في نفر معهما فقال عبد الله بن علي يا أمير المؤمنين
 إن عبد الله بن مروان بن محمد لما هرب إلى بلاد النوبة جري بينه وبين
 ملكها كلام فيه أتعجب به سقط عن حفظه فان رأى أمير المؤمنين ان يرسل
 إليه بحضرتنا ويسأله عما ذهب عنا وكان في الحبس فأرسل إليه أبو جعفر
 فلما دخل قال له يا عبد الله قال ليك يا أمير المؤمنين قال أخبرني بحديثك
 وحديث ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين هربت مني ثانية سلم لي
 إلى بلاد النوبة فلما دخلت بلادهم فرشت ذلك الاشاش بباء أهل النوبة
 ينظرون إلى متعجبين مني إلى أن بلغ ملك النوبة حضورى بباء ومعه ثلاثة
 نفر فإذا رجل طويل آدم أغرب مسنون الوجه أى مملسه فلما قرب مني قعد
 على الأرض وترك البساط قلت ما يمنعك أن تجلس على أثاثنا هذا قال أني
 ملك وحق لـ كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذا رفعه الله قال ثم نظر إلى
 فقال لم تشربون الخمر وهي محمرة عليكم فقلت عيـ دـ نـاـ وـ اـ تـ بـ اـ عـ اـ نـاـ يـ فـ عـ لـ عـ لـ وـ دـ لـ زـ لـ دـ لـ عـ لـ عـ لـ
 بالجملـ مـ نـ هـ مـ قـ لـ فـ لـ تـ لـ بـ سـ وـ دـ لـ بـ يـ اـ جـ وـ دـ لـ حـ يـ اـ رـ وـ تـ لـ حـ لـ وـ دـ لـ بـ وـ دـ لـ وـ دـ لـ
 عـ لـ يـ كـ مـ فـ قـ لـ تـ زـ الـ عـ نـ اـ الـ مـ لـ كـ وـ اـ نـ قـ طـ عـ مـ اـ دـ اـ وـ اـ سـ تـ نـ صـ رـ تـ بـ قـ وـ مـ مـ اـ عـ اـ جـ
 كان هـ دـ اـ زـ يـ هـ مـ فـ كـ رـ هـ نـ اـ اـ خـ لـ اـ فـ عـ لـ يـ هـ مـ فـ اـ طـ رـ قـ يـ قـ لـ بـ يـ دـ وـ يـ قـ عـ يـ دـ نـاـ
 وـ اـ تـ بـ اـ عـ اـ جـ مـ دـ خـ لـ وـ اـ فـ دـ يـ نـ اـ يـ كـ رـ الـ كـ لـ ا~م~ عـ لـ نـ فـ سـ هـ ثـ نـ ظـ رـ إـ لـ فـ قـ

ليس ذلك كما تقول ولكنكم قوم ملائكم فظالمتم وركنم ما به أمرتم وركنم
 الى ما عندهم فسلبكم الله العز وألسنك الذل بذنبكم والله فيكم نعمة لم يبلغ
 غايتها بعد وانا أخاف أن تنزل بكم النعمة واتس بلدى فقصيدتي معك فارحلوا
 عن جوارى انتهى فقام أبو جعفر وقىدا من كلامه فدخل حجرته قال الله
 تعالى اذا أردنا ان نهلك قريبة امرنا مترفيها ففسقوا فيها خلق علیها القول
« مطلب »
 فدمروا ناحتها تدميرا قال المفسرون في الآية حذف دل عليه باقيها أي امرنا
 موعظة ملك مروان بن محمد حين التجأ اليه
 موعظة ملوكهم في الازمان القديمة كانوا
 كصالحائهم الآن على قدم عظيم في الاستقامة وطريقة قوية وأما موضع
 معرض الذم في حق اهل السودان فهو متوجه على جمهور اهل البلاد وهم
 العبيد والولدون ومن يحذو حذوهم من رعاع اهالي تلك البلاد ارباب الدناءة
والخصلة

وفي سنة سبع وستين وما تئن والـ فـ كـ نـتـ سـافـرـتـ إـلـىـ السـوـدـانـ بـسـعـيـ
« مطلب »
 بعض الامراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم فلبشت نحو الاربع
 سـنـينـ بلاـ طـائـلـ وـتـوـقـىـ نـصـفـ مـنـ بـعـدـيـ قـصـيـدةـ سـفـرـيـ لـالـسـوـدـانـ
 وـظـيـ قـصـيـدةـ تـشـرـاـ اـهـوـالـ تـلـكـ الـبـلـادـ وـعـائـهـاـ وـخـيـسـيـ قـصـيـدةـ
 هـذـهـ قـصـيـدةـ بـرـسـمـ الـمـرـحـومـ حـسـنـ باـشاـ كـتـخـداـ مـصـرـ رـجـاءـ نـشـلـيـ مـنـ أـوـحـالـ
 تـلـكـ الـاـهـوـالـ فـلـمـ يـتـيـسـرـ اـرـسـالـهـاـ ثـمـ أـسـعـدـ الـحـالـ بـتـبـدـيلـ مـرـضـيـ بـالـحـالـ
 الـذـىـ هـوـ حـالـ وـذـلـكـ عـقـبـ تـحـمـيـسـيـ لـقـصـيـدةـ نـبـوـيـةـ بـرـعـيـةـ مـتوـسـلـافـيـهـ بـشـفـاعـةـ
 خـيـرـ الـبـرـيـةـ وـهـاهـيـ القـصـيـدةـ الـأـوـلـيـ

يـحبـكـ وـانـ تـكـنـ فـيـ أـيـ نـادـيـ
الـاـ فـادـعـ الـذـىـ تـرـجـوـ وـنـادـيـ
 أـصـابـ جـنـيـ النـجـاـغـبـ الـحـصـادـ
فـنـ غـرـسـ الرـجـاـفـ قـلـبـ حـرـ

ومن حسن الخلاائق سله صنعا
 وحدث عن وفا خل وفى
 ورب أخ تلاهي عنك يوما
 بنو الآداب اخوان جميا
 خلاف عنصر كل تعذى
 وأداب الفتى تعلمه يوما
 وأدابي تسامي بي الدراري
 ومالي لا أتيم بها دلا لا
 الى سبل الفخار تعود حزمى
 عصامي طريف المجد سعيا
 سوى نسب العلوم لي انتساب
 حسيني السلالة قاسمى
 لسان العرب ينسب لي نجارة
 وحسبي ابني أبرزت كتبنا
 فنها منبع العرفان يحرى
 على عدد التواتر معرباتي
 وملطبرون يشهد وهو عدل
 ومغترفو قراح فرات درسي
 ولاح لسان باريس كشمس
 ومحى مصر أحيانا كان قدرى
 سأشكر فضله مادمت حيا

جميلا فهو أوف بالوداد
 بمرسل جبه في القلب بادى
 فرب وداده أبداً ودادى
 وأخذدان مختلف البلاد
 بائداء العلا دون اقتصاد
 الى الانجاد من بمد الوهاد
 على شعئي وبلغنى مرادي
 وقد دلت على هرج الرشاد
 وفي ميدانه عزم انتيادى
 عظامى شريف بالبلاد
 الى خير الحواضر والبادى
 بطهطا معاشرى وبها مهادى
 ويدينى الى قس الایادى
 تيدكتائبا يوم الطرادى
 وكم طرس تحبر بالمدادى
 تقى بفنون سلم او جهاد
 ومنتسكوا يقر بلا تادى
 قد اقتربوا سقاية كل صادى
 بقايرة العز على عادى
 وكافأنى على قدر اجهادى
 وماشكري لدى تلك الایادى

وامطر ربها صوب العهاد
وفضلي في سواها في المزاد
ولا سلائفيه ولا سعادى
زفير لظى فلا يطفئه وادى
دواما في اضطراب واطراد
وبعض القوم اشبه بالجحاد
بعن العظم مع صافى الرماد
كدهن الا بل من جرب القراد
يقال اخو بنات في الجلاد
ويصعب فتق هذا الانسداد
مع النهى ارتضوه بالحاد
به الرغبات دوما باحتشاد
على شبق مجازة السفداد
ولا يخصيه طرسى أو مدادي
وشر الناس منتشر الجراد
سودا في سواد في سواد
كان وظيفتى لبس الحداد
بطهطا دون عودى واعتيادى
ولا سمرى يطيب ولا رقادى
بلوعة مهجة ذات اقاد
مواصلتى ويطمع فى عنادى

رعى الحنان عهد زمان مصر
رحلت بصفقة المغبون عنها
وما السودان قط مقام مثل
بها ريح السموم يشم منه
عواصفها صباحا أو مساء
ونصف القوم أكثره وحوش
فلا تعجب اذا طبخوا خليطا
ولطخ الدهن في بدن وشعر
ويضرب بالسياط الزوج حتى
ويرقى ما بزوجته زمانا
واسکراه الفتاة على بناء
نتيجه المولد وهو غال
لهم شفف بتعليم الجواري
وشرح الحال منه يضيق صدرى
وضبط القول فالاختيار نزر
ولولا البيض من عرب لكانوا
وحسي فتكها بنصيف صحبي
وقد فارقت اطفالا صغارا
أفكرا فيهم سرا وجهرا
وعادت بهجتي بالنأى عنهم
أريد وصالهم والدهر يأنى

ولا غم لدى سوى الكساد
 ولا يصنى لاخream لداد
 فكيف صنـى لـلـسـنة حـدـاد
 وهـلـ في حـرـبـهم يـكـبوـ جـوـادـي
 على تـزـيـفـهـ نـادـيـ النـادـيـ
 صـحـيحـ الـاـنـقـاءـ وـالـاـنـقـادـ
 بـعـصـرـ فـاـ النـيـجـةـ فـيـ بـعـادـيـ
 فـكـدتـ الـآـنـ أـعـرـفـ فـيـ الثـادـ
 بـدـونـ مـدـارـسـ طـقـ المرـادـ
 هـنـاكـ وـدـونـهـ خـرـطـ القـتـادـ
 لـنـأـيـدـ المـقـاصـدـ بـالـبـلـادـيـ
 لـمـرـغـوبـ الـمـعـاشـ أوـ الـمـعـادـ
 وـلـيـ وـصـفـ الـوـفـاءـ وـالـاعـمـادـ
 بـقـدرـ لـتـعـيشـ مـمـتـفـادـ
 وـلـوـنـ دـوـنـ رـاحـةـ وـزـادـ
 وـهـوـنـ اـخـطـبـ عـنـدـ الـاـشـتـدـادـ
 وـكـمـ نـادـيـ فـؤـادـيـ يـاـ فـؤـادـيـ
 وـجـهـدـ الطـولـ فـ طـولـ النـجـادـ
 تـفـوهـ بـالـفـكـاكـ وـلـمـ يـفـادـ
 وـذـكـ ضدـ سـرـيـ وـاعـقـادـيـ
 وـلـكـنـ لـاـ حـيـاةـ لـنـ تـادـيـ

وـ طـالـتـ مـدـةـ اـنـتـفـيـبـ عـنـهمـ
 وـمـاـ خـلـتـ العـرـيزـ يـرـيدـ ذـلـيـ
 لـدـيـهـ سـعـواـ بـالـسـنـةـ حـدـادـ
 مـهـازـيلـ اـفـضـائـلـ خـادـعـونـيـ
 وـزـخرـفـ قـوـلـهـ اـذـ موـهـوـهـ
 فـهـلـ مـنـ صـيرـفـ الـعـنـيـ بـصـيرـ
 قـيـاسـ مـدـارـسـ قـالـواـ عـقـيمـ
 وـكـانـ الـبـحـرـ مـنـهـجـ سـفـنـ عـزـمـ
 ثـلـاثـ سـنـينـ بـالـخـرـطـومـ مـرـتـ
 وـكـيفـ مـدـارـسـ الـخـرـطـومـ تـرـجـيـ
 نـعـمـ تـرـجـيـ الصـانـعـ وـهـيـ اـحـرـىـ
 عـلـومـ الشـرـعـ قـائـمـةـ لـدـيـمـمـ
 خـدـمـتـ بـمـوـطـنـيـ زـمـنـاـ طـوـيـلاـ
 فـكـنـتـ بـجـنـحةـ الـاـكـرـامـ اـوـلـىـ
 وـغـاـيـةـ مـطـابـيـ عـودـيـ لـاهـلـيـ
 وـصـبـريـ ضـاعـ مـنـذـاشـتـدـ خـطـيـ
 وـكـمـ حـسـنـادـهـوتـ لـحـسـنـ حـالـيـ
 وـارـجـوـ صـدـرـمـصـرـ لـشـرـحـ صـدـريـ
 وـكـمـ بـشـرـتـ اـنـ عـزـيـزـ مـصـرـ
 وـحـاشـاـ اـنـ اـقـولـ مـقـالـ غـيـرـيـ
 لـقـدـ اـسـمـعـتـ لـوـ نـادـيـتـ حـيـاـ

يقيني نشب أظفار العوادي
 فتى في شرعة العرفان هادي
 بضماء العلا طاق الجياد
 وغنى باسمه حاد وشاد
 ققلت وفي الرياسة ذو انفراد
 ققلت ذو تحر واجتهد
 وثاقب ذهنه واريء الزناد
 فقللت وكم حدا بالوصف حاد
 لغواص الملوم بلا نفاد
 بسجن النجح يحكي ذا القياد
 وطالت وفق أهوء الاعدادى
 وذا عين الاصابة والسداد
 فيقضى لي بتقريب ابعادى
 ولا سندى أراه ولا سنادي
 فمدوحي له وصف الجواد
 سوى تلطيف عودى في بلادى
 رزان فى حماستها شداد
 على طه المشفع في المعاد
 مواصلة الى يوم التnad
 وفي دار العزازة لى عياد
 أمير كبار أرباب المعالى
 عروف المعي لا يبارى
 بوافر فضله الركبان سارت
 وقالوا في معارفه فريد
 وفي الاحكام قالوا لا يضاهى
 وقالوا في الذكاء ذكاء فقلنا
 وقالوا وافق الحسن المنشى
 وبجر حجاج يبدو منه در
 فيما حسن الفعال أغاث أسيرا
 عليه دوائر الاسواء دارت
 وقد فوضت للمولى أمورى
 عسى المولى يقول امضوا بعدي
 وما نظم القرىض برأس مال
 ووافر بحره ان جاد يوما
 وليس لبكر فكرى من صداق
 ما أسمى ذراها من بيت
 ومسك ختمها صلوات ربى
 وآل الصحابة كل وقت
 وأما تخميس القصيدة البرية التي عبق مسك ختامه أرج الفرج فهو هذا
 وتدعى به جدا لا من يسلمه
 تبدى الغرام وأهل العشق تكتمه

ما هكذا الحب يامن ليس يفهمه خل الفرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه
دع قلبه في اشتغال من تقبليه ولبه في اشتغال من تلهمه
واصنع جيـل فعال في تجنبـه واقـع له بـعـلات عـلـقـنـ به
لو اطلعت عليه كنت تـرـجمـه

« مطلب »
الخميس الفصيحة
البرعية التي
مطهها خل
الفرام لصب
دمعه دمعه

فؤاده في الحى مسعى جآذره وفي نجوم اسما مرعي نواظره
فيما عذولا سعى في لوم عاذره عذلته حين لم تنظر بنا ظره
و لا علمت الذى في الحب يعلمه

اما ترى نفسه مرعى الموى انتجعت وساقها الحب فانساقت ولا رجعت
فاعذر أو أعدله ما ورق الحمى سجعات لوذقت كأس الموى العذري ما هجعت
عيناك في جنح ليل جن • ظلمه

ولا صبوت اسلوان ولا ملل ولا جنحت الى لوم ولا عذل
ولا اثنينيت خطب في الموى جلل ولا ثنيت عنان الشوق عن طلل
بال عفت يد الانواء ارسمه

فكيف ناقشه في أصل مذهبة
فو الذى صانه عن وصمة الشبه
وما تحرىت تحقيقا لطلبـه
ما الحب الا لقوم يعرفون به

قد مارسوا الحب حتى هان معظمهم
تحبّيه ان دعا للوجود أمته وعزمها بليهم سام وهمته
قوم لديهم بيان الحب عجمته عذابه عندم عذب وظلماته
نور وغمزه بالراء معنمه

يا من دعا هواه أن يعاشرهم أسللت مشاعرهم والزم شعائهم

وان تكلفت أن تدرى أشاربهم كلفت نفسك أن تتفو ما آثرهم

والشىء صعب على من ليس يحكمه

في حب ليلي خلي البال يعذاني ان لم أغاظط فما ينفك يخذلني

فو الذى منزل العشاق ينزلنى اني أورى عذولى حين يسألنى

بزينة عن هوى ليلي فاوهمه

كم في الموى والنوى قاسيد من الم وكم ملأت طروس العشق من كلام

وكم سهرت سمير النجم في الظلم وطالما سجنت وهنا بذى سلم

ورقاء تعجم شکواها فأفهمه

مالسحب الأدمع العين باكية ولا لطى غير احسانى حاكية

لاشك اني أناجي الورق شاكية وتننى عذبات البان حاكية

علم الفريق فادرى ما تترجمه

امام عشق تولى نصر ملته على الوشاة وفدادها بهجته

نادى وقد ذاب وجدا مع ثنيته يامن أذاب فؤادي في محبته

لو شئت دوايت قلبا أنت مسقمه

متى بربع صحابي أبلغ الاملا فكم سقى ماء دمعى السهل والجلال

وما شفى معهدا من ساكنيه خلا سقى الجبال فرع عن الطود منه الى

شعب المرحيات هامي المزن مر همه

ملث غيث يسح الوايل المطلا وصيف طيب يستخصب الطلا

أضحي بمنهم ر الانواء من هلا وبات يرفض من وادى الخزان على

وادى ارام وما والى يالملمه

حيانا منازلها فيض الحيا وملا ارجاءها من بروق يتسون جلا

ولا داعز ربها الجود اذ نلا يسوقه الرعد من خير الباطح الى

أم القرى ورباح البشر تقدمه

وسمى جود سریعات نجائبها ولی عهد مريعات رغائبها

ووا کف بالندى تکنی سوا کبه وكما کف اوکات رکابه

باداه بالرحب مسعاه وزمزمه

مادر من قبله غیث يعارضه ولا اضرت بسراء عوارضه

تخاله وهو لاریچ ينافضه لما لاث على البطحاء عارضه

علا المدینة برق راق مبسمه

برق بواسمہ في الجو قد سطعت فقمة الرعد بالنبرا وقد خشعت

والرجع سع من الخضرا وما جمعت سق الرياض التي من روضها طاعت

طلائع الدين حتى قام قيمه

معارب الارض طرأ أو مشارقا تسعي الى طيبة منها خلائقها

مدينة العلم هل تخفي حقائقها حيث النبوة مصروب سرادتها

والنور لا يستطيع الايل يكتمه

يلوح في روضة ما ثورة الشرف درى كوكها يجلو دجي السدف

والبدر يطلع في افق بلا کاف والشمس تستطع في خلف الحجاب وفي

ذاك الحجاب أعز الكون اكرمه

يا زائر قبر خير البدو والحضر ثم ترى تربة المشوشب النضر

يلقاك حيا بأهنى عيشة الخضر محمد سيد السادات من مصر

خير النبيين محى الدين مكرمه

عرج بساحته ينحدك تکرمة فلا تخفي بعدها بنيا ومظلمة

هذا المشفع يوم العرض مرحمة فرد الجلاله فرد الجود مكرمة
فرد الوجود أب السكون أرحمه

من في صباحته يحكيه مبتسمـا من في ملاحته حاز البها وسما
كم أقسم الحق باسم المصطفى قسا نور المهدى جوهر التوحيد بدر سما
المجد واصفه بالبدر يظمه

طيب عنصره طابت سيرته شمائـل المجد دون الحد سيرته
وسورة الفتح مثل الحمد سورـه من نور ذى العرش منشاه وصورـه
ومنشاً النور من نور يجسمـه

من لاذ من فزع بالهاشمـي أمن أو حاد عنه فعنـ سبل الرشاد عـمـ
بالفضل قد خصـهـ ولا دـوهـوقـنـ وـمـوـدـعـ السـرـفـ ذاتـ الـنبـوةـ منـ

علمـ وـحـلـمـ وـاحـسانـ يـقـسـمـهـ

محاكـمةـ اللهـ الاـ تعـجزـ الحـكـماـ قدـأـبرـزـتـ للـورـىـ أـسـمـىـ الـورـىـ عـظـماـ
لبـ الـبابـ تـسـامـيـ أـصـلهـ وـنـماـ فـذـاكـ منـ ثـرـاتـ الـكـونـ اـطـيبـ ماـ
جادـ الـوـجـودـ باـعـلـاهـ وـاعـلـمـهـ

سيـوفـهـ بـالـرـدـىـ نـحـوـ العـدـاـ لـعـتـ وـكـفـهـ بـالـنـدـىـ قـبـلـ النـدـاـ هـمـتـ
صـفـوـفـهـ فـيـ الـمـارـومـ الـمـهـدىـ اـجـتـمـعـتـ فـارـأـتـ مـشـلـهـ عـينـ وـلـاـ سـمعـتـ
اذـنـ كـاحـمـدـ أـيـنـ الـأـيـنـ نـعـلمـهـ

لـأـنـ رـوـمـاـ وـرـكـاـ اوـجـراـكـسـةـ لـحـسـنـهـ انـ فـيـ هـذـاـ مـوـاـكـسـةـ
تـقـولـ آـمـنـةـ فـيـ مـنـافـةـ أـضـحـتـ لـمـوـلـدـهـ الـاـصـنـامـ نـاـكـسـةـ
عـلـىـ الرـؤـسـ وـذـاقـ الـخـزـىـ مـجـرـمـهـ

فـلـاـ تـرـيـ الفـرـسـ لـلـنـيـرـانـ جـانـحةـ بـعـدـ الـجـمـودـ وـلـاـ الـاـنـواـرـ لـاـنـجـةـ

والمانوية لا تفك نائحة واصبحت سبل التوحيد واضحة
والكفر ينديه بالويل ما تمه

كم ظالمة عند اهل الزيع كامنة قد انجلت بيد للنفع ضامنة
وعصبة من هجوم الروع آمنة والارض تبعي من نور ابن آمنة
والعدل ترى ثغور الجور أسممه

فلا تري كاهنا للغيب يسترق كلا ولا ماردا الا ويخترق
والجن خابوا الزجابل مسهم فرق وان يقم لاستراق السمع مسترق
رصفنه انجم الارجاء ترجمه

فكم تحدى وأبدى في دلالته من معجزات توالت في رسالته
فقل لطاغ تهادى في ضلالته ان ابن عبد مناف من جلالته
شمس لافق المهدى والرسل انجمه

ما جاء من سلب الاعداء غنيمه به قتادة قدرت كريمه
في كل آونة تزداد قيمته العدل سيرته والفضل شيمته
والرعب يقدمه والنصر يخدمه

في حومة الدين أصم الغي والجدلا وجندل الكفر حتى صار مبتدلا
يعلم طويلا نجاد حكمه عدلا اقام بالسيف نهج الحق معتملا
سهل المقاصد يهدى من يهمه

يا صاح كن برسول الله مقتديا في فعله وبنور الحق مهتديا
فكم أياد من الباغين معتمديا وكلما طال ركن الشرك منتهيا
في الزيع قام رسول الله يهدى

بسعد طالعه تسمو كواكبه وطالا ابتهجت زهوا مواكبه

سل البراق بماذا فاز را كبه سارت الى المسجد الاقصي ركابه

يزفه مسرج الاسرا وملجمه

سرى به وهو في أقصى تعجبه وفاز طه بأعلى الحمد اعجمه

له انجلاما توارى في تحجبه والشوق يهتف يا جبريل زج به

في النور والنور مرقاوه وسلمه

بـ رؤية الرسل ليلاكم قضى اربا وـ كم دنا وـ تدى ثم واقتربا

لـ قد رأى الآية الكبـرى وما اضطربـا والـ عـرش يـ هـنـزـ من تـ ظـيمـه طـ رـبا

اذ شـرـفـ العـرـشـ والـكـرـسيـ مـقـدـمهـ

اعـتـزـ بالـلـهـ حـبـاـ فيـ بـعـزـتهـ وـ حلـ فيـ المـلـاءـ الـأـعـلـىـ بـحـوزـتـهـ

فـكـيفـ فـازـبـنـيـ شـطـرـ فـوـزـتـهـ وـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ فـيـ عـزـتـهـ

منـ قـابـ قـوـسـينـ اوـ أـدـنـيـ يـكـامـهـ

فـيـ السـبـعـ فـازـ بـخـمـسـ فـوـزـ مـنـصـرـ فـ

وـ نـالـ ماـ نـالـ مـنـ مـجـدـ وـ مـنـ تـرـفـ

لـمـ شـدـيدـ القـوـىـ وـ حـيـاـ يـعـلمـهـ

كـفـارـ مـكـةـ مـاـ كـانـتـ مـحـوـزـةـ لـاـ زـالـ يـنـحـ آـيـاتـ مـعـرـزـةـ

حتـىـ اـذـ جـاءـ بـالـتـزـيلـ مـعـجـزـةـ بـلـ اـصـبـحـتـ بـالـحـاجـيـ فـيـ مـلـغـزـةـ

يـحـوـ الشـرـائـعـ وـ الـاحـکـامـ مـحـکـمـهـ

اجـابـ كـلـ مـصـيـحـ بـالـسـجـودـ كـماـ آـيـاتـهـ أـخـرـسـهـمـ مـنـطـقـاـ وـ فـماـ

وـحـيـثـ كـلـ لـدـيـهـاـ الـقـوـاـ السـلـماـ هـاـنـتـ صـفـاتـ عـظـيمـ الـقـرـيـتـينـ وـ مـاـ

يـأـيـهـ جـهـلـاـ بـوـ جـهـلـ وـ يـزـعـمـهـ

فـطـالـ بـالـغـواـ فـيـ السـبـ اوـ ثـلـمـواـ عـرـضاـ وـ أـنـفـسـهـمـ وـ اللـهـ قـدـ ظـلـمـواـ

لوميزوا قدرهم من قدره سلموا حال السهى غير حال الشمس لو علموا

بل أهل مكة في طعنائهم عمروا

عمي البصائر عن قدر وعن قدر صم المسامع عن قدير مقتدر

فن مختلف في ورد وفي صدر فاصدع بأمرك يابن الشم من مصر

فقد بعشت لائف الشرك ترغمه

من بيع شاؤك في قاب الكمال عن بحظ منهزم يكرو وعجز زمن

للك الشفاعة مولاك الکريم ضمن لك الجميل من الذكر الجميل ومن

كل اسم جود عظيم الجود أعظمه

في البداية كنت السيد الحكما وفي النهاية حزت الحكم والحكما

فرجه ودع الكهان والحكما يا لها الآمل الراجي ليهنيك ما

ترجموه ذاكبة الراجي وموسمه

يم ضريحا اذا ما قام يحصره عاد ملائكة الرحمن تنصره

روضات باهت به في الدهر أعصره قبل أشاهد نورا حين تبصره

عني وانشق مسكا حين الله

خضم جود تناهى في عزازته فيه الامير برىء من امارته

من لي ولو بنصيب من خفارته كم استبدت رفافي في زيارته

عني وما كل صب القلب مغرمه

قلبي طليق اللقا جسمى مقيده فليت شعرى متى يغدىه سيده

كم أمه زائر مثل يؤيده وكم تصافه من لا يدي يده

ولا في عند تقبيل الثرى فه

أراه كالبدر في العلياء أرصده قرين بعد وبالآمال أقصده

من للمرید وقد أقصاه مرشدہ مني أناديه من قرب وأنشده

قصيدة فيه أملاها خويده

حدیثة السن ما نیطت تمائها نصیرة الفصن قد غنت حمائها

راجت حواسدها جارت لوائها مهاجرية افترت كائها

عن تعر در لسان الحال بنظمه

عذراء منذورة في خدمة الحرم عسى يكون بها صفح لمجترم

ويبلغ القصد قبل الفوت بالحرم كم يأمل الروضة الغراء ذو كرم

يرجو الزيارة والاقدار تحرمه

لما تجني زمانى الذنب وافتلا واپيس مسود شعر الرأس واشتعل

قصدت من جل في سلطانه وعلا مستعديا بحبيب الزائرين على

دهر تنكر بالآهال معجمه

هل سام نفرك انسان ولا ملك أو رام قدرك سلطان ولا ملك

فإن ألم زمات خطبه حمل فقم بعدك يا شمس الوجود وكن

جماه من كل خطب من مطعمه

فكم سقاہ الردى اقذى مشاربه من حيث ساق له ادھی نوائبہ

فاجمل زيارته أبهى مناقبہ وادع الاله اذا ضاق الخناق به

ما خاب من انت في الدارين مکرمه

أرجوك نصرة اعزاز موزرة على هوی النفس اذا كانت معدنة

وقد توالت جيوش الهم منذرة يا سيد العرب العرياء معدنة

لنادم القلب لا يعني تندمه

إلي حمال ضعيف أمره وكلا وكم ملیک حی بالجاه رعی کلا

أصبحت كلا على نعما ثم بل ثكلا أهلت ظهري بأوزاري وجئتك لا

قلب سليم ولا شيء أقدمه

سلكت في هذه الدنيا سلوك غبي وما غدت ومن الآخرى على رهب

لكن تعلقت في اذیال خيرنبي يا صاحب الوحي والتزيل لطفك بي

لا زلت تعفو عن الجانى وتكرمه

رفاعة يشتكى من عصبة سخرت لم أرأت أحمر العرفان قد زخرت

فارفع ظلامة نفس عدلك ادخلت وهاك جوهر ايات بك افتخرت

جاءت اليك بخط الذنب ترقه

قبول تحنيسها فضل عليه ومن لأنه زمن قاسى صروف زمن

تلاؤ مؤلفها يرجو الخلاص ثمن فانهض بقائهم عبد الرحيم ومن

يليه أنهم صرف الدهر يهزمه

فاكشف بحقك عند اليوم مظلمة من المهموم غدت كالليل مظلمة

وانظر اليه بعين الفضل مكرمة واجعله منك بمرأى العين مرحة

اذا ألم به من ليس يرحمه

ارحم غربا بعيد الدار غائبها حبل النوى حمل الاشقاب غاربه

فصل رغائبها وافق كل غرائبها وان دعا فأجبه واحم جانبه

ياخير من دفنت في الترب أعظمه

أسير بين قليل الصبر قاصره وعصره بفرارق الاهل عاصره

وانت ذو كرم لا شئ حاصره فكل من أنت في الدارين ناصره

لم تستطع محن الدارين تهضمها

وهذه حاجة الملهوف بحملها وأنت أعلم والمولى يحملها

وتشهى وقرب العفو يشملها عليك مني صلات الله أكملها
 ياماً جداً عمّت الدارين أنعمها
 يسوق البر بآيا جيماً رأي عارضها انساً وجناً ووحشاً في مراياها
 تشفى الخلاق طرآن من عارضها يبدى عبيراً أو مسكاً مسك عارضها
 ويدأ الذكر ذكرها ويختتمها
 وهذا تحية ربى أكرم الكرما تتحوض ريحك يا خير الورى كرم ما
 سواطع النور منها تملأ الحرما مارئي الرحيم أغصان الاراك وما
 حامت على أبرق الحنان حومه
 تحية بصلات البر عائدة باخير موصولة للرشد قائدة
 تثنى عليك وليست عنك حائدة وتنثني فتم الأل جائدة
 بكل عارض فضل جاد مسجمه
 رفاعة خمس المنظوم مرتجلة قريضه وهو بالخرطوم قد وجلة
 قالت هو اتفه بالله كن رجلة فان جدك طه للخطوب جلا
 فأمر خطبك هذا الجدي يحسنه
 ماذا الماء وأهل البيت قد كفلا عوداً جيلاً وما عن وعدم غفلوا
 لانعن بالغير جدوا السير او قفلوا هم أجمعوا أمرهم للكيد واحتفلوا
 والامر لله ما يرضاه يحكمه
 ومع ان مدة الاقامة تلك الجهات كانت مجرد الحرمان من النفع
 لوطنى فقد اقتضت الحكمة الالهية ان سفري لم يضع هباء متشارقاً فقد
 اعتدت في مديني هناك بترجمة وقائم تلماذ وهو بكل من في حماله وهو الذي
 صار طبعه فيما بعد في مدينة بيروت ولا شك انه من افعى كتب الآداب

والحكم حيث اعنى بترجمته في سائر لغات الأمم وكذلك قد تعلم فقهاء الخرطوم
 من معي من المشايخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا
 ماهرين في ذلك وفي آخر الامر تنظمت المدرسة نحو تسعه شهور وتعلم فيها
 التلاميذ من أبناء المصريين القاطنين هناك طرفاً من النحو والحساب
 والهندسة وحسن الخط وظهرت نتيجة ذلك في الامتحان العام والآن حين
 جددت الحكومة الاسماعيلية عدة مدارس بالاقاليم السودانية توظف بها
 البعض من هؤلاء المتعلمين ولا بد انه يرجى نجاح تلك المدارس بداعى ان
 تأسيسها مبني على الاخلاص في النية وحسن الطوية الخديوية
 وبالجملة فتى زالت من السودان وسائل الوداعة والسباحة ودخلت
 اهاليها بحسن الادارة في دائرة الاستقامة صارت هي وديار مصر في العمار
 كالتوأمين وفي ايناء الا عمار صنوين حتى ينشد لسان حالمها
 نحن غصنان ضمننا عاطف الوجه—دجيعنا في الحب خم النطاق
 في جبين الزمان منك ومني غرة كوكيبة الانفلات
 وقد لاح على قرب عماريتها علامة ظاهرة وهي فتح المدارس الخمسة
 من ابتداء الحكومة الاسماعيلية الباهرة وكذلك ارسالية اسماعيل بك الفدنكي
 ناظر المهندسخانة والرصدخانة الى سواكن في رمضان سنة الف ومائتين
 وثلاثة وثمانين مع بعض للمهندسين والرسامين لتعيين الطرق الحديدية المزمع
 على انشائها بالاقاليم السودانية وارسالية بعض أرباب المعارف الانكليزية في
 سنة ١٢٨٦ لاستكشاف منابع النيل واعطاء ملحوظات خيرية كل هذا وامثاله
 دلائل قاطعة على ان السودان سيحظى عن قريب بالوسائل الدافعة فلا شك
 أن سياحة المرحوم جنتمkan في بلاد السودان وان لم تفتح بها كنوز الذهب

فقد أدى في حقها من البحث عنها ما وجب فإذا كانت الغايات لاتدرك فالميسور
منها لا يترك فكان لسان حاله يقول

سأضرب في بطون الأرض ضرباً وأركب في العلا غرر الليلي
فاما والثري وأصيб عدراً واما والثريا والمعالي
وفي الحديث اعملوا بكل ميسر لما خلق له وفي رواية بكل مهياً لما
خلق له وبالمثلة فكان تهيئة للمعالي عجيب

الحمد لله الذي رجل مذكنت لا تنقضى اعاجيب
اد المرحوم محمد على كان يجعل كسب المعالي
دائماً نصب عينيه وكان لا يحرم منها القلعة العامرة لتعضيد العالم الاسلامية وقطع دابر الفسدين للحصول على
التأمينات العمومية ومع ذلك فكم ترك الاول لا خروكم ابقى لمن بعده من
تسكيل المفاحر فلهذا وجب على الخلف تقييم مالم يتيسر فعله للسلف واعمال
فكرة في استنتاج نفائس المنافع كما يعلم ذلك من فصول الباب التابع



الباب الخامس

في الأمال الحسنة والاعمال المستحسنة من الاصلاحات المصرية بمقتضى اصطلاحات
الحال العصرية وفيه فصول

الفصل الرابع الاًدَلْ

(في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالى)

من المعلوم ان مصر في هذا العهد من احسن البلاد المشرقة حكومة
وافضلها ادارة اذ فيها من كمال حسن الادارة والضبط والربط ما يفيد الا من على
الارواح والاموال والاعراض كما في اعظم الممالك المشرقة والمغاربية وفيها
الصناعات آخذة في النمو والازدياد وما انشيء فيها من سكك الحديد الكثيرة
الفروع ومن الترع والجسور والقنوات زاد كثيرا في تجاراتها وزراعتها ولو لم يكن
للحكومة الحالية الا حوض السويس العجيب والتربة الابراهيمية التي صار
انشاؤها بالصعيد على وجه من السعة غريب لكافها ذلك على رغم حاسدها
المريض فنهايك بتربة كادت ان تكون بحرا وحفرها في اقرب مدة يكاد
أن يعد سحرا وكم للحكومة الحالية غير ذلك من التجديدات والماهير الخالدات
فلو نظرت الى تحسين المحرورة توسيع الشارع والمسالك وانها في اقرب مدة
صارت كاعظم مدن الدول الكبيرة والممالك لازدرىت من تولى حكومة مصر
من الملوك والخلفاء ولصغر في عينك مجدهم الا يليل الذى ذهب جفاء واحتقنى
ف شأن مصر اليوم مما يغبط عليه فهي حرية أن تكون قدوة لجميع البلاد

« مطلب »
توسيع الشارع
والمسالك

الجاورة لها وبالجملة فأرض مصر الاريضة الطويلة العريضة طيبة التربة كريمة
المنبت ومصافتها من بلاد السودان جسيمة المقدار خصبة ايضا على الاكثر
وثرتها ايضا معشوقة فيها تعظم سعة الخديوية الجليلة المصرية بحيث لا تنقص
في المقدار عن ثلث الملك العثمانية فساحتها مساحة الملك العظيمة وجميع اهاليها
واهالي البلاد الملحة بها نحو ستة ملايين كل ذلك يجعلها مضاهية حساً ومعنى
بعض الملك المعتبر في ميزان البوليتيقية

فلا غر وان كانت بعزيزها وخصائصها منتظمة في سلوك أحسن الملك بل
هي واسطة سلوك العقود الجوهرية ومالكها خير مالك ومن وقت ما جحسن
فيها مذهب الادارة والترتيب جاد مصدر ارادتها بالمحصول العجيب فمن
قدره بزهاء مليون من الاكياس فقد أصاب حده واما حاد عن القياس
وأقوى الدلائل في الحالة الراهنة على طيب حال مصر وما يرجى لها
في المستقبل من نمو اخير وانتهاء محـو الاصـر ما هو جـار الان من ازيدـيات تجـارتها
وامتدادـ معاملتها فـان ما خـرج منها الى الـبلاد الـاجـنبـية سـنة سـبع وـستـين وـمائـتين
وأـلف هـجرـية قد زـادـ الان خـمسـة أـضـعـافـ على السـابـقـ والنـذـى دـخـلـ اليـها زـادـ
ضعـفين فـاليـوم صـارـت قـيمـة تجـارـتها الدـاخـلةـ وـالـخـارـجـةـ جـسيـمةـ جداـ من رـؤـسـ
أـمـوالـ وـأـربـاحـ حتـىـ أـبـلـغـهـ بـعـضـهـمـ نـحـوـ مـائـةـ وـخمـسـينـ مـليـونـاـ منـ الـلـيرـاتـ وـانـ
كانـ هـذـاـ لـاـ يـخلـوـ عـنـ الـمـبالغـةـ

ولا تزال مصر بالتقديرات التحسينية المتشبّهة بها الحكومة الحالية
تمادي في الازدياد وتهادي بحسن سلوك سبيل الرشد والسداد فلا غر وان
استحقّت حالة الحكومة في أحوال متعددة الى اطوار حسنة متتجددة
ونهض بها حسن الجد والطالع الى اسحى الطوالع وأسني المطالع فما احسن

الحكومة التي أنعم الله عليها بن يسارع في اعزاز الوطن وسبيله منها واعلاء
المجي وتكثير غناه ولو باتفاق المال لتحسين الحال

أصون عرضي بمال لا أدنسه لا بارئ الله دون المرض في المال
احتال للمال ان أودى أحصله ولست للعرض ان أودى بمحтал

فملوك العاقل من يستطيب المتائب في استحصل المعاونة ويستجلب
لملائكة ليقوم أود وطنه ويعهد شؤونه وينجتهد في تنمية الابراد والمصرف
إلى حد التعدل بسلوك أرشد طريق وأعدل سبل حتى يصلح السعي في التنمية
درجة الموازنة والتسوية فإذا امتلاك الحوض وسقى الروض لطف السعي وذاقت
الرعاية حلاوة الرعي وظهرت ضخامة مصر التجارية ونظامها السياسي الغرس
أصول المنافع الآسيوية فان حسن الادارة والاقتصاد والتدبير بباب عظيم لفتح
الخير الكثير وطرق تأسيس الثروة وتمييز الغنى ولتجديده النعمة وازدياد اهلاها
وكل ما يوجب حسن الثناء مما يحسن فيه قول الشاعر

بدائع من صنع القديم ومحدث تأق فيه الحدث التائق
اذا انت من اعلاه اشرفت ناظرا تجيئ عنان الطرف فيه وتطلق
وتجمع فيه كل حسن مفرق وشمل الاسى عن حاضريه تفرق
فكك من غياض في رياض وجنة بها كثر من مائها يتدقق
ولقد حصل في هذا الزمن الاخير في الحكومة توسيعات وتسخيرات

عجبية لم يتكن منها المرحوم محمد على وكان يتنى حصولها بعض المؤرخين حيث
أبدي فيه ملحوظة لطيفة تفيد أنه لو ظفرت ديار مصر بهذا التكميل لم لها
الدست وفازت بالحظ الجليل فما عنناه المؤرخ المذكور ثم في هذه الحكومة
الحالبة كما سند كرمل ملحوظ ذلك في الفصل الثاني المتکفل لبيان مباني تلك المعاني

الفصل الثاني

في ملحوظات عومية تتعلق بالديار المصرية أبداها بعض من أرث مصر من أرباب السياحة وحضر فيها على ما يلزم من تقديم التمدن بتحسين أحوال المنافع العمومية تجارة كانت أو زراعة أو فلاحة وهذا باعتبار ما كان كلام لا يخفى على ذوى العرفان

ومضمون كلام هذا المؤرخ ان خصوبة أرض مصر واعتدال قطرها وصحو زمنها كل ذلك يؤذن باستعدادها الى الوصول لدرجة السعادة وأوج الثروة ومع ذلك فقد توالي عليها من منذ فرون عديدة عدة من الدول ولم يتثبت أحد من ملوكهم الى ابلاغها درجة كمال ولا مرتبة اعتدال وذلك لأنها في عهد الخلفاء كان يتولى عليها من العمال والنواب من لا يسلك أكثراهم في حسن الادارة والتدبير سبيل الصواب وإنما كان النائب فاعلا مختارا يسيء معاملة الرعية بما عنده من المرخصية وربما حدث في أيام نيابةه اختلال جسيم يتسبب عنه الدمار وأنهلال العمار فقد رأى نيل مصر بعينيه أن رمال الصحراء والبراري انهالت عليه وامتدت على جزء عظيم من الأرض التي كان يرويها حتى أعمقت سواحله ببوار نواحيها وأفسدت رسادها وضواحيها

وقد ازداد هذا الضرر وتجسم الخطب والخطر في أيام حكومة سلاطين على حقيقة مصر لارباب السياحة الشراكة وبقيت أيضا في أيام الدولة العلية للاختلاف الواقع بين ولاة هرم والماليك الوجاقلية فقصدت مملكة مصر بين الفريقين وضاعت كضياع السفينة ذات الرئيسين ولم يصفها أرباب السياحة من المتقدمين والتأخرین حق وصفها الصحيح بل تکاموا عليها بكلام ناقص فيها يتعلق بالتعديل والتجریج ولا وفوا لها بما يجب من الطب والعلاج ولا يبنوا طرق التقدم والرواج

ولما حل بها جيش الفرنساوية أمعن النظر فيها وعرف قيمة الطرق المعاشرة
وادى الفرنساوية وان مصر لو حكمت بحكومة مماثلة لدول أوروبا المتظاهرة لا مكفر تكثير
حين تقليمهم على مصر في عماراتها أهلها وبلوغهم الى ثانية ملايين متممة وانها قابلة نحو الزراعة والصناعة
والتجارة وأن أهلها فيهم القابلية لاجتناء ثمرات العقول وفوائد المهارة وقطرها

مستعد لتحسين الصحة العمومية بطرد الامراض الوبائية وما النيل اذا
توزع على الاراضي بالوجه اللائق يروي من الفدادين فوق اربعة ملايين
وتكون كثيرة الحصول فان فلاحتها المختلفة تعكث ثانية اشهر من السنة
يتقلب عليها الحرف والزرع المختلف باختلاف الفصول فان اراضي اقاليم البحيرية
متتساوية الا طيان تقربا في طبيعة المزارع مستوية الاجزاء فجميع اراضيها
صالحة للزراعة والفلاحة بالسهولة لان الرطوبة تبقى بها مدة فصل الشتاء
وبعده فيسهل انباتها بواسطه ما ينزل فيها من الامطار بدون الاستعمال
باليساوي فتخرج منها الخنطة الجيدة فما يوجد فيها من البور بدون زرع فهو
ناشيء من مجرد اهمال الاهالى وسوء ادارة الحكام مثلما جمیع الاراضي الواقعه
على شطوط ترعة الاسكندرية هي أأشبه بالصحراء والبرية خلوها عن الحرف
والغرس ولو زرعت جميعها خرج من الحصول الجسيم مقايد وافرة
فالاراضي التي لا زرعت بمدرية البحيرة نحو مائة وثمانين الف فدان تقربا منها
أرض بحيرة مريوط تستعمل على ستين الف فدان مع انه يمكن تجفيف جزء
منها وزراعه

واما روضة البحرين فانها خصبة جدا الا انها لم يعطها الفلاحون في
الفلاحة ما يجب لها فهي في الجملة تعطي محصولات جيدة ولو أعطى لها حقها
من الفلاحه لكثر محصولها كثرة بالغة في اقسامها تخرج الخنطة والذرة

« مطلب »
واى الفرنساوية
 حين تقليمهم على
 مصر في عماراتها
 أهلها وبلوغهم الى ثانية ملايين متممة وانها قابلة نحو الزراعة والصناعة
 والتجارة وأن أهلها فيهم القابلية لاجتناء ثمرات العقول وفوائد المهارة وقطرها
 مستعد لتحسين الصحة العمومية بطرد الامراض الوبائية وما النيل اذا
 توزع على الاراضي بالوجه اللائق يروي من الفدادين فوق اربعة ملايين
 وتكون كثيرة الحصول فان فلاحتها المختلفة تعكث ثانية اشهر من السنة
 يتقلب عليها الحرف والزرع المختلف باختلاف الفصول فان اراضي اقاليم البحيرية
 متتساوية الا طيان تقربا في طبيعة المزارع مستوية الاجزاء فجميع اراضيها
 صالحة للزراعة والفلاحة بالسهولة لان الرطوبة تبقى بها مدة فصل الشتاء
 وبعده فيسهل انباتها بواسطه ما ينزل فيها من الامطار بدون الاستعمال
 باليساوي فتخرج منها الخنطة الجيدة فما يوجد فيها من البور بدون زرع فهو
 ناشيء من مجرد اهمال الاهالى وسوء ادارة الحكام مثلما جمیع الاراضي الواقعه
 على شطوط ترعة الاسكندرية هي أأشبه بالصحراء والبرية خلوها عن الحرف
 والغرس ولو زرعت جميعها خرج من الحصول الجسيم مقايد وافرة
 فالاراضي التي لا زرعت بمدرية البحيرة نحو مائة وثمانين الف فدان تقربا منها
 أرض بحيرة مريوط تستعمل على ستين الف فدان مع انه يمكن تجفيف جزء
 منها وزراعه

« مطلب »
حال اطيان
 مديرية روضة
 البحرين

والفول والشعير والكتان والنيلية والدخان الا انه لا بد من تقديم الزراعة بها
 تقدماً أجسم من ذلك لازدياد المحصول وكثرةه فان روضة البحرين التي هي
 عبارة عن الغربية والمنوفية فيها نحو مائة وعشرين الف فدان من البور منها
 بالغربية نحو مئتين الف فدان والباقي وهو مقدار النصف من ذلك بالمنوفية
 ومن تحسين الزراعة بمصر ان يخصص جزء من اراضي الشرقية
 والدقهلية لزراعة القطن والكتان والنيلية وما يتبقى بعد هذا التخصيص يكون
 لزراعة الحنطة والذرة والفول والشعير والعدس ونحو ذلك ويخصص في
 مديرية الشرقية جملة أفردة لزراعتها على هيئة المروج الصناعية والمراعي المدبرة
 ويصح في هذه المديرية زراعة الكرم والتوت كما صحت زراعة التوت في
 بعض الجهات الأخرى من الاقاليم الجنوبيه الافرنجية الشبيهة بالاراضي
 المصرية فان تربية دود القز بمصر تعطي مع السهولة محصولاً عظيماً لمساعدة
 الحكومة له واستثناؤه من دفع العوائد تميزاته في الحال المقتضى لها ذلك
 فان في مملكة فرنسا اشياء تستثنى من دفع العوائد والضرائب لقصد
 ترغيب الزراعة وتكون معافاة من ذلك وقتياً يعني لا تدفع العوائد الا
 بعد مدة فمن ذلك التزام ردم قدر مخصوص من البرك والمستنقعات لمن يريد
 غرسها فانه يجوز في فرنسا الترخيص له في ذلك القدر ومعافاته من دفع
 المال مدة لا تزيد عن خمس وعشرين سنة تمضي بعد التشريف وصيرورته
 صالح فيه هذا في الاراضي البور وأما الاراضي العمورة فيجوز بوجب
 اللوائح الصادرة في ذلك معافاتها من المال لنفعة الاراضي نفسها اذا زرعت
 بزراعات مخصوصة افع من غيرها لامملكة كزراعة الكرم او الاشجار
 او التوت كتنمية دود القز او الاثمار فتكون لها امتيازات خصوصية في

« مطلب »

ما يستثنى من
 دفع العوائد
 المائية ترغيباً
 لتكثير العمارية

فرنسا وقد سلك هذا المسلك المرحوم محمد على في مبدأ الامر برفع الاموال عن اراضي الضواحي التي يزرع فيها قدر مخصوص من شجر الزيتون وكما صدر في هذا العهد الاخير من قرارات مجلس النواب فيما يخص الاراضي المستبرحة والموات من تمييزها برفع الاموال عنها مدة محددة للفترة العمومية ولا يأس ان يعمل في مصر مثل ما يعمل في فرنسا في ربط الاموال على العقارات المجددة من بيوت الابحار والورش والمعامل وهو ان لا يربط عليها عوائد الا في آخر السنة الثالثة التي تمضي من تمام عماراتها ترغيا للمجددين حيث انهم في اثناء هذه السنين الثلاثة يجذون جميع ثرة مبارיהם ويوفون غالبا ما عليهم من الديون للصناعة وارباب مهارات البناء فمثيل هذه الترغيبات يكثر التجدد للامور النافعة النادرة فالتسويق لغرس شجر التوت لتنمية دود القرز يكون من هذا القبيل

فيحسن ادارة تربيته يكون عدة وعدة لامداد الفبريقات الاوروباوية كما سيأتي توضيح ذلك فيما بعد الفصل الثالث من هذا الباب

وفي اقليم الشرقي نحو أربعين الف فدان من البور اذا صار تعهدتها بالزراعة يتبدل البوار بالعمار وقلة الحصول بالاستكثار وكذلك بالدقهلية نحو ستين الف فدان بدون زراعة اذا انصاحت راجت وكانت كثرا للبراعة واذا تقدمت زراعة الارز بمحوار رشيد ودمياط عما هو جار الان وتحسن تبييض الارز بتكثير الطواحين التي تدور بالآلات المائية فان ارباب الزراعة بذلك الجهات يكتسبون الاموال الجمة من هذا الفرع الذي هو موجود من ارز ايطاليا وأمريقة والاقطار الهندية لا سيما وان بذلك النواحي يوجد من الاراضي البور الصالحة لزراعة الارز نحو اربعين الف فدان

« مطلب »
اطيان مديرية
الشرقية

واما مديرية الجيزه ومديرية القليوبية فانهما تهطيان مصوّلات ممائلة
 لـ « مطاب »
 اطيان مديرية الجيزه ومديرية القليوبية
 على ذلك بصلاحهم لزراعة الفرطه وادا صار اصلاح ما فيهما من البور الذي
 ينافز عما نين الف فدان يكثّر مصوّلها كثرة بالغة وكذلك اقليم القيووم اذا
 استمر على زراعة الزيتون والورد واخذ في الكثرة فان مصوّل هذين
 الفرعين يزيد في قيمته زيادة ذريعة فانه اقليم طريف مصبب بكترة الاجتهد
 وقد تم فن الزراعة فيه وانما يختص منه جزء عظيم من الاراضي لزراعة الغلال
 بقدر الحاجة والباقي تصح فيه زراعة النيله والكتان والبرسيم بتربيه زراعة
 كل صنف بما يلائمه من فصول السنة لصلاحية أرضه للزراعة الراتبة وما فيه
 من الاخراص يقارب ستين الف فدان قابلة للصلاح خاله أراضيه التي فسدت
 بالحروب واغارة العرب قابلة للاستحسان وان يعود خصبهما كما كان
 واما مديرية بنى سويف فهي منبته للحنطة والذرة والفول والكتان
 والنيله والدخان ومع ذلك ففيها من الاخراص نحو أربعين الف فدان اذا انصلحت
 بصير جسمية المصوّل

وفي اقليم الاطفيجية يصح القمح والفول والذرة والدخان وفيه من
 الاراضي الغير المقلحة نحو ثلاثين الف فدان اصلاحها من الواجبات واما
 اقليم الاطفيجية
 اراضي المنية فـ كثرها صالح لزراعة قصب السكر لاسبابها نواحي مليوي (قال)
 الحكيم جالينوس لولا قصب السكر بعصر ما برث أهاليها من العلل سريعا وقيل
 يعمل من قصب السكر نحو ألف نوع من الحلوأ اقل بعضهم واحسن في الجناس
 سبحان من أبدت في ارضنا ما ين شوك وحلافيه
 أنبوية في حشوها سكر قد كان ماء وحلافيه

وألطف منه بكثير قول بعضهم فيه ملغزا

جعلت فدائلك هل لك من حبيب
نبي النور محسول التبايا
له ريق اللذ من الزلال
له قد القضيب اذا ثني
يقام عليه حد القطع ظلاما
ويحصر كعبه من غير ذنب
وهو كثير في الديار المصرية لا يكاد ينقطع عنها الا في خمسة أشهر في السنة
(وقد نقل) عن الشافعى رضى الله عنه انه قل لو لا قصب السكر مصر
ما سكنتها وكان يكثر من مصبه للدنه التي لا يملها أحد وقد تجدد صنف آخر
من قصب السكر مشبع في المائة والحلوة لكنه لا يساوى في اللذة القصب
البلدى وقد كثر هذا الصنف باقاليم مصر ولكن استفحلت أحواله في مديرية
المنيا لشدة صلاحيتها لزرعه وفيها ثلاثة وعشرون ألف فدان من البور فإذا زرعت
تحصل منها محولات عظيمة

واما مديرية أسيوط وجرجا فانهما مشتملة اياض على نحو ستين ألف فدان
بدون فلاحة لكنهما صالحة لذلك ينجح في أرضها الحنطة والفول والذرة والعدس
والنيلية والدخان والسلجم والقرطم والخشخاش وقصب السكر وغير ذلك ومن
أسيوط الى أسنا سائر الارضي صالحه لقطن والكتان والقرطم والسلجم
وقصب السكر والقمح والفول والذرة والعدس واللوبيات وغير ذلك وجميع
أراضيه صالحة لزراعة شجرة البن وانما تستدعي بها أعمالاً خصوصية يعني اذا
خدمت الارض خدمة مخصوصة وزرعت فيها شجرة البن فانها تمثّل اثمارا
عظيماً فهذا تستغني مصر عن بن بلاد البن فالارض الصالحة لهذه الشجرة

« مطب »
طيان مديرية
المنية

« مطب »
اطيان مديرية
أسيوط وجرجا

« مطب »
فللاحية ارض
الحمد الاعلى
لزراعة شجرة
البن

تلك الجهات الصعيدية تبلغ قربا نحو نصف مليون فدان من الاطيان التي تخرست بالحلفاء وبنيرها من الحشائش الطفيليية كالشوك والسعدان ويصح في هذه الاراضي الصعيدية شجر التوت الذي يتغذى به دود الفزل الصميد ينبع الجيز في كل ناحية من نواحيه فيفاج فيه التوت ولا يخشى على دود الفرز فيه من التلف لقلة الامطار والعواصف المتلفة لدود الفرز في بلاد امريقه يمكن في مصر وقايتها والتحفظ عليها من هبوب الرياح الجنوبيه المريسيه بغير الاشجار الملطفة لملك الرياح

وفي اودية الفيوم تاتج اغنام المارينوس ذوات الصوف الموصوف وتتحسين للغاية لجودة مرعاتها ف بذلك يحصل في مصر الاصوات الجيدة وتحتخد منها المنسوجات الظرفية والمشغولات اللطيفة ولا مانع من تحسين اصطبلات عظيمة في جزء من افليم الفيوم وفي جانب من مديرية الشرقية لتح- بين جنس الخيول فان توليد الكحائل العربية وجياد الخيول الدنقالاوية للتجميس على الخيول في اليوم تحسين جنس الخيول المصريه ينشأ عنها أصناف جيدة متجلسة تعتبر من الاصائر وكذلك اصطبلات اصطياب مزاياه اذا بلغت ترعة السويس المرام بوصلة النيل المبارك بالبحر الاحمر فان لا تختص ولا تحصر واذا سهلت المواصلة بين قنا والقصير للأخذ والاعطاء تجديد منازل خانات للماكل وبناء صهاريج تتنـيء من الامطار الشتاوية بقدر لوازم المسافرن واحتياجاتهم فان فوائد هذه التجديـدات مما لا مزيد عليه لراوح المخالطات والمعاملات وكذلك اذا صار العريش الذى بين مصر والشام مركزا للتجارات والبضائع وتأكـدت المعاوضات والمبادلات والأخذ والعطاء بين الاقاليم المصرية والشامية فان القوافل تنقل محصولات القطرتين من احدها الى الآخر مدة الفصل الذى يخشى فيه على السفن في

السير في البحر ولا يؤمن عليها فيه ان يرسى بلا خطر في مينا دمياط فيكون
 سفر التجارة في البر آمن ولهذا يلزم النساء ترعة ما بين مينتي الاسكندرية
 لمن لا يريد التجارة في البر فبانشأها يسهل عبور السفن وخروجها من الأقطار
 الشامية اذا غرست الاشجار في صعيد مصر فانها تحفظ القطر المصري من
 ريح السموم وتقيه من وحمة الهواء المسموم لأن الاشجار العالية الجافة متى
 غرست في الجهات المجاورة للبراري والصحاري وقت المزارع من التلف
 وحفظت الاهالي من الامراض الناشئة في الغالب عن هبوب هذه الرياح
 المسئومة المضرة فادا حصل ذلك كله توفر في قطر مصر الخير والبركة في
 محصولاتها وتواجد فيها من المؤنة والمعونة قوت أهلها فيفيض فيها ما يكفي
 لقوت أهالى جنوب أوروبا ويذكرها أيضا ان يقتدى بها من مراعيها ما ينبع
 عن خمسة الف من الابل وما تبقى الف من الخيل وأربعين الف من الجير والبغال
 واربعة ملايين من الابقار والجواميس وعشرون ملايين من الصناع والمعز وادا تأخذ
 فيها نحو ثمانمائة معمل لترقيد البيض واخراج الدجاج نتج من ذلك خمسة وعشرون
 مليونا من الدجاج وهذا كله ينتج الغنى والثروة مع ما يتجدد بها من العلاقات
 التجارية والتواصل بالمعاملات الاستمرارية بينها وبين جميع المدن التي على
 البحر الماسح من بلاد الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب وببلاد الحبشة ويكثر
 تردد السفن منها بطريق السويس والقصير على المينات العربية والحبشية
 كما تصير موردا لذلك وكذلك اذا زالت مواطن الاوبية والمضار من الجهات
 الجنوبية فان قواقل داخل بلاد افريقيبة تتردد الى ديار مصر بمتاجرهم
 ليستعيضوا بمحصولات فبريقات اوروبا الواردۃ الى مصر وبواسطة ماف مصر
 من الامنية ومساعدة للاجانب والغراب ترسل جميع البلاد اليها الرسائل

التجارية لاطيئاً لهم على نجاح مقاصدهم وفلاح مواصدهم فإذا اتصفت مصر بهذه الصفات وصفت أحوالها هرع إليها كل فريق وحج إليها الناس من كل فرج عميق فهذا يعمر المكان وتكثر السكان وبتجدد البركة يكثُر العمل وتنبسط الحركة فيستدعي حال المدن الأصلية تكثير المدارس العمومية

« مطلب »
استعداداً بناء
مصر قرائبة
الذكى لم يجع
المعرف والمنابع
البشرية

والكتيبخانات الاهلية المشتملة على جميع العلوم والفنون لتنوير عقول ذوي المعرف ويكتير العلماء والمفتونون وتنشر على آفاق مصر أنوار المعارف الخارجية وأسرار اللطائف الإنسانية لا سيما وإن أبناء مصر أرباب قرائع ذكية وحافظتهم قوية متى قصدوا شيئاً تعلموه في أقرب وقت وزمان وكم قام على قابلتهم واستعدادهم لعظام الأمور أعظم برهان

ثم إن تغير حالة مصر إلى حالة مستحسنة لا يستدعي من الزمن عشرين سنة لأن تربتها طيبة ومزارعها مخصبة وواديها سعيد وبها نمو الحيوان والنبات في أقرب وقت ويزيد تثبت الأطفال فيها نباتاً حسناً ويترعرعون في أقرب وقت وتنمو أجسادهم نماء مستحسننا والنوع الإنساني في مصر يتعدى على لطافة الأخلاق وانتظام المعيشة والاقتصاد فيها وعدم التكاليف بما لا يطاق

« مطلب »
نحو بل مصر إلى
حالة مستحسنة
في نحو عشرين سنة

والغالب على أهلها أن تبقى قوائم العقلية إلى آخر أعمارهم بدون أن يحصل فيها خسارة وإذا بلغ الإنسان منهم سن المحرم فلا يتکام بكلام خرافة قال صاحب هذه الملاحظات لا شك أن ما ذكرته من التحسينات ق شأن الملكة المصرية يقع معظمها موقع التحقيق لو دامت هذه الملكة في قبضة الفرنساوية انهم

الغالب
حفظتوى أهل
مصر العقلية إلى
آخر عمرهم في

ونحن نقول من القواعد الأساسية أن علة الضم الجنسية
نعم بينما جنسية الود والصفا ولكنني لم أفهمها علة الضم

فكلامه مبني على شبهة واهبة وهي ان مصر يسوع أن تصاحبها فرانسا
وأى مملكة تكون لها مضاهية فاعتقاد ذلك من الایغال المدحي أو من باب
التشبيهات الفاسدة وإنما يقتل النفوس التشهي تشطير البيت الشهير
جاء شقيق عارضا رحمة صوب بني عم يروم الكفاح
قيل أما تخشى انكسار القنا ان بني عمك فيهم رماح
وفي الحقيقة فأغلب ما ذكره صاحب المحوظات وعليه عول فقد قام
باغلية جتمكان الذى كان هو المجدد الاول وقام بالتنمية والكميل خلفه البيل
فلم تك تصلاح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو سامها أحد غيره لزلات الارض زلاتها
ونقول هنا أيضا ان علة الفساد الجنسية فان بني اسماعيل مستعربة ولا
يعجب من هذا ولا يجهله غير غبي الله أكبر كل الحسن في العرب وسند كر
في الفصل الثالث ما يفيد ان هذه المحوظات لم يعزب منها مثقال ذرة على
المرحوم محمد على

فان تك افتهه الليالي فأوشكت فان له ذكر اسيفي الليالي
بل ولا على خلقائه من بعده لا سيما الحفيد المفید الذى لا زال القطر
المصري يكتسب في ايامه من معالى الامور ويستفيد فالجندان الامجدان
آخر جا المنافع العمومية في مصر من حيز العدم الى حيز الوجдан
وللمكارم اعلام تعلمنا
وللعلا السن تثنى محامدها
وراية الشرف البذاخ ترفعها
مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
على الحميدين من فعل ومن شيم
يد الرفيعين من مجد ومن همم

الثالث

الفصل الرابع

في بيان بلوغ المانع العمومية بالديار المصرية درجة ارتقاء جلية في عهد الحكومة الحالية مع بعض ملحوظات بهية

يفهم من الملاحظات المذكورة في الفصل الثاني أن ينصر من البور الصالح ما ينفع عن مليون فدان وأنه ينبغي اصلاحها والانتفاع بها وأنه ينبغي في القطر المصري تجديد المروج المدبرة يعني المراعي كالبرسيم الحجازي ونحوه وأنه ينبغي لا سيما بالصعيد غرس أشجار التوت وتربية دود القز وتعيم ذلك في البلاد الصالحة له بالأقاليم البحرية وتحسين أحوال الأرض وعمل طواحين الهواء لتبييضه وتنظيفه والاكتثار من غرس القطن واصلاح أراضي الفيوم بزرع الاصناف كالكتان والنيلية والقطن والاكتثار من قصب السكر في الاقاليم التي ينمو فيها كأراضي المنية وملوي وغرس شجرة البن في مساحة عظيمة من ارض الصعيد وتربية اغنام المارينوس الاندلسية في الفيوم وتحسين أنجاس الخيل بتوليد الخيول المصرية من الخيول العربية الاصائل وعمل اصطبلات لذلك بالفيوم والشرقية وتوصيل البحرين الاحمر والابيض لتسهيل الاسفار واتخاذ العريش مركزاً للتجارة مصر والشام وغرس الاشجار العالمية بالصعيد لمنع مضار الرمح السفوم ولتسهيل ورود القوافل من داخل افريقيا الى مصر لاسع التجارة

فهذا مضمون ما أشار اليه صاحب الملاحظات كما يعلم ذلك من مطالعة الفصل السابق ولا يخفى على الخبر باحوال مصر الآن أن كثيراً من ذلك قد كان بحسب الامكان في ايام المرحوم محمد على جنتشكان لا سيما في

أيام من اعتني من بعده ووفى لumar المماـك المصرية بالشروط والاركان فاما ما يتعلق بالبور المذكور فقد انتظم من أيام الراحل محمد على الى وقتنا هذا في سلك المعور إما بالاقطاع والتيليك لقصد الاصلاح واما بالضريره او التأجير للفلاح وغير الفلاح ومن وقت الحكومة الاسمعيلية صار احياء ملئياته الف فدان من الموات حتى قل أن توجد من غير المزرع الا اطياب جزئية في حال عالية او كالحواجز التي انكسر عنها النيل ولم يبق من البور

القليل

واما تجديد المراعي المدبرة فقد تجدد شيء من البرسيم الحجازى في الدواير والاوسى المعتبرة الا ان مصر تزرع البرسيم المعتاد في فصله بكثرة للتشمية ثم عقب الصيف يكثر فيها المراعي بعد الحصيد مجانا ولأكثر علفها اليابس لها عن المروج المدبرة مندوحة

واما زراعة القطن فتحتاج الى زيادة بسط الكلام والتوفيق بالمرام لأنها من انفع المواد للديار المصرية لدخولها قديما وحديثا في المصنع البلدية ومع ان أرباب زراعتها بمصر بأرياف مصر لهم خبرة تامة بفرسها وبما شرها فلا بأس بذكر بعض مسائل تعلق بذلك مما هو جار في شأن زراعة القطن

في البلاد الأجنبية ليكون به كمال المعلومية فنقول

ان شجرة القطن تنتج بالقرب من سواحل البحار والأنهار وفي داخل البلاد بالبعد عن السواحل أيضا لا يضرها الهواء الرطب متى كانت درجة الحرارة كافية بخلاف ما اذا كان الهواء رطبا والمن باردا ولا يصلاح لشجرة القطن البلاد الكثيرة الامطار المتعاقبة لاسيما في ابتداء غرسها وفي زمن تزهيرها وفي زمن جنها فاز المطر في زمن غرسها بوجب العفو عنه للبذر وفي زمن تزهيرها يسقط الازهار

« مطلب »
عدم ضرورة
المروج المدبرة
في مصر

« مطلب »
ذرع القطن
وغرس شجر
التوت وترية
دود القرز

وفي زمن جنحها يقتضي تأخير المحصول ووساخة القطن والاضرار بما يجني
وأما اذا كانت الامطار غير متعاقبة بل متباينة المسافات فانها تنفع لنمو
أغصان هذه الشجرة وكبر حجمها وجودة جنس القطن

ويجب ان تغرس اشجار القطن في الجهات متباينة عن الاورمان
والغابات وأن تكون بحيث لا ينبع ظل الجبال والتلول عَكْنَهَا من اشعة
الشمس لأن الظل يؤذى شجر القطن ولو في الاقطار الشديدة الحرارة
ويسقط ازهارها وكذا الرياح العاصفة والباردة تضر به فينبغي أن يزرع
القطن في الجهات التي ليست عرضة لمبوب الرياح

ومن المحرج ان نفع الهواء مثل نفع النور للزروعات فينبع زرع القطن
في التلول المتوسطة الارتفاع التي تربها الأهوية النافعة وان لا يظلها ظل
وان يكون عمق الارض الدرجة الازمة لها وان لا تكون الارض صلبة
ولا حجرية ولا يابسة فإذا كانت الارض يابسة ينبغي سقيها وتتحج شجرة
القطن في الارض المتخللة المشوبة بالرمل أكثر من نجاحها في الارض القوية
الابليزية وتحج في الارض الخفيفة المليونة أكثر من نجاحها في الارض
الابلية لأن ذلك نافع لتشعب ساقها وتربيتها ومن المحرج انه في الارض
القوية الخصبة ولو أنها تنبو نماء بليغاً وتكثر ازهارها غير ان الازهار تسقط
بالسرعة فلا تنتج المحصول الكثير ومثل ذلك ما اذا كانت الارض شديدة
الرطوبة فان ازهارها تسقط سريعاً وبما حدث من ذلك عفو نه ساقها وبرتها معها
ولا تنبو شجرة القطن كالانمو غيرها من النباتات اذا غرست بالارض
الصخرية والحجرية لأن ساقها لا تجد شيئاً لتخترقه وتنبو فيه ويصلح لغرس شجرة
القطن الارضي الرملية الدقيقة الرمل المشوبة بالطفل أو بالجلير فنحوها في هذه

الارضى وان لم يكن شديد القوة لكن كثير المحصول الجيدا الصنف وسرع
الاستواء وقد ينجح غرس القطن في الارضى المتوسطة الخصوبة التي يتعرّض
فيها نجاح غيره من الزروع والحاصل ان عام نجاح غرس القطن ونموه يكون
في الارضى المحتوية على الرمال الدقيقة السهلة الحمر القليلة الرطوبة وانما ينبغي
الاعتناء باصلاح الارض قبل البذر فيها وينبغي التقطن الى ان ساق شجرة
القطن لا بد أن يدخل في الارض ثمان عشرة بوصة يعني أصبعا لا اقل من ذلك
وانما لا بد لسيقانها من التعریش والامتداد فالارض الصلبة الكثيفة الصعبة
المنافذ لا تلبي لها ولا يدرك الزارع التعمق والتتجنب الاممارة درجة العمق
المطلوب لوصول الساق في الارض ومقدار مسافة البعد المطلوب بين ساق كل
عود مع العود المجاور له امام امارة العمق فيسهل الوصول اليها بحرث الارض
والتعمق فيها بقيمة ثمان عشرة بوصة الى عشرين بوصة واما امارة قدر ممد
الساق من الفراغ لتعريشه فهي تابعة لطبيعة الارضى والمعتاد فوات الفراغ
بين الخطوط بقدر سبعة اشبار ونصف في الارضى الضعيفة وثلاثة عشر
واربعة عشر شبرا في الارضى الخصبة القوية فينبغي للزارع أن ينتخب محلا
محصوصا ويغرس به جملة أشجار بعضها متقارب وبعضها متبااعد فالنجاح منه

يلبعه

وينبغي الابداء بحرث الارض وازالة ما بها من آثار النباتات الطفيلية
والحشائش وان يشق جوفا بالمحراث او بالعزق الان العزق ينفع في الارضى
المفصلة الاجزاء دون السمية القوية وبعد الحمر والعزق يربتها حفرا وشققا
ونقرا ويتركها عرضة للشمس والهواء مدة من الزمن مع تنقية ما فيها من
الاحجار ثم يردها بالثاني باعادة كمية الطين الذي أخذ من جوفها بعد أن

يخالطه بالسبخ ولا يترك مكشوفا فيها بوسة واحدة ويضع في الجزء المكشوف
 تقاوى القطن بالوجه اللاقى وفي كل نقرة يضع من البذر ثلاثة أو أربعة أو خمسة
 ثم يغمر دم النقرة باقى الطين الذى خرج منها ويجعل ارتفاع القرفة مساويا لارتفاع
 سطح الأرض المجاورة لها لئلا تكون مخزن للمياه التي تعفن البذر ويزمأن
 تردم جميع القراءة وضع فيها البذر في يوم حفرها خوفا من اتلافها بنزول المطر أو
 نحوه وينبغي أن تكون أشجار القطن متباعدة عن بعضها لتمكن الهواء والضوء
 منها وينبغي بعد حرت الأرض لزراعة القطن أن تعرفوها الآلة المهراسة لتكثير
 قطع الطين الكبيرة وفكها ومن أهم الأمور انتخاب التقاوى بان تكون كاملة
 النضج سليمة خالية عن العيوب ماخوذة من أثمار الاشجار القوية النمو والا كان
 محصولها ضعيفا وخسيسا وخلينا عن الجودة ولذلك ينبغي لزارع البارع أن
 يتerrick قطعة أرض في جهة من الجهات المعتدلة الهواء وزراعة من الاشجار
 الشديدة القوية ويعدها للتقاوى فينتركت من ما يكون متكاملا في الحب ثقيلها
 في الجرم ولا يخالطه بغیره من الحبوب ثم يبذر منه في الأرض ومن محصوله
 بالخصوص الى أن يظهر له انفاس المحصول في الكمية والجودة فيتدارك
 غیره أو أعظم منه من التقاوى فقد صحي بتكرار التجارب أن تكرار زراعة
 الصنف الواحد في الأرض نفسها يعيديه على مدى السنين تناقص في الجرم
 والجودة فالرجح لمصلحة أرباب الزراعة القطنية استبدال تقاوي أراضيهم
 بتقاوى الجهات المجاورة لهم أو جلب تقاوي أجنبية من الخارج وعلامة الخصية
 في تقاوي القطن أن يكون مفتوح اللون عظيم الجرم وان يكون غلافه
 محتوايا على نقط بيضاء وأن يوم على وجه الماء وعلامة الجيد أن يكون
 صلبا ثقيلا الوزن والغالب عند أرباب الزراعة ان التقاوي تكون قدية من

محصول السنة الماضية وهناك عادة مطروفة في بعض البلاد وهي خدمة التقاوى لانفصال الحبوب من بعضها وتفريغها وتنظيفها من الالياف القطنية المشتبكة بها وطريقة ذلك وضع التقاوى في الماء عدة ساعات ومزجها بعد بالرمل أو الرماد أو الطين المسوس ثم دعكها فيما بعد بعضها فوق بعض باليدي أو بالارجل وبعض الناس يغمسها في الماء اثنى عشرة ساعة لقصد تعجيز اباتها ويحسن استعمال هذه الطريقة في الاراضي اليابسة القليلة الرطوبة وأنفع من ذلك لتكثير المحصول غمس التقاوى في الماء الممزوج بهباب المداخن أو برجيم معاصر الزيوت فانه يقيها أذى الحشرات الأرضية كاللود

ومن العلوم عند أرباب الزراعة ان الارض المتكونة من طرح البحار والأنهر الغزيرة الطبيعية غنية عن التسبيخ ومثلها في ذلك الارضي البور التي صار اصلاحها قريبا وأما ما عدا ذلك من الاراضي فلا يستغني عن التسبيخ وبيان ذلك ان القطعة من الارض يمكن للزارع خدمتها وغرسها بقنا واستحصال منها على ما يشاء من المحصول بشرط أن يكون تسبيخها حسب اللزوم وأن يكون سبخها موافقا لطبعها وان يوضع فيها من السبخ القدر اللازم على قدر الحاجة فوضع السبخ بالقدر اللازم والجودة المطلوبة متعلق بمعرفة الزارع وبطبيعة الارض وأهل الصين هم الذين يحسنون زراعة القطن ويجيدون تسبيخ أراضيهم الا ان استعمال التسبيخ بروث الماشي والخيول قليل جدا عندهم لعدم اعتمادهم بتربية الحيوانات فلهذا يقوون الارض بطين الاهر والخلجان والوديان والبرك وبأنواع الرماد ورجيم عصر الزيوت وبالفضلات الانسانية الا انهم يفضلون الرماد على غيره خصوصا رماد القصب والخيزران والخشائش الطبيعية واوراق الاشجار ويحترسون على تجميع

• مطلب

بيان تسبيخ
الارض المبأة
لزراعة القطن

الاجزاء الصغيرة من اجزاء قطنهم ومن جزورها واوراقها ولو زها وعیدانها فيحرقونها وينشرونها في الارض المعدة لزراعة القطن قبيل غرسه وقد صار الآن رجيع عصير الزيوت مستعملا في اوربا لتسبيخ المزروعات ولا يفترط أهل الصين في شيء أصلا من الفضلات الانسانية فيدخلونها في انبات البقول على الاطلاق لتفوية الابنات وفي جميع البلدان يستعمال بها مائعة أو يابسة على تقوية المزروعات بخلاف أهل الصين فانهم ينتفعون بها في زراعة القطن من وجهين الاول طرحها في النقر مختلطة بكمية كافية من الماء لسقي الارض منها الثاني انهم يخلطونها خطاً جيدا بجانب من الطفل أو من طين المزارع ويصنعون من ذلك اكرا صغيرة وينشفونها في الشمس ثم يسحقونها في وقت الطلب وينثرونها على سطح الارض المقتصى زراعتها وقد يستعمل في بلاد الصين التسبيخ بالجير لاصلاح اراضي القطن كما يستعمل ذلك في بلاد اوربا وهذه الطريقة نافعة لزرع القطن اذا كانت ارض القطن خالية من المادة

الجيرية

و زمن بذر القطن يكون تارة مقدما وتارة مؤخرا بحسب ما يوافق **«مطلب»**
زمن بذر القطن مزاج القطر وطبيعة الارض ومع ذلك فهو دائما قبل دخول الشتاء بشهرين أو ثلاثة في البلاد الباردة الشاحنة والبلاد الحارة القليلة الرطوبة وينبغي بذر التقاوى في الاراضي حين وجود درجة الحرارة المطلوبة فان بذرت قبل ذلك لا تنبت ويصير تعفين البذر وينبغي أن يكون رمي البذر في يوم الصحو ولا يجوز أن يكون في زمن نزول الامطار الكثيرة فانه يترب على ذلك تعفن البذر ايضا

ومن الواجب أن يحافظ المزارعون في كل عام على أكثر مما يلزم لهم من

القاوى لكي يمكنهم اعادة الغرس مرة أخرى فالمزارع المتبصر بالعواقب
يحرص دائمًا على قدر القاوى مرتين فأكثـر

يلبـغي تعهد مزرعة القطن للتنظيف وازالة ما ينـبت فيها من الحشائـش
الطفـيلية والنبـاتـات الاجـنبـية وخلـعـها اما بالـاـيدي او اما بالـاـلاتـ وـكـذـلـكـ يـحـبـ
الاعـتـنـاءـ بـعـمـلـيـةـ تـقـلـيمـهاـ تـقـلـيمـهاـ جـزـئـياـ اوـ كـلـياـ وـيـلـبـغـيـ الـاعـتـنـاءـ بـهـاـ فيـ زـمـنـ بدـوـ
ازـهـارـهاـ وـأـعـارـهاـ وـالـاعـتـنـاءـ بـكـيفـيـةـ سـقـيـهاـ

« مطلب »
الاعـتـنـاءـ بشـجـرةـ
القطـنـ فـيـ اـنـاءـ
اـنـشـاءـ اوـ نـوـعـهـ

ويـانـ ذـلـكـ أـنـهـ متـىـ شـوـهـدـ أـنـ الحـشـائـشـ الـاجـنبـيةـ زـاحـمـتـ عـيـدانـ شـجـرـةـ
القطـنـ النـابـتـةـ يـحـبـ عـزـقـ الـأـرـضـ وـتـنـظـيـفـهـاـ منـ الحـشـائـشـ وـقـدـ جـرـتـ العـادـةـ
أـنـ أـبـذـارـ شـجـرـةـ القـطـنـ تـخـرـجـ مـنـ الـأـرـضـ بـعـدـ مـضـيـ أـسـبـوـعـ مـنـ بـذـرـهـاـ إـذـ
كـانـتـ الـأـرـضـ مـحـتـوـيـةـ عـلـىـ درـجـةـ الـأـلـيـونـةـ الـلـازـمـةـ وـكـانـ الـحـرـ شـدـيدـاـ وـمـعـ ذـلـكـ
فـقـدـ يـتـقـدـمـ الـأـنـبـاتـ اوـ يـتأـخـرـ عـدـدـ أـيـامـ بـحـسـبـ مـاـ يـقـضـيـهـ مـزـاجـ الـقـطـرـ وـطـبـيـعـةـ
الـأـرـضـ وـتـكـوـنـ تـنـقـيـةـ الـحـشـائـشـ فـيـ المـرـةـ الـأـوـلـىـ متـىـ بلـغـتـ عـيـدانـ القـطـنـ
أـرـبـعـ اـبـهـامـاتـ اوـ خـمـسـةـ اوـ سـتـةـ يـعـنيـ متـىـ مـضـيـ شـهـرـ كـامـلـ تـقـرـيـباـ بـعـدـ الـبـذرـ
وـأـمـاـ يـلـزـمـ الـاحـتـرـاسـ مـنـ اـتـلـافـ الـعـيـدانـ الصـغـيرـةـ الـمـسـتـورـةـ بـالـحـشـائـشـ وـالـاحـسـنـ
استـعـمـالـ الـيـدـ فـيـ قـلـعـهـاـ اوـ بـالـنـجـلـ الـمـقـورـ وـكـذـلـكـ يـلـبـغـيـ فـيـ عـزـقـ الـأـرـضـ الـاهـمـاـمـ
بلـغـ عـيـدانـ القـطـنـ الـضـعـيـفـةـ وـابـقاءـ الـقـوـيـةـ لـلتـخـفـيفـ مـعـ الـاحـتـرـاسـ مـنـ أـنـ
لاـ تـزـحرـ حـالـعـيـدانـ الـبـاقـيـةـ عـنـ مـكـانـهـاـ وـلـاـ تـلـفـ جـذـورـهـ وـمـنـ الـوـاجـبـ
لـتـشـيـيـتـ الـجـزـوـرـ وـتـكـيـيـنـهـاـ بـعـدـ خـلـعـ الـعـيـدانـ الـضـعـيـفـةـ أـنـ يـصـيرـ دـكـ الـأـرـضـ
بـالـجـلـ فـيـ جـمـيعـ أـجـزـاءـ الـغـيـطـ وـهـذـهـ الـعـمـلـيـةـ تـكـوـنـ فـيـ التـنـقـيـةـ الـثـانـيـةـ يـعـنيـ متـىـ
بلـغـتـ الـعـيـدانـ فـيـ الـاـرـفـاعـ ثـانـيـةـ عـشـرـ اـصـبعـاـ وـيـقـالـ لـهـذـهـ الـعـمـلـيـةـ عـمـلـيـةـ الدـورـ

الثـانـيـ

واما الدور الثالث فيكون في وقت دخول زمن التزهير ولا يجب عمليات اذا نبتت الا زهار وظهرت لانه يخشى في ذلك الوقت من سقوط شيء من الا زهار بعملية العرق والتنقية فان المزرعة اذا حسنت تنقيتها قبل دخول التزهير فان العيدان تكون في هذا الاواني مظلة على ما تحتها من الارض فلا تضرها النباتات الاجنبية ومع ذلك فمن اللازم ان تكون الارض دائماً بالتلطيف نظيفة تقية خالية من الحشائش الاجنبية بحيث لا يصير ابقاء الحشائش الاجنبية حتى تنمو وظهوره ويلزم انه لا يمس قشر جذوع اشجار القطن جرم اجنبي فيلزم لهذا عرق الارض وتنظيفها ثلاث مرات فأزيد في العام الواحد خصوصاً في مزارع القطن التي تزرع بالسوق لانها في الماء تكثر بها الحشائش الاجنبية فيجب تعهد هذه الحشائش بالقلع وبعادها خارج المزرعة

ويكون تزهير شجرة القطن بعد انباتها على سطح الارض بحو خمسة أشهر بل بما دون ذلك في الاقطان الحارة وبأزيد من ذلك في الاقطان الباردة وكذلك بدو مرتها قد يتقدم او يتأخر حسب مزاج طبيعة القطر وسن الاشجار ولا مانع من ابتداء جني القطن في آخر الشهر الخامس او السادس وتقل العمليات المقتضي اجراؤها في اثناء زمن التزهير الى استواء الاعمار وربما انحصرت جميع العمليات في تقطيم الفروع الميتة ويجب على الزارع الماهر أن يستيقظ بين مسافة التزهير والنبات لحفظ الشجرة ووقايتها مما يعتريها من الآفات

واما سقي شجرة القطن بالبلاد الحارة اليابسة فهي اعظم ما تعين على انبات النباتات فان الماء اقوى الاسباب الموجبة لاحياء الارض وخصوصيتها

وبدون اعطاء الارض حقها في السقى لا تجدى ولا تثمر ولو توفرت الشروط
الاخرى فسقى الارض فى الاوقات الازمة عليه نجاح زرع القطن فلا
 تستغنى اشجار القطن عنأخذ حقها من الماء خصوصاً فى الاقاليم الحارة
المتمكنة منها أشعة الشمس الحرقه وينبغى أن يمحترس فى السقى أن لا يكون
 زيادة عن المفنن

فقد ظهر بالتجارب الصحيحة ان سقى القطن اذا زاد عن المفنن ينقص
 جودة جنس القطن وسواء كان ذلك فى زمن حرث الارض أو بذر التقاوى
 فينبغي أن يكون تقسيم المياه وتوزيعها بحسب الحاجة
 ثم ان السقى للاراضى القطنية وريها قد يكون لازماً قبل دخول زمن
 البذر وتارة يكون عقب اتمامه والارجح ان لا يصير سقى الاراضى المبدورة الا
 بعد البذر بخمسة عشر يوماً او بعد تخفيف الارض من أعواد القطن الضعيفة
 مالم تكن المزرعة كثيرة البيوسنة فإنه ينبعى الاهتمام بسقيها عند مجرد الابيات
 وقد يتعتى في بعض البلاد برى الحفر المعدة لبذر القطن وتركها مدة من الزمن حتى
 تنشف قبل وضع التقاوى فيها

ولا يمكن تحديد زمن لسقى الارض ولا تقدر كمية الماء الذى يسقي به
 بل هذا موكل لمهارة الزارع حيث يراعى ما يوافق مزاج قطر بلده وطبيعة
 أرضه حيث أن الأرض المرملة المتشققة تسقى أكثر من الأرض الطينية المتكائفة
 التي من طبيعتها الرطوبة وكذا اذا كان القطر حاراً يابساً قليل الامطار يلزم
 توافر السقى مالم يكن معتاداً بكثرة الندى لأن نفع الندى في كثير من البلاد
 مثل نفع الامطار ولذلك كثير ما تنجح شجرة القطن وغيرها من النباتات
 الشديدة الحرارة المعدومة الامطار

واما اذا صار تسبیخ أرض القطن فلا بد من سقيها وفيض الماء فوقها ولا مانع من استمرار السقى كل خمسة عشر يوماً مرتين كان من كل الأرض وزاج القطر صالحاً لذلك وهذا في غير زمان الأثار وبعضهم يقول ان السقى غير لازم من ابتداء التزهير ويرجح ذلك لأن الشجرة في زمن تزهيرها موجود بها ما يكفيها من الفواعل المعينة على تعذيبها لاسيما وأن ساقها معطلي بما يظله من الفروع والأوراق التي من عادتها تجديد الرطوبة المساعدة على تنفسها
الأثار وبلوغها حد الكمال

واما غرس شجرة التوت وتربيته دود الفرز بالديار المصرية فيحتاج أيضاً الى بعض اطباب فنقول ان من المعلوم أن التوت مألف الغرس عند العرب ويسمى الفرصاد قال ابن وحشية صاحب الزراعة التوت أنواع يخالف بعضها بعض في الطعم والطبع وفيه ألوان فيه الأبيض والأسود والآخر والأصفر والأخضر وكذلك طعمه فيه الحلو والمر والتفه وأكثر ما يتخذ غرساً وتحويلاً وأجود ما ينبت منه ما يأكله بعض الطيور الموجودة في البساتين وزرقة لأن بذر التوت لا ينهض في معد الحيوانات كلها فالطيور يأكله ويزرقه على شطوط الامطار وتحت سقوط مجاميع الأمطار فينبت بتاتاً جيد الا أنه إذا وقع إلى الأرض من جوف الطائر وقع وزبله معه فينبت بسرعة والطيور التي تحب لقط ثمر التوت كثيراً هي الفواخ ودوراشين والعصافير والغربان وهذا النبات يوافقه الماء موافقه كثيرة وليس له زبل يختص به بل جميع الأزبال على اختلافها موافقه له ويحتاج إلى التسبیخ مرتين في السنة وقد ينبت في البراري بنفسه ويعظم فيها إلا أنه إذا نبت بقرب المياه وعلى اطراف الامصار كان أجود ويوافقه ريح الجنوب وتلقحه لقادحه سناً وهو يدعى رقه إلى أسفل الأرض

كالكمثرى وغرسه في أول شباط والى آخر أدار وترس أصوله بعروقها
و قضبانها انتهى كلام ابن وحشية

وقال ابن بصال وجه العمل في غرسه ان تحرف له حفر رقيقة ثم يغرس كما
يغرس التين ومن الناس من يغرسه كما يغرس الرمان او تارا اذا نبت عروقه حول
(قال) أحمد بن وحشيه التوت أعز الاشجار لأن دود القز لا يأكل الامنه
ومنافعه كثيرة جداً وقد قال المعتصم العباسى لعمال البلاد استكثروا من شجر
التوت فان شعبها حطب وثمرها رطب وورقها ذهب انتهى قال الشاعر في ثمر
التوت

و مختضبات من نجيع دمائها اذا حبست من بكرة الغدوات
تکاد بأن تطفي اذا ما لمستها فأرجحها من سائر الثمرات
ولما من الله سبحانه وتعالى على الملكة المصرية بتقدمها في طريق التمدنات
العصريه وفد على مصر كل وافدو قصدها كل قاصد من له نصيب في المعلومات
الصناعية والนาيل التجاريه والزراعية رجاء ان يجده في مصر نصيه في الغنيمه وأن
يروج صناعته بانفس قيمة فكان من حضر من بلاد فرنسا شخص يسمى
الفونس غوطيه من أرباب الزراعة يتثبت بفلاحة غرس التوت وتربيه دود
القز واستخراج ابراره المسماة بالشنارق وطرق حلجه وتصفيته وتنظيفه وكيفية
غزله وهذا الوافد كغيره من الوفود الاجراب انما حضر الى مصر رجاء ان
يجده فيها نصيه من الربح بمحولان النظر فيما يبديه من التعريفات لتنمية هذه
المصنوعة فهو متثبت بالتجربيات والعمليات من منذ ستة أشهر يجتهد كل الاجهاد
في تجارييه العديدة وهو الان مشغول بتجربة ذلك في الجزيرة بأمر عزيز
مصر الجالب لها الفوائد الفزيرة ويقال انه كان قد نجح أيضاً في تربية دود

القز بالاقاليم البحريه وظهر له أن استخراج الحرير من غرس شجر التوت
وتربيه دود القز واستخراج الحرير منه يزيد في عمارة مصر وفي مصانعها
وأروتها

ونص عبارته فيما كتبه في هذا المعنى قد كان محصول القطن في العهد
القريب بغية تجارة مصر وزراعتها وكان الاشتغال به مستوليا على عقولهم وجل
مراهمهم وأقوى غرامهم وأغلىهم يحبس رأس ماله عليه ولا تميل نفسه الا
إليه ولم يخطر ببال أحد منهم أن يميل إلى غرس التوت ولا تنبه للاستحصال
على الحرير ولا استيقظ لما يترتب عليه من النافع العمومية المهمة مع أنه
أيضا منبع الغنى والثروة والظاهر أنه لم يعزب ذلك من عقول التقدمين منهم
وانعاما لم تساعدهم الأوقات والاحوال ولا أعانتهم على ذلك ولاة الأمور في
الازمان السابقة والآن قد حان أوان الوعظ باتخاذه ولعل الوعظ فيه يقرع
الاسماع ويؤثر في النفوس الزكية المحرصة على جميع انواع الانتفاع ولا أنفع
لمصر من غرس التوت لتحصيل الحرير فانه ينشأ عن ذلك الخير الجليل والمعنى
الغزير فان غنى مصر يكون في المستقبل بدون الاستحصال على الحرير ضيق
الدائرة كما يكون كذلك بدون القطن فان زراعة شجرة التوت القزى لم يأخذ
من اراضي مصر الا الاماكن الخالية الان عن الغرس فإذا اضمت من
الآن فصاعدا زراعة هذا الصنف الى زراعة القطن على طريقة حسنة فلا
ينقص ذلك من اراضي مصر شيئا ولا ينقص كمية زراعة القطن
في هذه الطريقة الجامحة بين الزراعتين يزيد غنى أهالي مصر عما كانوا
عليه قبل كسراد القطن عقب صلاح أمرية ولا شك أن كل عاقل يتنى شدة
الاعتناء بغرس التوت بقدر اعتناء الحكومة بتنمية القطن لا درا كه احتياج

الصناعات الى الاقطان فكذلك المنافع العظمى تستدعي نمو الحرير لرواجه
 فان مصانع فرنسا الآن في اشد الاحتياج الى الحرير وهو مطلوب أيضا
 لمصانع ايطاليا واسبانيا نعم ان بلاد يابونيا والصين والهند والدولة العثمانية
 محظوظ منها هذا الفرع التجارى الصناعي الا انه لا يفي بحاجة الصناعة لعموم
 الجهات وحيث ان الاقاليم المصرية مملوكة مستجدة بالنسبة للصناعات الحالية
 ومتشبطة بالحصول على درجة الكمال فاستخراج الحرير فيها يكون من صالح
 صالح فاذا غرس فيها أعواد التوت الصغيرة فلا تذكرت مدة الا ونجمد
 وتعلو اذ ليس من الشجر ما يقوى على الشموخ مثل شجر التوت ولا من
 البلاد التي في دائرة البحر الا يض روسي من له هذه المنقبة مثل مصر ففيها
 يكثر ويضعف جميع الجهات فان الحرير الآن فيسائر البلدان متتجاوز الحد
 في الامان فلا يقدم على شرائه الا أصحاب الاموال الجسيمة وهم الاغنياء
 المفرطون في جمع الاموال فهم يغتنمون فرصة احتكار زراعته او الاستيلاء
 عليه فلا يكادون يخرجونه الا بالامان الغالية لقلته فتكثيره في بلاد الدنيا لا
 يكون الا بواسطه الحكومة المصرية حيث مواقعها الطبيعية اصلاح الواقع
 لزراعته اذ ما فيها من التوت العجوز يحصل منه حالاً بواسطه التربية والخدمة
 أجود ما يكون من الحرير فاذا صار تقليمه بمعرفة اهل الصناعة بالطريقة
 الالزمة زاد محصوله وسهل اجتناء ثمره ثم تعرس عيدان التوت الشابة بترتيب
 اطيف فيتحصل منها اوراق ظريفة مع حسن الاقتصاد في مصاريف الصناع
 المستخدمين لذلك

فاذا صار في الاقاليم المصرية الابتداء بخدمة الحرير الكثير المحصول
 على هذا الوجه في الاقاليم البحرية فإنه يصير كثير الارباح جداً ولا يضر في

الزراعات الأخرى فان غرس اشجار التوت يكون علاوة على غيره من الزراعات حيث يغرس على حافات الترع والخلجان العديدة وعلى الطرق الكبيرة والصغيرة العمومية والخصوصية وعلى حدود الشفالك والأواسى والأراضى المملوكة والأتربة وعلى الجسور وأسوار المدن والقرى والكافور تكون أشجارهم مظلة حول القرى والغيطان والكرفوم والبساتين وهي أعظم ما يكون في الوقاية من حر الشمس

فإذا تم غرس هذا الصنف على هذا الوجه فإنه يكون في آن واحد ابتداء مغروبات سريعة الانبات بدعة المحصول ولا يخفى أن مديرية البحيرة واسعة الاراضي المسطوحة فإذا غرست شطوط ترعها باشجار التوت كان لها منظر الظرافة والثروة وتعد من المنتزهات الخلائية يستظل الفلاح تحتها وقت الاستراحة ويستريح المسافر عندها وارباب السياحة وتحجب الرياح الشديدة المحبوب وتلطفيها وتنعم شدة مضرتها وحدة أذها لا سيما في أيام القيلظ وحرارة الحمسين وتنفع أيضا هندمة الطرق المدبرة لتحسين حصيد جوز الحرير فإنه ينمو فيها الغرس فتكون تربية الدود تربية متواالية وأجود من تربيته في أوروبا إذ ثمر دود القز يخرج أربع مرات في السنة كما يحصل في بلاد الصين والهند وياپونيا وفي مملكة برمان وكما أن مصر صالحة لدود القز استخراجا بزراعة التوت فهي صالحة لحاجه وتطهيفه وغزله وصناعته أكثر من غيرها فينجعل فيها كل النجاح إذ يحصل منه أصناف جيدة متنظمة بهيجية النعومة واللون والقوه والتهد واللابن مستكملة لجميع ماتستدعيه جودة هذا الصنف بخلاف الحرير في أوروبا فلا يعطي إلا محصولا واحدا فان شهور فصل الشتاء طوله الليالي كثيرة الرطوبة وجبة لاستخراج

الحرير من جوزه فتحتاج إلى كثرة المصارييف للاحتراس والتدارك
 وكذلك فصل تربية الدود غير مواقف في تلك البلاد فإن الدود يضعف بواسطة
 دى الربع ويضر بالأوراق الشابة المتتجدة في أو ان توليدها للحرير وفسحها فهذا
 تكون التربية بطيئة فيقاسى الدود مدة ما يقامى من التعب ثم يتغير الربع بالصيف
 فينضج الدود بفتحة وبخأة فتنشف الأوراق وتحترق فتخيب التربية ولا يحصل
 المقصود منها بل يعتري الدود أسباب الأمراض فلا تصادف التربية محلا
 في الغالب بلاد أوروبا وأما في بلاد الهند والصين وياпонيا فلا يمنع الحر من
 تربية دود القز بل له فيها منفعة فإذا احتاج الحال إلى ترتيبه وتعديلاته فان ذلك يحصل
 برش العامل بحسن التدبير وأماز من البرد والصقيع الذي يقع في أوربا في فصول
 البرد ولو في الربع والخريف فلما يكمن مداواة نزول الصقيع فيها من أسباب مرض
 الدود فليس له علاج أبدا على أوراق الشجر القرفة المتتجدة فيكون الصقيع
 فمن هذا يفهم أن مصر صالحة جداً لتربية دود القز ولا يساويها في
 الصلاحية لذلك غيرها من البلدان فيها يحصل الغنى والثروة زراعة وشغلافان
 زراعة التوت متى تجت وتحت التربية والاستحواذ على جوز الحرير ترب
 على ذلك نتاج المصانع والمشغولات الحريرية اذا ليس في اقليم مصر مانع يمنع
 من ذلك كله لاعتدال اقلיהםا وجود الحرارة الملائمة للتربية بها واستواء
 الحرارة في فصل الربع الذي هو عبارة عن برمبات وبرموده وبشنس وهذه
 الشهور الثلاثة تكفي لتربية دود القز فهي صالحة له من جهة مزاج القطر
 وموافقة أيضاً للدود القز من جهة أخرى وهي مواطنة أهلها على أشغال
 الزراعة والفلاحة وعلى أشغال التربية والجنى والقصد فان لين أعضاء الاولاد
 والبنات يوافق شغل الحرير اذ شغل الحرير يحتاج إلى شيئاً وهما خفة البدى

والشروع على الحرير وأبناء مصر متوفرون في ذلك كله بخلاف أوروبا فوجب أن تكون مصر مثيرة في المواد الحريرية الأولى غرساً وتربيه وأن لا تجلب حريرها من الخارج وأن تستغل المشغولات الحريرية الدقيقة والغليظة بنفسها في مصانعها وأن تخالص من ربة شراء الحرير من البلاد الأجنبية بالاعتراض الفاليه فانها الى الان تصرف الاموال الجسيمة على الاستحصال على الحرير فيجب عليها ان توسع دائرة مصقولاتها وتجارتها فإذا وصلت الى اقصى درجات جهدها في تربية دود القز اتسعت دائرة في غزله وفته سريعاً وفي صناعة نسج الحرير ومشغولاته فتأخذ من حرير بلادها مقدار ما يكفي ل حاجتها وما زاد على الحاجة من الخام والمشغول تذهب الى البلاد الأجنبية ليما فيها بالملايين من الاموال وهذا خير من أن تبقى على حالتها الأصلية فاقده لهذه المزايا مقتصرة على اشتاء الحرير المصنوع أو غيره من البلاد الأجنبية

فمن أمعن النظر وأنعم الفكر في تربية دود القز بالديار المصرية ظهر له بالحساب الصحيح مقدرات الارباح الجسيمة التي تكتسبها مصر من هذا الصنف فان صناعة الحرير لم تزل الى الان في ديار مصر قليلة التقدم بالنسبة لغيرها من الملك وبالطريقة السابقة تقدمت ماعظماً بحيث تم سائر الجهات المصرية وعند باطراها أو كنافها الان العمدة في مشغولات الحرير وأقشتها على صبغتها ولو انه ومياه النيل المبارك تساعد كل المساعدة على حسن الصبغة واللون

مطلب مساعدة مياه الينبوب على حسن اللون بالصباغة مما به تزيين المشغولات الداخل فيها الحرير كالمناديل والمحارم والملابس فجميع مشغولات الحرير تبلغ الدرجة العالية في عدة من السنين بشرط أن يحصل التشويق من الحكومة المصرية للحرير كالتشويق الحاصل الان

لزراعة القطن حيث اتسعت دائرة مزارعه بعنایة الحكومة كما هو ظاهر
للاعیان وغنى عن الدليل والبرهان هذا ما ابداه موسیو فونس غوطیه الموى
الى في هذا الفصل بصرىح قوله

ومن المعلوم ان ملاحظه فى محله وانما فيما سلف كان قد شرع فى تربية
دود القرز جنتمكان المرحوم محمد على وحصل من ذلك النفع الجلى ولا زالت
الى الان تربية دود القرز فى حيز الموجودات وانماهى مقصورة على بعض
جهات فى المديريات فإذا حصل التعميم كان بالنسبة لتقدير صنائع الوطن
معدودا من النفع العظيم وأماما أشار اليه صاحب الملاحظات المذكورة
من تحسين زراعة الارز فلا يجهل انسان أن زراعة الارز فى الاقاليم البحريه
ملتفت اليها كل الالتفات ولها خصائص ومزايا بمعافاة زراعتها من كثير من
العمليات وأنه قد تجدد فى أكثر دوايرها للتنظيم والتبييض كثير من
الواجبات وقد صبح بالاجماع والاتفاق على أن أرز مصر أجود من غيره
على الاطلاق فأرز عين البنت أجود من ارز أمريقة وأرز ايطاليا الخارج من
من أرض البنادقة وهذا الرأي لا ينافي ما قضى به قضاه المرض الباريسى من
الحكم بالاولوية والامتيازية لصنف أرز ايطاليا لأن مطمح نظرهم فيه اعما
كان للون فإنه أشد أنواع الارز بياضا فهو بهذا المعنى يعجب الناظر أكثر
من أرز مصر

واما أرز أرض مصر فهو وان كان دون ما ذكر في اللون الا انه
شتان ما بينها في الطعم فلا يفوقه في طعمه صنف من أصناف أرز الدنيا لا
سمى نموه بالتنضج نموا وافرا فهو أخص أو صافه وأماما أشار اليه المؤلف
المذكور من غرس قصب السكر في مديرية المنية لصلاحيتها له فهذا أمر

« مطلب »
تحسين زراعة
الارز بالاقاليم
المصرية

« مطلب »
غرس قصب
السكر في
مديرية المنية

معنى به من أيام المرحوم محمد على كمال الاعتناء وأعظم من اعنى بفرسه والآثار
 منه واستخراج أنواع العسل والسكر مما يكفي القطر المصري هو المرحوم
 ابراهيم باشا فإنه عمم زراعته في شفالكه التي بغير الصعيد وبالصعيد بمنطقة
 أو غيرها حتى نافست مصانعه السكرية مصانع الأفرنج وهو أول من جدد
 الابورات لسوق ذلك وصناعته وجاب القصب الجمايكي حتى انحطت مصر أيام
 السكر وقد كان الاوربايون يتغالون في أيامه كل المغالاة وتبعه في ذلك كثير
 من دواوين الذوات وأوسىات الاهالي حتى كاد لا يخلو منه قسم من الاقسام
 المصرية لكثرتها أرباحه ثم لما آتى الدواوين الإبراهيمية أى أغلهما نجله
 الخديو الأعظم اتسعت مصانعها وكثرت ابواباً هاربة واعظم مخصوص لها حتى كادت
 تجارة أوروبا في السكر أن تكون كاسدة في القطر المصري خصوصاً سكر
 مصر لا يفوقه في الجودة والحلوة غيره وأماماً أشار إليه من غرس شجر البن
 في الصعيد وأنه يمكن أن يخصص لفرسه مقدار جسيم من الاراضي فالظاهر
 أن الحكومة لم تعنى بذلك لأنها سبق تحرره وأنه لا يبلغ في الجودة درجة
 البن اليمني بل يكون دونه بكثير ونهاية الحال أنه يصير كالبن الخارج من جزيرة
 فرنسا وغيرها المسمى بالبن الأفنجي وهو قليل الرواج باليارات المصرية وغيرها
 من البلاد حتى أنه على كثرته في بلاد السودان المصرية ورخيص منه لا يستوي
 أحد بجلبه إلى الديار المصرية لأن شرب القهوة بديار مصر وغيرها بالبلاد
 الإسلامية إنما هو من قبل السكيف والتلذذ بالنكهة كشرب الدخان وقل من
 يستعمل القهوة ممزوجة بالبن وحده أو مع البيض للا كل بالخبز كما يستعمله أهل
 أوروبا بكثرة فية نعون بأبي بن كان على أنما كثراً تجارة مصر يتجرون في البن اليمني
 ولهم فيه عملاً وشركاء فهو من أهم التجارة اليمنية فالمقصود الأعظم الذي

هو الربح حاصل بذلك فعلى فرض غرس شجرة البن بمصر وفلاجها تكون
عدية النكهة كالدخان البلدي بالنسبة للجميل والصوري وكالذاك البلدي بالنسبة
للمجمي والمحجازي وعلى كل حال فيليست الحاجة ماسة لغرس شجر البن في
مصر بل ربما عدم الامور النافلة لأن ماينبغى تجديده هنا من المحسنات ان
لم يكن عظيم الجودة أو تدعرياليه الحاجة فالتشبث به ليس تحته عظيم طائل
وأما ما ذكره صاحب المحوظات من تربية أغnam المارينوس في الفيوم فرأيه
فيه أدق من رأيه في غرس شجرة القهوة فتربيته المارينوس محض منفعة لا مخض
شهوة اذ القهوة محض كيف ولهذا انكر على متعاطيها بعضهم وهو الخطيب
غير القزويني والشرييني ورد عليه بعضهم بقوله

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة الذيب
ثم طيبوا وعربدوا واصفعوا إلى قفا الخطيب
(وقال آخر)

قهوة البن حرمت فاشربوا قهوة العنبر
ثم قوموا وعربدوا واصفعوا من هو السبب
وقال بعضهم في مدحها

بنت الدنان وشنفتلى الفناجيننا
نادته عشاقه يا ألف ناجينا
دعت الى نحو ما فيه البقاء ولو
لوأن ألف امرىء طافوا باساحتها
ثم ان أغنم المارينوس المقصودة بالتربيه هي الاغنم الاندلسيه ذات
الصوف الناعم والصوف من حيث هو في جميع بلاد الدنيا قدماً وحدينا

« مطلب »
اقمية اصحاب
الصوف الصناعة
واقمية العلاحة
ويبيان من اخترعها
من الام

مرغوب حتى انه يعتبر من اول عمر الدنيا ومن تاريخ الخلقة كأنه يتجدد للصناعة
 والنسيج فلا شك انه معلوم الصنعة في الاذمان الاولية فهو قرب الفلاحة
 التي هي معلومة قبل الطوفان ولم تعطلها حادثة الطوفان ولا أبطلتها فقد دلت
 التوراة على أن نوح عليه السلام لما نجا من الطوفان بسفينة اشتغل بحرارة
 الارض وعلم أولاده الناجين معه ما كان يعرفه في أصول الزراعة وقد ذكر
 قدماء المؤرخين أن العراقيين والكنعانيين والمصريين اشتغلوا بالفلاحة من
 الاذمان القديمة والأعصر الخلالية حتى ان المصريين كانوا يعتقدون أن اول
 مخترع للزراعة أسلافهم وزعم أهل الصين ان لهم الاسبقية في ذلك قبل غيرهم
 وأن اول رؤساء ملتهم هو الذي اخترع علم الفلاحة والحق بالأخذ من
 التواريخت الصحيحه الجامعه بين الاقوال المختلفة ان قدماء الامم لا ضطرارهم
 الى القوت والمؤنة كل منهم اخترع علم الفلاحة وبرع فيه ومن أقاليمهم التي
 لها الاسبقية في مزاية الاختراع انتقلت الزراعة الى غيرهم بالتدريج وان جميع
 الامم اجمعوا على ان الزراعة امر مهم وادركتوا انه علم نفيس ولا يقتدر على ابتداعه
 من حيث كونه على الا أرباب العقول الذكير فنسبوا اختراع علم الفلاحة لا كابر
 عقلائهم وفي كتب اليونان ما يفيد انهم تماهوا الزراعة من مصر وقال الرومانيون
 ان هذا العلم وصل الى بلادهم يعني الى ايطاليا من اليونان ومن مصر نعم الحق أن أهل
 الصين يعنون بزراعة الارض ويجهدون في تكميل علم الفلاحة وما يدل على ذلك ان
 لهم عيدا مشهورا في كل سنة بمدينة تو نكين وهو يوم مشهود يحضر ملوك الصين
 بهوك عظيم مع اعيان دولته فيأخذ الملك المحراث ويحرث قطعة من الارض بنفسه
 وينتهي هذا الموسم بليلة عظيمة على طرف الملك وهذا اليوم معدود عند اهل الصين
 من ايام المؤاسم والافراح الاهلية وفي محفى هذا اليوم لا يدور على السنة الجم

« مطلب »
 شهيف ملك
 الصين لزراعة
 حرثه بنفسه قدرًا
 من الارض في
 يوم مشهود

الفغير والجوع المكارة من الحادثة والمذكرة غير السamarات المتعلقة بخصوص الزراعة وإنها ام النعم و زينة الام و جميع أهل الزراعة من مبادي أمرهم يعتنون بتربيه الماوشى لاسيمها الغنم وبطريق تحسين حالها ونماجها فكانت الغنم في الازمان السالفة أصل ثروة سكان المعمورة حتى ان الرومانين كانوا يعدونها عاصي الفلاحه لكونها

« مطلب »

الاعتناء بتربيه
الموانئ لاما
تربيه الغنم

« مطلب »

الاعتناء بتربيه
الغنم البيض
عند الرومانين
والنهى عن ذبحها

ألزم الاشياء لطريق التعديش وكانوا يخذلون العاملة من جلود الغنم يطبعونها بطبع
السكة وقد مكنته الغنم البيض مدة نحو ستمائة سنة في بلاد الرومانين يحسنون
تربيتها وتنميته ولا يهملوه فيها حتى انهم ربوا ما مورين لتفتيش عليهاف كانوا لا
يعدونها للذبح بل أصوافها البيضاء معدة للصناعة ومن أهل في تربية الماشية
على العموم وتنمية الغنم على الخصوص عاقبوه بدفع المغام الجسيمة ومن
أحسن تربية ذلك وتنميته كافأوه بالجوائز السنوية وشوّقوه بالتحف البهية
والانعامات لا سيما من جلب من الخارج من ذوات الاصواف الجيدة الى
موطنه حيوانات للتوليد وكان الرومانيون ينسحون من هذه الاصواف
جميع الملابس المختلفة والامتنعة المتنوعة كالجلارى الان عند المتأخرین من الام
فكأنوا يبحثون مع غاية الاعتناء عن الاصواف النفيسة الجامدة بين الطول
والنعومة واللين كالصوف الانجورى وكصوف نابلي وأثينا وملطيه
وسيواس وكلها أصواف ممدودة ولم يكن في ذلك الوقت يخزن من الاصواف
اليونانية في التجارة الا أصواف خشنة لا تصلح للمصانع الا بالتنظيف ما
عدا أصواف أثينا فان أصواف أغناها تضاهي أصواف أغنام اسبانيا المسماة
بالماريروس مع النعومة التي تجدت في الازمان الا خيرة فهذه الاغنام
الاندلسية انتقلت فيما بعد الى بلاد الانكليز والفلمنك فأتقنت هذه الدول
تربيه هذا الصنف وزادت كمية مخصوصه بتربيته حتى ان ولاية اسبانيا كانت

« مطلب »
 جلد ادوارد
 ملك الانكليز
 من انسانيا
 مقاوم احسيا
 من القوى العظمى
 الى مملكته للتربية
 مملكة الانكليز فن هذا الوقت افتح منبع جديد للثروة والغنى والسعادة
المالية خزينة الملكة والتجارات المائية

« مطلب »
 ورود نوع
 مخصوص من
 غنم الهند الى
 بلاد الانكليز
 لتحسين الصناعة
 باصواتها وما
 تتيح عن ذلك
 من البراعة
 وفي القرن السابق الهجري ورد من بلاد الهند الشرقي الى بلاد الفلامنك
 صنف من الغنم من ذكور واناث عالي القامة مستطيل البدن غزير الصوف
 فاجتهد أهل الفلامنك بتربيته وتوبيده على مزاج اقلיהם فنجح فيها كل النجاح
 حتى آذ أنواع هذه الاغنام كانت تلد في السنة الواحدة أربع أغنام وصوف
 الرأس الواحد يزن من عشرة أرطال الى ستة عشر رطلاً فمثل هذه الاغنام
 تنجح ولو في البلاد الباردة مثل مملكة أسووج فإنها اعنت بتربية أغنام
 المارينوس أمثالها وغابت على الموانع القطرية كبرودة الاقaim بحيث ان
 هذه المملكة كانت تجلب قبل ذلك أصواتها من اسبانيا والفلامنك والآن
 استغفت عن ذلك فما ظنك بالخديوية الجليلة المصرية التي أقاليمها معتدلة ملائمة
 لتربية الاغنام في الفيوم وغير الفيوم فان النجاح فيها محقق لا محالة فنجد
 وجد فان مملكة فرنسا كانت أهاليها في الازمان القريبة يشترون غزل
 الاصوات بالاموال الجسيمة جداً فكانوا يدفعون للبلاد الأجنبية
 في الثمن هذه المبالغ الثقيلة كالجزية والخراج فلما تقدمت حركة الصناعة من
 منذ نحو السبعين سنة استشعرت بما يلحقها من العار في ذلك لا سيما وأنها
 بهذه الحالة لا تستطيع مصانعها أن تساوي مصانع غيرها من الانكليز
 والفلامنك ونحوهم فتعلقت أماها أن تجتهد في تقديم صناعتها لتفوق على غيرها

فانهى الامر بنجاحها في تجهيز الاصوات حيث شرعت ان تدخل في بلادها
 الدوايلب والآلات الازمة لخراج الصوف وغزله فشوقت من يستجلب من
 الاهالى هذه الدوايلب لتنظيف الصوف وغزله فكثير في فرنسا أرباب
 الصناعات والبراءات من يحسن عمل هذه الدوايلب
 ف بهذه الوسيلة تقدمت الصنائع الآلية في بلادهم وكثرت المكافآت
 من جمعية التشويفات الاهلية حيث ان هذه الجمعية الاهلية خصصت ثلاثة
 آلاف فرنك لكل من يخترع دولا بالغزل الصوف فاخترع بعضهم دولا با
 لذلك وأخذ المكافأة وكثير الاختراع للدوايلب التنظيفية بهذا التشويف
 فوجود اغنام المارينوس وحدها في البلاد لا يكفي ولا يتم الانتفاع
 بأصوافها الا بالدوايلب المذكورة فان صوف المارينوس كان موجودا في
 فرنسا من عدة أجيال وكان يساوى في النوعية والجودة مارينوس اسبانيا
 ولم يتم الانتفاع بها الا باختراع الدوايلب

ومن المغرب عند الفرنساوية ان غنم المارينوس كلها طالت مدتها في
 البلاد وتربت اغنامها وتطبعت بالتويلد لا يزال يأخذ صوفها في النوعية
 وينجح النجاح التام في مصانع الجوخ العال والمدار على حسن تعهداته بالتنظيف
 والتصفية فاز ذلك يزيد في قيمته ولم يكن بفرنسا من حيضان تنظيف الصوف
 الا حوض واحد فلأن كثرة حيضان التنظيف حول باريس فلعل يوما
 من الايام تدرك الديار المصرية منها في اغتنام فرصة الاقتناء والاعتناء
 بتحصيل مزايا هذه الاغنام ثم ان مزية اصوات هذه الاغنام المارينوسية
 ليست منحصرة في النوعية والامتداد بل من جملة جودتها طول قرون
 اصواتها فكما طالت كثرة فيها الرغبات وكان الناس يعتقدون ان الاغنام

تناقص جودة أصوافها لالجز كل سنة وان كل جزء من سنة سابقة أجود من اللاحقة وان الاوصاف اذا بقيت على الصان عدة سنوات لا ينبو صوفها
 نماء يكون كفؤا لجزها عدة مرات فرب ذلك بالامتحان عدة من اعضاء الجمعية الزراعية الفرنساوية بأن أبقوا قطيعا من الغنم ثلاث سنوات بدون جز لظهور النتيجة فلم يجدوا تناقصا في الكم والكيف بل رأوا ان أصوافها قد اكتسب طولا متساويا ودقة متساوية ووجدوها ناعمة الملمس كما

لو كانوا جزوها على مرار عديدة وظهر من هذه التجربة تجديد فرع للصناعة وهو تطويل الصوف بعدم جزه وتفويت او انه مدة ليدخل في مصانع أخرى تحتاج اليه ومن هذا اخترعوا اصنافا من الجوخ الشهير المسمى بالكرزمير « مطلب »
 فاكثروا من اصطناعه وتحسينه وقدموه في أحد المعارض العمومية بفرانسا الجوخ الفرنساوي
السمي بالكرزمير فاستحسن الجميع جودة صناعته لعلوم ربته وحسن أصوافه بحيث صار يضاهي بالكلية مشغولات الكرزمير الانكليزية

وقد تبين أيضا باللحظة ان الغنم التي لم تجز مدة طويلة وتبقى هذه المدة بقصد طول أصوافها لا يؤثر فيها تأثيرا ظاهرا ثقل الصوف على أبدانها وهذا بخلاف ما تعتقده العامة وقد أطلنا الكلام في الاوصاف وحسبك فيها الآية الشريفة وهي قوله تعالى والله * جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشمارها أثنا ومتاعا الى حين * ومن المعالم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليهما الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتهم سكنا وهو ما يسكن اليه الانسان أو يسكن فيه وهذا القسم من البيوت لا يمكن

نقله بل الانسان ينتقل اليه والقسم النافى القباب والخيام والفساطيط والها
 الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام يوم تاستخفونها يوم ظعنكم ويوم
 اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله والراد بها الانطاع يعني
 السط المتخدة من الجلد وما يعم البيوت منه مما تستعمله العرب وغيرهم من أهل
 البوادي والمعنى يخف عليكم حملها في اسفاركم وفي اقامتكم أي لا يقبل عليكم في
 الحالين قوله تعالى ومن أصوافها وأوبارها واعشارها قال المفسرون الا صواف
 للضأن والاوبار للابل والاعشار للمعز وقوله تعالى أنا ثاثاً ثاثاً اثاثاً نوعاً متابعاً لبيت
 من الفرش والا كسيه وقد يعم الثياب والكسوة وقوله تعالى ومتاعاً الى حين أي
 ما تنتهيون به الى يوم القيمة واستقرب بعض المفسرين أن الراد بالاثاث
 ما يكتسي به المرء ويستعمله في الغطاء والوطاء وبالمتابع ما يفرش في المنازل
 ويزين به وقد ذكر الله تعالى الا صواف وما بعدها في معرض النعم العظيمة التي
 يجب شكرها فيجب الاعتناء بتكثيرها على اختلافها في جميع أطراف وأركاف
 المالك المصرية بعنابة الحكومة الخديوية وهم عمد اهل الاراضي الزراعية
 لتعيم المنافع الاهلية فان مصر المتشبطة الان بأر يكون لها في الصنائع والفنون
 قدم رسوخ لا ينفي ان تيأس من تحديد مصانع الجوخ فكم من اشياء لا يخطر
 انشاؤها بالبال ويظن ان تحصيلها من قبيل الحال وعند افتضاء الاوقات وتعلق
 الامال يتم الحصول عليها بأسهل طريق وأتم منوال وأما تنبيه صاحب
 الملاحظات على وفود قوافل داخل افريقيا الى الديار المصرية واستعراضها بضائعها
 بشغولات مصر وأوز با خلاصة صناعتها فهو في محله وقدجرى مفهول هذه
 الملاحظة على أصول مصوته محفوظة فتجار دارفور وبرنو ونحوهما تحضر في
 ميعادها وتأتي بسائر بضائعها على حسب معتادها ومن جهة سنار والبحر ايضاً

«مطلب»
 ورود قوافل
 افريقيا الى
 مصر للتجارة

محضر التجار بسن الفيل والصومعه وريش النعام وغيرها وانما اهل أقاليم
نابكتو وهي بلاد التكر ولا يحضرن الا لقضاء الحج و كذلك الفلاطة السودانية
يرون بمصر لسفر الحجاز وما ذاك الا بعد المسافة لا لقلة امن الطريق او وجود
مخافه فالتجارات في داخل افريقيه الحقيقية تيسر بعد تحطيط المسالك الطرقيه
وهي لا تيسر الا بحر كتعبيه من الحكومة المصريه واستكشافات جليله عصرية
واتجاعات من قبائل اسلاميه متعددة وتوقيفات لاهالي تلك البلاد على وسائل
المدن المستحسنه وان شئت فقل ان حسن تمامها انما يكون بنوع من الفتوحات
والتشبيث بعماريها وادخال ما يلزم لها من الاصلاحات حتى يصير جنوب افريقيه
كالاًقاليم الجنوبيه بقسم امريقة فان كان من السابق في علم الله تعالى أن يكون
لمصر فيه قوه التجيز (فما ذلك على الله بعزيز)

فكم من صغير اسفته عن ايه من الله فاحتاجت اليه الا كبار
وكم خامل جاءت اليه اشاره من الله فانحازت اليه الاشاره
فن هذا نجد ان ماحظات الفصل الثاني التي سبقت اليها الاشاره قد
اجريت بتداول الايام (وما الدهر الا تارة بعد تارة)
فكما اخطر باباً امر خطير من الاعمال الصالحة يحتاج الى حسن التدبير
كان الوطن معان عليه من المولى القدير فالمقصود الخيرية ميسرة الوسائل فربه
المشارع عذبة الناهل وحق على الامير الطالب للمعالي ان يتغالي في المطلوب
ويتعالى في مدارج العلی بأجمل اسلوب ويبرز في مظهر البلاغة نظام بيت ملكه
المشيد حتى يظهر في نظم سلوك الملوك بيت القصيم ومن احسن من ولادة
الامور سلوك اقوم سين تأيد بحسن نيته في ميدان الانتصار على مشروعه
الحسن ان ينصركم الله فلا غالب لكم

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشا عفيف على سد الأدب

يحيى أن اسكندر الاكبر تشكك له ثلاث معادن في جلباب المجال
مطلب ، نعم المال والعقل
 والسعد لاسكندر وثياب المهابة والا جلال فأول شكل دخل عليه في حل الحسن والبهاء والشمائل
 التي يزهو بها فأخذ بقلبه ولبه فاحله منه بقربه ثم سأله من أنت فقال أنا المال
 فقال الاسكندر لو لا إنك ميال ثم دخل عليه الشكل الثاني يرفل في حل
 الوضار والمعاني فأدناه منه ثم سأله من أنت فقال أنا العقل فقال لو لا إنك في
 بعض الاحوال عقال ثم دخل عليه الشكل الثالث تزفه الغانيمات بالمثلث وقد
 أشرقت بجماليه وجوه المطالب وأنجاحت باقباله ظلم الغياه بفقام له على قدميه
 وقبل ما بين عينيه ثم قال من الزائر أهيا بهي الظاهر فقال أنا السعد فقال
 أشهد أنك عنابة الحق وميزان اختبار الخلق فالويل لمن جهل حقوق اقبالك
 عليه وياسعده من وفي حق الخلافة اذا سامت اليه ثم عاهده على أن يكون
 من أعوانه وعلى وفق ما يقتضيه حكم ميزانه والحمد لله الذي جعل نعمة مصر
 في المزيد ليزداد الشكر والمحبة لوليهما الذي أجريت النعمة على يديه اذ هو
 السبب الاصلي الحامل على ذلك والدار عليه والمائل بالطبع اليه وستأتي
 الاشارة الى ما يجدد من المحسن الحالية في الفصل الرابع من هذا الباب

الفصل الرابع

(في اسعد الحكم للبلاد والعباد)

ليس من ملوك مصر من تفخر به الاهالى مثل افتخارهم بالخديو الاكرم حيث انه تأسس في أيامه قواعد عدليه لا تمحى وما ثر منافعها جليلة لا تستمحى ولو لم يكن له من المآثر الا كونه جمل الاهالى على أن يستنبوا عنهم نوابا ذوى فكره المعاية ليتذاكرروا في شأن مصالحهم المرعية لكافاه ذلك شرفا ومجدا وعزما وسعدا حيث صار مستوليا على أمة حرة الرأى باستشارتها في حقائق التراتيب والتنظيمات التي يراد تجديدها لاجلهم كما ان له الفخار في أنه لا يضيع حقوقهم حيث جعله الله أمينا عليها فبهذه الوسيلة القوية يمكن من أداء ما وجب عليه في حق الرعايا مع كونه يتدرج بالحكم على رعايا احرار يتغدون بحقوقهم ويحظون بزياتهم وبهذا أيضا يكون على يقين من التسلط المنوي على النفوس والارواح وان يدرك بمساعدتهم اياد في اسعاده لوطفهم تمام النجاح حيث القلوب جبت على حب من احسن اليها فقل أن تخليع الرعايا خلعة محبيها القلبية ومودتها الاخلاصية على حاكمها مجانا فالعقل من لا يحب أو يبغض الا بسبب من الاسباب وقد تقدم غير مررة ان غنى مصر ورأس ما لها الحقيقي انما هو متكون بالاصالة من زراعتها وبالتبغية من تجاراتها في محصولات الزراعة مع ما يتبع الزراعة من تربية المواشى وتكثيرها لا سيما ما يعين على الحرف وتربية النبات كالبقر الذي هو خاصية مصر قدما وحدثنا أنفع بهيمة الانعام وأجل غنية الانعام بدليل ان البلاد تذوق مرارة المضرة في السنة التي يذوق فيها هذا النوع كأس الحمام ولو لا الحمام أهلها التبصر

« مطلب »
تأسيس شورى
النواب

والتصبر عند حلول مثل هذه المصيبة الفظيعة لحزنوا جميعاً في سنة نفق المواثي

بالواباء ولا حزن أباً بكر بن قريعة حيث نفق له ثور أبيض وجلس على

العزاء عليه ترافقه وتحامقاً حتى أن أباً سحق الصابئي كتب إليه يعزبه على

هذا المفقود عن لسان ابن لعنة في أيام وزارته فقال التعزية على المفقود إنما

تكون بحسب محله من فاقده من غير أن تراعي قيمته ولا قدره ولا ذاته ولا

عينه إذا كان الغرض منها تبريد الغلة وأحمد اللوعة وتسكين الزفة وتفيس

الكربة فرب ولد عاق وأخ ذي شفاق وذي رحم أصبح لها قاطعاً وقرب

القوم قد هم عاراً وناظ بهم شناراً فلا لوم في ترك التعزية عنه وأخرى بها أن

تكون تهشة بالراحة منه ورب مال صامت غير ناطق قد كان به مستظها وله

مستشرفاً فالتجييع به إذا فقد موضوعة موضعها والتعزية عنه واقعة منه موقعاً

وبلغني أن القاضي أصيـب بشورـ كان له فلسـ للعزاءـ عنهـ شـ كـيـاـ وـأـجـهـشـ عـلـيـهـ

باـ كـيـاـ وـلـلـنـدـمـ مـوـالـيـاـ وـحـكـيـتـ عـنـهـ حـكـيـاـتـ فـيـ اـنـتـأـيـنـ لـهـ وـاقـامـةـ النـدـبـ عـلـيـهـ

وـتـعـدـيـدـ مـاـ كـانـ فـيـهـ مـنـ فـضـائـلـ الـبـقـرـ الـتـيـ تـفـرـقـتـ فـيـ غـيرـهـ وـاجـتـمـعـتـ فـيـهـ

وـحـدـهـ فـصـارـ كـمـ قـالـ أـبـوـ نـوـاسـ فـيـ مـثـلـهـ مـنـ النـاسـ

وـلـيـسـ عـلـيـ اللـهـ بـمـسـتـنـكـ أـنـ يـجـمـعـ الـعـالـمـ بـفـ وـاحـدـ

لـاـنـ يـكـرـبـ الـأـرـضـ مـعـمـوـرـةـ وـيـشـرـهـاـ مـزـرـوـعـةـ وـيـدـورـ فـيـ الدـوـالـيـبـ

سـاقـيـاـ وـفـيـ الـأـرـجـاءـ طـاحـنـاـ وـيـحـمـلـ الـغـلـاتـ مـسـتـقـلاـ وـالـأـنـقـالـ مـسـتـخـفـافـلـ يـؤـدـهـ

عـظـيمـ وـلـاـ يـعـجـزـ جـسـيمـ وـلـاـ يـجـرـىـ فـيـ الـحـائـطـ مـعـ شـقـيقـهـ وـلـاـ فـيـ الـطـرـيقـ مـعـ

رـفـيـقـهـ الـأـكـانـ جـلـداـ لـاـ يـسـبـقـ وـمـبـرـزاـ لـاـ يـلـحـقـ وـفـائـتـاـ لـاـ يـنـالـ شـأـوـهـ وـغـايـتـهـ وـلـاـ

يـلـغـ مـدـاهـ وـنـهـاـيـهـ وـيـشـهـدـ اللـهـ أـنـ مـاـ سـاءـهـ سـاءـنـيـ وـمـاـ آـلـهـ آـلـنـيـ وـلـمـ يـجـزـ عـنـدـيـ

فـيـ حـقـ الـمـوـدـةـ اـسـتـصـغـارـ خـطـبـ جـلـ عـنـدـهـ فـأـرـمـضـهـ وـأـرـقـهـ وـأـمـرـضـهـ وـأـفـلـقـهـ

« مطلب »
بصراً و تعبأ مل
مصر عند نق
المواشي بالواباء
وذكر نادرة
تائب ذلكيف
التعزية بشوراً يبغض

فكتب هذه الرقة فاصابها من الحق في مصايبه هذا بقدر ما أظهر من
 اكشارة اياده وأبان من اعظماته له وسائل الله تعالى ان يخصه من الموعضة
 بأفضل ما يخص به البشر عن الاقرر وان يفرد هذه البهيمة العجماء بأثره
 من الثواب تضيفها الى المكلفين من الالباب فانها وان لم تكن
 منهم فقد استحقت ان لا تفرد عنهم بان مس القاضي سببها وصار اليه
 منتبها حتى اذا انجز الله ما وعد به من تحيص سيا لهم وتضييف
 حسناتهم والافضاء بهم الى الجنة التي رضيها لهم دارا وجعلها لجماعتهم قرارا
 واورد القاضي ايده الله تعالى موارد اهل النعيم مع اهل الصراط المستقيم
 جاء وثوره هذا مجنوب معه مسموح له به وكما ان الجنة لا يدخلها الخبث
 ولا يكون من اهلها الحدث ولكن عرق يجري من اعراضهم كذلك يجعل
 الله ثور القاضي مرکبا من العنبر الشحرى وماء الورد الجوري فيكون له ثورا
 وجونة عطر له طورا وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر ولا مستصعب ولا
 متذر اذا كانت قدرة الله بذلك محبوطة ومواعيده لامثاله ضامنة بما اعده
 الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم وملاذ
 أعينهم وليس ما منحه من غامر فضله وفاض كرمه بانع له من صالح مساعيه
 ومحود شيمه وقلبي متعلق بمعروفه خبره ادام الله عزه فيما ادرعه من شعار
 الصبر واحتفظ به من ايشار الاجر ورفع اليه من السكون لامر الله تعالى
 في الذي طوقه والشكر له فيما ازعجه وافقه فليعرفي القاضي من ذلك ما
 تكون ضاربا معه بسهم المساعدة عليه وآخذا بقسط المشاركة فيه فأجاب
 القاضي ابو بكر بقوله وصل توقيع سيدنا الوزير اطال الله بقاهه وادام
 جواب التغزية * مطلب

الا يض الذي كان للحرث مثيرا وللدوالib مديرا وبالسبق الى سائر المنافع
 شهيرا وعلى شدائد الزمان مساعدا وظهرا لعمرك لقد كان بعمله ناهضا
 ومحفاظات البقر رافضا انى لنا بثله وشر اوه ولا شروي فانه من اعيان البقر
 وانفع اجناسه للبشر مضاف ذلك الى اخلاق لولا خوف من تجدد الحزن
 عليه وتهسيج الجزع وانصرافه اليه لعدمها يعلم ادام الله عزه اذ الحزين عليه
 غير ملوم وكيف يلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثابها الزكاء ومن خدم
 معيشته بهيمة تعين على الصوم والصلاه وقد احتذيت ما مثله الوزير من شمل
 الاحتساب والصبر على المصاب فانا الله وانا اليه راجعون قول من علم انه املك
 لنفسه وما له واهله وانه لا يملك شيئا دونه اذ كان جل شاؤه وتقديست اسماؤه
 هو الملك الوهاب المرتجمع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب وقد
 وجدت ايد الله الوزير للبقر خاصة فضيلة على سائر بهيمة الانعام تشهد بها
 العقول والافهام ثم ذكر جملة من فضائله لا يحتاج اليها هنا انتهي وانما نقول
 انه لا يتوجه على مثل هذا الفاضي في مصلحته ملامة لام فكيف والسعدي
 طالع البهائم ولهذا تقول العامة ان الدنيا على قرن ثور وقال الشاعر

والدهر كالدولاب لي س يدور الا بالبقر

واما التعزية فلا باس بها

فلموري يحق لو كتبواها بسود العيون فوق المجرة

قال بعضهم ومن موجبات الثروة الهمة والصنعة فان الهمم الموجبة
 لها في الملوك يقال لها القوة المحصلة وهي مختلفة في الملوك بعض الملوك ما
 تكون روتها ازيد من الاخر وذلك بنسبة تزايد القوة المحصلة لها ونقصها
 « مطلب » تكون روتها ازيد من الاخر وذلك بنسبة تزايد القوة المحصلة لها ونقصها
 والقوة المحصلة للثروة عبارة عن شيئين سعي الانسان وموضعه الارض فإذا

نظر في الهيئة الاجتماعية وجد ان الارض في جميع الازمان على طبيعتها وانما اختلفت باختلاف الاطوار الحاصلة كاختراع السفن البخارية والطرق الحديدية واستعمال السلك البرقية المسماة بالتلغراف في المخابرات مما يخترعه الانسان بواسطته توسيع دائرة العلوم والفنون فيجعل الانسان ما لا يمكن تحويله بطبيعته في طرز آخر وبالامثل في احوال الامم المختلفة والممالك الداخلة في حوزة حكوماتها يعلم اختلاف الامزجة والطبع من وجهين

الاول ان أهالي الممالك التي تحت المنطقة الحارة ليست مثل الممالك التي تحت المنطقة المنجمدة كالبلاد التي باطراف القطب في اللوازم الضرورية فان أهل المنطقة القطبية المنجمدة تفتقر الى زيادة الملبس لاحتفاظه من تأثير البرد بخلاف أهل المنطقة الحارة فهي بعكسها مفتقرة الى ما يقيها من تأثير الحرارة والرطوبة وبخلاف أهل النطقتين المذكورتين أهالي المنطقة المعتدلة

الثاني ان طبيعة الاراضي والاقليم ترشد الانسان الى وسائل متنوعة في الصناعة ونماء النبات والحيوان انا يكون بالنسبة لا هوية المملكة الموجودة هي فيها وبعض الممالك مشهور بكثرة الطيور والمزاعي النضرة والمعادن وبعضاها ليس فيها شيء من اسباب الثروة الطبيعية بالكلية ومن الممالك ما تسهل المخابرات فيه بكثرة الانهار ومنها ما تشق فيه لعدم ذلك فالانسان لا يمكنه محوها وانما بالقوة الصناعية العالمية يمكنه تحويل الحال الى حالة أخرى وحصول هذه الحالة واحتراعها وبلغها درجة كاملة كالتلغراف مثلا انا يكون بصرف المساعي والهمم وكذا سائر الوسائل كالسفن البخارية والطرق الحديدية وسائر المخترعات النافعة فكلها من اعظم اركان القوة الحاصلة وتزايدها موقوف على ترقى الفنون والصناعات وبعظام هذه القوة يرتقي

بعض الامم الى درجة الثروة وبضعها تراجع الاخر يهـ فهـار المـلكـةـ
مـوقـوفـ عـلـىـ وـصـوـلـهـ اـلـىـ الـدـرـجـةـ الـكـيـالـيـةـ وـذـلـكـ مـوقـوفـ عـلـىـ اـتـسـاعـ الدـائـرـةـ
الـصـنـاعـيـةـ وـهـوـ مـوقـوفـ عـلـىـ تـقـيمـ الصـنـاعـاتـ الـمـورـوـثـةـ سـلـفـاـعـنـ خـلـفـ وـنـقـلـ

ما اخترع منها في الملك الى البلاد التي ليست فيها هذه الاختراعات مـوقـوفـ

عـلـىـ صـرـفـ الـهـمـةـ يـهـاـ وـالـسـعـىـ فـلـلـدـارـ فـيـ اـسـتـكـمالـ أـسـبـابـ الـثـرـوـةـ عـلـىـ السـعـىـ

وـحـيـثـ كـانـتـ التـجـارـةـ مـنـ مـنـابـعـ الـثـرـوـةـ الـعـظـيمـةـ فـلـاـ شـكـ

انـ صـاحـبـ الـاشـتـغالـ بـهـاـ الـبـاـذـلـ هـمـتـهـ وـسـعـيـهـ فـيـهـاـ ذـهـنـهـ مـصـرـوـفـ يـهـاـ

بـالـكـيـالـيـةـ فـكـرـهـ عـادـةـ مـلـهـيـ عنـ الـافـكـارـ الـبـاطـلـةـ الـتـيـ يـتـسـبـبـ عـنـهـ هـدـمـ

بـنـيـاتـ الـأـمـمـ بـالـفـنـ وـالـشـرـورـ وـمـتـىـ كـانـتـ التـجـارـةـ مـتـسـعـةـ فـيـ مـلـكـةـ

تـنـصـرـفـ الـهـمـمـ اـلـىـ التـشـبـثـ بـالـأـرـوـاحـ الـحـقـيقـيـةـ وـتـشـتـدـ الرـغـبـاتـ فـيـ اـسـبـابـ

وـالـمـسـبـاتـ الـمـكـوـنـةـ لـاـتـسـاعـ رـؤـسـ الـأـمـوـالـ وـفـيـ تـكـيـنـ الـقـوـةـ الصـنـاعـيـةـ بـالـقـوـىـ

الـعـلـمـيـةـ مـنـ كـلـ ماـيـسـهـلـ طـرـقـ الـمـكـاـبـ وـيـحـوـلـهـاـ اـلـىـ درـجـاتـ كـيـالـيـةـ مـاـيـهـمـ

بـهـ الـآنـ بـالـنـظـرـ لـتـقـدـيمـ الـنـافـعـ الـعـمـومـيـةـ اـصـالـةـ وـلـمـنـافـعـ السـيـاسـيـةـ تـبـعـ

وـقـدـ اـخـتـرـعـتـ هـذـهـ الـازـمـانـ الـحـدـيـثـةـ عـمـاـ كـانـ يـجـرـىـ فـيـ الـازـمـانـ الـقـديـمةـ

مـنـ صـرـفـ الـمـسـاعـيـ وـالـهـمـمـ فـيـ تـسـهـيلـ وـسـائـلـ الـدـوـلـةـ بـالـاـصـالـةـ مـاـيـكـونـ لـنـافـعـ

الـرـعـيـةـ حـاـصـلـاـ غـيرـ مـقـصـودـ فـقـدـدـلـتـ التـوـارـيـخـ عـلـىـ أـنـ الـمـخـرـعـاتـ الـجـدـيـدةـ فـيـ

الـدـوـلـ الـمـتـأـخـرـةـ لـمـ تـخـلـ عـنـ مـقـابـلـهـاـ مـنـ بـعـضـ الـوـجـوهـ فـيـ الـدـوـلـ الـقـدـيـمةـ كـالـطـرقـ

الـحـدـيـدةـ وـالـتـلـفـرـافـ وـنـحـوـهـاـ فـكـانـ الـبـرـيـدـ وـجـامـ الرـسـائـلـ قـائـمـاـ مـقـامـهـ فـيـ مـصـالـحـ

الـدـوـلـةـ وـكـذـلـكـ هـجـنـ النـاـجـ وـالـمـرـاـكـبـ الـمـسـفـرـةـ بـالـنـاـجـ فـيـ الـبـحـرـ لـشـرـ اـلـخـاـنـةـ الـسـلـطـنـةـ

الـمـصـرـيـةـ وـكـذـلـكـ الـنـاـورـ لـاـسـطـلـاعـ اـخـيـارـ الـعـدـوـ وـالـاحـتـراـسـ مـنـهـ وـالـمـحرـقـاتـ

لـلـزـرـوعـ وـالـمـرـاعـيـ لـقـطـعـ رـجـاءـ الـعـدـوـ الـرـيـدـ الـاـغـارـةـ عـلـىـ بـلـادـ الـسـلـطـنـةـ فـيـعـيـعـ هـذـهـ

ادـ مـطـلـبـ ،
ادـ صـرـفـ الـمـهـمـ
الـيـ الصـنـاعـاتـ
بلـدـةـ منـ الـبـلـادـ
يـقطـعـ عـرـقـ
الـفـتـ وـالـشـرـورـ
فيـهاـ

ادـ الـاـخـرـاعـاتـ
الـجـدـيـدةـ كـانـ لهاـ
نـظـاـرـ فـيـ الـاـزـمـانـ
الـقـدـيـمةـ تـقـوـمـ
مـقـامـهـاـ مـنـ بـعـضـ
الـوـجـوهـ

انما كانت منافع سلطانية كما سيعلم

فقد كان البريد في عهد الا كاسرة والقياصرة موجودا واما احواله
مجهولة وأول من وضع البريد في الاسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حين استقرت له الخلافة ومات أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وسلم
بعدهم من ملوك الاسلام اليه ابنه الحسن وخلا من المنازع فوضع البريد ليسرع اليه أخبار بلاده من جميع
أطرافها فأمر باحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم
ما يريد فوضعوا له البريد واتخذ لها بغالا باكف كان عليها سفر البريد ثم اتسع
الامر في زمن عبد الملك بن مروان حين خلا وجهه من الخارجين عليه ك عمر
ابن سعيد الاشدق وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير والختار بن أبي عبيد
 واستعمل البريد الوليد بن عبد الملك بعد أبيه فكان يحمل عليه الفسقيسا وهي
الفصوص المذهبة من القسطنطينية الى دمشق حتى صفح بها حيطان المسجد الجامع
ومكة والمدينة والقدس الشريف ثم لم يزل البريد قائم العمل عليه دائما حتى آن
لبناء الدولة الروانية أن ينتقض وحل بها أن ينكب فانقطع ما بين خراسان والعراق
لانصراف الوجوه الى الدعوة القائمة للدولة العباسية ودام الأمر على هذا حتى
انقضت أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بي أمية وملك السفاح ثم المنصور ثم المهدي
والبريد لا يشتغل به سرج ولا يلجم له دابة ثم ان المهدي أغوى ابنه هرون الرشيد
بلاد الروم وأحب أن لا يزال على علم قريب من خبره فرتب ما بينه وبين معسكر
ابنه بردا كانت تأتيه بأخباره وتريه متجلدات أيامه فلما قفل الرشيد قطع
المهدي تلك البرد ودام الأمر على هذا باقي مدته ومدة خلافة موسى الهادي بعده
فلما كانت خلافة هرون الرشيد ذكر يوم حسن صنيع أبيه في البرد
التي جعلها بينهما فقال له يحيى بن خالد لو أمر أمير المؤمنين باجراء البريد على

ما كان عليه كأن صلاحاً ملـكـه فامر به فقررـه يحيـي بن خـالـد ورـبـه عـلـى ما كان عليه
 أيامـهـ أـمـيـةـ وـجـعـلـ الـبـغـالـ فـيـ المـارـاكـنـ وـكـانـ لـاـ جـهزـ عـلـيـهـ الـأـخـلـيـفـهـ أوـ صـاحـبـ
 الـخـبـرـ ثـمـ استـمـرـ عـلـىـ هـذـاـ فـيـ خـلـافـهـ الـمـأـمـونـ وـاتـسـعـ أـمـرـ الـبـرـيدـ فـيـهـ اـحـتـيـ رـتـبـ
 لـصـاحـبـ الـبـرـيدـ اـرـبـعـةـ آـلـافـ مـنـ الـهـجـنـ مـعـ مـؤـنـهـ وـآـلـاتـهـ لـيـسـتـخـبـرـ بـهـاـعـنـ
 أـمـوـرـ الـمـلـكـهـ فـكـانـ يـعـلـمـ أـمـوـرـ الـعـالـمـ فـيـ يـوـمـ وـاحـدـ
 وـلـاـ دـخـلـ هـذـاـ الـخـلـافـهـ بـلـادـ الـرـومـ نـزـلـ عـلـىـ نـهـرـ الـبـرـدـونـ وـكـانـ الـزـمـانـ
 حـارـاـ فـقـعـدـ عـلـىـ هـذـاـ نـهـرـ وـدـلـىـ رـجـلـيـهـ فـيـهـ وـشـرـبـ مـنـ مـاءـهـ فـاستـعـذـهـ وـاسـتـبـرـدـهـ
 وـاسـتـطـابـهـ وـقـالـ لـمـنـ كـانـ مـعـهـ مـسـتـفـهـ مـاـ أـطـيـبـ ماـ يـشـرـبـ عـلـيـهـ هـذـاـ مـاءـ فـقـالـ كـلـ
 بـرـأـيـهـ فـقـالـ هـوـ أـطـيـبـ ماـ يـشـرـبـ عـلـيـهـ هـذـاـ مـاءـ رـطـبـ اـزـادـ فـقـالـوـاـ لـهـ يـعـيـشـ أـمـيرـ
 الـمـؤـمـنـينـ حـتـىـ يـأـتـيـ الـعـرـاقـ وـيـأـكـلـ مـنـ رـطـبـهـ الـازـادـيـ فـاـ سـتـمـوـاـ كـلـاـمـهـمـ حـتـىـ
 أـقـبـلـتـ بـغـالـ الـبـرـيدـ تـحـمـلـ أـشـيـاءـ مـنـهـ رـطـبـ اـزـادـ فـتـيـ الـمـأـمـونـ مـنـهـاـ فـأـكـلـ وـشـرـبـ
 مـنـ ذـلـكـ مـاءـ فـأـكـثـرـ فـمـيـجـبـ الـحـاضـرـونـ لـسـعـادـهـ حـيـثـ لـمـ يـقـمـ مـقـامـهـ حـتـىـ
 بـلـغـ اـمـيـتـهـ مـعـ مـاـ كـانـ يـظـنـ مـنـ تـعـذـرـهـ فـلـمـ يـقـمـ الـمـأـمـونـ حـتـىـ حـمـ جـيـ حـارـةـ
 كـانـ فـيـهـاـ مـنـيـتـهـ

وـلـاـ جـاءـتـ دـوـلـةـ بـنـيـ بـوـيـهـ وـعـلـوـاـ عـلـىـ الـخـلـافـهـ وـغـلـبـواـ عـلـيـهـ الـخـلـفـاءـ
 الـعـبـاسـيـنـ قـطـعـواـ الـبـرـيدـ لـيـخـفـوـاـ عـلـىـ الـخـلـيـفـهـ مـاـ يـكـوـنـ مـنـ أـخـبـارـهـ وـحـرـكـاـتـهـ
 أـحـيـانـ قـصـدـهـ بـغـادـ وـكـانـ الـخـلـيـفـهـ يـأـخـذـهـ عـلـىـ بـعـثـةـ وـجـاءـتـ الـمـلـوـكـ السـلاـجـقةـ
 عـلـىـ هـذـاـ وـكـانـ بـيـنـ مـلـوـكـ الـاسـلـامـ اـذـ ذـاكـ اـخـتـلـافـ ذـاتـ بـيـنـهـمـ وـتـنـازـعـهـمـ فـلـمـ
 يـكـنـ بـيـنـهـمـ إـلـاـ الرـسـلـ عـلـىـ الـخـيلـ وـالـأـبـلـ كـلـ أـرـضـ بـحـسـبـهـ فـلـمـ أـتـتـ الدـوـلـةـ
 الـزـنـكـيـةـ أـقـامـ الـسـلـطـانـ نـورـ الدـيـنـ الشـهـيدـ للـبـرـدـ النـجـابـةـ وـأـعـدـ لـهـ النـجـبـ الـجـيـدةـ
 وـدـامـ هـذـاـ فـيـ جـيـعـ أـزـمـانـ الدـوـلـةـ وـفـيـ أـيـامـ بـنـيـ أـيـوبـ رـحـمـهـ اللـهـ إـلـىـ أـخـرـ أـيـامـهـ

وسقوط أقدامهم وتبهَا على ذلك أوائل الدولة التركية المصرية فبطل في
أثناءها البريد حتى صار الملك الى الظاهر بيسوس رحمه الله واجتمع له ملك
مصر والشام وحلب الى نهر الفرات وأراد تجهيز دولة الى دمشق فمَنْ لَهَا
نائب او وزيراً وقاضياً وكانتا للانشا وكان الصاحب شرف الدين محمد عبد
الوهاب هو كاتب الانشاء فلما مثل بين يديه ليودعه اوصاه بوصايا كثيرة
آكدها مواصاته بالاخبار لا سيما ما يجده من اخبار التتار والفرنج وقال له
ان قدرت أن لا تبتنى ليلة الا على خبر ولا تصبحني الا على خبر فافعل ففرض
لهما كان عليه البريد في الزمان الاول و ايام الخلفاء وحرضه عليه فحسن موقعه منه
وامر به ورتب عليه جمال الدين عبدالله الدوداري البريدي المعروف بابن السديد
وكان جمال الدين في ذلك الوقت جناح الاسلام الذي لا يقص وتركت في ايام
ناظارته مركز البريد في الممالك الاسلامية ومنها في محروسة مصر ومركز

قلعة الجبل الى نواحيها الخاصة بها وهي ثلاثة جهات اولها الى جهة قوص ثم
الى اسوان ثانية من القلعة الى جهة الاسكندرية ثالثها الى جهة دمياط فالاولى
من مركز القلعة الى الجيزة ثم منها الى زاوية حسين والى منية القائد ثم منها
الى وناثم منها الى ببا ثم منها الى دهروط ثم منها الى اقلوصنا ثم منها الى
منية ابن خصيب التي يقال ان الخصيب أيام ولايته عمرها لا بُنْه وسمها باسمه
ثم من منية بن خصيب الى الاشمونين التي كانت احدى مدن الصعيد العظيمة
وكان بها اذ ذاك مقر الولاية ثم منها الى ذروة الشريف نسبة الى الشرييف
حصن الدين بن ثعلب فانها كانت دار مقامه وبها دوره وقصوره وكان قد
خرج ملك الصعيد وعجز منه ملوك مصر وأمن ايام العز ایک ومن بعده فلم
يظفر به ثم خدعاه الظاهر بيسوس ومناه العوض بالاسكندرية فلما انانب اعاد

« مطلب »
ترتيب رأك
البريد من قامة
مصر والياته

به الظفر والناب وجهز الى الاسكندرية ليتما كها فشق على باهها ثم من ذروة الشريف الى منفوط وهي اجل خالص السلطان ثم منها الى اسيوط ثم منها الى طاشم منها الى المراغة ثم منها الى بلسبوره ثم منها الى جرجاش ثم منها الى البلينة ثم منها الى هو ويلها الكوم الاحمر وها من خالص السلطان وعندها ينقطع الريف في البر الغربي ويكون الرمل المتصل بديندره ويسمى خانق دندره ثم من هو المذكورة الى قوص ثم من قوص يرك البريد الهجن الى اسوان والى عيداب ثم الى النوبة او الى سواكن على ما يكون

واما جهة اسكندرية فالرا كز من القلعة اليها في طريقين فالوسطى
تشق العامر الاَهل وهي من مركز القلعة المحروسة الى قليوب ثم منها الى
منوف ثم منها الى محلة المرحوم مدينة الغربية ثم منها الى النجيرية ثم منها
الى الاسكندرية والطريق الاخرى وهى الاَخذه من طريق البر وتسعى
طريق الحاجز وهى من مركز القلعة الى الجيزه ثم منها الى جزيرة القبط ثم
م منها الى ورдан ثم منها الى الطرانة ثم منها الى زاوية مبارك ثم منها الى دمنهور
ومدينة البحيرة ثم منها الى لوقين ثم منها الى الاسكندرية

واما طريق دمياط فمن القلمة الى سرياقوس ثم منها الى بليس وهى آخر المراكز التي خليل السلطان أى الخيل اى لشترى بمال السلطان ويقام لها السواں والعلوفات على طرف السلطان ثم مما يليها خيل البريد المقررة على عربان ذوى اقطاعات عليهم اخیول موظفة تحضر في هلال كل شهر في مراكز اصحاب النوبة بالمخيل فإذا انساخ الشهر جاء غيرهم ولهذا تسمى خيل الشهارة وعلى بريد الشهارة وال من قبل السلطان يستقبل في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة فيه ويدوغها بالداع السلطاني ثم من بليس الى السعيدية

وهي أول بريد الشهارة ثم منها إلى أشوم الرمان ثم منها إلى دمياط فهذه المراكز الخاتمة بالديار المصرية وكان ثم مراً كنـ آخرة من قلعة الجبل الحروسة إلى الفرات تبتدىء من سرياقوس وتحتاج مع بريد دمياط وتفترق من السعيدية السالفة الذكر وتتشعب في البلاد الشامية إلى جهات مختلفة

وأما حمام الرسائل فان منشأه من بلاد الموصل وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردو المراكزه ديوانا وجرائد بآنساب الحمام وأول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل هو الشهيد نور الدين محمود بن زنكى رحمة الله سنة خمس وستين وخمسماهية حيث بني الراج على الطريق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها وفوقهم الحمام الهوادى فإذا رأوا من العدو أحدا ارسلوا الطيور فأخذ الناس خبرهم وتجهزوا لهم فلم يبلغ العدو منهم الغرض وكان هذا من أطفاف الفكر وأكثره نفعا وهذا معنى قول الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه أخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادى في سنة سبع وستين وخمسماهية وذلك لامتداد مملكته واسعها فأنها من حد النوبة إلى همدان فلذلك أخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي تحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة وأيسر عدة انتهى وتسمى حمام الرسائل حمام البطاقة أيضا ولعل تربية حمام البطاق في بلاد الموصل التي بها جبل الجودى مستنبطة من بعث نوح الغراب ثم الحمام لاستعلام خبر الطوفان فقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال استقرت السفينة على الجودى فبعث نوح الغراب ليأتيه بالخبر فذهب فوق على الجيف فأبطا عليه فبعث الحمام فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء نصب أى نشف

وقد كان بالديار المصرية تدریج الحمام بالوجه الفضلى بالرسائل فكانت متصلة
 من القاهرة الى قوص وأسوان وعیداب ومن القاهرة الى الاسكندرية ومن
 القاهرة الى دمياط ومن القاهرة الى السويس من طريق الحاج ومن القاهرة
 الى بلبيس متصلة بالشام وبالجملة فكانت مراكز الحمام في سائر البلاد الاسلامية
 حتى قيل ان الحمام ملائكة الملوك

وفي سنة احدى وسبعين وخمسماهية اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام
 البطاقة اعتناء زائدا حتى صار يكتب بالساب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلافي
 وقيل انه بيع بالف دينار وقد جرت العادة في مصر ان الحمام لا تحمل البطاقة الا في
 جناحها الامور منها حفظها من المطر ولقوتها الجماح والواجب انه اذا بسطت الحمام من
 مصر لاتطلق الامان او كنه معلومة فاذ اسرحت الى الاسكندرية لاتشرح الامان
 منية عقبة بالجيزة والى الشرقية فمن مسجد التبين ظاهر القرافة والى دمياط
 والذى استقر عليه قواعد الملك ان طائر البطاقة لا يلهو عنه الملك ولا يغفل
 ولا يهمل لحظة واحدة فتفوهاته مهبات لا تستدرك اما من واصل واما من
 هارب واما من متجدد في الثبور ولا يقلع البطاقة من الحمام الا السلطان
 بيده من غير واسطة أحد فان كان يأكل لا يهمل حتى يفرغ أو نائما لا يهمل
 حتى يستيقظ بل يذهب وينبغي ان يكتب البطاقه البطاقة في ورق الطير
 المعروف بذلك وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنة واما قيل في حمامه البطاقة
 من الادب

حضر نفوت الريح في طير انها لا بعد بين غدوها ورواحها
 تأتى بأخبار الغدو عشية كمسير شهر تحت رئيس جناحها
 وكانت الروح الامين بوجيه تفت المداية منه في ارواحها

« مطلب »
 ما قيل في حمام
 البطاقة من
 الادب ثرا
 ونظمها

ومن اثناء القاضي الفاضل في وصفها سرحت لا تزال أجنحتها تحمل
 من البطائق أجنحة وتجهز جيوش القاصد والاقلام أسلحة وتحمل من
 الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح للطائر وتزوى
 لها الارض حتى يرى ما سibileه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى
 ترى ما لا يبلغه ولا يراه وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا
 ويركب البحر بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات
 على اعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها وقد اشار ابن الوردي في
 اشارة الحمام الى ما يفيد مزيته حمام الرسائل مستوفيا كل خاصة فيه وعلامة
 حيث قال فيینما الباز سكران بما باز له من الباز واذا حمام قد وقفت امامه
 وقالت له كم تفتخرون انت عظم نخر انت من آلة اللعب والصيد وانا من
 آلة الجد والكيد انا مع الطوق والخضاب من جملة الكتاب ومع حذري
 من شرك الشرك وخوفي من فتح الافق حملت الامانة التي أبت الجبال عن
 حملها وامثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما
 أوصلت الحقوق أمنت العقوق وقوبلت بالبشاير والخلوق وما اعجب
 العالمين انى مخصوص بالبناء ولی عین أقول للملك دع الاهتمام لا تلعب بي
 فانا الحمام فهـا حدث على بعد من اخصامك فانا آتيك به قبل أن تقوم
 من مقامك كتمت عن الناس سري وأبهمت بين الغباء والنوح أمرى
 رأوا خضابي وطويقي فاستنكفوا من بكائي
 ثم ادعوا انت زلي مناسب للغة اباء
 فقلت كفوا فعندي بادغیر خف اباء
 فالخصب من فيض دمي والطوق عقد ولائي

وقال بعضهم

في الامر بالطاعر الميرون يطرقا
 فاقت على المهدد المذكور اذ حملت
 تاتي بكل كتاب نحو صاحبه
 فما تمكن غير الشمس تنظره
 منسوبة لرسالات الملوك فبلا
 اكرم بجيشه سعيدى سعادته
 حمامتنا الغار يوم الغار تحرسه
 وقوفه عند ذاك الباب شرفه
 ويوم فتح رسول الله مكة عن
 صفت تظل من شمس كتبته انا
 فعند ما حظيت بالقرب أنها
 فما يحل لذىء صيد تناولها
 سمت بملك المعالى غير ذى دنس
 وانظر لها كيف تاتي للخلاق من
 من المقام الى دار السلام ولم
 وربما ضل نحو الهند مانقطع
 بخافى يومه فى اثر سابقة
 مناقب لرسول الله أيسرها
 وأما مراكز هجن الشاج فكانت تعمق فقط فى أوان نقل الثلج من
 دمشق الى قلعة الجبل وهذه المصلحة متأخرة الانشاء عن مصلحة سفن

الثاج فان الثاج كان يحمل في البحر خاصة الى مصر من الشعور الشامية الى
 مطلب » مراكن هجن دمياط في البحر ثم يخرج الثاج في النيل الى ساحل بولاق فينقل منه
 الثاج في المراكب على البغال السلطانية ويحمل الى الشرابخانة الشريفة ويحزن في شهر سبتمبر
 على البغال السلطانية ويحمل الى الشرابخانة الشريفة ويحزن في شهر سبتمبر أعد
 له ثم صار يحمل في البر والبحر وكانت مدة ترتيب حمله من حزيران الى
 آخر تشرين الثاني وعدة نقلاته في البر احدى وسبعين نقلة متفاوتة مدة
 ما بينها بل ربما زاد على ذلك وكان يجهز لكل نقلة بريدي يتدركه ويجهز
 معه بالسلاح وكان المرتب لكل مركب ستة هجين خمسة للحمل وواحد
 للهجان وكانت المراكب البريدية مرتبة في المسافات من مملكة الشام الى
 مصر والكلفة على مال مصر

واما عدة المراكب المسفرة به في البحر فكانت في أيام الملك الظاهر ثلاثة
 مراكب في السنة ثم أخذت بعد ذلك في الزيادة إلى أن بلغت أحد عشر مركباً
 من مملكتي الشام وطرابلس ثم صارت من السبعة إلى التمانية وإذا سفرت
 المراكب من البلاد الشامية سفر معها من يتدركها مع الملائين ولا يصل الثاج
 متوفراً إلا إذا أخذ من الثاج المجلد واحتتز عليه من الهواء فإنه أسرع إذا به
 له من الماء ومن ذرت من الثاج ما يحمل براعي ظهور الهجن استقر منه خاص
 المشروب لأنه يصل أنظف وأمن عافية لاسمه وان المسفرین به ياخذون
 الجشني منه بحضور أمير مجلس وناظر الشرابخانة السلطانية وخرانها وكان
 المنقول في البحر لسوى ذلك وكان للحاضرين بالثلج من الخل والانعام رسوم
 مستقرة وعواائد مستمرة

» مطلب » مواضع المناور
 بالملك المصرية للاعلام بحركات التمار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب اولاً غارة وقد ارصده
 لمعونة الاخبار

« مطلب »
ترتيب المحرقات
للمرأى
والتحصبات التي
يأتي من جهتها
العدو ومنها
لاغارته على
المالك المصري

إلى ما ينبع من الأرض فإذا كانت مخصوصة سلوكوها أو مجدها تخبوها و كان ينفق
 في هذه المحرقات في كل سنة من خزينة دمشق جملة من الأموال ويجهز منها
 لذلك شجاعان الرجال وكان شأوهما في الاحتراق استهلاك ثعالب الوحشية
 والكلاب المستترة ثم يكمن المجهزان لذلك عند امناء الناصح وفي كهوف الجبال
 ويقطون الاودية وتمضي الايام حتى يكون يوم ربيع عاصف وهو اؤه ززع فتعلق
 النار موئلا في اذناب الثعالب والكلاب ثم تطلق الثعالب والكلاب في اثرها
 وقد جوّعت فتجد الثعالب في المحرق والكلاب في الطلب فتحرق مامرت به وتلقي
 الربيع النار منه فيماجاوره ويضاف هذا إلى ما كانت تلقى الرجال باليديها في الليالي
 المظلمة وعشايا الايام المعتمة وكان يستثنى من ذلك أرض الجبال التي هي بلاد البقية
 القادرية من ولد شيخ الاسلام عبد القادر الجيلاني فكانت ذريته معظمة عند
 الاكابر والملوك لقدمهم وصيم شرفهم ولما كان الاسلام وأهله من
 اسعافهم بما تصل اليه القدرة وبلغه الامكان

فمن هذا كله يفهم ان من تولى مصر من الملوك والسلطانين كان مجده
 فيها يقدر استطاعته من المنافع ما يظنه لازما لسعادتها فأول مسعد لمصر من درر
 أمر النيل بالقياس وصعد الى منبعه ومسيله ودبروزن الماء والارض بمصر ورسم
 التعاليم وبنى القنطر واصلاح مجرى النيل من جبال الحبشة الى مصر ولا زالت
 المنافع تتزايد ثم تناقص على حسب صروف الدهور والعصور الى أن توأزنت
 الاحوال في جميع المالك والمسالك بحركة عمومية وأسباب بلغت درجة الاهمية
 ودوع دعت الى أنه يجب على كل مملكة أن تضرب في الاجتهد بسهم
 ونصيب والا أصحابها سهم غيرها اذا قصرت في أن تجتهد وتصيب فعل الملة
 العافية أن تتشبث بأسباب الغنى لتحظى في أيام ملكها العادل ببلوغ الذي

(راجع الفصل الأول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب)

فلا شك ان الغنى حالية تحلى بها أغذاء الانبياء كداود وسليمان ويوسف
 وابراهيم وموسى وشمعون عليهم افضل الصلاة والسلام وكثير
 من الصحابة والتابعين كانوا من الغنى في روضة غناء وكان النبي صلى الله عليه وسلم
 يوصف بالغنى بدليل قوله جل من قائل ووجدك عائلاً فأغنى فقد اهمن الله سبحانه
 تعالى على نبيه بأغنائه عن فقر كما هو صريح الآية فهو غنى وان كاز في تقييم الأغناه
 وجوه عند المفسرين ففهم من قال ان الله تعالى أغناه بتريمة أبي طالب ولما
 اختلت أحوال أبي طالب أغناه بمال خديجة ولما اختلت ذلك أغناه بمال
 أبي بكر ولما اختلت ذلك أمره بالمحجرة وأغناه باعاتنة الانصار ثم أمره بالجهاد
 وأغناه بالغنائم

وروى أنه عليه السلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له مالك
 فقال الزمان زمان قحط فان أنا بذلت المال ينفد مالك فأستحي منك وان
 أنا لم أبذل أخاف الله فدعت خديجة قريشا وفيهم الصديق رضي الله عنه قال
 الصديق فأخرجت دنانير وصبتها حتى بلغت مبلغا لم يقع بصرى على من
 كان جالسا قدامى لكترة المال ثم قالت اشهدوا أن هذا المال ماله ان
 شاء فرقه وان شاء أمسكه ومن المفسرين من قال أغناء بأصحابه كانوا يعبدون
 الله سرا حتى قال عمر حين أسلم أتعبد اللات جهراً ونبعد الله سرا فقال
 عليه الصلاة والسلام حتى تكثر الاصحاح فقال حسبك الله وأنا فنزل
 قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فأغناء الله بمال
 أبي بكر وبهيمة عمر ومنهم من قال في التفسير أغناك بالقزاعة فصرت بحال

« مطلب »
 مدح الغني واده
 صفة من صفاتي
 صلي الله عليه
 وسلم

يُسْتَوِيْ عَنْكَ الْحَجَرُ وَالْذَّهَبُ لَا تَجِدُ فِي قَلْبِكَ سَوْيَ رَبِّكَ فَرِبِّكَ غَنِيًّا عَنِ
الْأَشْيَاءِ لَا بِهَا وَأَنْتَ بِقَناعَتِكَ اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَانَّ الْفَنِيَ الْأَعْلَى الْفَنِي
عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ وَهَذَا الْمَعْنَى الْآخِيرُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبُوصِيرِيُّ فِي قَوْلِهِ

وَرَأْدَتِهِ الْجَبَلُ الشَّمْ منْ ذَهَبٍ عَنِ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيْمًا شَمْ
وَأَكَدَتِ زَهَدَهُ فِيهَا ضَرُورَتَهُ أَنَّ الْفُرُورَةَ لَا تَعْدُ عَلَى الْعَصْمِ
أَيْ طَلَبَتِ الْجَبَلُ الْعَالِيَةَ أَنْ تَصِيرَ ذَهَبَهُ لَهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَ
عَنْهَا ارْتِفَاعًا مَعْنُوِيًّا أَعْلَى وَأَرْفَعَ مِنْ ارْتِفَاعِهَا الْحَسِيِّ وَذَلِكَ بِالْأَعْرَاضِ عَنْهَا
الْأَعْرَاضِ الْكَلَى وَعَدْمِ الْاِلْتِفَاتِ إِلَى جَهَتِهَا كَمَا أَمْرَهُ رَبُّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى فِي
قَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَمْدُنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ
الَّذِيَايَ لَا تَنْظُرُ نَظَرًا طَوِيلًا إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ الْمَذْكُورُينَ اسْتَحْسَانًا لِلْمُنْظُورِ
إِلَيْهِ وَاعْجَابًا بِهِ كَمَا فَعَلَ نَظَارَةُ قَارُونَ حِيثُ قَالُوا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلُ مَا أُوتِيَ قَارُونَ
أَنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ

وَلَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى الزَّخَارِفَ كَلَّمَ كَوْزَ فِي الطَّبَاعِ نَحْنُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ
وَتَعَالَى رَسُولُهُ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّهْيَ لَهُ نَهْيٌ لَا مُنْتَهٌ وَقِيلَ أَنَّ الَّذِي نَهَا عَنْهُ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا تَمْدُنْ عَيْنِيكَ لَيْسَ هُوَ النَّظَرُ بِلَّهُ هُوَ
الْأَسْفُ أَيْ لَا تَأْسُفُ عَلَى مَا فَاتَكَ مَا نَالَهُ مِنْ حَظِّ الدُّنْيَا لَا لَكَ غَنِيَّةٌ عَنْهَا
بِرِبِّكَ حِيثُ هِيَ غَيْرُ مَمْدوَحةٍ وَالْدُنْيَا إِذَا كَانَتْ مَمْدوَحةً فَإِنَّمَا يَكُونُ مَدْحُومًا
بِاعتِبَارِ أَنَّهَا وَصْلَةٌ لِدَارِ الْقَرْأَرِ وَلَذِكَ قَالَ بِعِضِّهِمْ وَأَجَادَ

لَا تَتَبَعُ الدُّنْيَا وَأَيْمَهَا ذَمَا وَانَّ دَارَتِكَ الدَّائِرَةُ
مِنْ شَرْفِ الدُّنْيَا وَمِنْ فَضْلِهَا إِنْ بِهَا تَسْتَدِرَكَ الْآخِرَةُ
فَكَيْفَ يَذْمُمُ مَطْلَقَ الْفَنِيِّ وَهُوَ وَصْفُ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَنْبِيَّهُ عَلَيْهِ

الصلوة والسلام فهو مدوح شرعاً فلا يأس أن يتشبت بالوصف به الملك
والرعايا

وأقل مزايا غنى الحكومة المصرية انه لما قصرت بلادها عقب آفات
قسرية كموت الاواثي وفقر المحصول وعز على الاهالي تحصيلها الا بالاعان
الغالية من البلاد الاجنبية ولا يتيسر لكل انسان جلبه استجوابها الخديو
الا كرم بنفوذ يسار الحكومة بالاعان اللاذقة وصار التوسيع بذلك على
الاهالي فكان كما قيل

ففي سماء الغيث والناس حوله اذا اجدبوا جادت عليهم سعادتهم
ولقد احسن من قال

فلا مجد في الدنيا امن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فكما له من جدوى على الاوطان في قضاء اوطار وكم استمدت الرعايا
في هذه الاعصار استمداد الجداول من البحار مما تعجز المقول عن فهم
كنهه وعن حق أداء الشكر على الانعام به فقد انجز الله لمصر ما قدره لها
من السعادة وأبرز في حيز الوجود ما كتبه لها من الحسني وزيادة

وإذا السعادة لا حظتك عيونها نعم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل واقتده بها الجوزاء فهي عنان

ومع ان كل قسم من اقسام الدنيا له كوكب من الممالك في افقه مشرق
ان مصر كوكب فحصرنا بأعلى منارها كوكب قسم افريقيه وشمس افق المشرق فقد كسبت
في هذا العهد حلة المهابة والنباهة وخرج أهلها بصدق البراعة واليراعه عن لكتنة
القصور والفهماءه واكتسبت الفنون والمنافع حتى صارت ترنا فيها الا بصار
وتوي اليها الاصابع وب توفيق الله تعالى تمسك اهلها بالآية الشرفية التي

العمل بها من الفرض وهي يا أيها الذين آمنوا أتفقوا من طيبات ما كسبتم
ومنا آخر جنالكم من الأرض يعني من التجارة والزراعة فسياسة الحكومة السياسة وافسادها
الحالية الالتفات الى جذب النفوس الى هذه المنافع العمومية من أعجب
التأثيرات العصرية وفي الحقيقة

لولا السياسة ما قامت لنا سبل وكانت أضعفنا نهبا لا قوانا

فدار انتظام العالم على السياسة وهي خمسة أقسام الاول السياسة النبوية
والله يختص بها من يشاء من عباده كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته
وهو الذي يهدى لاتبعهم من يشاء من فضله سابق السعادة ولا معقب
لحكمه لا يسأل عما يفعل وهم يسائلون قال سيدني محمد وفا

قد كنت أحسب أن وصلك ليشتري بكرائم الاموال والاشباح
وظنلت جهلا ان حبك هين تفنى عليه نفائس الاروح
حتى وجدتك تجتبي وتخص من أحييته بطائف الاماناح
فعملت في عشق الغرام اقامتي ولويت رأسى تحت طي جنائي
الثاني السياسة الملكية وهي حفظ الشريعة على الامة واحياء السنة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر

الثالث السياسة العامة وهي القيادة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان
أو على الجيوش وترتيب احوالهم على ما يجب من اصلاح الامور واتقان التدبير
والنظر في الضبط والربط والحساب

الرابع السياسة المنزلية وهي معرفة كل انسان حال نفسه وتدبير أمر
 بيته وما يتعلق به وقضاء حقوق اخوانه ثرعا وفتوة وعرفا كما قال من يميل
 بطبعه الى حب المعروف

اني لاهوى أنا كون لصاحب
غيشا وغوثا في الندا والباس
و اذا اكتسى ثوبا جميلام أقبل
ياليت هذا الثوب كان لباسي
وهذه السياسة في الغائب لا يحسنها الا أشراف الناس كما قيل
لعمرك ما الاشراف في كل بلدة وان عظموا الا لفضل صنائع
الخامس السياسة الذاتية وهي تفقد الانسان افعاله واحواله واقواله
واخلاقه وشهوته وزمها بزمام عقله فان المرء حكيم نفسه وبعدهم يسميه
بالسياسة البدنية قال الشاعر

تعلمت فعل الخير من غير اهله وهذب نفسي فعلمهم باختلافه
أرى مايسوء النفس من فعل جاهل فآخذـ في تأدبهـ ايجـلاـفـهـ
ومـاـ أـحـرـىـ مـنـ الـلـلـوـاـكـ مـنـ يـتـسـكـ بـهـذـهـ السـيـاسـاتـ الـخـمـسـةـ ليـزـهـ بـهـاـ وـطـنـهـ
عـنـ النـقـائـصـ وـيـحـلـ بـهـاـ نـفـسـهـ لـاـنـ تـفـاضـلـ الـأـنـفـسـ اـنـاـ هـوـ بـقـدـرـ تـحـصـيلـهـ مـنـ
الـفـضـائـلـ الـتـيـ يـظـهـرـ بـهـاـ التـفـاوـتـ فـذـلـكـ بـقـدـارـ تـرـافـعـ الـهـمـ وـالـكـيسـ
مـنـ يـنـافـسـ فـيـ تـحـصـيلـ الـنـفـيـسـ وـالـأـنـفـسـ لـيـتوـصـلـ إـلـىـ درـجـةـ السـكـمـالـ فـيـهـ هـوـ
أـصـونـ لـفـظـ النـامـوسـ وـأـحـرـسـ

من يـسـتـطـعـ بـلـوغـ أـعـلـىـ رـتـبةـ ماـ بـالـهـ يـرـضـيـ بـأـدـنـيـ مـنـزـلـ
وـمـنـ الـعـارـعـلـىـ كـامـلـ التـيـزـانـ يـطـلـبـ رـتـبةـ دونـ الرـبـةـ الـقـصـوـيـ وـأـنـ يـقـصـرـ
عـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ وـصـالـ سـعـدـيـ وـعـلـوـيـ وـأـمـاـقـولـ الشـاعـرـ
وـالـنـفـسـ رـاغـبـةـ إـذـاـ رـغـبـهـ وـاـذـاـ تـرـدـ إـلـىـ قـلـيلـ تـقـنـعـ
فـهـوـقـولـ مـنـ يـقـنـعـ بـالـدـوـنـ وـيـرـضـيـ بـصـفـقـةـ المـبـوـنـ وـمـاـ أـحـسـنـ مـاـقـالـهـ بـعـدـهـمـ
إـنـ الـفـنـيـ لـشـهـابـ كـلـاـ اـعـتـكـرـتـ دـجـيـ الـكـرـوبـ جـلـاعـهـ اـحـنـادـهـاـ
لـدـيـكـ إـذـاـ مـاـ كـنـتـ سـادـسـهـ لـاتـسـعـ الـخـمـسـةـ الـأـسـمـاءـ مـحـدـقـةـ

والمراد من الاسماء الخمسة أبوك وأخوك وحوك المرتجي تفعهم ونجدهم « مطلب »
 عند الشدائيد وهنوك وهو كناية عن الشيء وفوك وهو الفم والمراد الفصاحة ان زينة الاسماء
الخمسة سادسها
 والبلاغة وسداس الاسماء ذو مال وهو سيدها فذو المال اقرب لاكتساب

المعالى لذويه ولوطنه وان يقلده قومه ويتبعوه في ذلك

ناهض القوم للمعاملة ملائكة نجدها هنوصي

فـ كل ما يتناه المتمى بـ لسان الاستعداد وشهادة الاستحسان والرشاد من
الراتب الباهية والمناصب الزاهية والمقاصد السنية والموارد الهاينة والعدة والجاه
بانـ فيه رجاه فـ تـ فـ نـ ظـ مـ حـ نـ ظـ مـ صـ رـ الـ آـ نـ التـ بـ تـ صـ رـ فـ تـ كـ مـ يـ لـ وـ سـ اـئـ لـ التـ دـ نـ وـ التـ مـ رـ من
باب احسان العمل وقد قال تعالى انـ الاـ نـ ضـ يـ اـ جـ رـ منـ اـ حـ سـ نـ عـ مـ لـ وـ قـ الـ صـ لـ اللـ هـ
عليـهـ وـ سـ لـ مـ اـ زـ اللـ هـ كـ تـ بـ الـ اـ حـ سـ اـ نـ عـلـىـ كـ لـ شـ يـ ءـ فـ باـ شـ رـةـ الـ اـ سـ بـ اـ بـ مـ ظـ نـ ظـ نـةـ الـ اـ حـ جـ اـ بـ
وـ لـذـ لـكـ اـ وـ اـ صـ يـ بـعـضـ الـ اـ صـ اـ حـ اـءـ بـعـضـ اـ رـ بـ اـ بـ الـ فـ لـ اـ حـ اـ بـ بـ قـ وـ لـهـ لـ اـ تـ دـ عـ يـ غـرـسـ اـ رـ ضـ كـ

وأن سمعت بخروج الدجال فللاسباب لاتنكر (وقال) داود البصیر بمناسبة ذكر الاسباب اذ قيل اذا كان الطب حافظاً للصحة دافعاً للمرض فالواجب البقاء وعدم اختلال البنية خصوصاً من نفس الطبيب ونحن نرى الحكمة فضلاً عن

غيرهم يعرضون ويتوتون فلا فائدة حينئذ في الطبع قلنا ليس على الطيب منع
الموت والهرم ولا تبيّن الأجل المطول ولا حفظ الشباب لعدم قدرته على ضبط
ما ليس إليه أمره كتغير الهواء ووروده في الأغذية من حيوان وغيره ومشقة
الفضاء والقدر

الاحتراز في تعديل أمور المأكل والمشرب وغيرها وعدم إمكان جلب الفضول على طبائعها الأصلية فقد ينقلب كل منها إلى الآخر وإنما عليه أصلاح ما يمكن من دفع طار منها وحفظ صحة إلى الأجل المعلوم (فان قيل) موجبات الموت والحياة ولو ازمهما اما ان تكون تقدير الصانع ايجاباً وسلباً كما هو الحق

أو باقتضاء طالع الوقت وعلى التقديرين ليس للطبيب قدرة على أحد هما فافتتحت الحاجة اليه (قلنا) لو كان الامر كذلك لكان الاكل والشرب وسائر ما به القوام من هذا القبيل فـ كان يجب تركه لأن المقدر من بقاء الاجل ان كان بدونها فلا فائدة في تعاطيها أو بها لزム ذلك والـ كل باطل بل تقادير علـ الامر عليها كـ في محله فـ كذا الطـ وبـ جاءـت السنة عن أربـاب النـوامـيس فقد قال صـلي الله عليه وسلم تـداوـوا فـان الذـى انـزل الدـواء وـما من دـاء الاـ له دـواء إـلى غـير ذـلك فـقـيل لـه أـيدـفع الدـواء الـقدر فـقال صـلي الله عليه وسلم الدـواء من الـقدر اـنـهى

ونتيجة هذه المسئلة ان مباشرة الاسباب من هذا القبيل والتسبـث بتصـحيح الـاعمال تـطـيب للـنفس وـتعلـيل وـالـلوـك في الـظـاهر حـكمـ وـفي الـباطـن حـكمـاء يـقال انهـ كانـ بينـ يـديـ الاسـكنـدرـ كـرـةـ مـثـمنـةـ منـ الـذـهـبـ وـضـعـهاـ لهـ الحـكـيمـ اـرسـطـاطـالـيـسـ عـلـىـ كـلـ جـهـةـ مـنـهاـ كـلـةـ سـيـاسـيـةـ تـعلـقـ كـلـ وـاحـدـةـ بـالـاخـرىـ لـتـكونـ بـيـنـ يـديـهـ يـهـلـبـهاـ فـ حـرـكـاتـهـ وـيـعـمـلـ بـاـفـيهـ وـهـيـ هـذـهـ العـالـمـ بـسـتـانـ سـيـاجـهـ الـدوـلـةـ سـلـطـانـ يـحـفـظـهاـ السـنـةـ شـرـيمـةـ يـحـوـطـهاـ الـمـلـكـ رـاعـ يـعـضـدهـ الجـنـدـ اـعـوـانـ يـكـفـهـمـ الـمـالـ الـمـالـ رـزـقـ تـجـمعـهـ الرـعـيـةـ الرـعـيـةـ خـدـامـ يـتـبعـدـهـ العـدـلـ العـدـلـ مـأـلـوفـ وـبـهـ صـلاحـ الـعـالـمـ خـفـيقـ لـمـنـ قـلـدـ اللهـ أـمـرـ عـبـادـ وـبـلـادـهـ اـنـ يـعـطـفـ عـلـيـهـمـ وـيـعـدـلـ فـيـهـمـ وـيـنـصـفـ ضـعـيفـهـمـ مـنـ قـوـيـهـمـ وـلـيـساـويـ فـيـ الـحـقـ بـيـنـ شـرـيفـهـمـ وـمـشـرـوفـهـمـ وـبـيـتـلـدـيـ أـولـاـ بالـاـنـصـافـ مـنـ نـقـسـهـ وـوـلـدـهـ وـأـهـلـهـ وـخـاصـتـهـ فـالـنـاسـ عـلـىـ دـينـ الـمـلـكـ كـاـقـيلـ بـعـنـ اـنـهـمـ يـتـبعـونـهـ فـيـ أـحـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ وـلـذـكـ لـمـاـ قـدـمـ بـرـيدـ مـنـ الشـامـ عـلـىـ عمرـ بـنـ عـبـدـ العـزـيزـ فـقالـ لـهـ كـيـفـ تـرـكـتـ الشـامـ قـالـ تـرـكـتـ ظـالـمـهـمـ مـقـهـورـاـ وـمـظـلـومـهـمـ مـنـصـورـاـ وـغـيـرـهـمـ

« مـطـابـ »
الـصـورـةـ الـلـشـنةـ
الـشـكـلـ الـتـيـ كـانـ
عـنـدـ اـسـكـنـدرـ
وـالـمـكـتـوبـ عـلـىـ
اـغـلاـعـ اـمـنـ المـائـىـ
الـسـيـاسـيـةـ الـحـكـيمـيـةـ

موفورا و فقيرهم محبورا (أى مسرورا) قال عمر الله أكبر لو كانت لا تم
 خصلة من هذه الا بفقد عضو من أعضائي لكان ذلك يسيرا
 وبالجملة فالسعى في أداء الحقوق الوطنية منحة الهيبة ينحرها الله سبحانه
 وتعالى من يصطفيه من خلقه فانها مرتبة جسمية ونعمه وفية عظيمة فيجب
 علينا ان نقيدها بشكر المولى سبحانه وتعالى على انعمه بها علينا ولقد كان
 السلف الصالح كالفضيل بن عياض والامام احمد بن حنبل وغيرها يقولون
 لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها المولى الامر لازم في صلاحه صلاح
 المسلمين أصلح الله حال ملوكنا وسلطانا وسائر الملوك والسلطانين آمين
 وهذا دعاء لا يرد لانه يزان به كل الورى والممالك
 تراه بلا شك أجيبي لانه اذا ما دعونا أمته الملائكة
 وسيأتي بسط الكلام على سياسة ولاة الامور في الخاتمة

(خاتمة)

وهي ان شاء الله تعالى حسنة فيما يجب للوطن الشريف على أبنائه من الامور المستحسنة
و فيها أربعة فصول

وذلك لأن أهل الوطن اربع طبقات فالطبقة الاولى ولاة الامور
والطبقة الثانية طبقة العلماء والقضاء وأمناء الدين والطبقة الثالثة الغزاة والطبقة
الرابعة أهل الزراعة والتجارة والصناعة فلهمذا كانت الخاتمة مرتبة على أربعة فصول

الفصل الأول

(في ولاة الامور)

وظيفة ولاة الامور من أعظم واجبات الدين وأهم أمور المخالفين لهم
قوام الدين والدنيا عليهم في حرفة الاعمال مدار البركة العليا وبدونهم يختل
نظام العالم لوجود المفسدين من بني آدم فلو لا ولی الامر لما قدر العالم على
نشر علمه ولا حاكم الشرعي والسياسي على تنفيذ حكمه ولا العباد على عبادته
ولا الصانع على صناعته ولا الناجر على تجاريته ولو لا هم لانقطعت السبيل
وتعطلت الشعور وكثرت الفتن والشرور ولو لا ردع الملوك لتفايل الناس
وتهاجرت وطمع بعضهم في بعض واستولى الأقوياء على الضعفاء وتمكن
الاشرار من الاختيار فيضطرون الى التشرد والتفرد وفي ذلك خراب البلاد
وفناء العباد فالمملك كالروح والرغبة كالجسد ولا قوام للجسد الا بروحه ولكن

من لطف الله تعالى بعباده أنه أجرى عادته في كل زمان أن ينصب في الأرض من ينصف المظلوم من الظالم ويردع أهل الفساد عن الظالم ويصنع للرعاية

جميع المصالح ويقابل كل أحد بما يستحقه من صالح وطالع

«مطلب» احتياج الاتظام العراني إلى قوتين عظيمتين العراني إلى

فقد استبان من هذا احتياج الاتظام العراني إلى قوتين عظيمتين أحدهما القوة الحاكمة الجائبة للمصالح الدارئة للمفاسد وثانية القوة وقوة حاكمة

الحكومة وهي القوة الأهلية المحرزة لـكمال الحرية المتمتعة بالنافع العمومية

فيما يحتاج إليه الإنسان في معيشته وجود كسبه وتحصيل سعادته دنياً وأخرى

فالقوة الحاكمة العمومية وما يتفرع عليها تسمى أيضاً بالحكومة والملكية

هي أمر مركزي تبعثر منه ثلاثة أشعة قوية تسمى أركان الحكومة وقوتها

«مطلب» فالقوة الأولى قوة تقوين القوانين وتنظيمها وترجيع ما يجري عليه العمل أركان الحكومة وقوتها

من أحكام الشرعية أو السياسة الشرعية الثانية قوة القضاء وفصل الحكم

الثالثة قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاة بها فهذه القوى الثلاثة ترجع إلى

قوة واحدة وهي القوة الملكية المشروطة بالقوانين لأن القوة القضائية إنما

هي في نفس الأمر راجعة لأصحابها لا في القضاة نواب ولا في الأمر على المحاكم ومأذونون

منه فهو الذي يقلد القضاة بالولايات القضائية وحاكم المجالس أي قضائهم بالأحكام

الشرعية أو السياسية الشرعية وينتخب لكل ولاية قضائية أو مجلس من يرى

فيه الأهلية لذلك على موجب أصول الملكية المرعية فالقضاء في الحقيقة من

حقوق ولاة الأمور والقضاء خلفاؤهم في مباشرته ولذلك كانت أحكام القضاة

التي على طبق الشرع لا تنقض لاعتبار اذنولي الأمر بها ضمناً من حيث

فصل الحكم فرجعت هذه القوة إلى الملك وكذلك قوة تنفيذ الأحكام بعد

قطع الحكم فيها فأنها حق خاص بولي الأمر من أول ولهلا لا يشاركه فيه

غيره كما انه هو الذي ينسب اليه تفنين القوانين حيث يتوقف على اوامرها
تنظيمها وترتيبها واجراء العمل بموجبها فقد انحصرت فيه القوى الثلاثة التي
هي أركان القوة الحاكمة

ثم ان الاصول والاحكام التي بها ادارة الملوك تسمى فن السياسة
الملوكية وتسحب في الادارة وتسمى أيضا علم تدبير الملوك ونحو ذلك
والبحث في هذا العلم ودوران الاسن فيه والتحدث به والمنادمة عليه في
المجالس والمحافل والخوض فيه في الغازيات كل ذلك يسمى بوليتيقه اي
سياسة وينسب اليه فيقال بوليتيق اي سياسي فالبوليتيق هي كل ما يتعلق
بالدولة وأحكامها وعلاقتها وروابطها فقد جرت العادة في البلاد المتقدمة
بتعلم الصبيان القرآن الشريف في البلاد الإسلامية وكتب الاديان في غيرها

قبل تعلم الصنائع وهذا لا يأس به في حد ذاته ومع ذلك فبادى العلوم
الملوكية السياسية التي هي قوة حاكمة عوممية وفروعها مهملة في الممالك
والقرى بالنسبة لبناء الاهالي مع ان تعليمها ايضا لهم مما يناسب المصلحة
العمومية فما المانع من ان يكون في كل دائرة بلدية معلم يقرأ للصبيان بعد
 تمام تعلم القرآن الشريف والعقائد ومبادئ العربية مبادى الامور السياسية
والادارية ويوجههم على نتائجها وهو فهم اسرار المنافع العمومية التي تعود على
الجمعية وعلى سائر الرعية من حسن الادارة والسياسة والرعاية في مقابلة ما
تعطيه الرعية من اموال والرجال لحكومة ويفيدهم اسباب ايجاب
الحكومة على الاهالي ان تخدم وطنها بنفسها خدمة شخصية في العسكرية
وابسال ازام الاهالي بدفع حصة مخصصة من اموالهم بوصف خراج او
ويركت او عوائد او نحو ذلك من جبايات الحكومة القائمة في الدول

« مطلب »
علم تدبير الملوك

« مطلب »
ان البوليتيق
هي العلم بالسياسة
واحوال الناس

« مطلب »
استصحابه تعلم
ادارة الحكومة
لبناء الاهالي
في صغر سنهم

الاسلامية مقام الزكاة العطالة وكذلك ليعرف الاهالي اسباب ايجاب
 الحكومة عليهم ان يتنازلوا عن شيء من املاكهم وعقاراتهم عند الاقضاء
 واحتياج الحكومة لذلك لمصلحة العمومية كتوسيع الطرق وما اشبه ذلك
 من العمليات التنظيمية فإذا ارتكب في اذهان الصبيان من زمن شبابيتهم
 أصول هذه السياسات الشرعية وفروعها وفهموا الاسباب والسببيات سهل
 عليهم عند بلوغ الرشد والوصول الى كمال الرجالية اجراء مفعولها وهل هذا
 التعليم الا يقف اهل الوطن على معرفة حقوقهم وواجباتهم بالنسبة لاملاكهم
 وأموالهم ومنافعهم وما عليهم حمافظة على حقوقهم ودفعا للتعددي عليها
 فاللائق ان يكون بكل ناحية معلم لمبادى الادارة ومنافع الجماعة العمومية في
 مقابلة ما تدفعه الجماعة للحكومة فان هذا التعليم مع تقديميه للشخص المتعلم له
 تأثير معنوي في تهذيب الاخلاق ومنه تفهم الاهالي ان مصالحهم الخصوصية
 الشخصية لا تم ولا تتجز الا لتحقيق المصلحة العمومية التي هي مصلحة
 الحكومة وهي مصلحة الوطن فتندعن نفوذهم بـ **أن** الفوائد الخصوصية
 ليست في حد ذاتها مضمونة الحصول الا في ضمن الفوائد العمومية المذكورة
 وأيضاً ما يقتضي لياقة تعليم مبادى الادارة بالنواحي كون قانون الحكومة
 لا يمنع من جواز استخدام أحد من الاهالي فاستخدامه في الملكية لا سيما
 منصب المشيخة البلدية كما سيأتي ذكره يستدعي سبق معرفة بأصولها والا
 ترب على استخدام الجاهل بها من السقاية ما لا يخفى واما العلم بالتعلم لا سيما
 ان استخدام **مطلب**
 الانسان في
 الحكومة
 يستدعي سبق
 معرفة بأصوله
 وظيفته
 أيضاً مع تجديد جمعيات الانتخاب و المجالس النواب
 وكان المانع لتعلم البوليتية والسياسة في الازمان السابقة ما تشتت
 به رؤساء الحكومات من قولهم ان السياسة من أسرار الحكومة الملكية

لَا يُبْنِي عَلَمَهَا إِلَّا لِرُؤْسَاءِ الدُّولَةِ وَنَظَارِ الدُّوَاوِينِ مَعَ كُونِ لِفَظِ الْبُولِيتِيقَةِ كَانَ
 مَرْوُفًا أَيْضًا بِعَنْيِ آخِرٍ وَهُوَ الْحِلَةُ وَالْخَدَاعُ وَالتَّدْبِيرُ مَا لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْمُلْكَةِ
 الْجَائِرَةِ وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ جَمِيعُ الْاِحْكَامِ الْمُلْكِيَّةِ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِمَانَةِ
 وَخَلُوصِ النِّيَّةِ الْمُتَقَوِّمِ مِنْهَا الْحَقُّ وَهُوَ أَيْضًا أَبْلَاجٌ لَا يَأْتِي إِلَّا عَلَى الْإِخْلَاصِ
 فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَحْسَنِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنِ الرَّاعِيِّ وَالرَّعِيَّةِ مَا يَغْرِسُ الْمُحْبَبَةَ
 وَالْمُوَدَّةَ فِي قَلْبِ الْمَلَكِ وَرَعَايَاهِ بِسَبِيلِ اتِّبَاعِهِ الْأَصْوَلِ الْمَرْبُوتَةِ وَسَيِّرِهِ عَلَى
 السَّنَنِ الْقَوِيمِ حَسْبَ اِحْكَامِ الْمُلْكَةِ الْمُشْرُوطَةِ وَهِيَ غَيْرُ مَكْتُومَةٍ وَمَنْ
 الْمَعْلُومُ أَنَّ الْمَلَكَ الَّذِي يُحِبُّ رَعَايَاهُ يُحِبُّ تَقْدِيمَهُمْ فِي الْمَنَاصِبِ الْمُلْكِيَّةِ
 لِلِّاسْتِعْانَةِ بِآرَاهِمَ الَّتِي هِيَ فِي حَقِّهِ ضَرُورَيَّةٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِاِصْطِفَاءِ رَجُلَّهُ مِنْهُ
 بِاِصْطِفَاءِ اُمُوْلَهُ لَأَنَّهُ مَعَ اِسْتِبَادَتِهِ بِالنَّهْيِ وَالاِصْرِ وَسُدُوْنِ الْمَقَامِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ
 لَا يَكْتُنِي بِالْوَحْدَةِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنِ الْكَثِيرِ فِيهِ كَثُلُّ الْمَسَافِرِ فِي الْطَّرِيقِ
 الْبَعِيدِ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ عَنِيَّتِهِ بِفَرْسِهِ الْمُجْنَوبِ كَعْنَيَّتِهِ بِفَرْسِهِ الْمَرْكُوبِ وَمَنْ
 أَحَبَّ الْمَقَاصِدَ وَالْتَّائِبَجَ سَهْلَ الْوَسَائِلِ وَالْمَقَدَّمَاتِ وَأَيْضًا مِنَ الْبَدِيرِيِّ أَنْ
 لِلْإِنْسَانِ حُقُوقًا وَعَلَيْهِ وَاجِبَاتٌ فَطْلَبِهِ لِحُقُوقِهِ وَتَأْدِيَتِهِ لِوَاجِبَاتِهِ عَلَى الْوَجْهِ
 إِلَّا كُلُّ يَقْتَضِيَانِ مَعْرِفَةَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ وَمَعْرِفَتِهِمَا مَتَوْفِقَةٌ عَلَى فَهْمِهِمَا
 وَفَهْمِهِمَا عِبَارَةٌ عَنِ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الْحَكُومَةِ الَّتِي هِيَ السِّيَاسَةُ فَالَّذِي لَا يَرِيدُ
 خَدَامَةَ الْحَكُومَةِ هُوَ أَيْضًا مِثْلُ الْمُسْتَخْدِمِ فِيهِ الْمَرْفَعُ وَقَوَانِينِهَا

وَقَدْ تَجَدَّدَ فِي مُدِيرِيَّاتِ مَصْرُ فِي هَذَا الْمَهْدِ الْآخِرِ مِبَادِيِّ مَا اشْرَنَا
 إِلَيْهِ وَهُوَ صَدُورُ الْأَوَامِرِ الْأَخْلَدِيَّةِ بِجَلْبِ مَنْ يَرْغُبُ مِنْ ابْنَاءِ الْعَدْدِ وَوَجْوهِ
 النَّاسِ إِلَى دُوَاوِينِ الْمُدِيرِيَّاتِ لِيَتَمَرَّنُوا عَلَى تَعْلِيمِ الْاِحْكَامِ وَالْاِدَارَةِ لِتَوْظِيفِهِمْ
 فِيهَا بَعْدِ فِي الْوَظَائِفِ الْاِدَارِيَّةِ وَنَفْعُهُمْ كَمَالُ النَّفْعِ لِلْحَكُومَةِ قَالَ الشَّاعِرُ

« مَطْلُبُ »
 سببِ كُتُبِهِ
 الْأَمْوَالِ السِّيَاسِيَّةِ
 عنِ الْعِمَومِ
 وَجَعْلِهَا مِنْ
 اسْرَارِ الدُّولَةِ
 فِي الْازْمَانِ
 السَّابِقَةِ

وكاذب الصبح يبدو قبل صادقه وأول الغيث قطر ثم ينهمل
 (وقل آخر)

رب قليل غدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير
 ثم ان الحكومة التي عبرنا عنها فيما سبق بالقوة الحاكمة هي من مقوله
 النسب والاضافات تقتضي حاكما ومحكما يعني ملكا ورعية فلا يفهم الملك
 الا بالرعاية ولا تفهم الرعية الا بالملك كالابوة والبنوة فلهذا وجب ان نبين كلا
 منها مع ما يتعلق به ونبتديء بولاة الامور فنقول
 ولي الامر هو رئيس امتهم وصاحب الفوز الاول في دولته وحاكم متصرف
 بالاصول المرعية في مملكته ولا توجد رعية في مملكة منتظمة بدون راع
 والا ضفت واختلت وشقى اهلها لعدم من يسعى في اسعادهم بتحسين شؤونهم
 وقد تأسست الممالك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الاحكام والحرمة وصيانة
 النفس والمال والعرض على موجب احكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية
 فالمملك يتقدّم الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين

ولما كانت السياسة جسمية لا يقوم بها واحد اختص الملك بمعالي الاحكام
 وكلياتها وخلع بعض نفوذه في جزئيات الاحكام على المحاكم وال المجالس وجعل
 لهم لوائح وقوانين خصوصيه ترشد افعالهم ولا يتعدونها قال بعضهم ليست في
 احتمال الملك ^{«طلب»}
 بمعالي الاحكام
 والكلياتها
 وتقويضه
 جزئياتها لوكالاته
 العدلية فالاصول العادلة تصون ناموس الدولة عن الللامه ولهذا كان جميع ما امضاه
 الملك السالف من الاحكام واجرى مقتضاه بالفعل والتنجيز لا يسوغ لمن جاء
 بعده أن يخدرسه ويبطل أحكامه التي جرى مقتضاه او هذه القاعدة جاريه فيسائر
 الممالك فمرة الاصول الملكية بصونها عن نقص ما جر ياتهاراجمة في الحقيقة

لحفظ حرمة الملك فان بت الحكم في عهد الملك أثر نتائج أفكاره أو مأمراته
نواديه وتصديقه عليه فهو منسوب الى النصب الملوكي فلا يسع نقضه وقد
كان النصب الملوكي في أول الارض اكثراً الملك انتخابياً بالسوداد الا عظم واجماع
الامة ولكن لما ترتب على أصل الانتخاب ما لا يحصى من المفاسد والفتنة والحروب
والاختلافات اقتضت قاعدة كون درء المفاسد مقدماً على جلب المصالح اختيار
التوارث في الابناء وولاية العهد على حسب أصول كل مملكة بما تقرر عندها
فكان العمل بهذه الرسوم الملوكية ضامناً لحسن انتظام الملك

ثـاـنـاـلـلـمـلـوـكـ فـيـ مـالـكـهـمـ حـقـوقـاتـسـمـيـ بـالـزـاـيـاـ وـعـلـيـهـمـ وـاجـبـاتـ فـيـ حـقـ الرـعـاـيـاـ
فـنـ مـزاـيـاـ الـمـلـكـ أـنـهـ خـلـيـفـةـ اللهـ فـيـ اـرـضـهـ وـانـ حـسـابـهـ عـلـىـ رـبـهـ فـلـيـسـ عـلـيـهـ فـيـ فعلـهـ
مـسـؤـلـيـةـ لـاـ حـدـمـنـ رـعـاـيـاـهـ وـاـنـمـاـيـذـ كـرـلـلـحـكـمـ وـالـحـكـمـةـ مـنـ طـرـفـ أـرـبـابـ الشـرـعـيـاتـ
أـوـالـسـيـاسـاتـ بـرـفـقـ وـلـيـنـ لـاـ خـطـارـهـ بـمـاـعـسـىـ أـنـ يـكـوـنـ قـدـ غـفـلـ عـنـهـ مـعـ حـسـنـ
الـطـنـ بـهـ لـقـولـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الدـيـنـ النـصـيـحةـ فـقـلـنـاـ لـمـ يـأـرـسـوـلـ اللـهـ قـالـ اللـهـ
وـلـكـتـابـهـ وـلـرـسـلـهـ وـلـأـئـمـةـ الـمـسـلـمـيـنـ وـعـامـهـمـ وـايـضاـ لـلـاـنـسـانـ فـيـ نـفـسـهـ مـحـكـمـةـ تـجـرـىـ
الـاـحـکـامـ عـلـىـ صـاحـبـهاـ وـهـىـ الـذـمـةـ الـتـىـ هـىـ النـفـسـ الـلـاوـمـةـ أـوـالـطـمـئـنـةـ فـهـىـ قـاضـ
لـاـ يـقـبـلـ الرـشـوـةـ فـاـذـاـ فـعـلـ الـمـلـكـ كـغـيرـهـ مـاـلـاـ يـوـافـقـ لـاـمـتـهـ عـاقـبـتـهـ نـفـسـهـ لـاـنـ نـورـ
الـحـقـ يـسـطـعـ فـيـ القـلـبـ وـاـذـاـ فـعـلـ الـمـلـكـ مـاـلـاـ يـنـبـغـىـ فـعـلـهـ لـاـ تـطـمـئـنـ نـفـسـهـ إـلـىـ ذـلـكـ
وـلـاـ يـرـكـنـ قـلـبـهـ إـلـيـهـ وـلـاـ يـفـرـجـ بـهـ وـاـمـاـ فـعـلـ الـخـيـرـ فـتـطـمـئـنـ إـلـيـهـ النـفـسـ وـيـرـكـنـ

إـلـيـهـ الـقـلـبـ وـيـنـشـرـحـ لـهـ الصـدـرـ

وـبـيـانـ ذـلـكـ أـنـ الـقـلـبـ مـبـداـ الـحـرـكـاتـ الـبـدـيـةـ وـالـأـرـادـاتـ الـنـفـسـاـيـةـ فـاـنـ

صـدـرـتـ عـنـهـ اـرـادـةـ صـالـحةـ تـحـرـكـ الـبـدـنـ حـرـكـةـ صـالـحةـ وـاـنـ صـدـرـتـ عـنـهـ اـرـادـةـ
فـاسـدـةـ تـحـرـكـ الـبـدـنـ حـرـكـةـ فـاسـدـةـ فـالـقـلـبـ كـالـمـلـكـ وـالـاعـضـاءـ كـالـرـعـيـةـ وـلـذـلـكـ

هـ مـطـلـبـ ،
خـصـائـصـ الـمـلـوـكـ
فـيـهـ يـبـبـ لـهـ
وـعـابـهـ

هـ مـطـلـبـ ،
كـوـنـ الـذـةـ
مـحـكـمـةـ قـضـائـةـ
تـبـيـبـ صـاحـبـهـ
وـنـاقـبـهـ عـلـىـ الـحـيـرـ
وـأـشـرـ

قال أهل السنة والجماعة إن العقل في القلب وله شعاع متصل بالدماغ فالقلب يطمئن للعمل الصالح طمأنينة تبشره بأمن العاقبة فصاحب هذا العمل قضى له قاضي الذمة بأنه محق في عمله بخلاف العمل السيء فإنه يورث القلب عندما وحسرة ويكتسبه ملامة تنذره بسوء العاقبة فصاحب هذا العمل السيء قضى عليه قاضي الذمة بأنه آثم مبطل في عمله ولذلك قال صل الله عليه وسلم لوابة بن عبد الله أتاه في وفده جئت تسأله عن البر البر ما اطمأن إليه النفس واطمأن إليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر فاستفتت نفسك وإن أفتوك الناس وافتوك وسبب ذلك أيضاً أن الله سبحانه وتعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله ورکز في الطياع محبته ومن ثم ورد حديث كل مولود يولد على اصل الفطرة قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وهذا يؤيد قول بعضهم ان عمل القلب ان كان خيراً أو شراً كصدى الصوت في الجبل يعود على القلب برنة الخير أو الشر وهو معنى قوله لهم كاد المرتات أن يقول خذني

فذمة الملوك كذمة غيرهم تتأثر بالانبساط من الخير والانقباض من الشر فالذمة حكم عدل تغير غالباً من الظلم والجور وهي عنوان الخوف من الله تعالى في كونها تحمل الملوك على العدل وما يحملهم على العدل أيضاً ومحاسبتهم محسوبة معنوية الرأي العمومي أي رأي عموم أهل ممالكتهم أو ممالك غيرهم من جاورهم من الملوك فإن الملوك يستحيون من اللوم العمومي فالرأي العمومي سلطان قادر على قلوب الملوك والأكابر لا يتسهل في حكمه ولا يهزل في قضائه فويل لمن نفرت منه القلوب واستهرب بين العموم بما يفضله من العيوب وما يحاسب الملوك أيضاً على العدل والاحسان التاريخي حكاية وقائمه

« مطلب »
كون الرأي
العمومي يجعل
ولاية الامور
على العدل
والاحسان

لمن بعدهم من ذرارتهم وخلفهم من الاجيال الآتية فان المؤرخ يذكر
 للامة اخبار ملوكها فينتقل من العين الى الاذن ومن البيان الى الخبر فيبيت
 محاسن الملوك ومثالبهم لاعقابهم ليعتبروا فدأب الملك العاقل أن يتبصر في
 العواقب وأن يستحضر في دائم أوقاته وفي حركاته وسكناته ان الله سبحانه
 وتعالى اختاره لرعاة الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم وراعيهم يعني
 ضامنا لحسن غذائهم حسا ومعنى لا آكل لهم وأنه تعالى خصه بعزيزيا جليلة
 اولها انه خليفة الله في أرضه على عباده وقد أمر الجميع بالعدل والاحسان
 وما بعده حيث قال جل من قائل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
 فأمور العدل أول واجبات ولاة الامور وهو وضع الاشياء في مواضعها
 واعطاء كل ذي حق حقه والمساواة في الانصاف بين القوانيين وأفضل
 الازمنة أزمنة أئمة العدل قال تعالى وأقسموا ان الله يحب المحسنين وقال
 صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العدل وقال بعض الحكماء اذا نطق لسان
 العدل في دار الامارة فهو بشري لها بالعز وعلى السعادة أمارة فتدبر الملوك
 أمر العباد والبلاد بالعدل ارفع لذكراهم وأعلى لقدرهم (وسائل) الاسكندر
 حكماء أهل بابل هل الشجاعة عندكم أبلغ أو العدل فقلوا اذا استعملنا العدل
 استغنينا عن الشجاعة فالعدل انتهت الرياسة الكاملة والمملكة الفاضلة
 ومن مزايا ولاة الامور أيضا ان النفوذ الملكي بيدهم خاصة لا يشاركون فيه

« مطلب »
 ان تتوذّل ولاة
 الامور يعود
 على الرعية
 بالقوانين الجسيمة

مشارك وهذه المزية العظمى تعود على الرعية بالفوائد الجسيمة حيث ان
 اجراء المصالح العمومية بهذه الثابة يتمى بالسرعة لكونه منوطا بارادة
 واحدة بخلاف ما اذا نيط بارات متمدة بيد كثرين فانه يكون بطلاً
 وهذا النفوذ الملكي القضائي غير النفوذ الاجرائي الذي هو مباشرة العمل

وهو من خصائص الوزراء ونظار الدواوين وغيرهم فالنفوذ الملكي هو الترتيب والامر بالنفوذ الاجرائي لمن يجريه فهو حق محترم لا مسؤولية فيه على الملك ولا يكون لغيره فكيف وهو رئيس المملكة وأمير الجيوش البرية والبحرية وقائد الاول وعليه مدار الامور الملكية والعسكرية الداخلية والخارجية وهو الذي يقلد المناصب العمومية لمن يستحق باصدار اوامرها فيها ويرتب الوظائف وينظم اللوائح المبينة لطرق اجراء الاصول والقوانين ويأمر بتنفيذ الاحكام الصادرة من ديوانه ومحاكمه و المجالسه وله الرياسة على امناء دين مملكته وله الحق في ان يمنح المناصب والالقاب العالية وأن يعطي عنوان الشرف ونشائه

و اذا أمر المجالس بتنظيم لوائح فانها لا يجري مفعولها ولا يعتقد بها الا اذا صدق على نفس اللوائح وعلى ترتيب الجزاء على من خالفها وترتيب الجزاء على مخالفة القوانين هو ما يسمى تقرير القوانين وترسيخها فانها بدون ترتيب الجزاء ليس على مخالفتها لوم

واما وظائف المجالس الخصوصية و المجالس التواب فليس من خصائصها الا المذاكرات والمداولات وعمل القرارات على ما تستقر عليه الآراء الاغلبية وتقديم ذلك لولي الامر وكذلك من خصوصيات ولی الامر نشر القوانين واجراء مفعولها من يوم نشرها ومن المزايا الملكية ما يسمى حق كون دايم المنصب الملكي الصفح عن الجاني وهو أجل المزايا اللاحقة بالمنصب الملكي وهو ان له الحق في الصفح عن العقوبة المرتبة على الجاني الذي جناته من قبيل وخلق الانسان ضعيفاً أو تحقيف جزاء هذه الجناية فان العظيم يغفر عن الذنب العظيم وكذلك له ان يسامح من جزاء المذنب بالصغار وان يقبل توبته من يتوب

وهذه المزية الجليلة لا تقتصر على ينبعى ان يكون عليه الملك من الرأفة والرحمة
والحلم فان الحلم يجب ان يكون من الاوصاف الذاتية للملوك وليس لهذا
الحلم المطلوب حد محدود ولا قيد مخصوص بل على اطلاقه وعمومه في حقه
ومفهوم فيه أمره اليه وانما ضابطه ان يكون لرعيته بمنزلة الوالد في الشفقة
على أولاده وان حدث في الرعية حادث فليقتداركه باطفه وتدبره لئلا يتسع
الخرق على الواقع فان أصابهم خلل في أمر المعيشة من الطعام والشراب
والكسوة والدواب أو في الذهب والفضة فانه يوسع عليهم ويلم الشعور
الحادث بهم كما فعل السلطان الغازى محمود بن سبكتكين سلطان غزنه فانه
لما اجدهت رعيته وكان له طعام فقال بعض وزرائه ينبعى ان يعطي لهم ثمن
عدل فقال لا بل نوسع لهم ونصدق به عليهم فانهم رعيتنا لا ينبعى ان نأخذ
منهم شيئاً ولا يستحسن منا ان تكون في الرخاء ورعايتنا في الشدة والفلائم
أمر حتى أفيض عليهم فان ضاقت البلد بالرعاية وشق عليهم المقام في ازدحامهم
فليزيد في البلد فان لم يكن فلينقل من البلد جانيا من الاهلى الى بلد آخر فهذا
هو الملك الحليم العادل

ويجوز له ان يبذل حاممه الى مالا نهاية فلا يليق الاستفسار منه عن
الاسباب الحاملة له على الصفح عن الجاني في حالة ما اذا صفح عنه ولا عن
عدم الصفح في حالة ما اذا لم يصفح واما اللاقى في حقه في حالي العفو
والعقاب ان لا يتجاوز في ذلك الحد حفظا لนามوس الشرعية وصونا لحدود
الله من التعطيل ومحافظة على ابقاء قوة السياسة الشرعية الضامنة لامن العام
ومنع التجربى وتعدى الناس بعضهم على بعض ولهذا لما صدر من بعض
الملوك الصفح عن بعض الجانين وحضر الجنائين أمام القاضى ليصدر له الامر

تعريف الحلم
بالنسبة للملك

كون صفح الملك
عن الجنائين يمحو
المقوبة ولا
يمحو الذنب

بالصفح عنه حكم أمر الملك قال له القاضى لقد صدر أمر الملك بالغفو عن ذنبك فاذهب سريعا فقد ارتفع عنك العقاب وبنى عليك الوزر (وقال) قاض آخر لانسان آخر قتل شخصا بالسم وحكمت عليه المحكمة بعقوبة القتل نخففها الملك باستبدال القتل باليمان اذهب الى اليمان لترتعج أهله فقد قدم عليهم معتمدا أيم قبيح الفعال ليصاحبهم فلا شك انهم ينفرون منك كل النفور

وفي المالك المدققة في الاحكام العدلية لا يصفح الملك عن الجاني في كون صفح الملك الغالب الا في ذنب الخوض في الناموس الملكي او في الصغار الخاصة لا يكون في حقوق العباد بالسياسة الملكية ولا يتجاوز الملك عن المتعدى في شيء بالنسبة لحقوق العباد البنية على المشاحة فلا يمنع حدود الله ولا يصفح عن القاتل لشخص له ورثة ابدا لان الدين او القواد حقهم ومع صفح الملك عن الجاني فلا يبطل تحقيق الدعوى المقدمة في شأن الجنائية فان حقوق الملك اما هي تحقيق عقاب المذنب نظرا للنفوذ الملكي والناموس السلطاني المبني على الشفقة والرحمة فليس من المصلحة غفوه عن الذنب قبل ظهوره ولا اظهار ذلك للمحاكم قبل التحقيق لان ذلك يفضي الى ستر الحق ولها حقوق الحكومة اذا حصلت فتنة عمومية ونحمدت نارها وظهر رؤساء الفتنة وبيان المفسدون ان يخبر المجالس المحكمة المقدمة فيها قضائهم بأنه قد عفا عن الجنوح السياسية وكذلك اذا حصل اتهام المستخدمين في الاموال الميرية باختلاس او اهمال وكان عليهم تحقيق او محاسبة أن يسامحهم مما اتهموا به ويخلو سبيلهم

« مطلب »
وبالجملة حق العفو من الملك الذين هم خلفاء الله في ارضه على عباده مبني على
في ان عفو الملك مطلوب لكونهم اولى بالتحقيق
وجوب التخلق بأخلاق الرحمن اى الاتصال بصفاته كلامه والرحمة والحنان
باخلاق الرحمن

الحديث الشريف الراحمن يرحمون الرحمان في الأرض يرحمكم من في السماء وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى إن كنتم تريدون رحمتي فارحمنا عبادى وقيل في هذا المعنى

ان كنت لا ترحم المسكين انعدما ولا الفقر اذا يشكوك لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته وإنما يرحم الرحمن من رحمة
(وقال اخر)

ابغ للناس من الخير كما تبغ لنفسك
وارحم الناس جميعا إنهم أبناء جنسك

وأما الرعية فهم طبقات متراكمة فينبغي للملك أن يحسن تربية رعيته على « مطلب »
الكلام على اختلافهم ويهذب أخلاقهم بالآداب الحسنة وان يجعل أرباب الزراعة والتجارة
الرعية وما يفعله الملك لاصلاحهم والعمراء على نادية حرفهم جميع حقوقها وينهائهم عن استنفاد الذهب والفضة فيما
لا يحل كالاواني والاطواق واللجم والمناطق لئلا يضيق عليهم أمر المعاش
يعنى انهم لا يستعملون النقددين في الاشياء المستعنية بهم فاز الملوك المتقدمين
كانوا لا يفعلون ذلك هم ولارعايائهم فكثرت في ايامهم التقويد والخيرات وينبغي
ان يشوق المحترفة بالعطاء او المكافآت وشمول النظر والمساحات حتى يتسابقون
إلى تكثير مصنوعاتهم وهكذا كل طبقة

وبسط الكلام على عموم الرعية ان يقال ان لهم حقوقا في الملكة تسمى
بالحقوق المدنية يعني حقوق أهالى الملكة الواحدة بعضهم على بعض وتسمى
المدنية اي حقوق الملكة اهالى الملكة الواحدة بعضهم على بعض
بالحقوق الخصوصية الشخصية فى مقابلة الحقوق العمومية وهى عبارة عن
الاحكام التي تدور عليها المعاملات فى الحكومة وهذه الحقوق فى كتب الفقه
عبارة عن المعاملات والا نكحة والفرائض والوصايا والحدود والجنایات

والدعاوى والبيانات والقضية فالحقوق المدنية المذكورة هي حقوق أهل العمران بعضهم على بعض لحفظ أملاكهم وأموالهم ومنافعهم ونفوسهم وأعراضهم وما لهم وما عليهم حافظة ومدافعة ويتفرع من حقوق الملكة العمومية أي السياسة والإدارة الملكية ومن الحقوق المدنية الشخصية فرع آخر من الحقوق يسمى بحقوق الدوائر البلدية يعني حقوق النواحي والشيخة البلدية وهذه الحقوق تتعلق بالامتيازات الخصوصية لكل ناحية

ثُمَّ ان الدائرة البلدية والناحية والشيخة الفاظ متراوحة في عرف الادارة حقوق الدوائر البلدية التي هي فرع من المدينة بالتصريفات الرشدية يعني استقلال كل ناحية بتحسين نظامها من حيث خصائصها البلدية وحال أهاليها واستبدادها لحفظ مصالحها الخاصة بها تحت ظل الحكومة وهي مجموع قرية أو حارة أو أكثر صارت ناحية لما فيها من الروابط والعلاقات الخصوصية التي استدعها المنافع العمومية فهي جزء من الملكية الكلية امتازت من اجزاء مملكتها بالميزانية الخصوصية البلدية كاحتياصها باسوق دورية ومواسم سنوية وعواائد محلية وعمائر خيرية ثُمَّ ان تكون النواحي سابق الوجود على تكون الحكومات واقدم منها في التجمعات التأنسية فالنواحي أصل المالك فقد كانت النواحي مشيخات صغيرة مستقلة منفرد بعضها عن بعض على قرية أو أكثر وعلى بندر او مدينة بوصف دائرة بلدية وكان الحامل لأهلها على الاجتماع والاتحاد اقتضاء الحاجة الانسانية للتأنس والتعيش والتحفظ حيث أحسوا باحتياجاتهم الى ادارة داخلية لدائرتهم فاحتاجت تلك الادارة الى عمل ومحافظة وحسن تدبير وملائحة فاستدعي الحال الى رئيس يقوم بادارة تلك الدائرة ويتوس امرها ويقوم

« مطلب » سبق تكون الدوائر البلدية على تكون الحكومات والمالك

أودها فاختار أهل هذه الدائرة لهذه الوظيفة اعقل العشيرة وانورهم بصيرة
وكنوا في مبدأ الامر يختارون بالرغبة والطوع لمثل ذلك شيخا من شيوخ
الاهالى الطاعنين في السن من أفادتهم كثرة التجاريب المعلومات القوية

وال晦ية والوقار ويحملونه كبير الناحية ومن المعلوم ان من طعن في السن
يطلق عليه اسم الشيخ فلذلك قيل لهذا الشيخ شيخ البلد أو شيخ الناحية
أو شيخ الحارة وقيل للبلد وللناحية وللحارة مشيخة فاستمر الحال على هذه
التسمية حتى انتظمت النواحي في الحكومات وانخرطت في سلك الملك
وصارت اجزاء لكل أو جزئيات لكتليات وبقي اسم الشيخ دالا على كبير

ال القوم أيام كان عمره

ثم بتداول الازمان وترتيب البلدان وانضمام عده اقاليم أو مدن تحت
رياسة واحدة تنظمت النواحي تنظيما رسميا تابعا لانقسام البلاد الى ممالك
والمالك الى ایالات والایالات الى كور أو مديريات والمديريات الى اقسام
والاقسام الى اخطاط والاخطاط الى نواحي ودوائر بلدية او الى مدن
والمدن الى اجزاء وسمى شيخ المملكة سلطانا أو ملكا أو رئيس جمهورية
وسمى حاكم الايالة واليأ أو أميرا وحاكم المدينة محافظا أو مأمورا وحاكم
المديرية مدير او هكذا وحاكم البلد شيخ البلد أو عمدة وهكذا على حسب
عرف كل بلاد واختلفت الاسماء باختلاف عرف الاقاليم والنواحي والسميات

متحدلة

فقد تأسست كاية الحكومة على عمد نواحها ومعاونيهم فهم أعضاء
بلغسدة الحكومة وجميع الخدمات المحلية محالة على عهدهم واعتمادتهم حتى
ان القوانين قد تربعت في الحكومة بحسب دوائرها البلدية واقتضاء مواقعها

• مطلب
سبب تلقب
رئيس الناحية
 بشيخ البلد

المحلية من المزايا الخصوصية

وفي الازمان السالفة قبل تقدم الجماعة في البلاد الاروبية وقبلأخذها
من التمدن بالحظ الاوفر كان أكثر أهالي حكوماتها ملتزمين وأمراء كبار
مستقلين يملك الدوائر البلدية والاراضي الزراعية يملك الواحد منهم القسم
بناته ويستبد فيه برأيه وتنفيذ أحكامه ويدفع خراجا مقررا للرئيس الحكومية
الكبيرة فكان هؤلاء الملتزمون والامراء مستبدون بما تحت أيديهم من
المدن والقرى والبلاد ومستبدون لما فيها من الفلاحين والاهالي والعباد
وفي مقابلة ذلك يدفعون الخراج المقرر المعلوم لولاة الامور بشرط اتباع
القوانين المعلومة والاصول والرسوم فكانت النواحي تابعة لهؤلاء الاسايد
الملتزمين التابعين بعية ضعيفة لملوكهم مع مبارزتهم لهم بالمشاحنات في كل
وقت مثل ما كان جاريا بالديار المصرية في عهد المماليك

« مطلب »
فلمادعت الحروب الصليبية والغزوات الافرنجية في البلاد المشرقية
ما تج في اوروبا
من الحروب
الاسلامية الى سفر رؤساء الجيوش بأنفسهم الى هذه الحروب وكانوا هم
أرباب الالتزام واقتضى الحال أن يأخذوا من التزاماتهم ما قدروا عليه من
القدس الشريف
الاموال والنفوس لحرب الاسلام وكانوا أرباب حمية قوية وغيره دينية
وطالت أزمنة الغزو والقتال للتعغل على القدس الشريف العزيز المنال مع
كثرة الانفاق لطول الشقاق وتبصرهم في ادخال محسان التمدن المشرقية في
بلادهم المغربية وتعلمه من الاسلام ما حسن بلادهم وانفاقهم النفقات الجسيمة
في الحصول على ذلك كله مدداما مديدة فتضطجع بهذا من جهة المعيش حالم
وضاعت في الازمان المختلفة اموالهم ورجالهم وعمتهم اضرورة الحروب الفاقة
وعجزوا عن الاطلاق واضطروا الى بيع الاراضي والرجال فاشترى منهم اهل

النواحي أملأ كهم وأنفسهم بالأموال و منهم من اشتري الامتياز بحق تنصيب
شيخ من الناحية للمحاماة عن الحقوق الأهلية فتمتعوا من ذلك الوقت بالميزان
الأهلية والحقوق المدنية و تملّكوا الأموال وخرجوا من ربة التبعية
وصاروا على تداول الأيام يزدادون في القوة بقدر ضعف الملتزمين و فقدتهم
للنخوة فتواجدت عند الجميع الحرية وصارت ممالك أوروبا بالتدن حقيقة
و حرية

وقد ترتب على اعتقاد اعناق الدوائر البلدية و تحرير رقاب النواحي في
البلاد الأوروبيّة كافي غيرها من البلاد المتقدمة فلأنّ تان مهمتان (احداهما)
يتمتع أهالي النواحي بثبات الاكتساب و تحصيل المبافع و تحسين أحوال
أهاليها بالثروة والغنى و الأخذ في التمدن والتقدم في العمران (و الثانية)
قوة الحكومة و تكين الدولة حيث صارت جميع النواحي بالملكة تابعة
لها مباشرة بدون توسط الملتزمين والامراء والاساتيد والكتباء لأنّ النظام
العموي في الدولة إنما يتم بوحدة الحكومة واستبدادها بالتصروفات الملكية
ورفض مذهب السيادة الأرضية وطرح مشعب الالتزامات البلدية ظهريا
وبنـد طرق تعدد الأحكام المختلفة مكاناً قصياً فالمملكة المتوحدة يضرها كثرة
الحكام المتعددة

ثم لم تزل النواحي تأخذ في التمكن من التصرفات الرشدية والتقدم
في محافظات حقوق الدوائر البلدية بعنانة الحكومة الكلية حتى صارت قوية
متينة محررة مصونة لأنّ قوة الأجزاء مستلزمة لقوة الكل فتمتع جميع
الاهالي بذلك بثبات مهاراتهم الصناعية و آثار براعتهم الزراعية
ومن المعلوم أن الشريعة الشرفية من صدر الإسلام ناطقة عما هو أقوى من ذلك

وأقوم والسيره العمريه صادقه فيما هو أئم من ذلك كله وأنظم والاسلام
سوى بين الجميع في العدل والانصاف وقد عم به التمدن فيسائر الاقطار
والاطراف واعترف له بذلك جميع أمم الدنيا كمال الاعتراف فلا يضيره « مطلب »
كون الأحكام
ولا يضره سفاهة بعض حكام سلفو حيث خالفوا أحكامه المرضية في أيامهم الاسلامية مقتضية
فلا يقاس على تلك الأيام وذلك لحكومة المالك في مصر وتحميمهم لأهلها تسوية جميع الناس
في العدل والانصاف
ثقل الاصر فهذه قضية شخصية لا تنقض انعموم بدليل زوالها في أجل مسمى

وقت معلوم

فقد وفق المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد على صاحب المساعي المشكوره
وكذلك من بعده من ورثائه على قدر حاله وامكانه لاسيما حفيده خديو مصر
العادل فقد شرع في تأسيس الدوائر البلدية الحررية وبنى ذلك على قواعد ثابتة
مقررة فالآن بعنایه هذا العزيز الجليل وحسن رعايته الظاهره كالشمس فلا
يقام عليها دليل تفوز مصر بفتح الآمال وترقى الى درجة الكمال

شم ان ترتيب عمدة الدوائر البلدية التي هي النواحي وترتيب معاونيهن وماموريتهم
ترتيب محمد الدوائر والشورات البلدية
ومعاوني الضبطية انا هوب حسب جسامته كل ناحية واتساع دائريها او ثروة اهلها
حتى ان الناحية الجسيمة يترب فيها ايضام شورات بلدية ورشدية للاتخاذ مع العمدة
ومساعدته في الامور المهمة فالمدار في ادارة الناحية وضبطها على العمدة وهو
كثير الوظائف ومنوط بامور جمه منها تنظيم جرائد الانساب وهو تسجيل
المولودين والمتزوجين والفقودين على الرسوم المربوطة وهو من اهم امور
المملكة في حفظ الاموال والنفوس والقربابات يبني عليه ابواب كثيرة من
الفقه والسياسة فالعمدة من ذوي الادارة البلدية والضبطية الحاكمية الان
الادارة البلدية التي هي اصل وظيفتها الاصيلية تحت رئاسة المديرية ولما تفرعت

وظائفه وتشعبت خصائصه كان شيخ الناحية بالنسبة لها كمدير صغير وولي على دائرة فهـي كالـكـفـيلـالـنـصـيرـ فـنـ خـصـائـصـهـ مـبـاـشـرـةـ اـمـلاـكـ دائـرةـ النـاحـيـةـ وـعـقـارـاتـهاـ وـإـرـادـاتـهاـ وـقـنـيـنـ مـصـارـيفـهاـ عـاـماـ تـقـضـيـهـ المـصـلـحـةـ وـالـغـبـطـةـ وـتـسـدـيـدـ مـاعـلـيـمـهاـ مـنـ اـمـوـالـ الـمـيـرـيـ وـمـنـ الـدـيـوـنـ

« مطلب »
خـصـائـصـشـيـخـ
الـدـارـةـ الـبـلـدـيـةـ

وـمـنـ خـصـائـصـهـ أـيـضاـ تـيـبـ الـأـشـغالـ الـعـمـومـيـةـ وـاجـرـاءـ الـعـمـلـيـةـ الـلـزـومـيـةـ عـلـىـ طـرـفـ الدـائـرـةـ الـبـلـدـيـةـ إـذـاـ كـانـتـ هـيـ الـلـزـومـةـ بـالـمـصـارـيفـ وـمـنـ خـصـائـصـهـ أـيـضاـ مـبـاـشـرـهـ اـدـارـةـ عـمـائـ الـمـحـالـ الـخـيـرـيـةـ التـابـعـةـ لـلـنـاحـيـةـ إـذـاـ كـانـ مـصـارـيفـهـ عـلـىـ دـائـرـةـ النـاحـيـةـ اوـ كـانـتـ الـمـصـارـيفـ عـلـىـ الـحـكـوـمـةـ وـكـانـتـ الـمـحـالـ الـخـيـرـيـةـ مـعـدـةـ لـنـافـعـ الدـائـرـةـ الـبـلـدـيـةـ كـالـاسـبـتـائـيـاتـ وـالـمـكـاتـبـ وـمـنـ خـصـائـصـهـ أـيـضاـ التـشـبـثـ بـكـافـةـ الـوـسـائـلـ الـتـيـ تـجـلـبـ الـرـاحـةـ وـالـآـمـنـيـةـ وـحـسـنـ الـأـنـتـظـامـ لـاهـالـيـ الـبـلـدـةـ وـكـذـلـكـ الـاعـتـنـاءـ بـهـذـبـ الـاخـلـاقـ وـالـتـأـدـيبـ وـالـتـرـيـةـ لـلـاهـالـيـ وـتـعـوـيـلـهـمـ عـلـىـ الـاسـقـامـةـ وـعـدـمـ اـرـتـكـابـ مـاـفـيـهـ سـقـامـةـ وـمـنـ مـاـمـوـرـيـاتـهـ أـيـضاـ تـوزـيعـ مـاـيـخـصـ دـائـرـةـ النـاحـيـةـ فـيـ ضـمـنـ عـمـومـ الـمـديـرـيـةـ مـنـ الـأـمـوـالـ وـالـعـوـائـدـ وـتـوزـيعـهـاـ عـلـىـ اـشـخـاصـ النـاحـيـةـ بـحـسـبـ مـيـسـرـةـ كـلـ مـنـهـمـ بـالـاتـحـادـ مـعـ شـورـىـ النـاحـيـةـ لـعـدـمـ الـمـغـدـورـيـةـ وـكـذـلـكـ يـجـبـ تـحـصـيلـ الـأـمـوـالـ وـالـعـوـائـدـ بـحـسـبـ التـوزـيعـ وـتـورـيـدـهـاـ إـلـىـ خـزـينـةـ الـمـديـرـيـةـ وـأـلـىـ خـزـينـةـ الـمـديـرـيـةـ حـسـبـ الـاـصـوـلـ الـمـقـرـرـةـ وـعـلـيـهـ أـيـضاـ الـمـلاـحظـةـ لـلـأـشـغالـ الـعـمـومـيـةـ وـالـعـمـلـيـاتـ وـالـمـحـافظـةـ عـلـىـ أـمـلاـكـ الـحـكـوـمـةـ وـالـبـحـثـ عـنـ اـصـلـاحـ الـمـسـاجـدـ وـالـمـعـابـدـ وـالـمـشـاهـدـ وـالـقـرـافـاتـ وـالـاـضـرـحةـ وـالـمـكـاتـبـ وـالـمـدارـسـ وـالـآـثارـ الـقـدـيمـةـ وـكـلـ ماـهـوـ فـيـ النـاحـيـةـ مـنـ أـمـثالـ ذـلـكـ

« مطلب »
التـرـيـصـ لـشـيـخـ
الـنـاحـيـةـ بـاجـرـاءـ
ماـهـوـمـنـ خـصـائـصـهـ
بـدـونـ اـسـتـثـانـ
مـنـ هـوـفـوـقـهـمـنـ
الـحـكـامـ الـأـفـيـ
أـمـورـ جـسـيـةـ

وـبـالـجـمـلةـ فـعـمـدـةـ الـبـلـدـ أوـ النـاحـيـةـ مـرـخصـ لـهـ بـدـونـ اـسـتـثـانـ مـنـ دـيـوانـ الـقـسـمـ أوـ الـمـدـيـرـيـةـ أـنـ يـجـرـىـ مـنـ بـادـيـءـ رـأـيـهـ جـمـيعـ مـاـهـوـ مـنـ خـصـائـصـهـ وـوـظـائـفـهـ

وحدوده ماعدا بعض أشياء جسمية يحتاج فيها للاستئذان من الرئيس الذي هو أعلى منه وهو المدير بالنسبة للادارة البلدية ونائب الملك في المحاكم بالنسبة للقضائية الحاكمة فما يحتاج فيه العمدة للاستئذان شراء عقارات أو اراضي للناحية أو بيع مثل ذلك من الناحية أو ضرب عوائد على الاهالى غير المقتنى فوق العادة لمصروف الناحية لاحتياجاته أو كافتراض أموال على طرف الناحية لوازمه أو كتجديد اشغال ومنافع وعمارات وسُكُوك وكتجارة في اموال الناحية المتوفرة في صندوقها بعد المصرف وكانتداعي في قضايا تخص الناحية أو قبول التخاصم والتداعي مع احد ادعي على دائرة الناحية بشيء فكل هذاعلى العمدة أن يستأذن فيه من محل الاقضاء وما عدا ذلك من حقوق الناحية هو من دائرة تصرفة وحدوده فيجب على العمدة بحسب الامكان ان يبشرها بنفسه ما يجب ان يكون عليه شيخ فهو المحاي عن الناحية محاماة الاولى لليتيم والكفيل للمكفول وللحكومة العليا تولية من يفتتش احوال الدائرة البلدية كالناظر الحسي

فيجب على كل عمدة أن يكون له المام بالاحكام الشرعية والقوانين كون الملك يتبع للولايات الوضعية وممارسته للحكم الملكية فان جهلة هذه الاحكام يخطب مقامه ويزري الملة من ارباب المعرف السياسيه من فيهم الكفاءة الازمة والمعلومات الكافية فبالك عن هو اعلى منه من الموظفين كوكلاء المملكة وزرائهم او نوابه وحيطها فالمملوك العاقل المدربر لا ينتخب للوظائف المهمة الا من يكون جاماً لخصال الخير حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهمية والعفة والزاهة وعزيمة النفس وسداد الرأي وحسن

التدبر وسرعة الفهم والعلم بالأمور السياسية والقوانين الملكية والأحوال الديوانية والوقوف على أحوال المسالك والمالك وما بينهما من العلاقات والروابط والعقود والضوابط وإن يكون معروفاً بالصدق والوفاء متجراف أنواع العلوم السياسية له خبرة بكتابة الأنشاء والمحاسبات ذكي الفطنة سريع الجواب كثير الصواب متيقظاً في تدبير الدولة العادلة معمر للجهات والنواحي والأعمال مثمناً لاصناف الأموال وتحصيل الغلال مقتضاها في وجوه صرفها ونفقاتها (قالت) الحكماء يجب أن يكون الوزير مثل المرأة التي لها وجهان ينظر بوجه منها إلى الله تعالى وبالآخر إلى الرعية انتهى ومثل الوزير في ذلك سائر رؤساء المملكة فأنهم جميعاً كالراعي الذي استئجر لحفظ الأغنام فإذا حفظوها استحقوا الأجرة وإن ضيّعواها أخذوا بالغرامة وحبسوا في سجن الملامة وخسروا الدنيا والآخرة ويقال لهم يارعاً السوء أكلتم السمين وضيّعتم المزيل فحق منكم الانتقام بخلاف الوزراء الذين يعلمون أن الشريعة معيار المملكة والسياسة ميزان السلطنة فيزنون الرعايا كأنفسهم بميزان الشريعة والسياسة فهو لاء يفوزون بسلامة الدنيا والآخرة لما حفظوه من الوزن بقسطاس العدل في صيانة النفس والمال والعرض، وبالعدل قامت السموات والارض

وبالجملة فعل ولـ الامر ان يجتهد حتى يرضى عنه جميع رعيته وان ينزل نفسه منزلتهم وكل ما يحبه لنفسه يحبه لهم وعليهم الطاعة الكاملة له لقوله تعالى أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ هُنَّ الْمُفْلِحُونَ فـ فقد قرن تعالى طاعة ولاة الامر بطاعة نفسه ورسوله فهذه عظمة جليلة لولاة الامر ومنزلة جليلة تبلغ النهاية في رفعة القدر فإذا ظهر لولي الامر عدو لزمه معاونة الملك

عليه فإذا استقر لهم أقرضوه وإذا استعان بهم أعادوه وإن عدل فيهم مدحوه وإن ثقل عليهم شيء من أحكامه صبروا إلى أن يفتح الله لهم باب هداته للخير وارشاد دولته للعدل وزوال الضير ويسألون الله تعالى إن يرزقه بطانة أهل حكمة وشجاعة وعفة وعدالة

فالملاك المزروع بموظفيه متصفين بهذه الخصال الحمودة هو مسعود الرعية فهو الذي يتحمل به الزمان ويرضى عنه الرحمن واهتمام الملك وموظفيه بصلاح الرعية لا يمنع من سعيهم أيضاً في اصلاح أنفسهم بقدر الامكانيات لأن من لم يصلح نفسه عسر عليه اصلاح غيره وكيف يعرف رشد غيره من لا يعرف رشد نفسه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

الفصل الثاني

(في طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين)

والمراد بهم هنا ما يشمل علماء الحقيقة وعلماء الشريعة وعلماء الحكمة والأمور النافعة التي عليها نظام الدنيا والدين فأما علماء الحقيقة أهل الرهان والورع وقليل ما هم أصحاب الأخلاق في الدين وعن محنة الدنيا تراهم متبعدين وأما العلماء وهم ورثة الأنبياء وحملة الشريعة فدرجتهم من أمّة النبي صلى الله عليه وسلم مثل درجة الأنبياء بنى إسرائيل وكرامتهم عظيمة ولحوهم مسمومة من شمها مرض ومن أكلها سقم فمن عظمتهم فقد عظم الله رسوله وأعطي درجة العلم حقها وهو فضل الله يؤتى به من يشاء (قال) صلى الله عليه وسلم لو لا العلماء لحلكت أمّتي لهم احفظ العلماء واعف عن الجهال وارحم

الناس فيجب على الدولة ان تتحترم علماء الشرعية و تكرمهم و تثيبهم على تعليمها
 والمحافظة عليها بل عليها أيضا ان تحرى ادخال السرور عليهم و اسماع الصلوة لهم
 والتعطف عليهم و ان تقرب اليهم بالصلات و ان تحف اولادهم بالتحفاف
 رفقا لهم و تلطيفا لهم و ان تحملهم على الاستغفال بالعلم و المراد بعلماء الشرعية
 العارفون بالاحكام الشرعية والعقائد الدينية اصولا و فروعا يعني الاحكام
 المتعلقة بالعمل عبادات ومعاملات و يلحق بهم أهل العلوم الآلية العقلية التي
 يتوقف عليها فهم العلوم الشرعية لان الوسائل تشرف بشرف المقاصد وينبغى
 زيادة الاجلال والتجليل لاهل التفسير والحديث وهم العلماء المنتدبون لعلوم
 القرآن او تفاسيره وروايات الحديث بأسانيده و بعلوم الترغيب والترهيب وتجليل
 علماء الحقيقة الذين انجلوا عن قلوبهم الخبث وقادورات الدنيا وارتفع عنهم
 الغطاء والرين حتى اتضحت لهم حلية الحق عيانا وانتظمت شمائهم في سمات
 الصالحين الذين بذكراهم تنزل الرحمات من رب العالمين فمثل هؤلاء ينبغي
 الاتحاد بهم لاستفادة الخير منهم فن كان جليسـه صاحب علم أو صلاح
 استفاد منه خيرا انه قـلـيـخـلـوـ مجلسـهـ عنـ مـسـئـلـةـ وـ عـظـأـ وـ نـصـحـ
 أـحـبـ الصـالـحـينـ وـ لـسـتـ مـنـهـمـ لـعـلـيـ انـ أـنـالـ بـهـمـ شـفـاعـهـ
 وـ أـكـرـهـ مـنـ بـضـاعـتـهـ الـعـاصـيـ وـ انـ كـنـاـ سـوـاءـ فـيـ الـبـضـاعـهـ
 (وقيل)

لـ سـادـةـ مـنـ عـزـمـ أـقـدـامـهـ فـوـقـ الجـبـاهـ
 اـنـ لـمـ أـكـنـ مـنـهـمـ فـلـيـ مـنـ حـمـمـ عـزـوجـاهـ
 فـ بـجـالـسـةـ الصـالـحـينـ فـائـدـةـ عـائـدـةـ بـالـخـيـرـ الـعـمـيمـ عـلـىـ مـجـالـسـهـمـ وـ فـيـ الـحـدـيـثـ
 يـخـشـرـ المـرـءـ مـعـ مـنـ أـحـبـ وـ قـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ الـعـالـمـ وـ الـمـعـلـمـ شـرـيـكـانـ فـيـ الـخـيـرـ

كذلك ويحترم ويكرم العلماء المشتغلون بحملة علوم شريفة ينفع بها ويحتاج إليها
 في الدولة والوطن كعلم الطب والهندسة والرياضيات والفالكيات والطبيعيات
 والجغرافيا والتاريخ وعلوم الادارة والاقتصاد في المصاريف والفنون
 العسكرية وكل ما كان له مدخل في فن او صناعة فان أهلها يجب اكرامهم
 من أهل الدولة والوطن وكذلك يجب اسداء المعروف واصطنانه لارباب
 المعارف الادبية والفصاحة العربية فقد ذكر ابن رشيق في العمدة ان اعرابيا
 وقف على رضى الله عنه فقال ان لي اليك حاجة رفعها الى الله قبل أن ارفعها
 اليك فان انت قضيتها حمدت الله وشكرتك وان انت لم تقضها حمدت الله
 وعزرتك فقال خطها في الارض خط اني وفقير فدفع اليه حلة فلما تسامها أشد
 كسوتنى حلة تبلى محسنة فسوف أكسوك من حسن التناحلا
 ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل والجبلا
 لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذى فعله
 فامر له بخمسين دينارا وقال الحلة لفاقتكم والخمسون لا دبك سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم

وقد نص المؤرخون على انه لم يك في الدنيا في قديم الزمان اعظم دولة
 ولا اشمخ مملكة ولا ادوم أياما وذكرا من دولة مصر والفرس واليونان
 وسبب ذلك تعظيمهم للعلوم والحكمة وتمكن من يستغل بذلك ورعاية
 جآبه حتى كان اكثرا ملوكهم علماء وحكماء فمن قام رونق المملكة اشتمل على
 ائمه في هذه العلوم بأسرها فما اضيع دولة قل عليؤها وحكماها وفسدت
 مزارعها وكسرت منافعها ولم تجد من يحييها ولا من يحيى بتحيات العلوم معالها
 ونواحيها ولكن الحمد لله الذي من على مصر بخلافة الخلفاء على الاطلاق

حيث جعلوا فيها شموس العلوم ساطعة الاشراق ثم من عليها بدولة آل عثمان لفحة ظلت بالنسبة اليهاما بقى فيها من مكارم الاخلاق مع المحافظة على القوانين الشرعية لاسيما وان من نتائجه آسلطهم عليها تشريف ذي النفس الزكيه والمناقب السنية جنت مكان المرحوم محمد على الذى أبقي بحسن صنيعه ذكره مدي الايام وآل أمر المملكة لخفيده الرفيع القائم

انما المجد مابنى والد الصدوق وأحيا فعاله المولود

فقد جدد دروس العلوم بعد ان دراسها واوجدت بعد العدم الرؤساء العلماء والفضلاء نتيجة قياسها لقصد انتشار العلم والزيادة في الفضائل فأتى من ذلك بالعلم تستطعه الاوائل غير انه حفظه الله وأبقاءه ولو انه أعلى منار الوطن ورقاه لم يستطع الى الان ان يعمم أوار هذه المعرفات المتنوعة بجامع الازهر الانور ولم يجد طلابه الى تكميل عقولهم بالعلوم الحكيمية التي كبير نفعها في الوطن ليس ينكر نعم ان لهم اليد البيضاء في اتقان الاحكام الشرعية العملية والاعتقادية وما يجب من اللوم الآية كعلوم العربية الثانية عشر وكالمنطق والوضع وآدب البحث والمقولات وعلم الاصول المعتبر ولمثل هذا فليعمل العالمون وفي ذلك فليتنافس المنافسون غير ان هذا وحده لا يفي للوطن بفضاء الوطر والكمال قبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر

ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط ببعدي الامر بهذه العصابة التي ينبغي ان تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشرفية ورفع اعلام الشرعية المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقديم الوطنية من كل ما يحمد على تعلمه وتعايمه علماء الامة الحمدية فإنه بانضمامه الى علوم الشرعية والاحكام يكون من الاعمار الباقية على الدوام ويقتدي بهم في اتباعه

« مطلب »
انه ينبغي للعلماء
الشرعية ان
يتثبتوا ايضا
بمعرفة المادفات
البشرية كالعلوم
الحكيمية العملية

اخاً وَالْعَامَ حَتَّى إِذَا دَخَلُوا فِي أَمْوَالِ الدُّولَةِ يَحْسِنُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي ابْدَاءِ الْمَحَاسِنِ
 الْمَدِينَةِ قَوْلَهُ فَان سُلُوكُ طَرِيقِ الْمَلِمِ النَّافِعُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُسْتَقِيمٌ وَمَهْجُونٌ
 الْأَبْهَجُ هُوَ الْقَوْيُمُ يَكُونُ بِالنَّسَبَةِ لِأَعْلَامَ سُلُوكِهِ أَقْوَمُ وَتَلْقِيهِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَنْتَمْ
 وَأَنْظَمْ لَاسِيَا وَانْ هَذِهِ الْعُلُومُ الْحَكَمِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي يَظْهُرُ إِلَيْنَا أَجْنبِيَّةً
 هِيَ عُلُومٌ اسْلَامِيَّةٌ نَقْلُهَا إِلَى الْاجَانِبِ إِلَى لِغَاهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَمْ تُزَلْ
 كَتَبُهَا إِلَيْنَا إِلَى الْآنِ فِي خَزَائِنِ مَلُوكِ الْإِسْلَامِ كَالْذِخِيرَةِ بَلْ لَا زَالَ يَتَشَبَّثُ
 بِقِرَاءَتِهَا وَدِرَاسَتِهَا مِنْ أَهْلِ أَورُوبَا حَكَمَاءِ الْأَزْمَنَةِ الْآخِرَةِ فَانْ مِنْ اطْلَاعِ عَلَى
 سِنْدِ شِيخِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشِّيْخِ أَمْمَادِ الدِّمَنْهُورِيِّ الَّذِي كَانَ مُشَيخَهُ قَبْلِ
 شِيخِ الْإِسْلَامِ الشِّيْخِ أَمْمَادِ الْعَروْسِيِّ الْكَبِيرِ جَدِ شِيخِ شِيوْخِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
 إِلَيْنَا إِلَيْنَا السِّيدِ الْمَصْطَفُوِيِّ الْعَلَمِ الشَّهِيرِ رَأَى أَنَّهُ قَدْ أَحْاطَ مَنْ دَوَّأَرَ هَذِهِ الْعُلُومَ
 بِكَشِيرٍ وَانْ لَهُ فِيهَا الْمَوْلَفَاتُ الْجَمِيعُ وَأَنْ تَلْقِيهَا إِلَيْيَ أَيَّامِهِ كَانَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَامِعِ
 الْأَزْهَرِ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمَهْمَةِ فَانِّي يَقُولُ فِيهِ بَعْدِ سِرْدِ مَا تَلَقَاهُ مِنَ الْعُلُومِ الْشَّرِعِيَّةِ
 وَآلَاتِهَا مَعْقُولاً وَمَنْقُولاً أَخْذَتْ عَنِ اسْتَاذَنَا الشِّيْخِ الْعَمِرِ الشِّيْخِ عَلَى الزَّعْتَرِيِّ
 خَاتَمَ الْعَارِفِينَ بِعِلْمِ الْحَسَابِ وَاسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولَاتِ وَبِعَانِقَةِ عَلَيْهَا كَالْفَرَائِضِ
 وَالْمِيلَاتِ وَسِيَلَةِ ابْنِ الْهَائِمِ وَمَعْوِنَتِهِ كَلَاهَا فِي الْحَسَابِ وَالْمَقْنَعِ لِابْنِ الْهَائِمِ
 وَمَنْظُومَةِ الْيَاسِمِينِيِّ فِي الْجَبْرِ وَالْمَقَابِلَةِ وَدَقَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي حَسَابِ الْدَرَجِ
 وَالْدَقَائِقِ لَسْبِطِ الْمَارِدِينِ فِي عِلْمِ حَسَابِ الْأَزْيَاجِ وَرَسَالَتِيْنِ احْدَهُمَا عَلَى
 رَبِّ الْمَقْنَطِرَاتِ وَالْأُخْرَى عَلَى رَبِّ الْمَجِيبِ كَلَاهَا لِلشِّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَارِدِينِيِّ
 جَدِ السَّبِطِ وَنَتْيَاجُهُ الشِّيْخِ الْلَّادِقِ الْمَحْسُوبَةُ لِعَرْضِ مَصْرُ وَالْمَنْجَرَفَاتِ نَسْبِطُ
 الْمَارِدِينِيِّ فِي عِلْمِ وَضْعِ الْمَزاَوِلِ وَبَعْضِ الْلَّامَعَةِ فِي التَّقْوِيمِ وَأَخْذَتْ
 عَنِ سِيَلِيِّ أَمْمَادِ الْقَرَافِيِّ الْحَكَمِيِّ بِدارِ الشَّفَاءِ بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ كِتَابٌ

الوجز والامحة العفيفية في اسباب الامراض وعلاماتها بشرح
 الامشاطي وبعضا من قانون ابن سينا وبعضا من كامل الصناعة وبعضا من
 منظومة ابن سينا الكبرى والجيم في الطب وقرأت على استاذنا الشيخ
 عبد الفتاح الدمياطى كتاب لقط الجوادر فى معرفة الحدود والدوائر اسبط
 الماردبى فى الهيئة السماوية ورسالة ابن الشاطى فى علم الاسطرلاب ورسالة
 قسطناس لوقا فى العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها والدر لابن الجدى
 فى علم الزيج وقرأت على استاذنا الشيخ سلامه الفيومى اشكال التأسيس فى
 الهندسة وبعضا من الجغمى فى علم الهيئة وبعضا من رفع الاشكال عن مساحة
 الاشكال فى علم المساحة وقرأت على شيخنا الشيخ عبد الجاد المرحومى جملة
 كتب منها رسالة فى علم الارتعاطى للشيخ سلطان المزاحى وقرأت على الشيخ
 محمد الشهير بالسجىمى منظومة الحكم درمقاش المشتملة على علم التكسير
 وعلم الاوافق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ورسالة أخرى فى رسم رباع
 المقطرات والمنحرفات لسبط الماردبى وعلم المزاول ومنظومة فى علم الاعمال
 الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطق والمفهوم لحمد بن ساعد الانصاري
 وهى كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علماً او لها علم الحرف وآخرها علم
 الطاليم ورسالة للاسرائىل ورسالة للسيد الطحان كلامها في علم الطالع
 ورسالة للخازن فى علم المواليد أعني المالك الطبيعية وهى الحيوانات والنباتات
 والمعادن وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندى شرح المداية فى
 علم الحكمة ومتى الجغمى فى علم الهيئة براجعة قاضى زاده ومطالعة السيد
 عليه وأخذت عن سيدى احمد الشرف شيخ الغاربة بالجامع الازهر كتاب
 اللمعة فى تقويم الكواكب السبعة

ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الاخذ عن شيخ فقال طاعت كتاب أخياء الفواد بمعرفة خواص الاعداد في علم الارقامatic في نحو كراسين وكتاب عين الحياة في علم استنباط المياه في نحو كراسين ورسالة في الكلام اليسير في علاج البواسير في نحو كراسين ورسالة التصریح بخلاصة القول الصريح في علم التشريح في نحو كراسين ومنها كتاب اتحاف البرية بمعرفة الامور الضرورية في علم الطب في نحو خمسة كراسيس ومنها رسالة القول الاقرب في علاج لسع العقرب في نحو كراس ومنها منهج السلوك في نصيحة الملوك في نحو عشرة كراسيس ومنها كتاب بلوغ الارب في أسماء سلاطين العجم والعرب معنونا باسم السلطان مصطفى خان ابن السلطان احمد خان المولود في رابع عشر شهر صفر سنة تسعة وعشرين ومائة وalf يوم الاربعاء اول النهار في الساعة الاولى بعد الشمس الجالس على سرير الملك في سابع عشر شهر صفر الخير سنة احادي وسبعين ومائة وalf يوم الاحد قبل الشمس انتهي كلامه ملخصا بتصرف فانظر الى هذا الامام الذي كان شيخ مشايخ الجامع الازهر وكان له في العلوم الطبية والرياضية وعلم الهيئة الحظ الاولى لما تلقاه عن اشياخه الاعلام فضلا عن كون اشياخه كانوا ازهريين ولم يفهموا الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة في الوطنية وفضل الملاحة الجبرية المتوفى في ائمته القرن في هذه العلوم وفي فن التاريخ امر معلوم وكذلك العلامة الشيخ عثمان الورداني الفلكي وكان للمرحوم العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الازهر أيضا مشاركة في كثیر من هذه العلوم حتى في العلوم الجغرافية فقد وجدت بخطه هو امش جليلة على كتاب تقويم البلدان لاسماعيل أبي الفداء سلطان حماه المشهور أيضا بالملك المؤيد

وللشيخ المذكور هو امش أيضا وجدتها باً كثـر التواريـخ وعلى طبقات
الاطباء وغيرها وكان يطبع دائما على الكتب المعربة من تواريـخ وغيرها وكان
له نوع شـدـيد بـسـائـرـ المـعـارـفـ البـشـرـيـةـ معـ غـاـيـةـ الـديـانـةـ والـصـيـانـةـ وـلـهـ بـعـضـ تـالـيـفـ
فيـ الطـبـ وـغـيرـهـ زـيـادـهـ عنـ تـالـيـفـهـ المشـهـورـهـ فـلـوـ تـشـبـثـ منـ الآـنـ فـصـاعـدـ
انـجـيـاءـ أـهـلـ الـعـلـمـ الـازـهـرـيـينـ بـالـعـلـومـ الـعـصـرـيـةـ الـتـىـ جـدـدـهـ الـخـدـيـوـ الـأـكـرمـ
بـحـسـرـ بـأـنـفـاقـهـ عـلـيـهـ أـوـفـرـ أـمـوـالـ مـلـكـتـهـ لـفـازـوـاـ بـدـرـجـةـ الـكـمـالـ وـانـظـمـوـاـ فـيـ
سـلـكـ الـاـقـدـمـيـنـ مـنـ خـوـلـ الـرـجـالـ وـرـبـاـ يـتـعـلـمـوـتـ بـالـاحـتـيـاجـ إـلـىـ مـسـاـعـدـةـ
الـحـكـوـمـةـ وـالـحـالـ انـ الـحـكـوـمـةـ اـنـمـاـ تـسـاعـدـ مـنـ يـلـوحـ عـلـيـهـ عـلـامـاتـ الرـغـبةـ
وـالـغـيـرـةـ وـالـاجـمـهـادـ فـعـلـ كـلـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ مـتـوـقـفـ عـلـىـ عـلـمـ الـآـخـرـ فـتـرـجـعـ
الـمـسـئـلـةـ دـوـرـيـةـ وـالـجـوـابـ عـنـهـاـ انـ الـحـكـوـمـةـ قـدـ سـاعـدـتـ بـتـسـهـيلـ الـوـسـائـطـ
وـالـوـسـائـلـ لـيـقـنـعـ فـرـصـةـ ذـلـكـ كـلـ طـالـبـ وـسـائـلـ وـكـلـ مـنـ سـارـ إـلـىـ الدـرـبـ وـصـلـ
وـإـنـمـاـ تـكـوـنـ الـكـافـأـةـ عـلـىـ تـقـامـ الـعـلـمـ فـهـذـاـ مـاـيـتـعـلـقـ بـطـبـقـةـ الـعـلـمـاءـ وـقـدـ ذـكـرـنـاـ
مـاـيـتـعـلـقـ بـالـعـلـمـ فـيـ الـفـصـلـ الـاـولـ مـنـ الـبـابـ الـاـولـ مـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ مـبـسوـطاـ
بـعـافـيـةـ الـكـفـاـيـةـ

وـمـنـ أـجـلـاءـ طـبـقـةـ الـعـلـمـاءـ الـقـضـاءـ فـرـبـةـ الـقـضـاءـ قـدـ جـعـلـ اللـهـ إـلـيـهـ مـنـتـهـيـ

الـقـضـاءـيـاـ وـأـنـهـاـ التـظـلـمـاتـ وـالـشـكـيـاـ وـلـاـ يـكـوـنـ صـاحـبـهاـ إـلـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ هـمـ

وـرـثـةـ الـأـنـيـاءـ فـالـقـاضـيـ مـتـوـلـ الـاـحـکـامـ الـشـرـعـیـةـ لـهـذـهـ الرـتـبـةـ كـمـ وـرـثـ عـنـ

الـنـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـمـهـ وـرـثـ عـنـهـ بـهـذـهـ الـوـظـیـفـةـ الشـرـیـفـةـ حـکـمـهـ

وـمـاـيـنـبـغـيـ ذـكـرـهـ هـنـاـ بـالـنـاسـيـةـ اـنـ مـنـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـىـ عـائـلـتـنـاـ بـطـهـ طـاـ

أـنـ اـجـتـمـعـ فـهـاـ مـعـ مـنـصـبـ نـقـابةـ الـاـشـرـافـ الـتـىـ هـىـ لـمـ تـرـلـ فـيـ بـيـتـنـاـ إـلـىـ الـآـنـ

مـنـصـبـ قـضـاءـ الـوـلـاـيـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ نـسـلـنـاـ

« مـطـابـ »

منـصـبـ الـقـضـاءـ

وـجـلـةـ قـدـرـهـ

« مـطـابـ »

اجـتمـاعـ منـصـبـ

الـقـضـاءـ مـعـ نـقـابةـ

الـاـشـرـافـ فـيـ

عـائـلـةـ مـؤـلـفـ

الـكـتـابـ وـمـنـ

تـوـلـيـ مـنـ عـائـلـتـهـ

قـضـاءـ مـصـرـ

وـذـكـرـ لـسـبـبـ

ان لله علينا نعما يعجز العبد عن العدهما

فله الحمد على نعائمه وله الشكر على الحمدلها

وكنت أسمع من أسلافنا أزمن ذرية جدنا أبي القاسم الطه طائى من تقلد بحر وسة مصر بوليات شريفة وحظي عند ملوكها بالراتب المنيف حتى وقفت الأذن على كتاب يسمى ذيل رفع الاصر فى قضاة مصر للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي صاحب الضوء اللامع ترجم فيه لاثنين من اقاربنا تواليًا قضاة مصر بالتعاقب ولما كان هذا الكتاب مرتبًا على حروف المعجم ترجم لالخلف مما قبل السلف فقال هذا المؤلف مانصه عمر بن أبي بكر بن محمد بن حريز ويدعى محرز من أبي القاسم بن عبد العزيز بن يوسف ابن رافع من جندى بن سلطان بن محمد أحمد بن حججون ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن اسماعيل بن جعفر الزكي بن محمد المأمون بن علي الحارض بن الحسين بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القاضى سراج الدين بن الشيخ مجد الدين الحسينى المغربي الاصل الطه طائى المنفلوطى المصرى المالكى الشميرى بابن حريز

مطلب *
تقىيد القافية
عم سراج الدين
هو الذى أملى على هذا النسب بعد أن أثبتته ثم أوقفنى عليه صاحب الترجمة في
الطه طائى قضاة
مصر ونمسجه
أبو القاسم
الطباطنى

السنية وكون الشيخ عبد الرحيم القنائى ابن عم جده وتقديمه في الزمان واز من جملة من لقيه السراج البليغى وأنه مات في مسنه ستين سنة اثنين وستين وسبعينه عن
نحو تسعين سنة ودفن بزوايته التي أنشأها بخطه وقبره هناك ظاهر يزار
أنهى أنجب أبو القاسم هذا عدة أولاد كانت لهم جلاله وهيبة وكلمة نافحة

منهم نور الدين ابوالحسن على الضرب المجرى وجد والصاحب الترجمة الزين
 أبو المعالي حريز الموصوف من بعض من لقيه في سنة ثمان وسبعين بالشيخ
 الامام الحدث المجرى وكان مولد صاحب الترجمة في سنة تسع عشرة بمنفلوط
 ونشأ بها فحفظ القرآن والرسالة والملحة وجود القرآن على الشهاب الطهطائى
 وقرأ الفقة على الزينين عبادة وطاهر والشهاب السخاوي وعليه قرأ فى
 العربية والقراءتين ولازمه وانتفع به وأخذ فى علم الكلام عن أبي عبد الله
 اليشكري المغربي وسمع الحديث عن النجم بن عبد الوارث فمن دونه ومن سمع
 عليه الشيخ أحمد محمد بن يونس المغربي نزيل مكة حين اثبات هذه الترجمة واجاز
 له العلم البليقى وناب عنه وكذا عن غيره من الشافعية بعده وعن الولى
 السنباطى المالكى وحج فى سنة أربع وستين وتعانى ادارة الدوالىب
 والمعاصر (أى معاصر قصب السكر) ونحوها كأخيه

ولما استقر اخوه فى قضاء المالكية صار يكتب على الفتوى وعرف
 بالديانة والأمانة والتصلب فى امر دينه ومزيد الييس وحسن المعاملة وصدق
 المهجحة والوفاء بالعهد وذكر باستحضار فروع الذهب فصار إلى رئاسة وجالة
 فلما مات أخوه استقر فى قضاء المالكية بعده فى شعبان سنة ثلاث وسبعين
 وأعرض عن بعض وظائف كانت مع أخيه كتدريس الشيخونية فاستقر
 فيها الحيوى بن تقى وتدريس جامع طلوبت أيضا فاستقر فيه التورى بن
 التنسى ثم رجع إليه بعد وفاته وقام بالمنصب مقاما حسنا متجريا فيه جهده
 وشكرت سيرته فيه وصمم فى قضايا وبرز فى مواطن جبن فيها غيره كل
 ذلك مع اشتغال فكره بما التزمه من ديون أخيه وكثرة التعرض له بسببها
 من الدوادار الكبير وكذا الثاني مرة بعد أخرى وآل الامر في بعضها

إلى أن أمر السلطان بالترسيم عليه وأقام بطبقة الزمان بضعة عشر يوماً وعد ذلك في النوازل ثم أطلق وبعد ذلك أوى إلى السلطان في شيء من تبات ما أشير إليه يقتضي تغير خاطره منه فبادر يوم الاثنين السادس صفر سنة سبع وسبعين إلى التصریح بعزله وتقریر الشیخ برهان الدين القاضی وجاءه الشرفی الانصاری مبشراً بذلك وتألم السراج لهذا الامر كثيراً وظن انه بسبق سعى من البرهان والظاهر خلافه وكذا تالم له أحبابه هذا بعد أن كان في أول هذا الشهر وقت التهنئة بالغ في المشی فيما رأى انه الحق ما هو موافق لغرض السلطان في قتل شاه سوار الذي شرحت خبره في غير هذا الحال وظهر بذلك جهراً زائداً عن رفته وانه لا تقبل توبته بل يضم إليه في القتل كل جماعته ولم يعجب السلطان فيما قبل الجهر بذلك بل كان يحب اخفاء الامر فيه والله يحسن العاقبة ثم ترجم لأخيه فقال

محمد بن أبي بكر بن محمد بن حریز وباق نسبه مضى في أخيه عمر القاضی
تقبید القاضی
محمد بن أبي بكر حسام الدين أبو عبد الله الحسینی المغریبی الاصل الطھطاوی المنفلوطی المصری
المنفلوطی
الطھطاوی
الملکی عرف بابن حریز ولد في العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربع
وثمانمائة المنفلوط وانتقل منها وهو صغير مع أبيه إلى القاهرة فقرأ القرآن بها
على الشیف جمال الدين بن الإمام الحسینی وتلاه برواية أبي عمر ومن طريق
الدوری على الجمال يوسف المنفلوطی أحد تلامذة جده الاعلی أبي القاسم
المذکور بالأمامۃ في القراءات وغيرها كما ساف في أخيه عمر ثم على الشہاب
ابن البابا والشہاب الحیشمی وتلاه بعد ذلك وهو كبير في مجاورته بمكة بالسبعين
افراداً وجمعـاً على الشیخ محمد الكیلانی أحد أصحاب الشمس بن الجزری
ابتداً عليه فيعاشر المحرم سنة ثمان وأربعين وختـم في رابع ذی الحجه منها

وحفظ قبل ذلك العمدة والشاطبية والرسالة والافية وعرضها على المجال
 الاقفي والبدر الدمامي والشمس البسطي وابن عمه القاضي جمال الدين
 والشمس بن عماد والولى العراقي والعز بن جماعة والجلال البلقيني والشمس
 والمجد البرماوين وشيخنا والتلوانى وأخرين وتفقه على الزين عبادة قرأ عليه
 الرسالة مرتين وصل في الثانية إلى الوصايا وربع العبادات فقط من ابن
 الحاجب والرسالة فقط على الشمس الغماري المغربي نزيل الصرغتمشية وكذا
 أخذ عن الشمس البسطي وغيرهم وسمع على الولى العراق بعض الصحيح
 وعلى الزين بن عياش بعكه صحيح مسلم والسنن لابي داود وعلى البدر حسين
 الاهدل بقراءته الشفاء وبقراءة القاضي فتح الدين بن سويد الموطاً وعلى
 الشرف أبي الفتح المراغي بقراءة ابن سويد أيضا الشفاء كل ذلك في مجاورته
 الماضية بعينها وكان حج قبل ذلك في سنة اثنين وعشرين وولى قضاء
 منفلوط عن شيخنا فن بعده وأورد شيخنا في حوادث سنة اثنين وأربعين
 أن القاضي بهاء الدين الاختنائي حكم بحضور مستدينه بقتل بخشيدى الاربلى
 حدا لا تكون له عن أجداد صاحب الترجمة بعد ان قال له أنا شريف وجدى
 الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصل ذلك بقاضي
 الاسكندرية فأعذر ثم ضربت عنقه

ولازم القاضي حسام الدين المطالعة في كتب الفقه والتفسير والحديث
 والتاريخ والادب حتى صار يستحضر جملة مستكثرة من ذلك كله ويذكر
 بها مذكرة جيدة مع سرعة الاردراك والفصاحة والبشاشة والحياء والشهامة
 والبذل لسائليه وغيرهم والقيام مع من يقصده في معهاته واقتناء الكتب
 النفيسة والتبسيط في أنواع المأكولات ونحوها والقيام بما يصلح معيشته من

زرع الغلال والقصب وطبع السكر وغير ذلك وحمد الناس معاملته في صدق
 الهمة والسماح وحسن الوفاء حتى رغب ذوو الاموال في معاملاته ومن
 كان يت Rudd اليه من مشايخنا لمزيد احسانه وأكرامه السيد النسابة وربما
 سمع الحسام عليه بعض النسائي الكبير بل استكتبه ليسمه بقامه فما تيسر
 والزین البوتحی وكان يحکی من كرامات بعض سلف الحسام شيئاً كثیراً ولم
 يزل دأبه ما حکیناه الى ان مات القاضی ولی الدين السنباطی في ليلة الجمعة
 تاسع شهر رجب سنة احدی وستین والخمس من يصاغ لقضاء المالکية
 ويستقر لمن بعده فيه وتطاول لذلك غير واحد فاقتضى رأی الجمالي ناظر
 الخاص استقراره ولما علمه فيه من ریاسته وشہامة وراسل کلامن القاضی
 الشافعی بن الباقی و القاضی الحنفی ابن الدیری في الثناء عليه عند السلطان
 واستحقاقه له ففعلاً واستقر في يوم الاحد ثانی عشر شهر المذکور وركب
 في أبهة و خفر و فرح الناس به لا سيما رفقته من بقية المذاهب لما وقر عندهم
 من حشمته ومحاسنه الجمة وحييئذ باشره بعفة و تراھة و شهامة مفرطة و قيام
 باعباء جماعة مذهبة والانعام عليهم بأ نوع من الارکام فاجتمع شملهم
 بوجوده وبلغ کلامه فيما يؤمن به غایة مقصوده ومنعهم من تعاطي الاخذ على
 الاحکام وأکد على من لم يثق به منهم في ذلك التأکید التام حتى بالاعیان
 ونحوها ولزم الاختصاص به من اعیانهم البدر بن الخلطة وقرأ عنده في
 المدارک للقاضی عیاض وفي الجواهر لابن شاس وغيرها واستناب في
 بعض الاوقات في تدریسه اعیان المذهب قصد البر بهم في المنصورية الشیخ
 يحيی العلی و في الناصرية الشیخ نور الدین السنواری و في الصالحية الشیخ
 نور الدین الوراق و تراھم عليه الفضلاء من سائر أرباب المذاهب و ممدوح

تردد اليه الشهاب بن صالح أحد نوادر أئمة الأدب وسمعت حينئذ قاضي المذهب الحنفي وناهيك بذلك من مثله يقول ان الشهاب لا ينهض ان يغرب عليه في فنه اشارة الى ملائته وتقديره في جودة محاضرته وكذا كان الشهاب بن أسد شيخ القراء في زمانه من يتردد اليه وقد صحبه قبل استقراره في المنصب وساعدني في بعض القضايا وكان يجلني وسمع من لفظي بعض تصانيفي بحضورة الامام الزين البوتيجي وتفضل هو بسؤالي في الاذن له بالاجازة وكتب القاضي خطه بما يشهد لهذا

ولما استقر التمس مني اسنادى بالبخارى ونحوه خرجت له جزاً فيه
أسانيد كثيرة من الكتب الحديثية والعلمية فسر بذلك ورغبت الى في
تبسيض ما علم اني جمعته من طبقات المالكية والمرور عليه عنده فماق عنه
بعض الشواغل وكذا رغب في قراءتي الجامع للترمذى عنده في رمضان
فعملت وحرص على المداومة على ذلك فشقت على الحركة بسبب ذلك خصوصا
في شهر الصوم فبادر صاحبنا الشمس بن الفلايى لذلك وانتهز الفرصة فلم
يزل يقرأ عنده حتى مات واقتصر في آخرة الامر عليه بعد أن كان يقرأ عنده
الثلاثة فأكثر وينعم على القراء بالخلع والجواز وغير ذلك في الصحايا وغيرها
بل ويصرف على جميع من يحضر عنده يوم الختم دراهم متفاوتة على قدر
منازلهم ولما مات يحيى العجيسى استقر في تدريس الشيخونية ثم لما مات
ولده استقر في تدريس جامع طلوبن وبasher التدريس فيها وكذا درس
بالمؤيدية نيابة عن ولد صاحبه البدر بن الخطاطة بعد وفاة والده وفي ساخن المحرم
سنة ثلث وستين لبس خلعة الاستمرار

ولم يزل على جلالته وعلو مكانته في جميع ما أشرت اليه حتى حصل بيذه

وبين العلاء بن الاهناسي الوزير ما يقتضى الاستيحاش فقام في معاونته الشرف
 يحيى بن صنيعة أحد الكتاب حتى استقر عوضه في الوزارة في ربيع الآخر
 سنة ست وستين بعد ان رسم بالقبض على ابن الاهناسي وهو بالوجه القبلي
 في الصعيد ولزم من ذلك قيامه معه خوفا من حصول خلل يعود اللوم عليه
 بسببه حتى يقال انه تكلف في تلك الحادثة نحو ثلاثين الف دينار فتزايده
 ديونه بسبب ذلك وطعم فيه أرباب الدولة وأدي ذلك الى احتطاط جانبه
 وهو مع ذلك لا ينفك عن التجميل وجهه واظهار الجلد والصبر لمن يجيء
 عنده الى ان كاد الامر يتفاقم فلطف الله به ومات في ليلة الاثنين مستهل
 شعبان سنة ثلات وسبعين وثمانمائة بمنزله بصرى وصلى عليه من الغد بجامع عمرو
 تقدم للصلوة عليه اخوه السراج عمر الماضي ودفن بتربة جده من قبل امه الشیخ
 محمد الهملاوى العريان بجوار تربة الشیخ أبي العباس الجرار من القرافة الكبرى عند
 اولاده واستقر اخوه في المنصب بعده ولم يتعرض لوظيفة الشیخونية وجامع
 طولون كاسلف وقد قتل بسيف الشرع جماعة من المقصدين منهم حمزه بن غيث
 بن نصیر أحد مشائخ العريان أبوه بالغربية ومنصور بن صفي الاستادار ومخالعنه
 عتب في بعضهم جريا على عادة الناس في اختلاف أغراضهم وكان منفها على قتل
 سعد الدين بن بكير القبطي فكفه عنه بعض الحنابلة العزالكتاني كاسلف في ترجمته
 وفي تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى في صحيفة ٢٥ من
 الجزء الرابع مانصه والشريف أبو المعالي حريز كزير ويدعى ايضا محزز بن
 الشريف أبي القاسم الحسيني الطهطاوي التلمساني تقدم في القراءات كابيه
 وروى وحدث وكذا ولده الامام الحدث شمس الدين محمد وحفيده القاضي
 محمد الدين ابو بكر بن محمد بن حريز تولى القضاء بمنفلوط وحسنت سيره ولده

قاضي القضاة أبو عبد الله حسام الدين محمد حدث عن أبي زرعة العراقي وأخوه سراج الدين عمر توفي سنة ٨٩٢ وهم أكبر بيت بالصعيد يقال لهم المحارزة والحرiziون وقول السخاوي في ترجمة الاول في حق جده انجب اولاداً وذكوراً منهم اثنين واقول ان الثالث منهما يسمى يحيى وعائتنا بطهطا الموجودة الآن هم من ذرية يحيى الذكور ويتهى نسبنا اليه حيث ان المرحوم والدي السيد بدوي بن على بن محمد بن على بن حريز بن أبي القاسم الصغير بن جلال الدين وليس عندي الآن بمصر الساسلة الموصولة الى سيدي أبي القاسم

احببت أروي صاحب در عن حسن جاء عن مسدد

سلسلة أطلقت پانی لكن رق بها مقيد

ومن جهة الام فوالدتي فاطمة بنت المرحوم الشیخ احمد الفرغلي الانصاری ابن المرحوم الشیخ عبد العزیز الانصاری ابن المرحوم القاضی أبي الحسن الانصاری ابن المرحوم الملامۃ القاضی محمد الانصاری يتهی نسبهم الى الامام العالم القطب الربابی سیدی رفاعة بن عبد السلام الانصاری الشهور بالخطیب المکتوب علی ضریحه

اقصد رفاعة کلما کرب یضيق سبیله

وانزل بساحتہ وقل حاشا یضام نزیله

وعلى كل حال فما أحسن قول من قال

يزداد في مسمى تكرار ذکرکم طیباً ویحسن فی عینی مکررہ

ویتفرع عن عائتنا التي بطهطا عائلة شریف ایار المشهورة فانها نزلت

باب ایار في القرن الحادی عشر وهم بیت محمد مؤذن کاصو لهم واما اولاد سیدی

حریز فهم اشراف اسیوط وفیهم النقابة الى الآن ولعل هذا هو

« مطلب »
الاشراف
المترفع عن ذرية
سيدي ابي القاسم
بطهطا واد منهم
اشراف ایار
والقاسمیه نالوحة
البحري وغير ذلك

معنى قول النسبة عبد الواحد بن ابراهيم الحسيني الماشمي في نبذة
الأنساب عند ذكر الأشراف بعد ان ذكر بنى الحسن وانهم في جرجا يعني
أشراف مذشاة النيدة قال وفي أسيوط طائفة من أولاد جعفر الصادق بن محمد
الباقر بن على الحسين بن على عليهم السلام يعرفون بأولاد الشريف قاسم انتهي
ومن أولاد حريز أشراف منفلوط وفيهم النقابة والقضاء إلى الآن
ومنهم فرع العالم الفاضل السيد حسين بن حريز الغمراوى أحد فضلاء الجامع الازهر
ومدرس الجامع العالى بالقلعة العامرة ومنهم فرع منتشر في بلاد Anatolia

واما أولاد سيدي على نور الدين البصیر المدفون بجزيرة شندوبيل **« مطلب »**
بعماله جرجا وله مشهد بزار فهم أشراف جزيرة شندوبيل ومنهم جماعة بقرية
القاسمية المذكورة في القرية إلى الشیخ **محمد الہلائی** مطای بالإقليم الوسطی ومنهم أشراف عربان بالوجه البحرى مشهورون
بالقوائم منهم العالم انفاضل الشیخ اسماعیل رأس نقیاء الطریقة الحمدیة
الدمدراشیة حالاً ويفهم من قول العلامه السخاوی ان القاضی حسام الدین **النبوی** من جهة امام
جده لامه الشیخ محمد الہلائی العریان ومع ذلك فسیدی ابو القاسم استاذه هذا
الشیخ المذکور حيث يوجد في مناقبه ان الشیخ محمد الہلائی العریان **ابی سے**
طائفته كما أشرت لذلك في قصيدة جامعة لمناقبه منها قوله

طافية العریان قد البستها رحنا لسر خلافة آنسها
كم صنت طه طامن اذی وحرستها کم من يد بیضاء منك غرستها

« مطلب » عمرها لبنيك أضحت مكسبا

وقد جدد الامیر الكبير والمفرد العلی الشهير لطیف بانا ناظر عموم
البحریة سابقاً جامع سید ابی القاسم بطهطا وأنفق في بنائه بالبناء العجیب الذي
صرف فيه جزیل الاموال من ضمن ماجددہ بطھطا من الماء کا حمام النفیس
طبعاتی **طبعاتی** **طبعاتی** **طبعاتی**

المبني على شكل حمام المرحوم مطلوش باشا بالاسكندرية مما به صارت طهطا
 بهية جزاء الله خير الجزاء واحسن له الحال والمال وفي هذا القدر مقنعوا ان
 كان مجال الكلام أوسع وقد كان كل من القاضي حسام الدين والقاضي
 سراج الدين ابني حريري بلحظ التصغير بحاء مضمومة ثم راء مهملة ثم زاي
 معجمة خلافا لما وجد من الرسم في طبع حسن الحاضرة في ذكر قضاء
 المالكية بأن حسام ابن جرير وصحبته ابن حريري بالباء والراء والزاي وكان
 توليتها القضاء في زمن ملوك الجراكسة وكان منصب القضاء في ذلك العهد
 وما قبله يتعدد بعصر تعدد المذاهب الاربعة حتى منصب قضاء العسكرية
 فكان تارة يضاف الى القاضي الحنفي وتارة يضاف الى القاضي الشافعي وتارة
 ينفرد به قاضي حنفي وما ذاك الا ان قاضي العسكر انا ينتفع به في الجهاد
 ووقت خروج العسكر وتقع وصاياه من الامراء وشهادات بينهم ولا يوجد
 في العسكر الجالسين في المراكز أحد ويحتاج الى ايات ذلك عند القاضي
 الشافعي فلا يسمع شهادة العسكر فيتغطى ايات ذلك فتبطل
 وصاياتهم وشهاداتهم فلهذا السبب ول الملك الظاهر بيسوس القاضي الحنفي
 لما اتفق له في الجهاد مثل ذلك وامتنع القاضي الشافعي في ذلك الوقت من
 سماع شهاداتهم ثم بتداول الايام ودخول أكثر الملك الاسلامية في قبضة
 الدولة العثمانية المقلد جهور حكامهم لابي حنيفة النعمان انتهى الامر أن صار
 حصر القضاء على مذهب امامهم الذي هو أول من دون الفقه وجمعه وتقديم
 وسبق من العلماء من تبعه واختص بكثير من الفروع التي تلاميم ولاة الامور
 وأعظمها عدم اشتراط أمور كثيرة في المراسيم السلطانية والفسحة في اشتراط
 المعدلة وان كانت في الغلب لا يخلو منها من قضاة له بالتولية الارادة

« معلم »
 سبب تخصص
 القضاء على مذهب
 اي حسنة العمان
 بعد از کار تعدد
 القضاة تعدد
 المذاهب الاربعة
 في سنته الزمان

الصادقية فيجوز تقليد الامام غير القرشى المناسوب والاعمال وأصله قصة معاوية فان الصحابة تقلدوا منه الولايات واستدل الشافعية بقوله صلى الله عليه وسلم **الإمام** من قريش فهذا كان مذهب أبي حنيفة أوفى للسلوك وأصلح

ومن الفروع أن من له أرض خارجية عجز عن زراعتها وأداء خراجها فلامام على مذهب أبي حنيفة أن يؤجرها من غيره ويأخذ من أجرتها الخراج سواء رضى صاحبها بذلك أم لم يرض * ومنها إن من عزره وللامر لاستحقاقه التعزير فات في أيام تعزيره فلا ضمان عند أبي حنيفة على ولـي الامر وهذه المسألة موافقة لولاة الامور ولو لاها لفسد أمرهم * ومنها أن من أحيا أرضاً موأباً باذن ولـي الامر ملكها وإن كان بغير إذنه لم يملكها عند أبي حنيفة * ومنها إذا احتاج ولـي الامر إلى تقوية الجيش له إن يأخذ من أرباب الاموال ما يكفيه من غير رضاه على مذهب أبي حنيفة فقيه مساعدة لولاة الامور على مشروعاتهم حتى لو انقطرت الحكومة إلى تولية قاض غير حنفي وجب تقليله لمذهب أبي حنيفة لاجل الولاية واجراء الأحكام عليه

ثم ان الحالة الراهنة اقتضت أن تكون الافتراضية والاحكام على وفق انتفاء الاحوال **مطلب**
معاملات العصر بما حدث فيها من المترفقات الكثيرة المتعددة بتتنوع الاخذ **المطلب**
والاداء **الافتراضية والاحكام**
والاعطاء من أمم الانام وقد تقدم بعض ما يتعلق بذلك في الفصل الرابع الشرعية غالباً واقع من الباب الثاني ومن المعلوم ان بحر الشريعة الغراء على تفرع مشارعه لم **مزاج العصر**
بدون شذوذ يغادر من أمميات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحياناً بالسوق والرأي ومصداق ذلك قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فلا ريب

في انتقاد شتم كل عنينٍ بهما صاغراً يدوام النفوذ ولم تخرج الأحكام
 السياسية عن المذاهب الشرعية لا على سبيل التهاون ولا على سبيل الشذوذ
 بل سارت على مشاعب المذاهب لمجراة ما جريات النوازل والنوائب وما
 شرع مذهب السيف الانصرة مذاهب الشرع لأنها أصل وجمع مذاهب
 السياسات عنها بعزلة الفرع فاختلاف مذاهب الآئمة رحمة وجواز تقليد أيٍ
 واحد منهم والرجوع إلى اجتهد الآخرين للاجابة نعمة وما يستأنس به في
 الأقضية والاحكام بهذه الازمان ما أفتى به وقد سئل عنه العلامة الشيخ محمد
 الشافعى الشهير بالصباى وقد عثرت بهذه الفتوى الجليلة وهي جديرة بان
 يجعلها من يريد التقليد لل الحاجة دليلاً

ونص السؤال ما قولكم دام فضلكم في الانتقال في بعض المسائل إلى
 غير المذهب الذى عليه الشخص هل يجوز ولو كان متبعاً في هذا البعض
 مفضولاً وهل يجوز العمل بالقول الضعيف في خاصة النفس وهل يجوز تقليد
 غير الآئمة الأربع فأيدوا الجواب

ونص الجواب بخطه مشمولاً باسمه وختمه محفوظاً عندي برسمه ووسمه
 الحمد لله وحده

قال الزركشى في البحر المحيط في تقليد المفضول مذاهب أحدٍ امتناعه
 ونقل عن احمد وابن سريح ثانية هو الاصح واختاره ابن الحاجب وغيره
 الجواز ثالثاً يجوز لمن يعتقده فاضلاً أو مساوياً وقال في موضع آخر لو التزم
 العامي مذهبنا معيناً واعتقد رجحانه من حيث الاجماع فهل يجوز أن يخالف
 امامه في بعض المسائل ويأخذ بقول مجتهد آخر فيه خلاف والاصح الجواز
 كلام الرافعى ثم قال وقسم بعضهم الملزم لمذهب اذا اراد تقليد غيره الى احوال

« مطلب »
 صحة تقليد غير
 الارجع للراجحة
 واداء العلامة
 الصادق شأن
 ذلك مع بعض
 ملحوظات

إلى أن قال الثانية أن يقصد بقوله الرخصة فيما هو محتاج إليه لحقته أو ضرورة أرهقته فيجوز إلى أن قال السادسة أن تجمع من ذلك حقيقة مركبة ممتنعة بالاجماع فيمتنع كاً إذا افترض ومس الذكر وصل (أي لأن ذلك يعد تلقيها في مسألة واحدة) ثم ذكر الخلاف في جواز التقليد بعد العمل والخلاف في جواز تبع الشخص ورجح المぬ وحكي الجواز عن بعض مشائخ الشافعية ثم قال لا ينبغي إطلاق القول بالجواز لكل أحد بل يرجع إلى حال المستفتى وقصده كاً وقع لا بن القاسم مع ولده إذ حث في عين بالشى إلى الكعبة فاستفتى أبوه فقال له أفتىك فيها بمذهب الليث كفاراة عين وإن عدت أفتىك بمذهب مالك يعني الوفاء ويجوز عمل الشخص بالقول الضعيف في حق نفسه خاصة إذا دعت إليه حاجة ولم يلزم تبع الشخص ولا تركيب حقيقة أجمع على بطلامها وإنما المنوع أن يفتى به أو يحكم وفي البحر المحيط أيضاً مجتبه الصحابة إذا لم يجعل قوله حجة في جواز تقليله في هذه الأعصار خلاف ذهب أمام الحرميين وغيره إلى أن العامي لا يقلله وبه جزم ابن الصلاح وزاد أنه لا يقلد التابعين أيضاً ولا غير من لم يدون مذهبه لعدم الوقوف على حقيقة مذهبهم فأنهم إنما نقل عنهم فتاوى مجردة فلعل لها كمالاً أو مقيداً أو مخصوصاً لانضباط كلام قائله لظهور فقهائهم على غير ثقة وعلى هذا فينحصر التقليل فيمن دون مذهبه كالرابعة والوازاعي وسفيان وأسحق وداود على خلاف في داود وذهب غيرهم إلى أن الصحابة يقلدون وهذا هو الصحيح أن علم دليلاً وقد قال الشيخ عز الدين في فتاواه إذا صاح عن بعض الصحابة مذهب في حكم جاز تقليله والأولانهم وبالجملة فلا يختص التقليل بالرابعة على كلام

القولين والله أعلم كتبه الفقير محمد الصبان الشافعى موضع الختم

مرتحى الغفران محمد الصبان

وقوله وسفيان امله اراد به أبا عبد الله سفيان بن سعد الثوري نسبة
 الى ثور بن عبد مناف وقيل الى ثور همدان الكوفي مات بالبصرة في شعبان
 ودفن بها الاحدى وستين ومائة ولم يزل مقلدوه الى القرن السادس ومن
 الناس من يعد من أصحاب المذاهب سفيان بن عيينه فيدخل تحت كاف
 التبديل كما يدخل أيضاً اسحق بن راهوية ومحمد بن جرير الطبرى وقوله
 وداود على خلاف فيه لعله نظر الى قول امام الحرميين ان المحققين لا يقيدون
 للظاهرية وزنا وان خلافهم لا يعتبر ولكن قال العلامة اللقاني في ترجمة
 الجوهرة عند قوله وما لك وسائل الائمة الى آخره جمل ابن السبكي قول امام
 الحرميين على ابن حزم وأمثاله قال السبكي وأما داود فعاذ الله أن يقول امام
 الحرميين أو غيره ان خلافه لا يعتبر فلقد كان جبراً من جبال العلم والدين وله
 من سداد النظر وسعة العلم ونور البصيرة والاحاطة بقول الصحابة والابعين
 والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقوعه وقد دونت كتبه وكثرت اتباعه وذكره
 الشيخ أبو اسحق الشيرازي في طبقاته من الائمة المتبعين في الفروع وقد
 كان مشهوراً في زمانه الشيخ وبعده بشير لا سيما في بلاد فارس شيراز وما
 والاها الى ناحية العراق وفي بلاد المغرب انتهى على ان ابن حزم المحمول
 عليه عدم اعتبار المذهب نسب اليه بعضهم الشيخ الراحل محيي الدين بن
 العربي وأنه من مقلديه حكاه العلامرة الامير في حاشيته على شرح الملوى
 للسمر قندية عند التكلم على البسملة ثم قال وجدت في ديوان محيي الدين
 ما يدل على اجتهاده وهو قوله

لست من يقول قال ابن حزم
 نسبي الى ابن حزم واني
 قال نص الكتاب ذلك عالمي
 لا ولا قال غيره فقا لي

أو يقول الرسول أو أجمع أخلاق على ما أقول ذلك حكمي
 وأما الأوزاعي وهو أبو عمر وعبد الرحمن بن عمر وبن
 يمحمد الأوزاعي أمام أهل الشأم روى عنه الثورى وأخذ عنه عبد الله
 بن المبارك وجاءه كثيرة ولد بعلبك ثم نقلته أمه إلى بيروت ودفن
 بقرية على باب بيروت يقال لها حنتوس في قبلة المسجد ولا يعرف
 قبره بها إلا الخواص من الناس وأما أهل القرية فيقولون هنا رجل صالح
 ينزل عليه النور وأما ذكر العلامة الصبان تقللا عن الزركشى استفقاء ولد ابن
 القاسم وفقاء أبيه له على مذهب الإمام الليث فيدل على جواز الافتاء بغير
 المذاهب الاربعة كجواز العمل في حق نفسه فيتشذب قول السبكى يجوز تقليد
 غير الآئمة الاربعة في العمل في حق نفسه لا في الافتاء والحكم كما قاله ابن
 الصلاح فعمله ليس على اطلاقه وأما ذكر العلامة الصبان أصحية تقليد
 الصحابة فيما علم دليله وصح عنهم ظاهر لأن جميعهم رضي الله عنهم لا يتطرق
 إلى آرائهم تجريحًا إذ كلام عدول لأن الله عز وجل ورسوله زكيان وعدلاهم
 فذهب كل منهم صحيح رجيع وما يدل على أن التشديد والتخفيف في
 الأحكام قد يختلف باختلاف الأزمان والأيام ما قاله العلامة السيوطي في
 كتاب الانصاف في تمييز الأوقاف إنك إذا تأملت فتاوى النووي وابن
 الصلاح وجدت هما يشددان في الأوقاف غاية التشديد وإذا تأملت فتاوى
 السبكى والبلقى وسائر المؤخرتين وجدت هم يرخصون ويسلكون وليس ذلك
 منهم مخالفة للنوعى بل كل كلام بحسب الواقع في زمانه انتهى وقد أتى به ذلك
 نادرة عصره خير الدين باشا التونسي وذكر في كتابه أقوام المسالك في معرفة أحوال
 الممالك مالم يسبق به غيره ونصح أهالى الأوطان في سائر الممالك الإسلامية بما لا

يذكر لدين الاسلام من النفع خيره فانه حمل هموم اوطانه واخوانه المسلمين
 « مطلب » حدث من لم يحمل عملا بحديث من لم يحملهم فليس منهم ومن لم يتم باسم المسلمين
 هم المسلمين ليس منهم فليس منهم * وكان عمر بن الخطاب اذا نزل بالمسلمين بلاء لا يضيقه قط

حتى يرفع ذلك البلاء وكذلك عمر بن عبد العزيز وسفيان الثوري وغيرهم
 فتنظيم كتاب للأحكام الشرعية بمناسبة تفرع النوازل في هذه الايام بأكمل
 نظام مما تنظم به الاحكام القضائية في اوطاننا ويكون عمدة للقضاء

والحكم

وعلى الامر اذا اراد اأن يولي القضاء لاحد على مذهبه ان يطلب
 اعيان ذلك المذهب ويسأله كل واحد بانفراده سرا عن رجل يصلاح للقضاء
 يكون كاملا في العقل والدين وان اجتمع مع هذين الوصفين الكمال في
 الفضيلة فهو أجود والا فالمتوسط في الفضيلة مع كمال هذين الوصفين أولى
 فاذا اتفقا او اكثراهم على تعين شخص صرفهم عن مجلسه ثم سأله عن هذا
 الشخص الذي عين من غير اهل مذهبة سرا فان اثنى عليه باه انه اكمل اهل مذهبة
 في العقل والدين استخار الله تعالى وولاه وان اسوان على غيره اكثرا منه جمع اعيان
 ذلك المذهب في مجلسه وأهل المذهب الاخر وذكر لهم ذلك الشخص الذي عين

أولا وهذا الشخص الاخر وطلب منهم ان يتتفقوا على الارجح منهما فان اتفقا او
 اكثراهم على أحد الشخصين ولاه ولا يعتمد الترجيح الاعلى لأ الدين الأعقل ولا
 ينتر بكثره الفضيلة مع قلة الدين والعقل فيكون الضابط لولي الامر حيث تذبذب هذا
 الباب اعتبار الدين الأعقل وان لم يكن له فضيلة تامة فاز المتدين منه دينه عن
 ان يقع فيما لا يجوز وان يحكم في شيء لا يعرفه ولا كذلك الاعلم اذا كان
 متهاونا في الدين فانه يخشى منه وهكذا أصحاب أبي حنيفة نصوا انه اذا

اجتمع الأُدِين والأُعلم قدم الأُدِين وإنَّ وجوب الفحص عن أهْلية القاضى وقت الولاية وانه يكون أهْل مذهبة وأعْقَابهم لقوله عليه السلام من فَلَمْ يَأْتِ إِنْسَانًا عَمَلاً وَفِي رِعْيَتِهِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَائِعَ الْمُسْلِمِينَ فَمَلَى وَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لا يُخْرِجُوا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَآتُمْ تَعْلَمُونَ

ثُمَّ إِنَّ القاضى مَتَّى تَقْلِيدَ مَنْصَبِ الْقَضَا وَحَصْلَ عَلَى تَوْلِيهِ التَّوْافِقِ وَالرَّضَا

مَطْلُوبٌ
آدَابُ الْقَاضِي
وَوَصَايَاهُ

فَقَدْ أَصْبَحَ بِيَدِهِ زَمامُ الْاِحْكَامِ وَفَصْلُ الْقَضَاءِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ يُعَرَّضَ عَلَى غَيْرِهِ

مِنْ الْحَكَامِ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَنْقُدُ نَقْدَ الصَّيرَفِيِّ وَيَنْفَذُ حَكْمَهُ نَفَاذَ الْمَشْرِفِيِّ

فَلَيَتَرُو فِي أَحْكَامِهِ قَبْلِ امْضَايَهَا وَفِي الْمَحَاكَاتِ إِلَيْهِ قَبْلِ فَصْلِ قَضَايَاها وَلِيَرَاجِعِ

الْأَمْرُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَزُولَ عَنْهُ الْالْبَاسُ وَيَعُوَدُ فِيهِ بَعْدَ التَّأْمِلِ كِتَابَ اللَّهِ

تَعَالَى وَسَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْاجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ

بَدْ ذَلِكَ فَلَيَجْلِلْ مَظْلَمَهُ بِالْاسْتَخْارَهِ وَلِيَحْلِلْ مَشْكُلَهُ بِالْاسْتَشَارَهِ وَلَا يَرْنَقِصَ

عَلَيْهِ إِذَا اسْتَشَارَ فَقَدْ أَمْرَ اللَّهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّورِيِّ وَمِنْ مِنْ

أُولَئِكَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ جَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَطَا الْأَجْمَادِ سُورًا فَقَدْ يُسْنَحَ لِلمرءِ مَا أُعِيَا

غَيْرَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ فِيَهُ الدَّأْبُ وَيَتَفَطَّنُ الصَّغِيرُ لَمَّا يُفْطَنَ إِلَيْهِ الْكَبِيرُ كَمَا فَطَنَ

ابْنُ عُمَرَ لِلنَّخْلَةَ مَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَامَ الْأَصْغَرُ سَنَهُ وَلِزُومِهِ مَعَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ

لِلْلَّادِبِ ثُمَّ إِذَا وَضَعَ لَهُ الْحَقُّ قُضِيَ بِهِ لِمَسْتَحْقَقِهِ وَأَسْجَلَ لَهُ بِهِ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ

بِثُبُوتِ حَقِّهِ وَحَكْمِهِ بِهِ حَكْمًا يُسْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَرَاهُ وَإِذَا كَتَبَ لَهُ بِهِ

تَذَكَّرَ إِذَا يَلِي وَأَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ بِدَاهِ وَلَيْسَوْ بَيْنَ الْخَصُومِ حَتَّى فِي

تَقْسِيمِ النَّظَرِ وَلِيَجْعَلْ كُلَّ عَمَلِهِ عَلَى الْحَقِّ فِيمَا أَبْاحَ وَمَا حَظَرَ وَلِيَحْدِدَ النَّظَرَ فِي أَمْرِ

الشهود حتى لا يدخل عليه زيف وليتحرف استئذان الشهادات فرب قاض
 ذبح بغير سكين وقاتل قتل بغير سيف ولا يقبل منهم الامن عرف بالعدالة
 وألف منه أن يرى أو أمر النفس أشد العدوى له وغير هؤلاء من لم تجر
 له بالشهادة عادة ولا تصدى للارتزاق بسجها ومات وهو حي على الشهادة
 فيقتل منهم من لا يكون في قبل مثله ملامة فرب عدل بين منطقة وسيف
 وغير عدل في فرجية وعمامه ولينفت على ما يصدر من العقود التي يؤسس
 اكثراها على شفا جرف هار ويقع في مثل السفاح الا أن الحدود تدرأ
 بالشبهات ويسق العار وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق
 ومال كل يتيم ويقلد شهادتهم أمر كل عظيم فلا يقول منهم الا على كل رب
 مال عارف ولا يخفى عليه القيم ولا يخاف معه خصاً الحدث وقد صقل التجرب مرأة
 فهمه على طول القدم وليتأن في ذلك كله اناة لا تقضى باضاعة الحق ولا الى المطاولة
 التي تقضى الى حرمان من استحق ولنيهد لرمسه ولا يتعلل بأن القاضي أسير
 الشهود وهو كذلك واما يسمى خلاص نفسه والوكاء هم البلاء المبرم والشياطين
 والمسؤولون لمن يوكلون له بالباطل ليقضي لهم به اما يقطع لهم قطعة من جهنم
 فليكف عنها به وساوس افكارهم ومساوي خارهم ولا يدع لمجني أحد منهم
 ثمرة ممنوعة ولا يد اعتقد تمت الا مغلولة الى عنقه والامقطوعة ولايظهر بابه
 من دنس الرسل الذين يعشون على غير الطريق واذا رأى واحد منهم درهما
 ودل لو حصل في بده ووقع في نار الحريق وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن
 يوصي ولا أن يحصي عليه منه افراد عمله وهو لا يحصى وعليه أن ينظر في أمور
 أوقاف مذهبة نظر العموم ليعمرها بجميل نظره فرب نظرة انفع من موافع

وَمَا يُشْمَلُهُ بِالنَّظَرِ وَنِيمَ فِيهِ الْفَكْرُ أَمْرُ دُعَاوَى بَدْتِ الْمَالِ الْمَعْوَرِ
وَمَا كَانَتِ الْأَيْدِي فِيهِ حَقُّ كُلِّ فَرْدٍ مِّنِ الْجَمْهُورِ فَلِيَحْتَذِرْ ذُرْقَ قَضَايَا هَاغَانَيَةً الْاحْتِرَازِ
وَلِيَعْمَلْ عَايَةً يَقْتَضِيهِ لِهَا الْحَقُّ مِنِ الصِّيَانَةِ وَالْاحْتِرَازِ^(١) وَإِنْتَبَثَ فِي قَضَايَا أَمْوَالِ
الْأَيْتَامِ الَّذِينَ حَذَرَ اللَّهُ مِنْ أَكْلِ مَالِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالشَّهَابَاتِ وَقَدْمَاتِ آبَاؤُهُمْ وَمِنْهُمْ
صَفَارٌ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى غَيْرِ الشَّهَادَيْ لِلرَّضَاعَهِ مِنْهُمْ حَمْلٌ فِي بَطْوَنِ الْأَمْهَاتِ فَلِيَأْمُرْ
الْمُتَعَدِّدَيْنَ لَهُمْ بِالْأَحْسَانِ الْهَمَّ وَإِعْرَافِهِمْ بِأَهْمَمِ سِيَاجِزَوْنَ فِي بَنْهُمْ بِئْشِلِّ مَا
يَعْدَلُونَ مِعْهُمْ إِذَا مَاتُوا وَرَكَوْا مَا فِي يَدِهِمْ وَلِيَحْذِرُ مِنْهُمْ مِّنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلِيَخْشِي
الَّذِينَ لَوْ رَكَوْا مِنْ خَلْقِهِمْ ذُرْيَهُ ضَعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ وَلِيَقْصُ عَلَيْهِمْ فِي مُثْلِ
ذَلِكَ أَبْيَاءَ مِنْ سَلْفِ تَذَكِيرَاهُ وَلِيَتَلَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظَلَمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ نَارًا وَسِيَصْلُونَ سَمِيرًا فِي ذَهَنِهِ وَصَيْيَهُ
قاضِيِّ الْعَمَلِ الْمُسْتَقْلِ

فَإِذَا كَانَ قَاضِيُّ الْعَسْكَرِ مُنْفَرِدًا فَلِيَكُنْ مُسْتَحْضِرًا الْمَذَهَهُ الْمَسَائِلِ وَإِعْلَمَ أَنَّ
الْعَسْكَرُ الْمُنْصُورُ هُمْ فِي مُوْطَنِ الْحَرْبِ أَهْلُ الشَّهَادَهِ وَفِيهِمْ مِنْ بَكُونِ جَرْحَهِ
تَعْدِيَلاً لَهُمْ وَزِيَادَهُ فَلِيَقْبِلُ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ سِيَاهَ القَبُولِ وَلَا يَرْدِهِمْ
مَنْ لَا يَضُرهُ إِنْ رَدَهُ هُوَ وَهُوَ عَنْدَ اللَّهِ مَقْبُولٌ وَلِيَجْمَلْ لَهُ مُسْتَقْرَاهُ مَعْرُوفًا
فِي الْعَسْكَرِ يَقْصُدُ فِيهِ إِذَا نَصَبَتِ الْخِيَامِ وَمَوْضِعًا يَشْتَى فِيهِ لِيَقْضِي فِيهِ وَهُوَ
سَاعَهُ وَأَشْهَرُ مَا كَانَ عَلَى يَعْيَنِ الْأَعْلَامِ وَلِيَلِزِمْ ذَلِكَ طَرْلَ سَفَرَهُ وَفِي مَدَهُ الْمَقَامِ
وَلِيَتَخَذِّلُ مَعَهُ كِتَابًا تَكْتُبُ لِلنَّاسِ وَالْأَفْنَانِ إِنْ وَجَدَ مَرْكَرَ شَهُودَ وَلِيَسْجُلَ
لَذُوي الْحَقِّ بِحَقِّهِ وَالْأَفْنَانُ فَمَا اسْنَدَ بَابَ الْجَحْودِ وَتَقْوَى اللَّهُ يَهُ الَّتِي مَهَا يَنْصُرُ
الْجَحْودُ وَمَا لَمْ تَكُنْ أَعْلَى مَا يَكُونُ عَلَى أَعْلَامِ الْحَرْبِ وَالْأَفْنَانِ الْحَاجَةُ إِلَيْ نَشْرِ

(١) قَوْلُهُ الْاحْتِرَازُ إِيَّ الْوَضْعِ فِي الْحَرْبِ إِهَ مَؤْلُفُهُ

البنود ثم انه من حيث يجت على ولی الامر الكشف عن احوال الولاية والدواوين
 في كل وقت ومحاسبتهم فيما يلزم بواسطة كشاف من أعقل الناس وأكثراهم
 من طوف ولی
 التفتیش عن
 احوال القضاة
 الامر كتفتیش
 امانة وعفة فالقضاة ونوابهم داخلون في هذه الزمرة ولو أنه سبق اشتراط
 غيرهم من الولاية شروط في ولاية القاضي اذا توفرت يحصل الامن من وقوع شى منه مما
 يخل بذنب القضاة الا أنه غير معصوم من حب المال الذى يكون الطمع
 فيه طبعا فالمذا وجب التثبت في ذلك بالتفتيش فقد يحدث العيب وتحالف

الشهادة الغيبة

فكل يسلى النفس عند خلوه بزهد ولكن لا تصح العزائم
 فينبغي لولي الامر أن يخند عليهم ما حثا في السر يكون ثقة دينا عفيفا
 أمينا قليل الكلام لا يتقطن له من منهم ولا يدرى به انه مطلع عليهم بحيث
 يطالع ولی الامر بأحوالهم في السر ساعة بساعة ويكون ولی الامر في
 العلانية معظمها للقضاء لا يظهر منه أنه يتكشف عن أحوالهم أبدا لحفظ
 ناموسهم الرفيع وشرف منصبهم المنير فإذا صح عنده أنه وقع من أحدهم
 جريمة فان كانت من أخذ رشوة أرسل الى القاضي وطلبه اليه سراً وسألته
 عن الواقعه فان اعترف بذلك أخذ الرشوة التي التهمها من الناس وردتها على
 صاحبها وأدب الذي بذلك في السر من غير أن يظهر تأدبه عمما ذا وعزل
 القاضي وكشف عليه فان وجده التهم من الناس ملا أو اكتسبه باقضاء
 أخذه لبيت المال كالهداية ونحوها وان لم يعترف القاضي وظهر لولي الامر
 من قرائن الاحوال أو من صدق الناقل اليه ذلك عن القاضي عزل القاضي
 ولا يظهر بأى سبب عزله
 وان كانت الجريمة من غير أخذ الرشا ولم يكن من هذا القبيل وإنما

كان بسبب قوة نفسه وتحامله في الحكومات وهوى النفس يجب على
ولي الامر عزله والاستبدال به ولا يغره كثرة دله ولا دياته في الظاهر
فإن التحامل من القاضى من أصعب الامور وما يوجب عزله ولا يلتفت
إلى انتصاره لحكمه بعد أن يعرف ولي الامر منه الهوى والغرض والتحامل
وله أن يعززه بسبب ذلك إذا تحقق جوره كي يتآدب به غيره وإن كانت
الجريدة بسبب ارتكاب بعض المعاصي من شراب وغيره سأله ولي الامر
عن هذا الامر من النقائض فان صاحب عنده ذلك عزره سرآ ورفعه ولا ينشر
ذبه بين الناس وإن جمع القاضى مالا من الحكومات أخذه ولي الامر
ووضعه في بيت المال

وان كان هذا القاضى نائبا وقد قيل عنه شيء مما ذكرنا كشف عن حال
مستخلفه فان تبين عند ولي الامر أنه كان يعلم به ويستر عليه عزله أيضا وان
كان لا يعلم واشتبه فيه فهو بالخيار ان شاء عزله وان شاء تركه وإذا صاحب عند
ولي الامر أن القاضى جمع مالا بعد توليه القضاة وقد كان فقيرا قبل التولية
ينبغى أن يفحص عن ذلك الجمجم فان كان من ممتلكات المنصب كما يأخذه بعض
القضاة بدون حق من قضاة النيابات أو من ديوان الایتمام أو الصدقات أو
الاوقاف فان ولي الامر يأخذ منه ولا يترك في يده منه شيئاً ويضعه في
بيت المال وإن عرف أنه من مال الایتمام أو الاوقاف رده على من أخذ منه
وان كان من غير ممتلكات المنصب بأن يكون التجير أو ورث أو استئضل
من معلوم مدارسه وكسبه فهو له وإن كان للقاضى حاشية وأولاد ي تعرضون
إلى أموال الناس وقطع مصانعهم كما كان وقع في زمن الملك الناصر بن
قلادون مصر من القاضى الشافعى والحقن وعزلهما بسبب أولادهما فان ولي

الامر يجب عليه عزله ان كان ذلك بعلمه وأخذ ما حصله اولاده وحاشيته
بجاه النصب ويضعه في بيت المال ويؤدهم ولا تأخذ رأفة عليهم ولا يقبل
في القاضي ولا في اولاده المذكورين شفاعة أحد فان ذنبهم كبير وفسادهم

متعد

وقد أسلفنا ان شرط الباحث الكاشف عن أحوال القضاة وغيرهم
الأمانة والعفة والوثوق بهذه الوسيلة يقبل ولـى الامر قوله في القاضي
بخلاف ما اذا كان الخبر لولاة الامور من السعاة المشائين بالنيمة المتخلفين
بالأخلاق الديمية فلا ينبغي أن يقام لقولهم في حق القضاة وزن ولا قيمة
ان نصف الناس أعداء لمن ولـى الاحكام هذا ان عدل

كما يحكي عن الخلنجي القاضي عبد الله بن محمد بن أخت علوية المغيرة
وكان هذا القاضي قد تقلد القضاء للامين العباسى وكان خاله علوية عدوا له
جررت له قضية في بغداد فاستعفى عن القضاء وسأل أن يولى بعض الـكور
البعيدة فتولى قضاء دمشق ومحص فلما تولى المـاؤون الخلافة غناه يوما
علوية بشعر لـالخلنجي وهو

برئت من الاسلام ان كان ذا الذي
أتاك به الواشون عنى كما قالوا
ولكنهم لما رأوك غريبة
بهجرى تواصوا بالنيمة واحتالوا
فقد صرت اذا لاؤشاة سميحة
ينالون من عرضى فلوشت مانا لو
فقال لهم المـاؤون من يقول هذا الشعر قال قاضى دمشق فامر المـاؤون
باحضاره فأشخص وجلس المـاؤون للشرب وأحضر علوية ودعا بالقاضى
فقال له أنسدنى قولك برئت من الاسلام الايات فقال يا أمير المؤمنين
هذه ايات قلتها منذ أربعين سنة وأنا صبي والذى اكرمك بالخلافة وورثك

« مطلب »
سمى دلوية المغيرة
باب اخته القاضي
العنجي عند
المـاؤون

ميراث النبوة ما قلت شعراً منذ أكثراً من عشرين سنة إلا في زهد
 أو عتاب صديق فقل له اجلس خلساً وناوله قدح نيد كان في يده فأعول
 وبكي وأخذ القدح من يده وقال والله يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء
 فقط مما يختلف في تحليمه فقال لملك تريد نيد التمر أو الزبيب فقال لا والله
 يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئاً من ذلك فأأخذ المأمون القدح من يده وقال
 أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضررت عنقك ولقد ظنت أنك صادق في
 قولك كله ولكن لا يتولى القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام
 انصرف إلى منزلات وأمراض علوية فغير هذه الكلمة وجعل مكالها حرمت مكاني
 منك فكان ما جرى للأماؤن عفا الله عنه مع هذا القاضي المسكون هو
 المهدود من حلم هذا الخليفة ومكارم أخلاقه وكان غير هذا الفعل أولى به
 وبرياته ولكن الخليفة صان منصب القضاء ووقره وأجله فعفا الله عنه وأما
 هذا القاضي الخانجي رحمه الله فقد احتاج في خاطره من الوشاة ما أضر به
 عند محبوته وعند الخليفة وهذا من كعباته الشهرو وما يتفق وقوعه للشاعر بعد
 مدة مديدة وأمراض علوية فأعلم الله ولا أعلى له كعباً فقد أضر بابن أخيه واعطله
 من حل القضاء وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن الله الثالث فقيل
 يا رسول الله وما الثالث قال الذي يسعى بصاحبه إلى سلطان فيهم لك نفسه
 وصاحبه وسلطانه

قال الواشق يوماً لابن أبي داود قد سمي بك عندى قوم قال فما قلت لهم

« مطلب »

عدم قبول دشي
الوشاة ونجيبي

يا أمير المؤمنين قال ما قال صاحب عزة

وسعي إلى بعيب عزة نسوة جعل الآله خدوذهن نعماها
وزرف بعض السعاة إلى الخليفة السفاح قصة بسعايا على بعض عماله

فوق فيها هذه نصيحة لم يرد بها ماعنده الله فحن لانقبل قول من آخرنا على
 الله * وما اتفق في ایام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون انه حضر
 في سنة ثمان وعشرين وسبعيناً تاج الدين كاتب المفتح الى الامير علاء الدين
 مغلطائى الجمالى لما كان وزيراً وذكر عنده انساً بكل قبيح والتزم فيهم جملة
 من الذهب اذا صودروا واخذت منهم وظائفهم فدخل الجمالى الى السلطان
 وحکي له ما قاله الكاتب فقال احضره لي فلما استحضره سمع كلامه وقال
 له هل لك علم بأحد في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الاحوال فقال نعم جماعة
 وعدهم فقال للوزير خذ هذا عندك واحتفظ به وأحسن اليه وادا حضر اليك
 كل هؤلاء الذين ذكر لهم عرفيهم خرجا من عنده وذكر له الكاتب جماعة
 وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم احد ودخل الجمالى الى السلطان وعرفه بهم
 فقال اخرج الان في هذه الساعة وجهز الجميع ولا تدع احداً منهم في القاهرة
 فان هؤلاء من اخليس يرافقون الناس ففهام اجمعين

وقال رجل للمهدى عندي لك نصيحة يا امير المؤمنين فقال لمن هي النا
 ام لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قل ليس الساعي بأعظم
 عورة ولا أقبح حالاً من قابل سعادته ولا تخلو من أن تكون
 حاسداً نعمه فلا تشفي غيطك او عدواً فلا تعاف لك عدوك ثم أقبل
 على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضى الله تعالى وللمسلمين
 فيه صلاح فاما لانا الابدان وليس لنا القلوب ومن استتر لم يكشف له
 ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأنا افينا عثرته اني ازى التدريب
 بالصفح أبلغ منه بالعقوبة والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة
 والقلوب لا يسيقي لوال لا ينطف اذا استعطف ولا يغفو اذا

قدر ولا ينفر اذا ظفر ولا يرجم اذا استرجم انتهي
 وقد كان بعض الامراء رجحه الله تعالى اذا جاءه أحد ورافع كتابه
 والمبashرين الذين في بايه قال هؤلاء قد أخذوا وشبعوا الاتغير وهم فان الذي
 يجيي بعدهم يكون جوعانا ونقل نحو ذلك أيضا عن المرحوم محمد على وما ألطاف
 قول البهاء زهير رحمة الله تعالى وارقه في عدم سماع قول الوشاة

حيبي ما هذا الجفا الذي أري وأين التقاضى بيننا والتعطف

فما واجهك الوجه الذي كنت اعرف لك اليوم أمر لا يسعك يري ببني
 وملت كما قالوا فزادوا وأسرفوا نعم نقل الواشون عن باطلا
 وحاشاكم من هذا خلقك اشرف كانوا قد صدقـت في حديثـهم
 فكذب يعقوب وسرق يوسف وقد كان قبل الناس في الناس قبلنا
 فانك تدرى ما أقول وتنصف بعيشك قل لي ما الذي قد صنعتـه
 فللمـقول تأويـل وللمـقول مـصرف فـانـ كانـ قـوـلاـ صـحـ آـنيـ قـلـتـهـ
 فقد بـدلـ التـورـاةـ قـومـ وـحرـفـواـ وـهـبـ آـنـهـ قـولـ مـنـ اللهـ مـنـزـلـ
 يكونـ لـنـاـ يـوـمـ عـظـيمـ وـمـوـفـ وـهـاـ آـنـاـ وـالـواـشـيـ وـاـنـتـ جـمـيعـنـاـ

« مطلب »
رؤساء اهل
الكتاب

« مطلب »
آداب بطيـرك
القطـط

ولا بـأـسـ بـتـعـقـيـبـ هـذـاـ الفـصـلـ بـالـتـسـمـةـ مـاـ يـنـبـغـيـ ذـكـرـهـ فـيـ رـؤـسـاءـ اـحـبـارـ
 اـهـلـ الـذـمـةـ لـيـكـونـ فـيـهـ أـوـ فـرـسـهـمـ وـأـوـفـيـ قـسـطـلـ رـؤـسـاءـ الـعـرـاـسـينـ وـالـبـطـارـكـهـ فـاماـ
 بـطـرـيـقـ الـيـعـاقـبـةـ فـهـوـ أـكـبـرـ اـهـلـ مـلـتـهـ وـالـحـاـكـمـ عـلـيـهـمـ مـاـ اـمـتـدـ فـيـ
 مـدـهـ وـالـيـهـ مـرـجـعـهـ فـيـ التـحـرـيمـ وـالـتـحـلـيلـ وـبـهـ الـحـكـمـ بـلـيـهـمـ بـمـاـ
 اـنـزـلـ فـيـ التـسـوـرـةـ وـلـمـ يـنـسـخـ فـيـ الـأـنـجـيـلـ وـشـرـعـتـهـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ الـمـسـاحـةـ
 وـالـاحـمـالـ وـالـصـبـرـ عـلـىـ الـأـذـىـ وـعـدـمـ الـكـثـرـاتـ وـالـاحـتفـالـ وـهـوـ مـؤـدـبـ لـنـفـسـهـ
 فـيـ الـأـوـلـ بـهـذـهـ الـآـدـابـ وـفـيـ الـمـدـخلـ إـلـيـ شـرـيـعـتـهـ قـسـيمـ الـبـابـ أـيـ (ـبـاـلـرـوـمـهـ)

وانها سواء في الاتباع ومتساويان فانه لا يزيد مصراع على مصراع فدائمه
 التخلق من الاخلاق بكل جميل وان لا يستكثر من متاع الدنيا فانه قليل فليقدم
 المصالحة بين التحاكمين اليه قبل الفصل البشأن الصالح كما يقال سيد الا حكام وهو
 قاعدة دينه المسيحي ولم يخالف فيه الحمدية الغراء دين الاسلام وain ظف صدور
 اخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء العمودية من الاجسام وهو رأس جماعته
 والكل له تبع فلا يخذلك تجارة مربحة او يقطع بهامال عيسو يقرره فانه ما يكون
 قد قربه الى المذبح واما ذبحه وكذلك الديارات وكل عمر والقلالي فيتعين
 عليه ان يتقد فيها كل امر ويجهد في اجراء امورها على ما فيه رفع الشبهات
 علما انهم انا اعززوا فيها للتبعيد فلا يدعها تخد منتزهات وانهم انا احدثوا
 هذه الرهانية للتقلل في هذه الدنيا والتغافل عن الشهوات وحبسونا في انفسهم
 حتى ان اكثراهم اذا دخل اليها لا يعود يبقى مع المطلوقين من الجماعات
 فليحضرهم من جعلها مصيدة للممال بل خلوة منزهه عن الحرام مرصدة على
 الحلال لا يأوي اليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ولا يكتم عن
 الحكومة مشكل امر ورد عليه من بعيد او قريب وليتتجنب مالعمله فيما يخص
 المذاهب من طرف الا جانب ينوب وليتوقف ما يأتيه من تلقاء الحبشه حتى اذا
 قدر فلا يشم انفاس الجنوب فادة سودد السودان وان كثرة مقصورة فان
 الله تعالى جعل آية الليل مظلمة وآية النهار بصره والتقوى ما أمر بها أهل
 كل ملة وكل موافق ومخالف في القبلة فليكن عمله بها على وجه صحيح وفي
 الكلمة ما يغنى عن التصرح وبالتفوى رضا الله ورسوله وبها أمر المسيح
 وأما رئيس اليهود فهو الضابط لطائفته على قائمهم والمؤمن لسريرهم الذي
 لوم يؤمنوا فيه لا كلامهم الذئب لذاتهم فعليه بضم جماعته ولم شملهم باستطاعته

« مطلب »
آداب رئيس
اليهود

والحكم فيهم على قواعد ملته وعواوينه في الحكم اذا ونح له باداته وعقود
الانكحة وخصوص ما يعتبر عندهم فيها على الاطلاق وما يفتقر فيها الى الرضا
من الجائزين في العقد والاطلاق وفيما اوجب عنده حكم دينه عليه التحرير
واوجب عليه الانقياد الى التحكيم وما نص فيه الاجبار التواتر من الاخبار
والتجهيز تلقاء بيت المقدس الى جهة قبلتهم ومكان تعبد أهل ملتهم والعمل في
هذا كله بما شرعه موسى الكليم والوقوف معه اذا ثبت انه فعل ذلك النبي
الكرم واقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحرير ولا تبديل
لكلمة بتاويل ولا تصريف واتباع ما أعطوا عليه العهد وشدوا عليه العقد
وابقوا به ذمامهم ووقفوا به دماءهم وما كان يحكم به الانبياء
والربانيون ويسلم اليه الاسلاميون منهم ويعبر عنه العربانيون كل هذا مع
ازام الرئيس لهم من حكم أمثالهم من أهل الذمة الذين أقروا في هذه الديار ووقاية
أنفسهم بالاتصاف بالخضوع والانكسار ومرؤسهم بالاذعان الى ملة الاسلام
وحفظ شعار الذمة بتم الانقياد والاستسلام وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة
وينهم معه المعارضه وعلى هذا الرئيس ترتيب طبقات أهل ملته من الاجبار
فيمن دونهم على قدر استحقاقهم وعلى مالا يخرج عنه كلة اتفاقهم وكذلك له
الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة الى الان المستقرة بأيديهم من
حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده بطول الزمان وتقريرهم على ما ساف
عليه سلف هذه الامة وفي هذا كفاية وقوى الله واطاعة الدولة الاسلامية
رأس الامور المهمة

قال الشيخ بدر الدين بن عبد الرحمن البرلسى المالكى فى كتابه المسوى
بالقول المرتضى فى احكام القضا مسئلة اختلف الفرويون هل يجوز عکن الخصم

من طلب يهودي في سبته والزامه الحكم فيه أو يكره ذلك قال العلامة
 قاضى القضاة البساطي وعندى انه يمنع الا ان تقوم القرائن على ان المسلم
 اضطر الى ذلك ولم يقصد ضررا قال ولقد حكى لنا ان بعض الناس يعيش
 بذلك فيذهب الى بعض القضاة ويدفع اليه ورقة ويطلب فيها يهوديا وربما
 كان معه ورقتان او ثلات من قضاة مختلفة واذا كان يوم السبت توجه الى
 اليهود ومعه رسول قد أطلبه على سره ويقول طلبتك الى الشرع فلا يسعه
 الا ان يصالحه على الترک فى ذلك اليوم انتهى كلام الشيخ بدر الدين ثم قال
 في محل آخر تغليظ اليمين يكون في المحل المطعم وهو الجامع لل المسلمين ولا
 يقوم مقامه مسجد ويختلف غير المسلم حيث يعظم فيخلف اليهودي في البيعة
 ويختلف النصراني في الكنيسة والمجوسى في بيت النار انتهى وعند الامام
 الاعظم أبي حنيفة النعمان لا يختلفون في بيت عبادتهم وإنما يختلفون عند
 القاضى فقد رأى مذهب الامام مالك عالم المدينة معتقدهم قال الشيخ بدر الدين
 ايضًا في محل آخر قال الشيخ سراج الدين عمر الحنفى قارئ المهدية اذا بني الذي دار
 عاليه بين دور المسلمين وحمل لها طاقات وشياطين تشرف على جيرانه هل يمكن من
 ذلك فاجاب بقوله أهل الذمة في المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وإنما
 يمنع الذي من تعلية بنائه اذا حصل ضرر لجاره من منع ضوء او هواء هذا هو
 ظاهر المذهب انتهى وقال الامام النووي في التحفة ما نصه وللامام او نائبه
 « مطلب » الاستعانة بأهل الذمة والاستئمان على العدو بشرط ان تؤمن خيانتهم بان
 الایهم من قبل قيصر الروم على من معه من عرب فسان لحرب عرب الاسلام بالشام
 في الجيش انتهى ويحسن هنا ان نقول ما قاله هرقل ملك الروم حين أمر

فِي جَيْشِهِ بِالشَّامِ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيَّمِ الْفَسَانِيُّ عَلَى مِنْ مَعِهِ مِنَ الْمُعْرِبِ
لِيَحَارِبُوا مَعَهُ عَرَبَ الْاسْلَامِ وَجَعَلَ جَبَلَةً وَقَوْمَهُ مَقْدِمَةً لِجَيْشِ الرُّومِ
وَكَانَ جَبَلَةُ قَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَ وَانْضَمَ لِلرُّومِ لِيَخَاصِّ مِنْ حُكْمِ عَمَرِ رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حِيثُ أَرَادَ أَنْ يُسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ فِي الْقَصَاصِ فِي نَظِيرِ
لَطْمَهَا لَطْمَهَا جَبَلَةُ هَرْقَلَ حِينَ صَدَرَ بِهِ فِي حَرْبِ الْاسْلَامِ لَا يَقْطَعُ
الْمَاسَ إِلَّا مَاسَ يَعْنِي لَا يُغْلِبُ الْعَرَبُ إِلَّا يُغْلِبُ الْجَنْسُ
الْأَجْنَسِ

فَلَا شَكَ فِي جَوَازِ مُخَالَطَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَعَالَمَهُ وَمَعَاشِهِمْ وَإِنَّمَا
الْحَظْوَرُ الْمُوَالَةُ فِي الدِّينِ وَمَا يَقْرَبُ ذَلِكَ حَلُّ الْكِتَابِيَّةُ لِلْمُسْلِمِ وَوَلَا يَةُ الْعَدْ
لِهِ مِنْ وَلِيَّهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَوُا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيْ
حَلُّ لَكُمْ مَعَ جَوَازِ التَّسْرِيِّ بِالْكِتَابِيَّاتِ الْلَّاتِي وَقَعْنَ فِي أَسْرِ الْاسْلَامِ
بِحَرْبٍ لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْرِي بِصَفَيْهِ وَرِيحَانَةٍ قَبْلَ اسْلَامِهِمَا وَمِنْ
تَزْوِيجِ الْكِتَابِيَّاتِ مِنَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ ذُو النُّورَيْنِ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَإِنَّهُ تَزْوِيجٌ بِنَصْرَانِيَّةٍ كِتَابِيَّةٍ لَكِنْ أَسْلَمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَحْسَنَ
اسْلَامَهُمَا

وَبِالْجَمْلَةِ فِرْخَصَةٌ تَدِينُ أَهْلَ الْكِتَابِ بِدِينِهِمْ مُؤْسِسَةٌ عَلَى الْمَهْوُدِ
الْمَاخُوذَةِ عَلَيْهِمْ عَنْدِ الْفَتوْحِ الْاسْلَامِيِّ وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَحْفَظُ الْمَهْدَ لَأَنَّ الْعَهْدَ
فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي الْعَادَةِ إِنَّ الْعَهْدَ يَأْتِي مَنْ يَعْقِدُ بِالطَّوْعِ
وَالْخِيَارِ فِيهِذَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ قَالَ تَعَالَى لَنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ

الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَنَّ نَكْثٌ فَإِنَّمَا يَنْكِثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أُوفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَقَدْ ذُكِرَ بَعْضُ

ما يتعلّق بذلك في المقدمة عند التكلم على حرية الذهمة التي تُعتبر عند أهل الأديان وفي الفصل الثالث الآتي بعد هذا ما يتعلّق بوفاء المهدود فايراجع (وما يحكي) مما يناسب ذلك في الجملة ان البرنس جرجس بن جاكس الثاني ملك الانكليز وولي عهده الذي هو بروتستانتي المذهب لما سافر الى مملكة فرنسا للسياحة ذهب لزيارة فنلوون القسيس الفرنساوي صاحب التأليف الكثيرة التي منها سياحة تلك أوصاه بقوله اذا آل الملك اليك ايتها الامير لا تخبر رعيتك القاتوليكية على تغيير مذهبهم ولا تبديل عقائدهم الدينية فانه لا سلطان يستطيع أن يتسلط على القلب ويُزعزع منه صفة الحرية فقوة العنفوان الحسية والشوكه الجبرية الفاسدة لا تفي برهاانا قطعيا في العقيدة ولا تكون حجة يطمئن اليها القلب فلا ينتفع الا كراه على الدين الانفاق واظهار خلاف ما في الباطن انتهى

« مطلب »
 ومن هذا يعلم ان الملوك اذا تعصبو الدينهم وتدخلوا في قضايا الأديان وأرادوا
 ان محض
 التنصب في الدين
 قلب عقائد رعاياهم المخالفين لهم فاما يحملون رياهام على النفاق ويستبعدون
 والاكرام عليه
 لا ينتفع الانفاق
 وان المدحوب اما
 من يكرهونه على تبدل عقیدته ويزعون الحرية منه فلا يوافق الباطن
 هو التنصب
 لاعلاء كملة الله
 الظاهر فمحض تعصب الانسان لدينه لا ضرار غيره لا يعد الا مجرد حمية
 وأما التشبت بحمية الدين لتكون كملة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب
 ولذلك كان الجهاد الصحيح لقمع العدو انا يتحقق اذا كان القصد منه اعلاه
 كملة الله عز وجل واعزاز الدين ونصرة المسلمين لحيازة الغنية واسترفاقي
 البعيد واكتساب اسم الشجاعة وتحصيل الصيت وطلب الدنيا ففاعل ذلك
 تاجر او طالب وليس بمجاهد كما سترفه في الفصل الثالث

الفصل الثالث

في طبقة الغزاوة المجاهدين

قال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس درجة من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم أما أهل العلم فقالوا ما قال الانبياء وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الانبياء (وسائل) رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الجهاد أفضل فان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رداء ويقاتل ابناء عرض الدنيا فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلية الله هي العليا فهو في سبيل الله وهذا الحديث مرآة لكل غاز ومجاهد يحيط يكون جهاده لله عز وجل حتى يستحق الثواب أما من حارب للحمية أو لطلب الدنيا أو لسبب من هذه الاسباب فلا يكون غاز يائماً ان المحاربة لا تجوز الا في ستة مواضع الاول محاربة المشركين وأهل الحرب الثاني محاربة الملحدين لانهم شر الخلائق الثالث محاربة المرتدين الرابع محاربة البغاة الخامس محاربة قطاع الطريق السادس محاربة القاتلين ليقتص منهم

ومن شهامة الملك أن يتولى الحرب العظيم بنفسه وأن يتخفظ من لقاء **« مطلب »**

العدو في بلاده لسلامة نفسه كا قيل

ان السلام من سلمى وجارتها **أن لا تمر على حال بواديها**
ويتبغى أن يخوف الملك العدو بما يمكنه فربما رجع ويجهد في قمع
العدو بالحيلة والمكيدة فالحيلة أفعى وسيلة وإذا حضره العدو أجزل العطاء
للعسكر ووفى باللواء يعيد لهم ثقلًا تكسر قلوبهم فبهذا يليعون أرواحهم لقتال
عدوهم لأنهم حماة الوطن والدن

(قال) الحكمة الناس حازمان وعجز فأحزم الحازمين من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحاZoom بعده من اذا نزل به الامر تلقاه وعمل الحيلة حتى يخرج منه والعجز من تردد بين ذلك لا يأنم رشيداً ولا يطمع مرشدأً حتى تفوته النجاة ويقال احتل تعم وتفكّر تسلم ويقال ترك التقدم أحسن من التندم (وأوصى) ملك قائد سريته فقال له كن كالتجربة الكيس ان وجد ربحاً التجربة والا حفظ رأس ماله ولا تطلب الفنية حتى تحمد السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك ويقال لا تشب في حرب وان وثقت بقوتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل الحيلة مدبرة لها واحتباس من تحاربه خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان التحرز زمام الشجاعة والمهور عدو الشدة

واما يجب مع التفكير على المحارب مشاوره العقلاء من النصحاء أولى التجارب فقد حكى ان قوماً من العرب آتوا شيخاً قد أربى على المائين وقارب التسعين فقالوا ان عدونا استقام سرحدنا فأشر علينا بما ندرك به النار ونسقي العار قال ان ضعف قوتي نسخ همي ونقض ابرام عزيتى ولكن شاوروا الشجاعاء من ذوى العزم والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما وقى به حكم والشجاع لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلصوا من الرأيين نتيجة تبعد عنكم معرفة نقص الجبان وظهور الشجاعان فإذا نجم الرأى على هذا كان أخذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب وملاك التحيل في بلوغ الامانى رفض العجلة واستعمال التوانى (قال) الحكمة ايها العجلة فانها تكفى نعيف الشجاعة ام الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويحيط قبل أن يفهم ويلزم قبل

أن يفكرون ويقطعون قبل أن يقدر ويدفع قبل أن يجرب ويذم قبل أن يختبرون
تصحب هذه الصفة أحداً الأصحاب الندامه وجائب السلامة قال الشاعر

الصبر مفتاح مايرجي وكل صعب به يهون
وربما نيل باصطبار ماقيل هيئات لا يكون
فاصبر وان طالت الليالي فربما أمكن الحزون
وقال تعالى في نبأ نبيه عن العجلة تعلماً لامته ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يهضي إليك وحيه وقال بعض الحكماء قل واحزم فإذا استوضحت
فاعزم فإذا اجتمع في الرجل الحزم والشجاعة فهو الذي يصلاح لتدبير الجيوش
وشجاسة امر المروء والناس رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل من اجتمع له
اصابة رأى وشجاعة ونصف الرجل هو الذي انفرد بأحد الوصفين دون
الآخر والذي لا شيء هو من عري من الوصفين

وقد وصف الله سبحانه وتعالي الفزاعة المجاهدين الذين هم انصار الوطن والدين
بوصف في حقهم بالخصوص فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كائهم بنيان مرصوص وقد أعد الجنة لمن منهم ذاق بالشهادة طعم الح توف
بدليل قول صلي الله عليه وسلم إن الجنة تحت ظلال السيف وحسبك
قوله تعالى ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله اموانا بل احياء عند ربهم
يرزقون الآية ومدار فن الحرب الآن على تعلم الحركات العسكرية وحسن
الرأي والشجاعة وخيراها أو سلطها قال صلي الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال

المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحمل الثاني
فإذا هما اجتمعوا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

ولو ما طعن الفتى افرانه بالرأي قبل طاعن الاقران
 ولو ان الشجاعة هي عmad الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة
 الا ان الرأى مقدم عليها كما حكى ان الاسكندر حاصر قلعة سنة كاملة فلم
 يفتحها فكتب اليه الحكام لو جلست سبعين سنة لا تملك فتحها الا بالـ كيدة
 للاعداء وان يكون بأسمهم بينهم فبعث لبعضهم وخدعهم ثم بعث الى آخرين
 بضد ذلك فتنازعوا وتحاربوا ثم سلموا القلعة

مطلب نريف الشجاعة
 وعرف بعضهم الشجاعة بأنها غريرة يضعها الله فيمن يشاء من عباده
 وقيل في تعريفها أيضا هي سعة الصدر بالاقدام على الامور المختلفة (رواية روى)
 عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاعة ولو في قتل حية * وقال
 بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد
 اذا شدوا قال عامر بن الطفيلي

وانى وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
 فما سودني عامر عن وراثة أبي الله أن اسمه بأم ولا أب
 ويكتفى بابي علي وهو ابن أخي عامر بن مالك المعروف بلاعب الاسنة
 أحد فرسان العرب المشهورين وكبارهم ومراد عامر بن الصفيلي از قبيلة عامر
 لم تجعله سيدا لاجل وراثته من أبيه السيادة بل لامر آخر وللحظ بضمهم لهذا
 المعنى بقوله

يسود من يسود بغير ريب اذا الاسباب كان لها وجود
 لم تسمع أخي ما قال قيس لامر ما يسود من يسود
 واما الشجاع فالداعي الى البراز والجib داعيه الى ذلك والبطل المحاي
 لظهور القوم اذا ولوا العرب تسمى ذلك كله شجاعة ويجعلون أول مراتب

الشجعان الهمام سمع بذلك لاهماه وعزمها ثانية المقدم سمعي بذلك للأقدام
وهو ضد الأحجام ثالثها الباسل من البسالة وهي الجرأة والشدة رابعها البطل
أي الذي يبطل فعل الأقران ويطفي شجاعة الشجعان خامسها الصنديد وهو
الذي لا يقاومه مقاوم

وحكم الشجاعة ومظاهرها وعترتها الأقدام في موضع الأقدام والثبات
في موضع الثبات والرزاول في موضع الرزاول وضد ذلك يخل بالشجاعة وقالوا
الحرب كالنار ان تداركت اولها خمد اضرامها وان استحكم اضرامها صعب
اخمادها وهذا مني قوله ينبع أن تغدو بالعدو قبل أن يعشى بك (وزعم)
بعضهم ان السخاء والكرم دليل الشجاعة وان كل سخي شجاع والصحيح
ان ذلك أغبى غير مطرد بل بنو آدم على أربعة أحوال فهم الجواب الشجاع
يجود بهاته ونفسه وهو أعلام مرتبة و منهم البخيل الجبان وهو أذلهم
وأكثرهم مذمة و منهم الجواب الجبان يجود بهاته ويغضن بنفسه و منهم الشجاع
البخيل بضد ذلك والأخلاق مواهب من الله يهب منها ما يشاء لمن يشاء
ويحبيل خلقه على ما يريد و إنما الأخلاق الفاضلة تتلازم غالباً وكذا الأخلاق
الدينية

(قال أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجهها وأجود الناس كفافاً وأشجع الناس قلباً لقد فزع
أهل المدينة ليلة فانطلق الناس ثائرين قبل الصوت فتفقأ عيونهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت وسبير الخبر على فرس لابي طلحة
عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن رأعوا لن ترأعوا (وقال) عمران بن حبيب لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة لا كان أول من يضرب

(وقال) الحكمة أصل الخير كله في ثبات القلب وهو الشجاعة وأعظم أهل الجسد شجاعة واقواهم جاشا من اذا انهزم أصحابه يلزم السافة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه فمن وقع أفاله ومن وقف حمله ومن كيابه فرسه جماه حتى يأس العدو منهم حتى قيل ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الکرم في الشجاعة الدفاع عن الحريم

ولقد اعترف الجميع لابي بكر الصديق رضي الله عنه بقوه الجأش
« مطلب »
الاعتراف من والصبر في المواطن الكريمه وكان عمر رضي الله عنه موسوما بالشدة
الجيم شجاعة الصحابة كان يضع يده اليمنى على أذن فرسه اليسرى ويجمع بدنه ويثبت على
الصحابة ظهرها كأنما خلق عليها

وكان على رضي الله تعالى عنه شجاعا بطلأ اذا ضرب لا يثنى وكذلك
الزبير بن العوام معدود من شجعان الفرسان قالوا لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل اشجع من الامام على كرم
الله وجهه ومن الشجعان بنو قيلة وهم الانصار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكترون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد أحتم يقاتلون
ابتغاء مرضاة الله لاعلاء كلته لا لاغنيمة ومن شجعان الانصار معاذ بن عفراه
قطع كتفه يوم بدر فبقي معلقا بجلده فلم يزل يقاتل جميع يومه وهو معاقب
حتى وجد الله فوضع رجله على يده وتهما حتى قطع الجلدة ومن شجعان
الصحابه خارجه بن حلاقه والمقداد بن الاسود

ولما كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو
بحاصر مصر بطلب ثلاثة آلاف فارس ليبعث اليه بها بعث اليه بهؤلاء الثلاثة

رضي الله عنهم ولم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام أشجع من خالد بن الوليد وشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله لم ينهزم في جاهلية ولا في اسلام ومات على فراشه وقيل لعبد الملك بن مروان من أشجع الناس فقال العباس بن مردارس السالمي الذي يقول
أشد على الكتبية لا أبالي أحتفي كأن فيها أم سواها
وقيس بن الحطيم حيث يقول

وأني في الحرب العوان موكل باقادم نفس لا أريد بقاءها
ومن اشتهر بالشجاعة أبو دلف القاسم بن عيسى العجلاني فارس بطل بالشجاعة من الابطال
شاعر نديم جامع لما تفرق في غيره حمل على فارس ووراءه رديف فطعمها
فانتظما في رمحه وكان ذلك في بعض حروبها وفيه يقول بكر بن النطاح ويدرك
طعنته

يختال خلت أمامه فنديلا
وإذا بدا لك قاسم يوم الولي
خلت العمود بكفه منديلا
وإذا تلاذذ بالعمود ولينه
عادت كثيبا في يديه مهيلا
وإذا تناول صخرة ليرضها
قالوا وينظم فارسيت بطعنة
لا تعجبوا لو كان مدقناه ميلا
ومن كلام أبي دلف العجلاني المذكور
ليس المرؤة أنت تبيت منها
وتظل منعكفا على الاقداح
* ما للمرجال وللتتم انما
خلقوا ليوم كريمة وكفاح
وقد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده المجاهدين بخمسة أشياء ما اجتمع
في فئة قط الا نصرت وان قلت وكثير عددها وهي مجموعة في قوله تعالى

وأطعوا الله ورسوله ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله
مع الصابرين أحدها الثبات ثانية كثرة ذكره سبحانه وتعالى ثالثها الطاعة
رابعها اتفاق الكلمة خامسها الصبر وهذه الحسنة تبني عليها قبة النصر ولما
اجتمعت هذه القوى الخمس في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم حتى فتحوا
الدنيا ودانت لهم البلاد والعباد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل
أمرهم إلى ما آلت إليه

ولا يأس أن نذكر هنا من أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد
ونقله صاحب المستطرف قال نزل علينا بنو تغلب في بعض السنين وكنت
مشغوفاً بأخبار العرب أن اسمها وأجمعها فيه أنا أدور في بعض أحيائهم
إذ أنا بمرأة واقفة في فناء خيائلاً وهي آخذة بيده غلام قلمارايت مثله في حسنه
ووجهه له ذؤابتان كالسبح المنظوم وهي تعاشه بسان رطب وكلام عنده تحنا عليه
الاسئع وترتاح له الفلوب وأكثر ما اسمع منها إني وهو يتسم في وجهها
قد غالب عليه الحياة والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جواباً فاستحسنست ما رأيت
واستحللت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت انظر إليها
فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستماع بما أرى من
هذا الغلام فقالت يا حضرى إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من
منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزن عسر والعيش نكـدـ
حملـاـ خـفـيفـاـ حتـىـ مضـتـ لـهـ تـسـعةـ أـشـهـرـ وـشـاءـ اللهـ عـزـ وجـلـ أـنـ أـضـعـهـ فـوـضـعـتـهـ
خلقاً سوياً فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى افضل الله عز وجـلـ
وأعطيـ وـآـتـيـ مـنـ الرـزـقـ بـمـاـ كـفـيـ وـأـغـنـيـ ثـمـ أـرـضـتـهـ حـوـلـيـنـ كـاـمـلـيـنـ فـلـاـ استـمـ
الرضاعـ نـقـلـتـهـ مـنـ خـرـقـ المـهـدـ إـلـىـ فـرـاشـ إـيـهـ فـرـبـيـ كـاـنـهـ شـبـلـ أـسـدـ أـقـيـهـ بـرـ الشـاءـ

وحر المغير حتى اذا مضت له خمس سنين اسلمته الى المؤدب لحفظه القرآن
فلاه وعلمه الشعر فرواه ورجب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما ان بلغ
الحلم واشتد عظمته وكل خلقه حمله على عناق الخليل ففترس وتمرس ولبس
السلاح ومشى بين بويات الحى الخيلاء فأخذ في قرى الضيف واطعام
ال الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق ان تزلنا به
من المناهل بين أحياط العرب بخرج فتيان الحي في طلب ثار لهم وشاء الله تعالى
ان أصابته وعكة شغفته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحي
غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا أن أدرى الليل وأسفر الصباح حتى طلمت
 علينا غرب الجياد وطلائع المدو فما هو الا هنية حتى احرزوا الاموال دون
أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشتفا عليه وضنا به حتى
اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كا يثور الاسد وأمر
باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن
أدنام منه فرمي به ولحق أبعدهم عنه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه
صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقل يوم البيوت ونحن ندعوا الله عن
وجل له بالسلامة حتى اذا مدتهم وراءه وأمتدوا في اثره عطف عليهم ففرق
شلهم وشلت جمهم وقلل كثتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يعرق السهم
وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به او لا هلكن دونه فانصرفت
اليه الا قران وتمايلت نحوه الفرسان وتحيزت له الفتى وحملوا عليه وقد رفعوا
اليه الاسنة وعطقوه عليه بالاعنة فوئب عليهم وهو يهدى كما يهدى الفحل من
وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الامرقة حتى لم
يبق من القوم الا من نجابة فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبش القوم عند

رؤيه وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمع صباحاً
واحسن رواه من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى
هذه الآيات

تأملن فعلى هل رأيت مثله اذا حشرت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب المزيمة والقلب
الم أعط كل حقه ونصيبه من السمهرى اللذن والمرهف المضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لي أن أعطى الظلامة مرهف وطرف قوى الظاهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده السجفال الرواسى لا يخططن الى الترب
وعرض نقى أتقى ان أعييه وبait شريف في ذرى تغلب العلب
فإن لم أقاتل دونكـن وأحتمى لكن وأهيـكـن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى اي يهـيـنه بالفارس البطل الندب
هكذا فضائل شبان العرب في الشجاعة ومكارم الأخلاق

آرائهم ووجوههم وسيوفهم في الحادثات اذا دجـون نجوم
منها معالم للهدى ومصاحـع تجلـو الدجـى والآخـريـات رجـوم
كـان شجـاعة شـيونـهم في قـوة آرـائـهم المؤـسـسة على التجـارـب كـما حـكـى
قـرـيبـا عنـ الشـيخـ الذـي قـارـبـ التـسعـين لـما استـشارـه قـومـ منـ العـربـ فيـ شـأنـ
عـدوـهم فـأشـارـ عـلـيـهـمـ برـأـيـ سـدـيدـ

ومن الشـيوـخـ منـ يـجـمعـ بـيـنـ فـضـيلـةـ الشـجـاعـةـ وـالـرأـيـ كـعـمـروـ بـنـ مـعـدـىـ
كرـبـ الزـيـدـىـ فـاـهـ بـعـدـ اـنـ عمرـ وـضـعـفـ كانـ فـيـ وـاقـعـةـ الفـرسـ يـحـمـلـ
عـلـىـ عـدـوـهـ وـذـكـ أـنـ مـعـدـودـ مـنـ فـرـسانـ الجـاهـلـيـةـ وـالـاسـلـامـ مـلـهـ فـيـ حـرـوبـ الجـاهـلـيـةـ

« مطلب »

من جـمـيـنـ

فضـيلـةـ الشـجـاعـةـ

وـالـرأـيـ

مواقف مذكورة ومواطن مشهورة اسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها افعال عظيمة واحوال جسمية وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأاه قال الحمد لله الذي خلتنا وخلق عمرا (وروي) عنه رضي الله عنه انه سأله يوما فقال له يا عمرو اي السلاح افضل في الحرب قال فمن ايتها تسائل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطىء ويصيب قال فما تقول في الرمح قال اخوك ودعا خالك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوار قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة (وقيل) انه نزل يوم القادسية على التمر فقال لاصحابه اني عابر على هذا الجسر فان اسرتم مقدار جزر الجزور وجدتوني وسيبي بيدي اقاتل به تلقاء وجهي وقد عرفني القوم وانا قائم بينهم وان ابطأتم وجدتوني قتيلا بينهم ثم انعمت فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يابني زيد علام تدعون صاحبكم والله ما نظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانهوا اليه وقد صرعن عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكهها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رأنا ادركناه وهي الرجل نفسه وحل فرسه فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدم و الله تقدومني فقال ابن فرسك فقال رمي بنشابة فumar وشب فصرعن

(وروي) انه حمل يوم القادسية على رسم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رسم على فبل فضرب عمرو والقبل فنطع عرقوبه فقط رسم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رسم وانهزمت المجم وكأن عمرو من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداش

« مطلب »
 مدح السيف وان
قصد منه في
 بعض المواطن
آلات الحرب

اذا مات عمرو قلت للخيل أوطئ زيدا فقد أودى بجدهما عمرو
وما أحسن قوله في وصف السيف ذاك العدة عند الشدة فقد كان له
سيف يسمى الصمصامة فكان يضرب به وبسيفه المثل اذا هو اشرف سيف
العرب فيقال ما كل من يسطو بصمصامة عمرو ويقال له الصمصام قال نهل
متمنلا به

أخ ما جد ما خاتي يوم مشهد كاسيف عمرو لم تخنه مضاربه
وحبه عمرو خالد بن سعيد بن العاص ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه
خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لثمان فلم يزل عند بني مروان حتى جد
الهادى العباسي في طلبه فاخذه قال صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير
مع السيف والخير بالسيف قال السموءل

وما مات منا سيد حنف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباء نفوسنا وليس على غير الظباء تسيل
وقال ابن الرومي

لم أر شيئاً حاضراً نفعه للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف
وما أحسن قول الطغراي

وعادة السيوف أن يزهي بجوهره وليس يعمل الا في يدي بطل
ولذلك لما انتصر بعض الامراء على أعدائهم وأطلقوا اسراهم من عليهم
يسلاحهم فقال موقع جيشه يصف ذلك مننا عليهم من الاسلاب بالبيض
القواطع ليجعلوا حلية اساور في أيدي البيض ذوات البراقع وحلية السيوف
لا يحسن الا بكتف يكون به ضاربا له لا جالبا وادا عطل في موافق الجماد

فَالْأَوْلِي لَهُ أَنْ يَجْعَلْ عَاطِلًا كَمَا قَالَ أَبُو الْعَاثِمِيَّةِ

فَصَغْرِي مَا كَنْتَ حَلِيتَ بِهِ سِيفَكَ خَلِيجَ الْحَالَةِ

فَإِنْ تَصْنَعْ بِالسِيفِ إِذَا لَمْ تَكْ قَالَ

(ومدح) اعراى قومه فقال قومي ليوث حرب وغيوث جدب ليس

لَا يَسْيَافُهُمْ أَغْمَادُ غَيْرِ الْهَامِ وَلَا رَسْلُ الْمَنْيَا غَيْرُ السَّهَامِ قَالَ الشَّاعِرُ

كَانُ سَيْوَفُهُ صِيفَتْ عَقُودًا تَجْوُلُ عَلَى التَّرَابِ وَالنَّحْوَرِ

وَسَمْرُ رَمَاحِهِ جَمْلَتْ هَمُومًا فَإِنْ يَخْطُرُنَّ إِلَّا فِي الضَّمَيرِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرَ

تَعْضُ بِهَامَاتِ الرَّجَالِ مَضَارِبِهِ

يَسْيَتْ صَبَّيِّ السِيفِ طُورَا وَتَارَا

وَفَوْقُ رَضَاهُ أَنِّي أَنَا صَاحِبُهُ

أَخْوَهُ أَرْضَاهُ فِي الرَّوْعِ صَاحِبَا

بِهَا كَافَ مَا تَسْتَقِرُ رَكَابِهِ

وَلَيْسَ أَخْوَهُ عَلَيَّهِ الْأَفْقَى لَهُ

وَقَالَ ابْنُ الرَّوْيِّ

كَتَبْتُ لَنَا أَيْدِي النَّزَالِ صَحَافَتِنَا

مَا أَسْلَنَا مِنْ دَمِ الْأَرْوَاحِ

أَطْرَاسُهَا جَثَثُ الْكَمَاهَةِ وَحِبْرُهَا

فَالشَّكْلُ فَوْقُ سُطُورِهَا بِصُوَارِمِ

وَقَدْ تَنَازَعَ الْأَدِيَاءُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ السِيفِ وَالْقَلْمَنْ قَبْضَلْ بَعْضُهُمْ السِيفِ فِي قَوْلِهِ

السِيفُ أَصْدَقُ ابْنَاءِ الْكَتَبِ

مَتَوْهِنُ جَلَاءُ الشَّكِ وَالرَّيْبِ

بِيَضِ الصَّفَائِحِ لَا سُوْدَ الصِّحَافَهِ فِي

وَأَشَارَ بِعِضِهِمْ إِلَى تَفْضِيلِ الْقَلْمَنْ عَلَى السِيفِ بِقَوْلِهِ

الْكَتَبُ عَقْلُ شَوَارِدِ الْكَلَمِ وَالْخُطُ خَيْطُ فَرَائِدِ الْحَكْمِ

مِنْهَا وَفَصْلُ كُلِّ مُتَظَّمِ

بِالْخُطِ نَظَمُ كُلِّ مُتَشَّرِ

والسيف وهو بحث تعرفه فرض عليه عبادة القلم
ولو أن بكل من السيف والقلم قوام الملائكة إلا أن تقديم الثاني على
الأول أقرب لأن بالقلم تأسس الأقاليم فالقلم أنت من السيف وإن كا زال السيف
أرفع منه قال الشاعر

لا يسلم الشرف المنبع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
فكيف وبه دوام المجد وعاصم السعد فيما ينقش بالذهب على سيف بعض

العرب

ان أسيافنا القصار الدوامي صيرت مجدنا طويلاً الدوام
باتقحام الاهوال من وقت حام واقتسم الأموال من وقت سام
ثم ان التعبير في المواطن الحربية بالسيف القصد منه آلات الحرب
وعدته اذا هو في الازمان القديمة كان أشهرها والا فليس للاهوال والمدافع
في وقت الاهوال من دافع ولا مدافع فهم أولى من الرمي بالسهام والنبل
في قول من قال

نالوا بها من أعادتهم وإن بعدوا ما لم ينالوا بحد الشرفيات
فأنها في العدو أنكى والبلغ في الانتقام والبلية وأهلك للاخream وأملك في قطع
المنازعات الحربية بين أمم البرية إلا أنه لم تزل الشهرة للمرهفات وايضاً القوة
كانت في قديم الزمان الرمي بالنبل حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة
به حين مر على أناس رمرون فقال إلا أن القوة الرمي إلا أن القوة الرمي إلا أن القوة
الرمي واراد بالقوة القوة المذكورة في قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله تعالى ما استطعتم مشتمل
على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والخيالة فلا ية الشرفية

جامعة لا بواب الحرب وهي الاصل في تدبير الحروب التي وضع الناس لها
 كتابا وربوا فيها ترايib خاصة وتقنعوا فيها تقننا عجبا مع قوله تعالى ان الله
 يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأئمهم بنیان مرصوص ومن المعلوم أنه
 ليس ثم بناء مرصوص اتم ولا أنظم من تشكيل الشكل الرابع السعى بالقلمة
 في التعلیم الجديدة النظامية التي تجددت من منذ سنين عديدة في مصر الحمیمة
 وهذه النظمات الحديثة الاخيرة من اعظم ما تكون به ديار الاسلام جديرة
 والفضل في ادخالها الديار المصرية واقناع الاقداء بها وتألیفها في الديار
 الاسلامية للحضرۃ الحمدیۃ العلیۃ ثم قویت واتسعت دائرةها بریاسة نجله الاکبر
 سعی الخلیل ثم تشكلت اشكال متنوعة الى ان قویت شوکتها بالخدیو الجلیل
 عزیز مصر اسماعیل فانه فرع بع الاصل الاصلیل في کسب الجد الاکیل
 وهل ينبت الخطي الا وشیجه وتنرس الا في منابتها النخل
 فانه ربی للسجال رجال لهم في میادین الحرب أعلى مجال
 يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قري وين رجال
فاق بكثرة ماله وجیاده حتى یفرقها على الابطال
 (وقال آخر)

وشرط الفلاحة غرس الثمار وشرط السياسة غرس الرجال

ولا بأس أن تذكر هنا عظة تمثيلية وصی بها الحکیم منصور تلميذه **«مطلب»**
 تلميذه الامیر علی **«وصیة حکیم»**
 تلميذه الامیر علی **«للمبینه الامیر علی»**
 تلميذه الامیر علی **«السرية»**
 تلميذه الامیر علی **«السرية»**
 ذاتها خیالية الا ان لها معنی من المعانی الصحیحة يجب أن یتسک به امراء
 الجنود في سفرائهم النجیحة فنقول قال منظور لتلميذه اذهب الى أي خطير
 كان واقتجم الخاوف والهلاك متى احتاج الامر لذلك فان المرء يتذنس

عرضه اذا هاله أخوض في المعارك ولم يقتسم الاخطار مع اربابها ولم يشارك
 ولم يقتحم معاً مع الحرب والجدال فان هذا يلوثه أزيد مما اذا منع من السفر
 لحضور الحرب والنزال ولا ينبغي لمن يقود الجيوش وله عليهم امره ان
 تكون شجاعته متعددة بل محققة لينفذ على الجميع زيه وأمره فاذا كانت
 الرعية تحتاج لحفظ ملوكها وبقائه فهي أحوج لان تجده شهرته متعددة
 يخشى عليها من السقوط ومن شأته اعدائه ولا تنس أن الذي يحكم العساكر
 ويقودها في الكفاح لا بد أن يكون انفوج الجم وشافي السلاح
 وبشجاعته الجاسرة الباسله يحيي قلوب الجنود الفاضله فياك ان تهاب الاخطار
 بل مت في ميدان الحرب ونفع الغبار فهذا خير من ان يرميك الناس
 بالجبن ويصفوك بالذل والصغر وأما المداهنةون الذين يصدونك عن التعرض
 للخطر عند الاقتضاء واللزم فهم أول من يقول في حركتك سراً انك ملوم
 ومذموم وانك ضعيف الفؤاد والجاش وجهدك جهد الا وباش ويفوقونك
 بسهام الملام متى وجدوا ان يسهل عليك الاحتياج والاحجام والتآخر
 عن الاقدام ولكن لا ينبغي لك ان تهض وقت الرخاء والسعه لطلب
 الاخطار بدون منفعة فان الشجاعة ليست محمودة العلقة والارتباط الا اذا
 كانت موزونة بقسطناس العقل ويزان الحزم والاحتياط والا فهـي بدون
 ذلك عبارة عن احتقار النفس النفيـسه والمخاطر بها بدون رأى ولا تدبر
 فهي اذن خسيـسه فترجع الى الحمية الشهوانـية والصفـة الفضـبية الحـيوانية
 فلا تـنتـج نـتيـجة مـحـقـقة مـأـمـونـة ولا تـنـتـرـة عنـ الـهـوـانـ مـصـونـهـ معـ انـ النـفـسـ
 جـوـهـرـةـ مـكـنـوـنـةـ فـيـجـبـ انـ تـكـوـنـ دـمـاؤـهـاـ مـعـقـونـهـ فـالـاـنـسـانـ الـذـىـ لـاـ يـمـلـكـ
 نـفـسـهـ فـيـ وـقـتـ الاـخـطـارـ هـوـ اـنـسـانـ غـضـيـ وـرـجـلـ اـمـقـ لـاـ شـجـاعـ باـسـلـ حـلـيفـ

انتصار ولا هو معدود من خول الرجال بل تحتاج أن يخرج من مركز
 العقل ويدخل في زوايا الاختلال ليغلب الخوف بصولة الغضب وجولته ولا
 يقتدر على غايته لقوة قلبه وحضور عقله واستحضار فكره فهو في هذه
 الحالة لا يذكر ولا يفتر ولا يقبل ولا يدبر وانما يتذكر ويذكر ولا يتذكر
 ولا يتذكر بل يختلط ولا يتذكر وينكسر حرية عقله وفكرة مما لا يلزم لتنظيم
 حاله واغتنام تدمير عدوه وتدبير أمره وينسى خدمة الاوطان ومنفعة البلدان
 وهذا عين المهازن فإذا كان عند ذلك المجازف شجاعة النفر العسكري المجالد
 فليس عنده فطانته الرئيس الكامل ولا امارة الامير القائد بل ليس متصفافي
 الحقيقة بحقيقة شجاعة النفر الصحيحة ولا يسأله أحد الجنود وأفراد العسكري
 الريجية لأن النفر العسكري من واجباته ان يحافظ في المعركة على استحضار
 عقله والاعتدال والحلم حتى يكون ملزما للطاعة في جميع فعله فاي محارب
 تعرض للمجازفة في الحرب العوان كدر نظام العسكري واخل بالتعليمات
 والحركة العسكرية في حومة الميدان وكان قدوة للمجازفة والمخاطر والثبات
 والمكاره وعرض الجيش بتمامه بفقده استحضار العقل الصائب للوقوع في
 مكابد الخطرو المصائب فكل من يؤثر مطامعه الفاسدة ويقدم وسائله ومقاصده
 على مقتضيات العدل والمصلحة العامة يستحق الجزاء والعقاب لاماكافة
 والثواب على رأى الاخاصة والعامية فاحذر يابني ان تطلب الفخار بدون صبر
 ولا تؤده بل أقرب الوسائل في الحصول عليه ان تنتظر اغتنامه بالفرصة
 ل تستعبد فلا يكن سعيك اليه سعيًا خائبا ولا ترم سهمك صوبه الا صائبافان
 الخصلة الحميدة في الانسان صاحب السكمال تحمد ما دامت مبنية على الرفق
 والاعتدال وهي معادية للزينة وحب الرياء والسمعة وقصد التعمق في المطلوب

والوسمة فتى زادت الحاجة الداعية لاقتحام الاختار ودعت الدواعي لاقتحام
 العقبات الكبار وجب أيضا الاستحصال على وسائل التبصر والاستبصار
 والحزم في الشجاعة لبلغ الاوطار فتقوى الشجاعة بقوة الحاجة اليها ويجب
 توسيع دائرة البالى في الحصول عليها وبالجملة قتبه لان تسلك فى امورك كاها
 مسلكا لا يجلب اليك غيره الباقيين ولا يوجب لك عداوة الآخرين فامدحهم
 فيما يستحقون عليه المدح وليكن مدحك مصحوبا بتميز كل على قدر حاله
 لثلا يستحيل الى القبح ان تذكر حسنات ذوى الاحسان والخلصال الملاح
 من خالص قلب متهلل بالفرح والانشراح تضرب صفحاعن سينائهم وترى
 حلال فاعلها وتتأسف على وقوعه في الفعائل القباح ولا تحكم بشيء وتقضى به
 استقلالا بحضور هؤلاء الرؤساء الافاضل الذين مارسوا الامور وجرروا
 الوقائع والنوازل فالم خلى عن ذلك ولست مثلكم فى سلوك هذه المسالك
 فاسمع قولهم مع الادب والاحترام وشاورهم فى الامر تلغى صحيح المرام
 واخضع لارباب المعارف والموارف وافزع اليهم وتضرع ليعملوك مالم تعلم
 من اللطائف ولا تستحي من ان تعزو الى من تلمت منهم جميع جمیع ما يصدر عنك
 من الامور الصائب فالنسب لهم وأصف اليهم محسنه وأطايشه ولا تسمع أبدا مقالة من
 يثبط همتك بالبعد عنهم واخذ الحذر منهم ليوقع المنافسة والعداوة والمناقشه والقساوه
 بينك وبين هؤلاء الرؤساء السادة وامراء القادة و اذا تحدثت معهم فاعتمد عليهم
 كل الاعتماد وارکن اليهم وتف بهم ولم لهم القياد ولا تشك فيهم ولا تتوسوس
 ولا طفهم في الخطاب ليتمكن الحب ويتأس و اذا ظنت او رأيت ان أحدهما
 منهم حصل منه تقصير في حقك به عليه يعاب فعابه برفق وأصف بيتك في
 العتاب واصدقه في الدعاوى والسباب فان وجدت فيه اهليه لهم مقصدك

الشريف بالانصاف والعود على نفسه بالاذعان والاعتراف فدنه بما يشرح
 صدره ويرفع قدره ويعلی ذكره فهذا تأمل منه نوال ما تحتاج اليه واستكمال
 ماتطلبه لديه واما اذا رأيته لاعقل له في موافقة رأيك الصائب فصبر نفسك
 على ما تجده عنده من التعسف فهو أحدي المصائب ولا تجزع وتجدد الى انت
 ينتهي الحرب على احسن حال فانه لا يلام عليك في التمسك بآداب الحرب
 على هذا المنوال ولكن احترس أيضاً تفشي بعض المتكلمين والسعادة
 والوشاة من المنافقين شكوي ما تظنه ظلماً عن هؤلاء الرؤساء الموجودين
 في الوجاالت والواقع التي انت فيها معهم في الحروب والوقائع واقع انتهي
 وقد عمل بعض الملوك وصية لناظر الجيش قال فيها ولیأخذ أمیر هذا
 الديوان بكليته ويستحضر كل مسمى فيه اذا دعي باسمه وحليته وليقم قياماً
 بغيرة لم يرض وليقدم من يحب تقدیمه في العرض وليقف على معامل هذه
 المباشرة وجرائد جنودنا بما يخصى له من الاعلام ناشرة وليقتضي في كل وصية بعض الملوك
لناظر جيشه محااسبة ويخررها على ما يحب أو ما قاربه أو ناسبه وليستنصرح أمر كل ميت
 يأتي اليه من ديوان المواريث الحشرية ورقه وفاته أو يخربه مقدمه أو نقشه
 اذا مات معه في الاسفار عند موافاته وليحرر ما تضمنته الكشوف وتحقق
 ما يقابل به من اخراج كل حال على ما هو معروف حتى اذا سئل عن أمر
 كان لم يخف واذا كشف على شيء أظهر ما هو عليه حقيقته ولا ينكر هذا
 لاهل الكشف وليحرر في أمر كل مربه وما فيها من الجهات المقطعة وكل
 منشور يكتب ومثال عليه جمع لامر يترب وما يثبت عنده وينزل في تعليقه
 ويرجع فيه الى تحقيقه وليمان وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوته في
 تحرير كل اقطاع وفي كل زيادة واقتراض وفي كل ما ينسب اليه وان كان انما

فعله بأمرنا المطاع وليتبصر بن وراءه وليتوق اختلاف كل مبطل وافتراه
 ولتحقق انه هو المشار اليه دون رفقته والموكل به النظر والحق به جملة جندنا
 المنصور من البدو والحضر واليه مدارج الامراء فيما ينزل وأمر كل جندى
 لهم فارق أو نزل وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ النشور
 الشريف أو على السباقه ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في
 السافة وطوائف العرب والتركان والاكراد ومن عليهم تقدمه أو درك بلاد
 ملزم او غير ذلك مما لا يفوت احصاؤه القلم وأقصاه او أدناه تحت كل
 لواء ينشر او علم فلا يزال لهذا كله مستحضرا وله على خاطره محضر التكون
 لفتات نظرنا اليه دون رفقته في السؤال راجعه وحافظته الحاضرة غنية عن
 التذكرة والراجحة وملائكة الوصايا تقوى الله وهي من أخص اوصافه واجمع بين
 العدل والاحسان وهم من نتائج اتصفاته فليجعلها ما عمدني حكمه في القول
 والعمل والله يجعله من أوليائه المتقيين وقد جعل انتم

ومما ينبغي ذكره ان امراء الجيوش هم نواب الامام في الجهاد فكما يجوز لهم قتال اهل
 الحرب مقبلين ومدربيين ونصب المجنينات والفرادات والقاء الحيات ورمي
 النيران بجميع آلاتها وقطع اشجار العدو ولو مثمرة عند الاقتضيات والضرورات
 وقتل الشبان والشيوخ ومن يتعرض للطعن والضرب لا قصد قتل النساء
 والصبيان فكذلك يجوز لهم بمقتضى رخصتهم أن يعقدوا عقود العهود
 والامانات ويؤمنوا من التي السلاح بما شرع لجلب المصلحة ودرء المفسدة
 ومتى عقدوا العقود وعاهدوا العهود فلا يجوز نكثها بوجه من الوجوه الا
 ان ظهر لهم من العدو المتعاهدين معه خيانة مستوره وخوف مقدرة فينبذ
 العهد اليهم حتى يستوا في معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما نخافن من

• مطلب
 كون امراء
 الجيوش هم نواب
 ولـي الامر في
 الجهاد وفي عقد
 العقود والوفاء
 بالمهود

قوم خيانة فانبذ اليهم على سوء وكذلك اذا كان العهد مؤجلاً بعده فانقضت
 المدة فباتقضائها ينقض العهد وينبذ اذا كان الفرض عدم تجديده بل العزم
 على الحرابة والمقاتلة ولا يجوز تقاده في غير ما ذكر لأن نقضه يجري مجرى
 الفدر وخلف القول قال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
 شيئاً ولم يظاهر وا عليكم احذأ فأئمـوا اليـمـعهـدـهـمـ الىـ مـدـهـمـ وـمـقـيـ جـازـ نـقضـ
 العـهـدـ وـجـبـ اـخـبـارـ الـمـعـاهـدـينـ بـذـلـكـ لـيـكـونـواـ عـلـىـ بـصـيرـةـ لـاـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ
 عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـيـنـ نـقـضـ الـعـهـدـ مـعـ أـهـلـ مـكـهـ بـعـثـ مـنـادـيـ وـهـوـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ
 تـعـالـىـ عـنـهـ فـنـادـيـ يـوـمـ النـحـرـ عـنـ جـرـةـ العـقـبةـ بـنـقـضـ الـصلـحـ فـيـنـبـغـيـ
 لـكـلـ أـمـيـرـ أـنـ يـتـأـدـبـ بـآـدـابـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ حـفـظـ الـعـهـودـ وـاجـرـاـهـاـ
 عـلـىـ وـجـهـ مـعـهـودـ (يـحـكيـ) أـنـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ لـاـ حـارـبـ بـنـ حـنـيفـةـ بـأـرـضـ
 الـيـمـامـةـ وـقـتـ مـسـيـلـمـ الـكـذـابـ حـتـىـ صـارـ إـلـىـ حـصـنـ لـبـنـ حـنـيفـةـ خـرـجـ إـلـىـ
 خـالـدـ رـجـلـ مـنـ الـحـصـنـ فـأـسـلـمـ عـلـىـ يـدـهـ ثـمـ قـالـ لـهـ إـنـ فـيـ هـذـاـ الـحـصـنـ ضـعـفـةـ
 وـنـسـاءـ وـصـبـيـةـ فـأـعـطـهـمـ أـمـانـاـ لـيـخـرـجـوـاـ إـلـيـكـ فـلـيـسـ فـيـهـمـ دـرـكـ فـأـخـذـ أـمـانـاـ مـنـ
 خـالـدـ لـلـجـمـيعـ ثـمـ أـخـرـجـهـمـ خـرـجـ فـيـهـمـ رـجـالـ كـانـهـمـ الـأـسـدـ فـقـالـ خـالـدـ لـمـ أـعـطـكـ
 لـهـؤـلـاءـ أـمـانـاـ وـأـنـاـ أـعـطـيـكـ لـلـضـعـيـفـ قـالـ الرـجـلـ فـيـهـمـ كـانـهـمـ ضـعـيـفـ لـاـنـ اللهـ عـزـ
 وـجـلـ يـقـولـ وـخـلـقـ الـإـنـسـانـ ضـعـيـفـاـ فـكـتـبـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ
 رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فـأـجـازـ الـأـمـانـ عـلـىـ خـالـدـ وـمـاـ قـالـهـ الرـجـلـ الـأـسـلـمـيـ خـالـدـ يـعـدـ مـنـ
 بـابـ دـفـعـ الـمـكـروـهـ بـقـولـ صـادـقـ فـيـ حـدـ ذـاـتـهـ كـاـيـحـكـيـ اـنـ رـجـلاـ مـرـ بـرـسـوـلـ
 اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـهـوـ بـعـكـهـ قـبـلـ هـجـرـتـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـقـالـ يـاـ مـحـمـدـ أـغـنـيـ فـانـ
 خـلـفـيـ مـنـ يـطـلـبـ دـمـيـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـمـضـ لـوـجـهـكـ
 لـأـصـدـ الـطـبـءـنـكـ ثـمـ قـامـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـجـسـ بـعـدـ نـفـوذـ الرـجـلـ فـاـذـاـ قـوـمـ

يُعادون بأسىوف فقالوا يا محمد هل مربك رجل هارب من صفتة كذا وكذا
قال عليه السلام أما منذ جلست فلا فصدقه القوم وانصرفوا في غير ذلك
الطريق

(وقال) بعض المؤرخين لما غزا أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه مدينة دمطبه
وفاء ابن عبيدة دمشق في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان قد نازل هذه
عاصمة الروم عند بسده للروم ففتح دمشق
ابن العاص من جهة باب الجابية ونازلا خالد من جهة الباب الشرقي ونازلا عمرو
الصغرى وحاصروها قريبا من سبعين يوما وكان خالد بن الوليد رضي الله تعالى
عنهم مصما على أخذها بأى وجه كان صلحا أو عنوة وكان عساكر الروم
بدمشق قد أيقنوا أن حصارها على هذه الحالة لا بد أن يعقبه الفتوح
الإسلامي وأنه لا مفر لهم من وقوعهم في اسر المسلمين وكان محافظ دمشق
الامير ثوما صهر القيصر هرقل فدبّر حيلة عسى يكون بها نجاة نفسه وجنته
من الوقوع في أيدي المسلمين خرج بجنته من المدينة عدة خرجات عساه
أن يدفع جيوش المسلمين عن المدينة ويلتصر عليهم وكان يعتمد على أنه
سيصله امدادات من القيصر خفاب رجاؤه وانهزم في جميع خرجاته ثم لما
أليس من النصرة والامداد القريب وجزم بأنه واشك بالوقوع في قبضة
الاسلام شرع في التراس المسالمة بعد الصالح مع أبي عبيدة رضي الله
تعالى عنه

وكان قد بلغه موت الخليفة أبي بكر رضي الله تعالى عنه واستختلف
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان أبو عبيدة هينا لينا
صاحب رأفة ورحمة على عباد الله غير متغصص ولا مشدد على أهل الكتاب

بذور حق وكان شريف النفس عالي الحمة يميل الى العدل والحلم وكان قد اشتهر عند الروم بحسن الشمائل ومكارم الاخلاق وصدق المقال فلما التمس أهل دمشق الصلاح من هذا الامير وفاتهوه في شأن ذلك صالحهم على ان يؤئمنهم على نقوصهم ورخص لمن لم يسلم اذا اراد ان يخرج من دياره خرج منها بجانب من امواله اشترط عليهم ان يبلغوا ما مأمورهم بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها من زمن جلائهم يجدون فيها السير كما يشاءون ولا يقفوا اثرهم أحد من جيش الاسلام الا بعد مضيها فعلى هذا الطاح سلموا له مفاتيح المدينة فلما دخل فيها بجنده ووصل فيها الى ميدان عام في وسطها رأى في هذا الميدان جند خالد بن الوليد فكانوا ينتظرونها وأخذوها عنوة من الابواب المسامة للباب الذي دخل منه أبو عبيدة عقب الصلح فكانت عساكر خالد بوصف كونهم فتحوها عنوة يقتلون من يجدونه في مرموم فهم عن ذلك بالتي هي أحسن وأمرهم بتقوى الله والرفق بعباده وأخبر الامير خالد بن الوليد بما صالحهم عليه لآن خالدا رضي الله تعالى عنه كان منزلة عظيمة عند أمير المؤمنين وكان قد أتاه كتاب من عمر رضي الله تعالى عنه بتقليده اماره جيشه فأقر خالد ما صالح عليه أبو عبيدة وواعده برفع السلاح عنهم وان لا يقفوا اثرهم الا بعد مضي الثلاثة الايام المتفق عليها وانجز حر ما وعد فاقتفى اثرهم بعد مضيها ثم جد المسير فأدركهم وبدد شملهم وسلبهم ما عندهم واغتنم منهم ما اغتنم ثم عاد سالما غانما الى دمشق وبعث أبو عبيدة بالفتح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فلده المؤرخون بوفائه بنفسه وبتوسطه الى خالد بن الوليد وحمله على ذلك

قال بعض من وقف على هذه الواقعة من مؤلفي اوربا وكانت اوصاف

هذه الصحابي الجليل الذى كان أمير الجيش الاسلامي فى ذلك الجيش مجتمعة
 فى أمراء الجنود بالاجيال الجديدة المشهورة بالتمدنات المتنوعة والتقىدات
 العديدة لفائدتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور والسرف
 فأجل أمراء جيوش الدول العظيمة التمدن فى عهدها هذا لم تبلغ درجة ذلك
 الامير الخطير الذى هو من بين الفاتحين عديم النظير فكل منقبة من مناقب
 عده وحلمه ووفاته تخجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة
 وتزدرى بأمرأته انتهى وهذا من قبيل * ومليحة شهدت لها ضرائبها * ومع ذلك
 فنقول ان تمدن الاخلناء الراشدين والصحابة والتابعين وتابعهم هو تمدن حقيقى
 مكتسب من أنوار النبوة وتابع هدى من لا ينطق عن الهوى مع سلامه
 طبع أبي عبيدة عامر بن الجراح الذى قال في حقه عليه الصلاة والسلام - كل
 أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح وقد كانت شفقتة على
 نصارى الروم بدمشق واجبة لأنها نتيجة المصالحة والمعاهدة والافكان
 لا يخشى في الله لومة لائم فـ كـ نـا مـ كـ اـ رـ مـ أـ خـ لـ اـ قـ الصـ حـ اـ بـ اـ هـ فـ نـ اـ رـ اـ دـ اـ نـ قـ تـ دـ يـ
 بهـمـ فـ هـوـ مـنـ أـهـلـ السـدـادـ وـالـاصـابـةـ وـمـاـ أـسـعـدـ مـنـ يـتـزـهـ مـنـ أـوـلـ شـبـيـتـهـ عـنـ
 الجـهـالـاتـ وـيـتـسـكـ بـنـامـوسـ الـمـرـوـءـةـ وـالـشـرـيـعـةـ وـيـخـالـفـ أـهـوـاءـ النـفـسـ الـأـوـامـةـ
 وـيـخـالـفـ مـعـالـىـ الـأـمـوـرـ الـمـؤـسـسـةـ عـلـىـ مـاـفـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ مـنـ الـإـيـاتـ الـبـيـنـاتـ
 فـلـاـ أـحـقـ مـنـ تـجـرـدـ عـنـ الشـفـقـةـ وـالـمـرـجـةـ وـأـفـضـىـ بـهـ الـجـهـلـ إـلـىـ اـرـتـكـابـ
 الـأـمـوـرـ الـحـرـمـةـ فـكـأـنـاـ هـوـ تـرـبـيـ فـالـجـبـالـ وـرـضـمـ أـلـبـانـ الـوـحـوشـ وـالـوـعـالـ
 كـاـيـحـكـيـ عـنـ نـيـةـ غـدـرـ مـنـ مـغـرـبـيـ مـسـلـمـ بـأـسـيـرـ مـنـ نـصـارـىـ الـإـسـبـانـيـوـلـ مـنـقـادـ
 لـقـضـاءـ اللـهـ عـلـىـ بـالـأـسـرـ وـمـسـتـسـلـمـ وـذـلـكـ أـكـثـرـ عـرـبـ المـغـارـبـةـ الـمـوـطـنـيـنـ
 بـلـادـ اـفـرـيقـيـةـ أـصـلـمـ مـنـ عـرـبـ الـأـنـدـلـسـ الـذـيـنـ اـجـلـاـمـ الـإـسـبـانـيـوـلـ

« مطلب »
 ذم التجدد عند
 الشفقة والمرحة
 بعد القفال في حق
 الاسري

من ديارهم بعد تعلمهم عليها وكانو بقایا من نجا من القتل فكانت العداوة باقية
بين القریقين

وكان اغلب المغاربة يعتقدون حل التقرب الى الله تعالى بقتل النصارى
لخالفة الدين لاسيما اذا كانوا من نصارى الاسبانيول المعدين وكان من قواد
المغاربة الذين يغزون على بلاد الاسبانيول الساحلية أمير يقال له على بن جري
من قواد ملوك افريقيا فانتصر مرة في حربه مع الاسبانيول نصرة عظيمة
وقتل واسر وشحن سفينته من اسراه حتى أرسى على سواحل افريقيا وانزلهم
إلى البر خضر إليه شخص من حمقي العرب متمثلاً بين يديه وجعل يقبل قدميه
وقال له يا أميراً ألم يسعدك الله تعالى بالظفر والتأييد ووقفتك جلبة عدد
كثير من النصارى الاسارى فهم لجنابك العالى من قبيل الارقاء والعبيدو طالا
انهزت الفرصة في سفك دمائهم وسي رجالهم ونسائهم وفي طاقتكم ان
تقتل منهم ما تشاء من العدد الكثير والجم الغفير فلا شك أن مثلك من أهل
الجنة حيث وفقه الله تعالى إلى الحصول على هذه المنة وأماماً أنا فلم أحظ في
عمرى بهذه الفضيلة ولا تيسر لى هذه النعمة الجزيلة فأنا شدك الله لا تقضى
على من احسنتك وجميل فضلك وامتنانك بأحد هؤلاء الاسرى اعداء الدين
لاتقرب به إلى طاعة رب العالمين فأظهر له الامير حسن الاجابه وانه لم ي
دعوه ليinal الاجر والاثابه وأفهمه أنه يرسل اليه هذا الشاب طويلاً النجاد
في الغابة وأمره ان ينتظره فيها هذه الساعه ليقتلك به سرايدون اساعه ثم
أمر الاسير بالمسير وأطلعه على خبيثة هذا الاحمق وحذره منه وأنذره حتى
يعمل لنفسه في الندب عنها أحسن التدبر فاقتحم الاسير الغابة شاكى السلاح
مصمماً على المناضل والكفاح فلما رأه خصمه على أهبة بهذه الحالة لم يجد من

المروب بدا فنجا بنفسه ولا محالة ورجع الى الامير يرجف فؤاده وقد فاته
 مراده فقال له الامير بصوت جهوري بغاية من الحماس يسمعه كل من
 حضر من الناس يا أيها الشقى الاحمق والعدو الازرق كيف عشت بين اظهر
 مؤمني البرية ولم تعلم حرمة قتل النفس البرية وهل محض اختلاف الاديان
 ببيح التعدي بقتل الانسان ابغاء مرضاة الشيطان وكيف نظن أن تصمييك
 على هذه النية ترضي الله سبحانه وتعالى أو نيه وهل من المروءة والسماحة
 قتل من ألقى سلاحه أما تعلم أن قتل النفس بغیر حق من أعظم الآثام عند
 الله نخجل المغربي بالخزي والخجل يطلب الغفران من الله عزوجل واستحسن
 جميع الحاضرين ما دبره الامير فما أحسن العدل المرفوق بمحسن التدبير لاسيما
 من قائد خطير (ويحيى) ان عمرو بن معدی كرب مريحي من أحياط العرب
 فرأى فرسا مشدودا ورحا مامر كوزا ورجلان في وحدة يقضى حاجته فقال له
 عمرو خذ حذرك فاني قاتلك فقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معدی
 كرب قال وأنا أبو الحرب ولكن ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا
 في موضع فاعطني عهدا أن لا تقاتلني حتى أركب فرسى وآخذ حذري
 فعاهده على ذلك خرج من الموضع الذي كان فيه وجلس محبيا بسيفه فقال
 له عمرو وما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسى ولا أنا مقاتلك فاننكشت
 العهد فأنت أعلم بما يليق بانا كث فتركه عمرو وممضى وقال هذا أجبن من
 رأيت فانظر الى حفظ العهود فهو وان كان واجب الوفاء به في حد ذاته الا
 أن أحق الناس به الامراء والجنود وفي هذا القدر كفاية فيما يتعلق بالطبيعة
 الثالثة التي هي طبقة الغزاة

د مطلب
 وفاء عمرو بن
 معدی كرب
 بالمهد

الفصل الرابع

(في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع)

قد أسلفنا الكلام على هؤلاء بالبيان الشاف في عدة مواطن لاسيما في اباب الثاني من هذا الكتاب فلا فائدة في الاعادة وانما نقول هنا انه ينبغي لابناء الوطن ان يؤدوا ما يحجب عليهم من الحقوق لوطفهم اياما كانت طبقتهم لا تتحادهم في وصف الاهلية وان يتعاونوا على ما فيه صلاح مملكتهم وجمعيتهم السياسية وان يبذل المستطاع ما عنده في اصلاح حالها وما لها حتى يصدق عليه انه من أحيا نخوة الملة وأنش قوة الدولة فيشكروه وطنه الذي هو مصره ويحمده ز منه الذى هو عصره فيكون مخلد الذكر في دفاتر أخبار الذين اشتهروا في سلسلة الاعصار وان يتصرف كل عضو من أعضاء الجماعة الاهلية بالامانة التي هي أشرف الحصول التي يحتاج إليها في المعاملات وقد كانت هذه الفضيلة قد يعا في الديار المصرية على غاية من التمسك بها ولو عند عرب البادية * ومن غريب ما يحكي في ذلك ما أخبر به الشيخ عبد الرزاق القبطي انه جاء اليه الشريف الاحمر ومعه بدوي فقال بعد الرزاق اشتهي أن تقرضنا دينارين وترك معنا للشريف ما تقول لي ايش أنت تطلب بنا فقال فسقنا في الحاجر ساعة فقلت للشريف ما تقول لي ايش أنت تطلب بنا فقال هذا البدوى كان أودع ناسا من العرب سخلة في الحجاز من احدى عشرة سنة وهو يطلب وديعته قال فقلت له ضيمنت على دينارين وأتعينا فقال لي الدينار الواحد معى والاخر اشتريت به هذا الجمارفان وجدنا شيئاً والا ردنا لك مالك فسرنا الى أبيات عرب هناك بجلسنا بعيداً وتقدم الاعرابي ونادي يا أبا

فلان فكامله انسان فقال من تكون أو قال من ت يريد فقال الله تعالى يعلم اني
 كنت أودعت لك بوادي الصفراء في الحجاز في السنة الفلاحية سخلة قال
 بناء الرجل الذي كله ونحي القرمزية عن رأس البدوى ونظر الى شجة في
 رأسه وقال والله أنت هو وأبو فلان مات وأنا أخوه أفعى حتى تروح علينا
 فقدنا حتى راحت الا بل عليهم فعزل البدوى منها تسعم نوق وقال * الله تعالى
 يعلم أن السخلة ولدت ولد اولادها فبعندها واشترينا تلك الناقة فولدت
 وتوالدت فالذى كان منها ذكوراً بعثاه وأبقينا الاناث وأخرجنا عنك الزكاة
 وأخرج صرة زرقاء مربوطة بخيط من شعر فقال هذا من ذكر
 ففتحناها فوجدنا فيها أما قال تسعة عشر ديناراً أو قال اثنين وتلعين ديناراً
 غاب عن أيها قال لطول المدة فقال الاعرابي أما هذا الذهب خذوه ولا
 حاجة لي به وتكفبني النياق فقلنا والله ما نأخذ الا الدينارين فاخذناها
 ورجعنا أنتهى فانظر الى قيمة قدر الامانة عند عرب البايدية المؤمنين والتعسف
 من المتوسطين وسماحة الاعرابي الذي أراد أن يترك الذهب لهم فلا يدرى
 أى الفرق الثلاثة أكرم وأعظم مروة فعل العاقل أن يتسلك بكل فضيلة
 يتدح بها وتبغض بها صحيحته الدنيا وأخرى من كل ما يحرز المنافع العمومية
 دينوية أو دينية مما يكون به لاهل ملته تمام النظام وتمود منفعة عاجلاً أو

آجلاً على قوة دولة الاسلام

وقد أسلفنا في الفصل الاول من الباب الاول في بيان المنافع العمومية
 ما يتعلق بفعل الصدقات الجارية وان من جملتها بناء المعاشر الخيرية وان كثيراً
 في شعاراتها من المدرسة والتربية وذلك ونقول الان ان من جملة من اجهته في فعل الخير
 الجارى على الدوام ما فعلته صاحب الدولة والعصمة والدة الخديروالا كرم ولد

مطلب
 العماز الحيرية
 التي اجرتها والدة
 الخديروالى الائمة
 وما اجر امام جناب
 خليل اغا المنصور
 في شعاراتها من
 المهمة

الشمة فان بناءها المسجد المنيز للقطب الشهير ولـى الله تعالى الشيخ صالح أبـن حديد هو من أعظم الخيرات لا سيما ما أجرته عليه من الاوقاف الداره والوظائف الباره ومثل ذلك شروع حضرتها السنية في بناء مسجد القطب الرفاعي الجاري فيه العمل الآن أمام السلطان حسن فـانه أيضا صار توسيعه بـمـالـا مـزـيدـ عـلـيـهـ منـ الدـورـ المتـخـذـةـ لـهـ بـالـشـرـاءـ وـتـطـيـبـ خـواـطـرـ أـرـبـابـهاـ معـ الجـدـ والـاجـهـادـ فيـ العـمـارـةـ الـتـيـ يـظـهـرـ أـمـهـاـ تـصـيـرـ ضـخـمـةـ جـداـ وـتـنـافـسـ جـامـعـ السـلـطـانـ حـسـنـ المـواـجـهـ لـهـ مـاـ سـيـرـ صـدـ عـلـيـهـ مـاـ اـرـادـ حـضـرـهـاـ الـعـلـيـةـ تـحـصـيلـهـ وـمـنـ الـعـلـومـ أـنـ حـضـرـهـاـ الـمـشـارـيـلـهـ مـاـ جـزـيلـ الـخـيرـاتـ مـاـ لـيـحـصـىـ وـمـنـ جـمـيلـ الـمـبرـاتـ مـاـ لـيـسـتـقـصـىـ وـالـرـأـفـةـ الـكـامـلـةـ الـكـافـلـةـ بـالـتـعـطـفـ عـلـىـ كـلـ فـقـيرـ وـتـنـاطـفـ بـجـبـرـ كـلـ كـسـيـرـ وـتـوـزـيـعـ الصـدـقـاتـ عـلـىـ الـجـمـعـ الـفـقـيرـ فـهـيـ سـارـةـ مـصـرـهـاـ وـأـيـنـ مـهـازـ بـيـدةـ فـعـصـرـهـاـ

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول ذكر ما فعله من الخبر العجمي وحسن الصنيع الجسيم حضرة خليل أغا باش أغوات الجهة السامية المشار إليها من المدرسة والتکية ابتغاء مرضاة الله تعالى مما ازداد به وجه مصر ضياء وتلألأء * هكذا هكذا والا فلا لا * وكنا قد ذكرنا في الفصل المذكور ما انشاه من خيرات الامير الجليل والشريف النبيل سعادة راتب باشا

« مطلب »
خيرات سعادة
راتب باشا
بالجامع الازهر ثم بلغنا فيما بعد انه أنشأ مسجدا جليلا بالاسكندرية ومدرسة جامعية عمومية بالاسكندرية أيضا وأرصد لذلك ما فيه الكفاية لدوامه وأرصد جرایات لها وقع كبير على الاضرحة والمشاهد والمقارى بالمحروسة وأحيانا تکية للنساء العجائز الفقراء مرصدة على احدى وعشرين مرأة كان انشاهها المرحوم عبد الرحمن كتخدا ثم دُررت وبلغنا ان حضرة الباشا المشار إليه مصمم

على تجديد مارستان للفقراء والضعفاء ووقف الامير المذكور من اراضيه وعقاره على خيراته ما يقوم بها على كثراها وأنه أوقف باقى اراضيه وعقاراته على ذريته وشرط انها تؤول من بعده الى محال خيراته توسيعا لها زياذا هكذا يكون الكرم الواسع من الاشراف أهل الديانة والصيانت والغفاف اطال الله به قاه ومن الاسوء حفظه ورقاه وكثير من الامراء والاعيان من لا تعلمحقيقة اوقافهم الخيرية الا اجمالا تصدق لفعل الخيرات على قدر حاله وبذل فيها جزا عظيما من ماله فالحمد لله الذي وفق كثيرا من الامراء والاهلى المصرىين رجالا ونساء بالحر وسأة او بالاقاليم على التثبت بأسباب الخير العظيم والناس كما يقال على دين ملوكهم وهو ادب قديم ومع أن هذه الخيرات تعد نوعا من النافع العمومية الا ان هناك خيرات اعمم منها نفعا وآثر وقعا كالشركات السالمية الشرعية وجمعية الاقراض الرعية فانها افعة كل النفع لفك المضايق اف عن ارباب الاحتياجات من اهل الصناعة والزراعة لدخلتهم وقيامت عند الافتضاء بقضاء حاجتهم فان هذه الشركات السالمية والجمعيات الاقراضية من أهم الامور ومفرجة على الجمود وبها تقدم التجارة والزراعة وترقى الدولة والملة في المالية والوازمن الاهليه الى اوج الفخار ودرج الاعتبار كما بينا ذلك في الفصل الاول من الباب الاول

فله من يضمن الاهلى صحائف اعماله النافعة وجعل أنوار فعاله على آفاق وطنه مشرقة ساطعة وأما من بخل بذلك فقد خلا عن فضائل النفع العام وسود سطور صحائف اعماله بمداد الآلام واخرج عصره الموجود فيه حيث غدره وخانه بدون أن يوافيء أو يصافيه بل كدر رائق نفعه وزلال صافيه وهذا القدر من المكر ومه كافيه فعلى ولی الامر العادل ان يرشد

• مطلب ،
 تمام المرغوب
 وختام المطلوب
 لكمال النافع
 العمومية من
 تشكيل شركات
 مرعية

بافعاله السنّية رعيته الى سبيل الرشاد السنّية وأن يعينهم على ذلك بالحصول على كمال الحرية متى وجدان رعيته تلك الحرية حرية حتى يحب الناس أو طاهم ويدعوا شكرهم لمن حسن حالم وأصلاح شأنهم

**فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَقَ خَدِيُو مَصْرُ الْأَكْرَمُ لِفَعْلِ ذَلِكَ بِفَكِ عَهْدِ
الْمُتَهَدِّينَ لِلْبَلَادِ وَبِتَأْسِيسِ نَظَامَاتِ الدَّوَائِرِ الْبَلَدِيَّةِ الْبَنِيَّ عَلَى تَحْرِيرِ رَقَابِ أَهْلِ
الْمَرْجِيَّةِ**

النواحي من شبه الاستبعاد فان هذا لا محالة قوم الانصاف والعدالة فان من ملك احرار طائرين كان خيرا من ملك عبيدا مروعين ولا شك ان قلوب الرعية هي خزان ملوكها فما اودعه فيها فهو مستودع في انحاء مساكنها ولا يكون الملك عظيم القدر الا باهال دونه عظمه ولا تقوى قوته الابراج اطاعوه ولا تشرف منزلته الا بعوام اضعوا له بالازعان واتبعوه فعليه ان ينحرهم وسائل التعزيز والتكيير وأن يمنع عنهم رذائل التصغير والتتحقير فرب صغير ترفع عن دناءة المهمة وتفرغ اجلائل التدبير وعلى الملك أن يعامل احرار الناس بعض المودة وال العامة بالرغبة والرهبة وان يسوس السفلة بالمخالفة الصريحة وان يحسن سياسة جميع رعاياه علي اختلاف انواعهم لاجتناب الاسباب التي تبعث قلوبهم على معصيتها ليقود ابدانهم الى طاعته فبهذا يستقيم أمره الى الى مدهه (وسائل) رجل بعض حكماء بنى امية ما كان سبب زوال نعمتك فقال قد قلت ما سمع اذا سمعت فافهم ان شغلنا بذلكنا عن فقد ما كان فقده يلزمها ووشقنا بوزرائنا فآثروا مرافقتهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمنا وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ويسوا من انصافنا فتمنا الراحة لغيرنا وخربت معايشهم بخربت بيوت أموالنا وتأخير عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم مخالفون افتظا هروا علي امرنا فطلبنا اعداؤنا

فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان أول زوال ملوكنا استئثار الخبراء علينا
وقال المنصور يوماً ما كان أحوجنـى أن يكون على بابـى اربـعة نفر لا يـكون
على بابـى أـعـفـنـهم قـيلـ ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ وـمـنـ هـمـ قالـ هـمـ اـرـكـانـ الـمـلـكـ لاـ يـصـاحـحـ
الـمـلـكـ الاـبـهـمـ كـاـنـ السـرـيرـ لاـ يـصـاحـحـ الاـبـرـجـ قـوـائـمـ اـنـ تـقـصـتـ قـائـمـةـ وـاـحـدـةـ
وـهـيـ اـمـاـ اـحـدـهـمـ فـقـاضـ لـاتـأـخـذـهـ فـىـ اللـهـ لـوـمـةـ لـاـمـ وـالـآـخـرـ صـاحـبـ شـرـطـةـ
يـنـصـفـ الـضـعـيفـ مـنـ القـوـىـ وـالـثـالـثـ صـاحـبـ خـرـاجـ يـسـتـقـضـىـ لـىـ وـلـاـ يـظـلـمـ
الـرـعـيـةـ فـاـبـىـ غـنـىـ عـنـ ظـلـمـهـاـ ثـمـ عـضـ عـلـىـ أـصـبـعـهـ السـبـابـةـ يـقـولـ فـيـ كـلـ مـرـةـ آـهـ آـهـ
قـيلـ مـنـ هـوـ يـاـ أمـيرـ المؤـمنـينـ قـالـ صـاحـبـ بـرـيدـ يـكـتبـ بـخـبـرـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ الصـحـةـ
اـنـتـهـىـ

وـمـاـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـىـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ اـنـ خـدـيـوـهـاـ الـاـكـرـمـ
يـخـسـنـ اـنـتـخـابـ وـكـلـاـهـ وـيـنـقـدـهـ بـعـيـنـ الـبـصـرـ وـالـبـصـيـرـةـ وـاـنـهـ بـتـرـيـهـ لـراـحـةـ الرـعـيـةـ
الـدـوـاـرـ الـبـلـدـيـةـ وـتـنـظـيمـهـ الـجـالـسـ الـحـكـمـيـهـ وـحـسـنـ تـرـيـتـهـ لـاـ بـنـاءـ الرـعـيـةـ وـتـقـلـيـدـهـ
بـالـمـنـاصـبـ الـادـارـيـهـ تـحـوـذـ مـصـرـ الـتـىـ هـىـ مـنـعـ كـلـ خـيـرـ وـفـضـلـ وـمـخـطـ رـحـالـ
كـلـ شـرـقـ وـغـرـبـ وـبـعـدـ وـقـرـبـ عـلـىـ الـفـضـائـلـ الـعـلـيـاـ وـيـصـدـقـ عـلـىـهـ اـسـمـهـ الـقـدـبـىـ
وـاـنـهـ اـمـ الـدـنـيـاـ

وـمـنـ اـمـنـ النـظـرـ فـيـ حـسـنـ تـقـسـيـمـهـاـ فـيـ حـلـبـةـ السـيـاسـهـ وـأـمـنـ الفـكـرـ فـيـ
نـظـامـ تـقـوـيـمـهـاـ فـيـ رـتـبـةـ الـرـيـاسـهـ وـجـدـهـ الـآنـ عـلـىـ حـالـةـ أـحـسـنـ تـقـسـيـمـاـ وـتـقـوـيـمـاـ
ماـ كـانـتـ عـلـيـهـ فـيـ أـيـامـ اـنـ كـانـتـ كـرـسـىـ الـمـلـكـ وـدارـ اـخـلـاـقـ فـيـ تـلـكـ الـاـزـمـانـ
كـاـ يـفـهـمـ مـنـ ذـكـرـ تـخـطـيـطـهـاـ فـيـ تـلـكـ الـاـيـامـ لـبعـضـ الـلـمـاءـ الـاعـلامـ حـيـثـ يـقـولـ
لـمـصـرـ وـجـهـانـ قـبـلـ وـبـحـرـىـ فـالـقـبـلـىـ هـوـ أـجـلـهـ مـاـ قـدـرـ اوـ أـطـوـلـهـ اـمـدـىـ وـاـكـثـرـهـ اـجـدـىـ
وـهـوـ الـجـيـزةـ وـهـىـ أـقـرـبـهـاـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ غـرـبـيـ الـنـيـلـ وـيـقـعـ قـبـالـةـ القـبـلـىـ مـنـهـاـ بـالـادـ طـفـيـحـ شـرـقـ

« مـطـلـبـ »
اـنـ تـقـسـمـ مـعـرـ
الـاـنـ اـسـقـ منـ
تـقـسـيـمـهـاـ الـقـدـمـيـةـ

النيل في بر القاهرة تصاقب بركه الجبس وبساتين الوزر ثم يلى الجيزه
 مقبلًا في براها بلاد البهنسا تصاقب البهنسا من غربها بلاد الفيوم
 وبينهما منقطع رمل والفيوم هو الذي يحده دائماً مستمر وينقسم به
 الماء في مقاسم ولا يعرفون قسمة الماء الا بالقصبات ثم يلى البهنسا
 مقابل الاشمونين وفيها الطحاوية ثم يليها بلاد منفوط ثم يليها بلاد أسيوط
 ثم يليها بلاد أخميم شرق النيل ويقابل دمنتها البرابي المشهورة في البلاد
 المضروب بها المثل على الاسنة وهي وان كانت شرق النيل فكل بلادها
 ومزارعها غربى النيل ثم يليها بلاد قوص وقوص أيضاً شرق النيل وهنالك
 جل العمارة وموضع الحرف والزرع وفي غربى النيل قبلتها البلاد المعروفة
 بغرب قولا وهي من مضائق قوص وبلادها ثم اسوان وهي من عمل
 قوص وواليها نائب عن واليها ويخرج مما بين قوص وأسوان الى صحراء
 عيداب حتى يتنهى الى عيداب وهي قرية حاضرة البحر ومنها يتدنى الى جدة
 ويكون بها جند من قوص ووالها وان كان من قبل السلطان فانه نائب لوالى
 قوص ووالى قوص اعظم ولاة مصر وأجلهم فهم نهضة جملة الوجه القبلي وفيه
 الصعيدان الادنى والأعلى والادنى كل ما سفل عن الاشمونين الى القاهرة
 والاعلى كل ما علا عن الاشمونين الى اسوان وغالب زرعه ورفعه وجلب
 قوته وحلب ضرره غربى النيل وما يوجد شرقى النيل قليل وهو
 بيم لا متبع فاما الوجه البحري فهو كل ما سفل عن الجيزه الى حيث مصب
 النيل في البحر الشاهي بدبياط ورشيد وهو أعرض من الوجه القبلي وبه
 الاسكندرية وهي مدينة مصر العظمى فاما ما وقع منه شرقى النيل في بر
 القاهرة المتصل بها فأقربها منه الضواحي وهي القرى التي أمرها بيد والى

القاهرة ثم قليوب ثم الشرقية ومدينتها بليس وأما ما وقع غربى أحد مرمى
 النيل الفرقتين في هذا الوجه فأقربها إلى الجيزة جزيرة بنى نصر ثم منف
 وكلها عمل واحد والاسم لنف وهي كانت مدينة مصر المظفى زمن فرعون
 موسى ثم ابatar وهي من عمل منف أيضاً ثم يليها بلاد الغربية ومدينتها محله
 المرحوم وهي عمل جليل متسع يضافي قوص ثم يليه أشمون وتعرف باشمون
 الرمان لكثره وجود الرمان بها وهي بلاد الدقهلية والمراتحة ثم يليها دمياط
 حماها الله وهي أحد النغور والضالة المستنقذة بعد طول الدهور واليها أحد
 مصبي النيل ثم ما هو غربى الفرقه الثانية من النيل فأقربه إلى الجيزة بلاد
 البحيرة ومدينتها دمنهور وهذه البلاد تستعمل على بلاد مقفرة وطواقيه من
 العرب وبها بركة النطرون التي لا يعلم في الدنيا أن يستغل من بقعة صغيره
 نظير ما يستغل منها فانها نحو مائة فدان تقبل نحو مائة الف دينار ثم يلي بلاد
 البحيرة مدينة الاسكندرية ثغر الاسلام المفتر وحي الملك الحضر حرسمها
 الله تعالى وهي مدينة لا يتسع لها عمل ولا يكثر لها قريي فهذه جملة الوجه
 البحري ثم لم يبق ما تبني عليه الاقطيا وهي قرية في الرمل جعلت لاخذ
 الموجبات وحفظ الطرق وأمرها لهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر وأما
 الواحات خارجية في اقطاع امرائهم يولون عليها كل مقطع في اقطاعه ومتغلبها
 كانه مصالحة لعدم التكهن من استغلاله أسوة بقية ديار مصر لوقوعه منطبقاً
 في الرمال النائية والقفار النازحة وهذه جملة نطق القاهره الخليفة بمصر سفلاً
 وعلوا انتهى والظاهر ان في عصر هذا المؤرخ كانت قصبات الصعيد الاعلى
 قوصاً واحميماً ولم تكن جرجاً من القصبات المشهورة شهرة غيرها وانها
 صارت فيما بعد متصرفة وقد أُنزل الى ناحيتها السلطان الظاهر برقوق

بعد واقعة بدر بن سلام هناك هوارة الصعيد في نحو سنة اثنين وعشرين ^{٥ مطلب}
 اصل الهوارة
 وسبعينه وكانت خراباً يعمروها فأقطع هذه الناحية لاسماعيل بن مازن وتوظفه بالصعيد
 منهم وأقام بها حتى قتله على بن غريب فولي بمده عمر بن عبد العزيز الهواري
 حتى مات فولي بعده ابنه المعروف بأبي الشوشة ونغم أمره وكثرت أمواله
 فإنه أكثر من زراعة التواحي وأقام دواليب السكر واعتصاره حتى مات
 فتولى بعده أخوه يوسف بن عمر وهكذا وهؤلاء الهوارة أصل ديارهم من
 عمل سرت بالغرب إلى طرابلس قدم منهم طوائف إلى أرض مصر وزلوا
 بلاد البحيرة وملكونها من قبل السلطان ونزل منهم هوارة بالصعيد كما
 ذكرنا وزلوا جهة جرجا التي نابت فيها بعد عن قوص وعن أخميم وصارت
 ولاية في التقسيم فتقاسم مصر الآن أكثر نوعاً وأعظم استقصاء وتبعاً
 وإن لم تصل فيما يخص العلم والعلماء درجة ذلك الزمان البعيد الذي يعلم كثرة
 علمائه وفضلاه لمن طالع مثلاً الطالع السعيد في نجباء الصعيد إلا أن المعرف
 الآن سائرة بسيرة مستجدة في نظريات العلوم والفنون الصناعية التي هي
 جديرة بأن تسمى بالحكمة العملية والطرق المعاشرة ومع هذا فلم يزل
 التشتت بالعلوم الشرعية والأدبية ومعرفة اللغات الأجنبية والوقوف على
 معارف كل مملكة ومدينة مما يكسب الديار المصرية المأافع الضرورية ومحاسن
 الرينة فهذا طرز جديد في التعلم والتعلم وبحث مفيد يضم حديث المعرف
^{٦ مطلب}
 الحالية إلى القديم فهو من بدائع التنظيم وإذا أخذ حقه من حسن التدبير انه ليس بكل
 والاقتصاد فيه استحق مرتبة التعظيم ولا ينبغي لابناء الزمان أن يعتقدوا أن مبتعد مذموم
 زمن الخلف تجرد عن فضائل السلف وأنه لا ينصلح الزمان اذا صار عرضة الاستحسان
 للتلف فهذا من قبيل البهتان فالفساد لا يعتقد ذلك لافساد الزمان كما قال الشاعر

ثعيب زماننا والعيوب فيها
ومالزمانا عيب سوانا
ونهجو في الزمان بغير عيب ولو نطق الزمان بنا هجانا
وأننا حصول مثل هذه الاوهام السوفسائية ناشيء من فهم كلام
العلماء الرسخين على خلاف المعنى المقصود منه وأخذه على ظاهره فإذا حفظ
الانسان من جوهرة التوحيد قول الناظم

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف
أخذه على ظاهره في أمر الدين والدنيا والمعاد والعيش والترقي في الرفاهية
والزينة مع أنه خاص بالأمور الدينية وابتاع الأحكام الشرعية من الحلال
والحرام دون المباح كما أوضحته بعد قوله

وكل هدي للنبي قد رجح ثما أصبح افضل ودعا ما لم يبح
فياليت من تمسك بتلك الافهام وتنسق بمضامين تلك الاوهام
استمسك بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
أخرجنا لكم من الأرض ولا تيموا الخلية منه تفقون وبقوله تعالى هو
الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوافي منها كعبها وكاؤا من رزقه واليه
النشور فليس كل مبتدع مذموم بل أكثره مستحسن على الاخصوص
والعموم فان الله سبحانه وتعالى جرت عادته بطى الاشياء في خزانات
الاسرار ليتشبث النوع البشري بعقله وفكره ويخرجها من حيز الخفاء الى
حيز الظهور حتى تبلغ مبلغ الانتشار والاشتهرار

اذا حار وهمك في معنيين وأعياك حيث المدى واليقين

خلاف هوكه فان الموى يقود النفوس الى ما يهين
فغترفات هذه العصر المتلاقة عند الرعایا والملوك بالقبول كائنة من أشرف

هُرَاتِ الْمَقْوِلِ يَرْهُا عَلَى التَّعَاقِبِ الْآخِرِ عَنِ الْأَوَّلِ وَيَبْرُزُ هَا فِي قَالْبِ أَكْلِ
مِنِ السَّابِقِ وَأَفْضَلُ فِيهِ نَفْعٌ صَرْفٌ لِرَفَاهِيَّةِ الْعِبَادِ وَعِمَارَةِ الْبَلَادِ وَمِنْ ذَا الَّذِي
يَنْخُطُى صَوَابَ رَأْيِ هَذِهِ الْاسْتِمْدَادَاتِ الْمُعْيَنَةِ عَلَى الْأَهْمَاتِ الْمُعَاشِيَّةِ بِطَرْقَهَا النَّافِعَةِ
وَأَنْوَارَهَا السَّاطِعَةِ الَّتِي لَظَلَامُ الْأَرْجَاءِ دَافِعَهُ وَبَطْ الْكَلَامَ عَلَى الْمُخْتَرَعَاتِ
كَغَيْرِهِ مِنِ الْحَسَنَاتِ الْبَدِيعَاتِ مُبِسْوَطَةً فِي أَقْوَمِ الْمَسَالِكِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ
الْمَالَكِ لِحَكْمِ الْسِيَاسَةِ خَيْرِ الدِّينِ بَاشَا وَعَمَلَ مِنْ طَبِّ لِمَنْ حَبَّ يُورِثُ الْقَلْبَ
أَسْعَاشَا مَرْبِعَ لِبَعْضِهِمْ

بِدُورِهِمْ مَغْرِبٌ بَقْلَيٌ وَانْ أَغْرِيُوا فَوْجَدُهُمْ مَعْرِبٌ
عَنِ الْحَالِ مَا أَصْنَعَ لِكُلِّ هُوَى مِنْهُمْ * وَحْيٌ إِذَا مَا اتَّهَى * أَسْلُو وَأَهْلُ النَّهَى
عَلَى حَسْنِهِمْ أَجْمَعُوا

فَاشَارَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنِ الْإِشَارَاتِ الْفَوْلِيَّهِ جَلَهُ فِي مَصْرَنَا مِنْ قَبْلِ
الدَّلَالَاتِ الوضِيعَهِ وَدَلَالَةِ الْفَعْلِ فِي الْأَصْوَلِ أَقْوَى مِنْ دَلَالَةِ الْقَوْلِ فَاَجَدَرَ
مَا تَجَدَدُ الْآَنِ فِي مَصْرَنَا مِنْ حَسْنِ التَّنْظِيمِ الْمُسْتَحْقِقِ مِنْ أَهْلِ الْوَطَنِ كَمَّلَ
التَّبْجِيلُ وَالْتَّعْظِيمُ مَا بِهِ عَظِيمٌ قَدْرُ الْوَطَنِ وَشَرْفُ مَرْزِلَتِهِ وَمَجْدُتِهِ حِيثُ
اسْتَأْثَرَ بِالْفَوَائِدِ الْجَمِيَّهِ وَأَيْهُمْ مَمْلَاً يَحْصُلُ الْأَمْنَ الْبَرَرَهُ الْمَشْفَقَيْنِ وَمَنْ
أَبْنَاءُ الْوَطَنِ الصَّادِقَيْنِ مِنْ رَوْضَ نَفْسِهِ خَلْدَهُ الْوَطَنِ الْحَقِيقَيْهِ مِنْ الرَّاعِيِّ
وَالرَّاعِيَهِ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ درَجَهُ التَّصْغِيرِ وَالْتَّحْمِيرِ إِلَى درَجَهُ التَّرْفُعِ وَالْكَبِيرِ
بِصَرْفِ الْهَمَّهِ فِي حَسْنِ التَّدِيَرِ لِتَنْمِيَهِ الْمَنَافِعِ الْوَطَنِيَّهِ الْحَسِيَّهِ وَالْمَعْنَوِيَّهِ
وَمَا يَنْبُني لِلْعَاقِلِ أَنْ يَنْوِه بِذَكْرِهِ وَلَا يَخْرُجُهُ الْعَارِفُ مِنْ مَرَآةِ بَصِيرَتِهِ
وَفَكِرَهُ أَنْ مَلُوكَ الْإِسْلَامِ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَانْ كَانَ يَحْبُبُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَكُونُوا

على قلب رجل واحد في تقديم ابنة الاسلام وان يهتموا بتأييد الاوطان الحمدية
 بالعلوم النافعة والمنافع العمومية لترقى الديار الاسلامية درجة الكمال الطيبة الا
 ان الاولى بالمسارعة في ذلك لسلوكيه سلوك اقوم المسالك الدولة العثمانية العثمانية
 والخديوية الجليلة المصريه فان حصل منها براعة المخاص وحسن المقطع على
 شاكلة براعة الاستهلال على وجه ابدع بلغت شهامة الاوطان الاسلامية
 بالنسبة الى قوة الدولة ونحوه الملة الحال الارفع
 فاما تشبث الدولة المحروسة العلية بذلك الآ Zinc عن البيان وغير محتاج الي برهان
 اذا مارحاء الخير دارت على الورى فانك منها اقطبها وعمودها
 واما خديوينا الجليل فلا زال ينجز ما وعد به عند الولايه ويجدد عند
 انتهاز الفرص ما يستطيع به كمال العنايه فكان الفرصة تاجيه بقولها
 مولاي هذا الملك قد نلتـه رغم مخلوق من الخالق
 والدهر منقاد لما شئتـه وذا اوان الموعد الصادق
 هل مثله وامق ان قدر يرمي بها صريح النظر والى ماندعو بحبيها ولكن
 ملء عين حبيبها فلا يزال لسانه يلهج بمعنى قول القائل
 انا نتأمل ما كانت او ائنا من قبل تأمله ان ساعد القدر
 ولسان حال النصر الحقيق ينشد لنيل اكرم مرام وأعظم مقصد
 من جعل الحق له ناصرا ايده الله على نصرته
 وهافت السعادة يحيثه على كمال نيل المجاددة وكسب السعادة بقوله
 وكن فاعلا مثل فعل الزمان فان الزمان فعولن فعل
 ولسان الاعتراف يبيث على سبيل الاجمال ما فعله لوطنه من المحسن والجمال بالشاده
 لقد نبتت في مصر منك منافع كانت في الراحتين الاصابع

ولاعجب لمن توفيق العزير رفيقه ان يستمد منه القطر المصرى جميع ما يعجبه من
الكلالات ويروقة كما قال بعضهم فى هذا المعنى

قد أطلع الله لنا كوكباً أضاء شرق الارض والمغارباً
صاحب سعد يقتضى سعده سعادة الوالد اذ انجبا
والاصل ان طاب يرى غرسه ابنت فرعاء مثمرأً طيباً
مع هبة خص بها الله من اصبح للنعمه مستوجباً
فدم قرير العين حتى ترى خلفك من اولاده موكيماً
ولما كانت حسنات ول النعم تكاثر النجوم عدداً والانفاس مددأً
هتف لسان الجميع عن خالص الود الشاكر على حسن الصنيع بالدعاء له
بسط الاكف الى المولى السميع فقالوا لهم أدم علينا احسانه العديد وبحر
انعامه العديد حتى لا يزال يقول طالب رفده واحسانه هل من مزيد
وهذا آخر ما يسر الله جمه جمع سلامه مما يلوح عليه من القبول أبهى
علامه وهو جدير باسم مناهج الاباب المصرية في مباحث الآداب العصرية
وإذا انتهيت الى السلامة فلا تتجاوز
ان السفين متى يصل بر السلامة فهو فائز
حسب الفتى أمنا اذا في سيره جاب المفاوز
وهل السلامة للرئي س سوى مصادقة الجلاوز
والحمد لله ول النعمه والصلة والسلام على من هديت به الامة وعلى
آله وأصحابه الذين تلألأ في نوارهم وأضاءت في آفاق العالى أفكارهم وفتحت
للسعادة بصارتهم وأبصارهم صلاة وسلاماً دائرين الى يوم الدين والحمد لله رب

العالى

*) تتمة في دور الطباعه *

وفي بيان خطة الكتاب والاسباب البايعة على احيائه مع ذكر رسالة لحضرات الكاتب القدير صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالكريم سيمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية بظاردة الحقانية

الحمد لله عيي الأمم والصلة والسلام على سيد العرب والجم - (وبعد) فقد علم كل ناطق بالضاد ما لحضرته المؤلف رحمة الله من الايات الطولى في العلوم لا سيما العلوم العصرية والاجماعية فانه استولى بمحبه واجهاده على جملتها وتفصيلها وردمها هلها ظمآن فلم يصدر عنها إلا وهو مرتوا بالطف من ماء الحياة وأرق من نسمات الأرواح . عرف الشرقيون كغيرهم ذلك الرجل الذى أبرزته الارادة الالهية الى الوجود بعد فتره اندرست فيها ممال مثاله فا زال يحيى من العلوم الرفات ويدرك منها ما فات وما هو آت حتى برب على من سبقه ورفع في دولة الادب والمعارف رايته - عرف العالم جميعه من هو ذلك الامير الجليل رفاعة بك رافع وكيف كانت حياته الادبية والسياسية وأنه الرجل الذى ألقى بالبلاد الغربية عصى التسيير أعوا ما طوال وقف فيها على أسباب التقدم واسرار الارتفاع ثم عاد ومصباح الغرب باحدى يديه وفتح الشرق باليد الأخرى . عاد الى الديار المصرية فعاد لها الجد المؤثر والسعد الاول وغرس في روضة المدارس طائرها الائيين فبذل جل عناته لغرس ثمار الفنون اليائنة في عقول النباتة المصرية ولم يغادر علمًا من علوم العرب والافريقيين الا وقد بلغ فيه المدى وسلك في اظهاره لابناء وطنه طرائق قدماً أضفت الى ذلك انه كان له عنابة عظيمة بغير تاريخ العام

وبوجه خاص بتاريخ مصر الذي هو في الحقيقة تاريخ الدنيا - باجماليها لأنها مورد الوافدين من جميع الانحاء ومحط رحال الملوك والامراء فالله فيه كتبها جمة منها كتابه المسمى بـأنيوار توفيق الجليل في اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل وكتابه قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاخرين ورحلته الباريسية الشهيرة وغير ذلك مما لا ينحصر فوائدہ ولا تستقصى فرائده ومن ابهى محاسنه الجامدة وأبهج مصنفاته العصرية النافعة تأليف هذا الكتاب المسمى مناهج الاباب المصرية في مباحث الاداب العصرية فانه جمع فيه ما يتعاقب بمصر في مدينتها وسياستها الداخلية والخارجية وما كانت عليه من الفنون والصناعات واختراع وسائل المنافع مع ما يضاف لذلك من مناسبات فاقيحة واستطرادات شائقه كما انه كشف القاع عنها ووصلت اليه مصر من السعادة والرقي في عهد المغفور له الامير محمد على باشا ومن تولى بعده وأفاض في البحث عن حالتها الاجتماعية والسياسية مع بيان الاسباب التي ساعدت على انتشار التمدن وبيان ما احدها المصريون من الآراء والتعديلات في قوانين البلاد وذكر الاسباب الوصلة الى السعادة والرفاهية وقد رتبه على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمه فالمقدمة في ذكر تمدن الوطن والباب الاول في بيان المنافع العمومية والثاني في تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب والثالث في تطبيق اقسام المنافع العمومية في الازمان الاولية والرابع في التثبت بعوائد المنافع العمومية الى مصر في عهده جست مكان محمد على باشا والخامس في الاعمال المستحسنة والاصلاحات المصرية والختامه فيما يحب للوطن على ابنائه من الامور الجليلة وفضلا عن ذلك فقد اشتمل على كثير من ملح الخطب والرسائل التثريه ولطائف القصائد الشعرية التي تترجج بطبع ادباء رقة واسترق خواطر الفضلاء

بلغة ورقة وبجملة فهو وإن كان إلى التاريخ أقرب وبه اشبه ولكنه يجاذب
 أطراف الفنون وأخذ بيد القارئ إلى طريف الأدب وتلidente وقريبه وبعيده
 فيما يخيل للقارئ انه بين موقع الصفا ووكان الحرب والكفاح اذ يتراى
 له انه بين محاضرات الآداب ومسامرات الخلان والاحباب
 ومن أشرف مزاياه التي قلما توجد في غيره انه لا يقتصر على حكاية الواقع
 التاريخية بل تراه يهدى للقارئ سبل استخراج النتائج من الحوادث ويقدم
 له المقدمات التي تساعد على اعمال الفكر وترقية القرحة كما انه قد تضمن
 كثيرا من الآيات القرآنية والآحاديث الشريفه النبوية التي استدعاها الحال
 وكلما اورد شيئاً يحتاج الى ايضاح شرحه بعبارة تأخذ بالمجامع وتتفد الى اعمق
 القلوب قبل وصولها الى المساعم

كان هذا الكتاب عزيز المنال ينشده طالبه فلا مجده ويستشرف لرؤيته
 الاديب استشراف العاشق الوهان الى الوصال والصائم الى شهر الافطار الى أن
 قض الله له حضرة الحسيني والوزعى الفاضل الاريب سلالة الاخير
 ووارث الشرف كبار عن كابر السيد محمد رفاعه حفيد المؤلف فوجه همه لطبعه
 على نفقته احياء لذكرى جده وتعيمها لنفعه بين ابناء وطنه وقد شجعه على ذلك
 حضرة القاضى الفاضل والعلامة الكامل حفني بك ناصف وكيل محكمة طنطا
 الاهلية حيث وردت من حضرته رساله يقول فيها انه رأى هذا الكتاب أثناء
 سياحته الاورباويه فى مكتبة أثينا ويتمنى اعاده طبعه بالديار المصريه حتى لا تحرم
 مصر من مشاهدة آثار رجالها الساهرين على رقيها وسعادتها . و ما يعود من حسن
 الاتفاق ورود هذه الرساله الى حضرته وهو يأخذ لطبع الكتاب اهبيه
 وبعد له عدته فكان ذلك من اتفاق الخواطر ومطابقة الضمائير

ومع ذلك فلم تقف همته عند انجاز طبع هذا الاربل عزم حضرته على احياء باقي الكتب التي ترجمها جده عن الفرنساوية الى العربية كرواية تلماك الشهيرة وترجمة ملطرون وترجمة منتسكون وغير ذلك مما سيكون له شأن كبير في عالم التأليف ويقابل لدى الجمهور بالثناء والاعجاب

وقد جاء لحضره السيد محمد رفاعة جملة رسائل عديدة من اعظم الرجال وارباب الاقلام وكلها تعرب عن السرور والابتهاج بظهور هذا الكتاب الى عالم الطباعة بعد أن كان كنزا مخبوأ في بطون الكتبخانات فمن ذلك رسالة لحضره الأستاذ الكبير والعلامة النحير صاحب الفضيلة الشيخ عبد الكريم سليمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية وهذا نصها ولدي المحترم الفاضل محمد بك رفاعة حفظه الله سمعت يا ولدي عنك انك شرعت في طبع كتاب جدك الراحل رفاعة بك (مناهج الاباب) وقد سرني هذا النباء من أوجه أولاها وأولاها بالاعتبار منفعة ذوي الاباب من طلاب الآداب ونخب الكتاب ومريدي الدخول من هذه الابواب وثانيها احياء ذكرى ذلك الجد الرفيع وبقاء اسمه العالى عالى القام عظيم الاحترام

وقد أذكروني صنيعكم هذا ما كنت أتمناه دائما من احياء الكتايب الجليلين الذين ترجمها عن الفرنساوية الى العربية ذلك الجد الجليل فاجعل كتابي هذا غير قاصر على تقرير نظر عملك الجديد المقيد ومده الى ايجاد ذينك السفرين (ها ترجمة ملطرون وترجمة منتسكون) ولقد رویت عن عمك الاعز رحمه الله أن والده الاكرم أكرم الله

مثواه ترجمها وأن نسختها موجودة وأسمعني ما بقيت حافظه الى الآن
ما يبرهن على انه طيب ثراه ترجمها وهو

وملطبرون يشهدونه وحبر ومتسلك يقول ولا يمارى

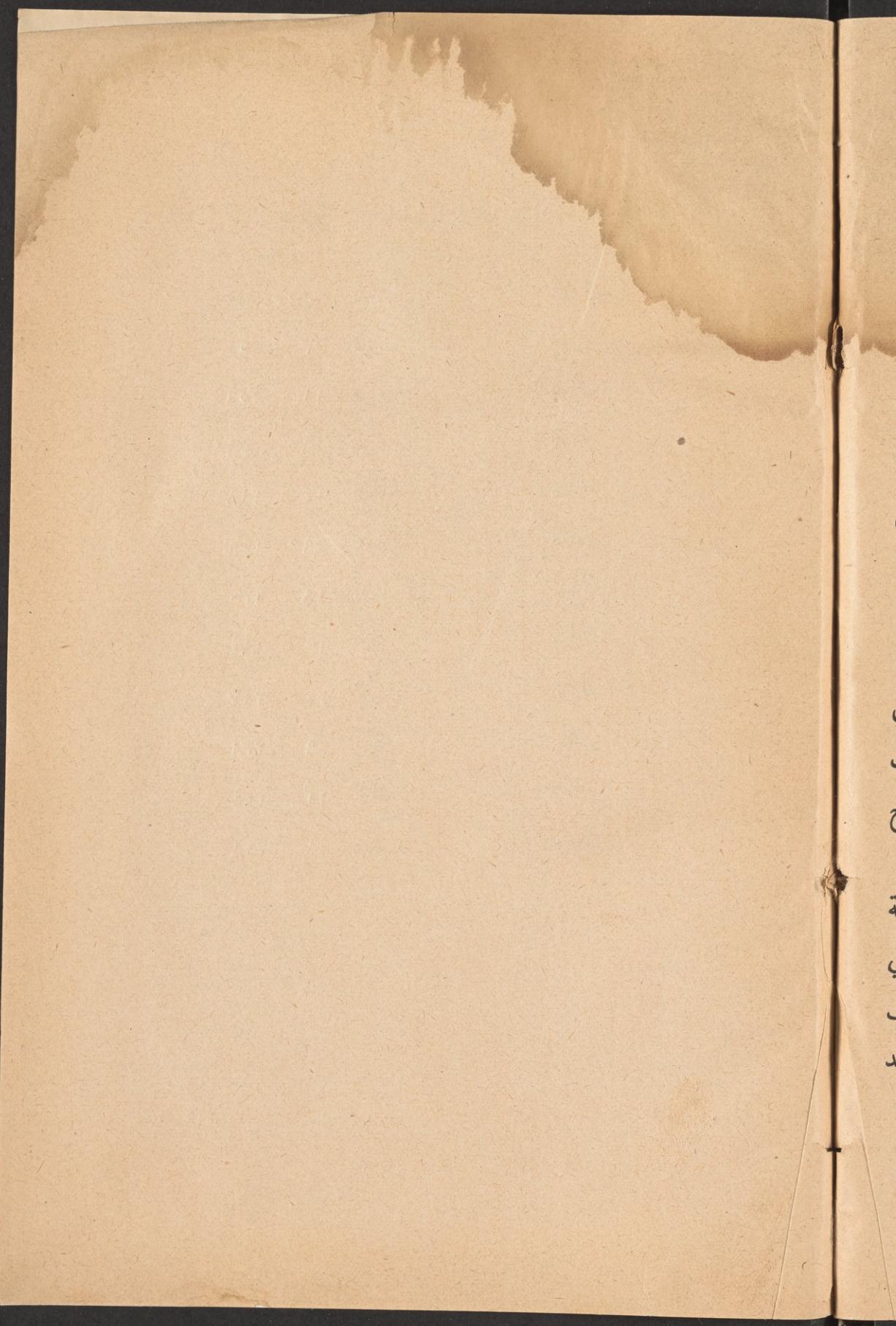
أما مثوبتك على ما شرعت فيه وعلى ما كلفتك بالعمل لا يجاده فاطلبها
من وهاب التوفيق لعباده العاملين ولا تجعل منها كل ماتفقه من المصاريف
على ابراز هذه المنافع الى الوجود فانك ان طلبت ذلك من هذا البلد في هذه
الأحيان وقفت في وسط الميدان والأولى بذلك أن لا يشرع ثم يرجع
فإن من حظك اعلاء ذكر جدك وهو مالا يستعز معه بالمال

وففك الله خير الاعمال في الحال والمال امين ۝

يوم الجمعة ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ (عبدالكريم سليمان)

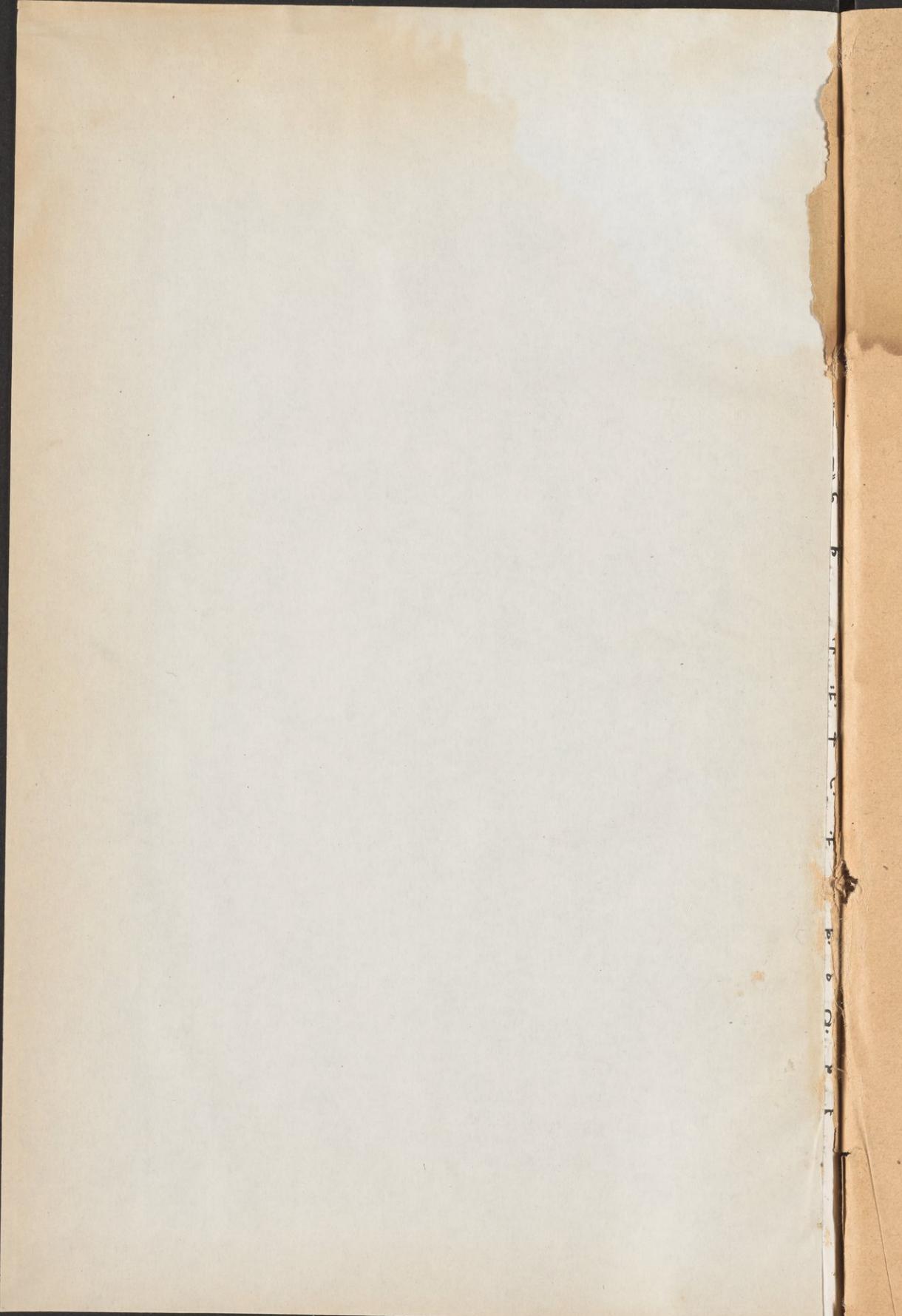
ونحن نزف البشرى الى الجمهور بوجود اصول هذين الكتابين في
خزانة كتب المؤلف وتعویل حضرة حفيده الاكرم على طبعهما اجابة لطلب
فضيلة الاستاذ وحبا في تعميم النفع لابناء العصر نرجو الله ان يتوج مسعاه بالنجاح
ونجعله مقرنا بالخير والاسعاد

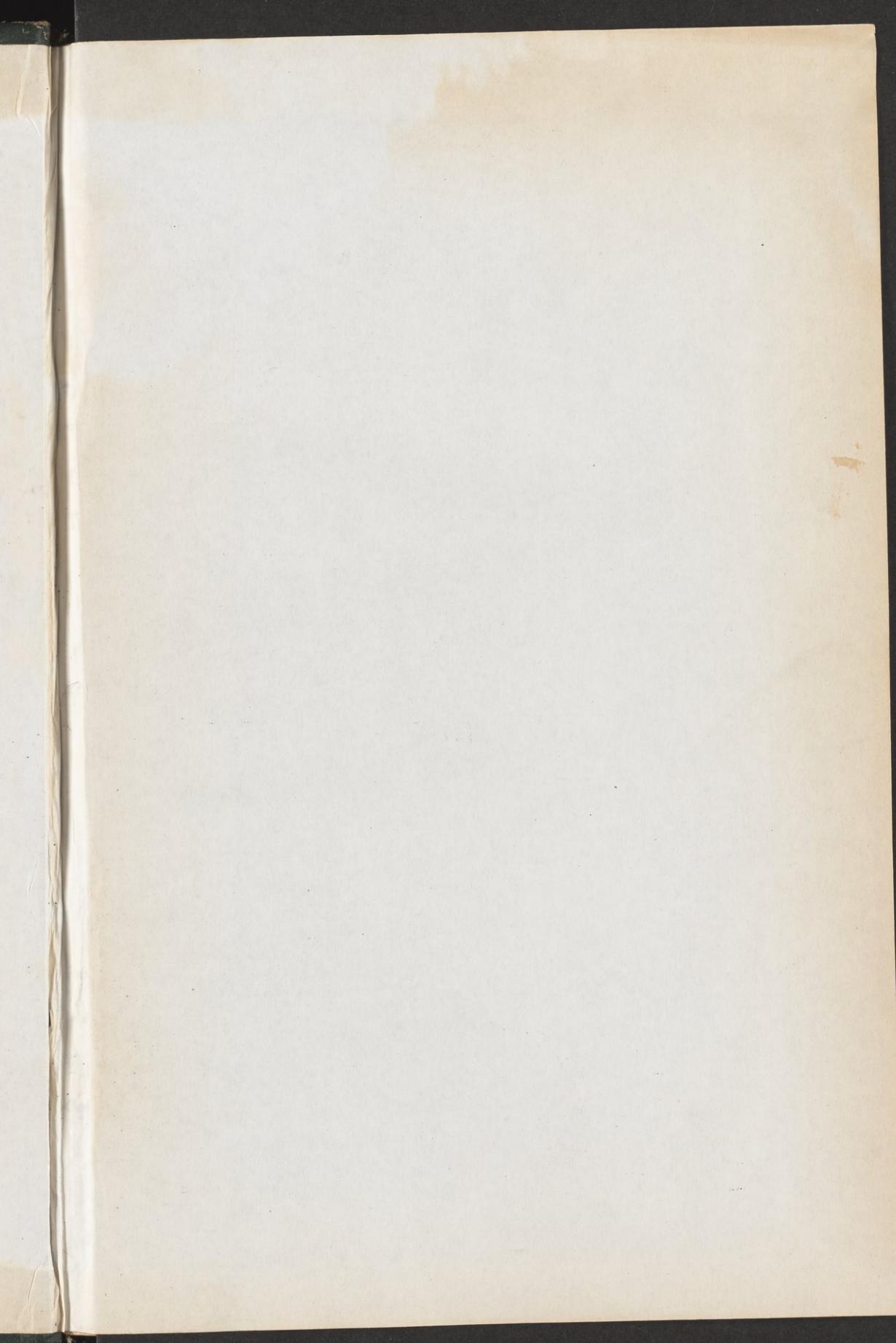
هذا وقد وافق تمام طبعه اوائل شهر شعبان المustum سنة ١٣٣٠ هجرية
على يد مصححه الفقير الى مولاه الغنى محمود سيد كشك الطهطاوى الازهري
احسن الله خاتمه وبلغه في دار الآخرة أمنيته وذلك بطبعه شركة الرغائب
المصرية العاملة التى بشارع المجلة بعصر القاهرة وصلى الله على سيد ناصد
النبي الامي وعلى آله وصحابه وسلم والحمد لله ظاهرا وباطنا اولا وآخراما
محمود سيد كشك الطهطاوى



بيان الخطأ الواقع في الكتاب

ص	س	خطأ
فهوا	٣	فهوا
عويسة	١١	عوصة
للوالد	١٦	للولد
هذا	١٤	هكذا
لتمحو	٩	لتمحوا
تدار كها	١٨	تدار كها
اعادة	١٠	اعاه
ثلاثة	٢٠	ثلثاءة
كل	٩	اكل
النافع	١١	النافع
وصلت	٨	صلت





Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University



